

الرومانسية في الأدب الروائي عند يوسف السباعي دراسة تحليلية نقدية

أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

كلية اللغات



إعداد

طاهر محمود

الإشراف

الدكتور كفايت الله همداني

أستاذ مشارك ورئيس قسم اللغة العربية

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد باكستان

العام الدراسي، 2016 - 2021 م

الرومانسية في الأدب الروائي عند يوسف السباعي دراسة تحليلية نقدية

أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
كلية اللغات

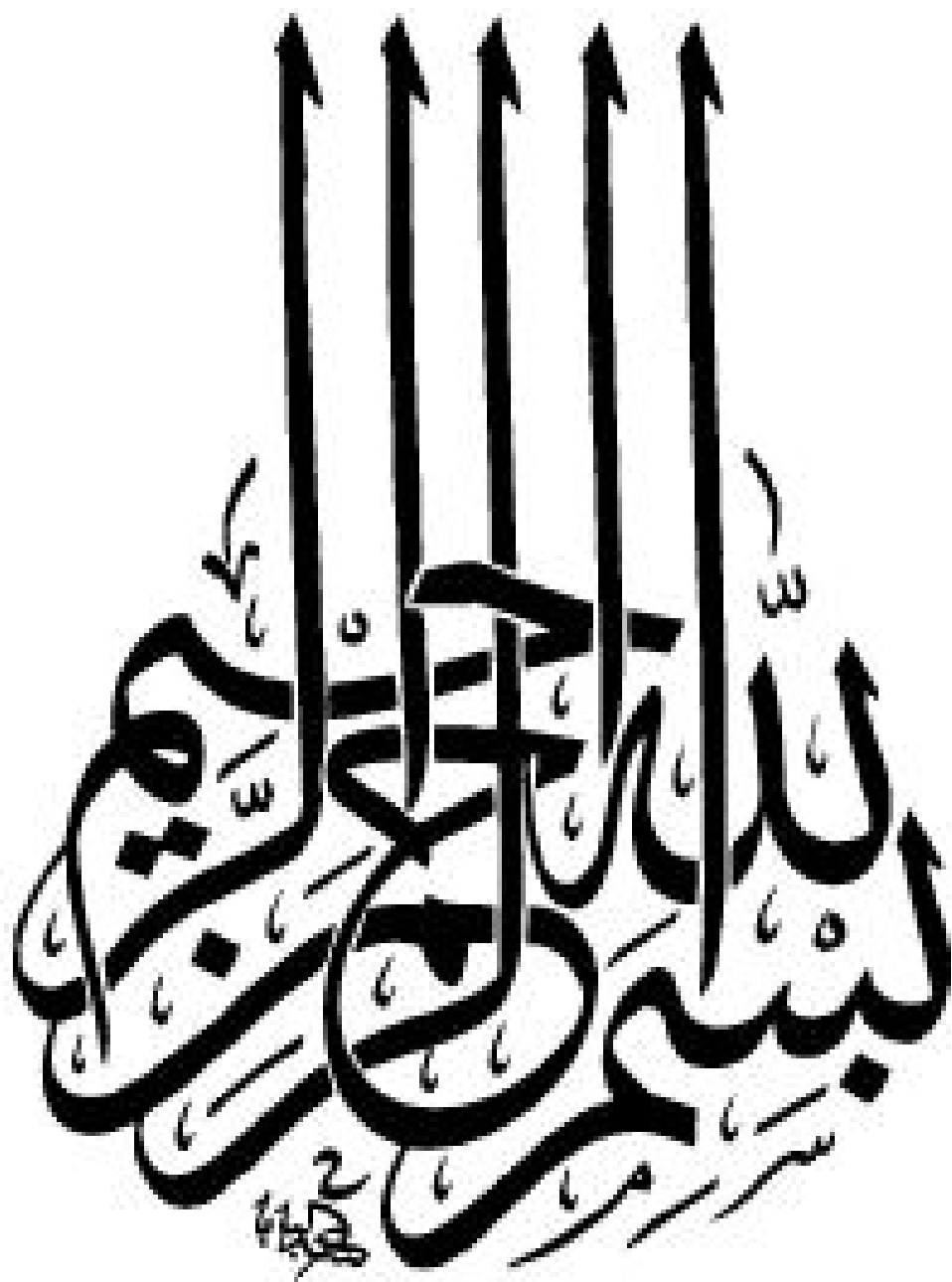


قسم اللغة العربية

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد - باكستان

العام الدراسي، 2016 - 2021 م

© طاهر محمود





استمارة الموافقة على الأطروحة والمناقشة

قام الموقعون أدناه بدراسة الأطروحة ومدلولتها وقد أخرجوا بنتائج طيبة حولها ونلتمس من هيئة الدراسات العليا الموافقة على هذه الأطروحة كأطروحة جيدة.

عنوان الأطروحة:

الرومانسية في الأدب الروائي عند يوسف السباعي دراسة تحليلية
نقدية

إعداد: طاهر محمود رقم التسجيل: 580-PhD/Ara/S16

شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

الدكتور كفايت الله همداني

التوقيع

المشرف

الدكتور جميل أصغر جامي

التوقيع

عميد كلية اللغات

اللواء (المتقاعد) محمد جعفر

التوقيع

رئيس الجامعة

التاريخ : 2021/08/29

يمين الباحث

أعلن أن أطروحتي: "الرومانسية في الأدب الروائي عند يوسف السباعي دراسة تحليلية نقدية" التي أعدتها تحت إشراف الدكتور كفايت الله همداني، والتي قدمتها إلى الجامعة الوطنية للغات الحديثة بإسلام آباد لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، لم أتقدم بها إلى أية جهة أخرى لنيل أية شهادة من قبل .

طاهر محمود

الباحث

الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

أغسطس 2021

فهرس المحتويات

أ	استمارة الموافقة على الأطروحة والمناقشة
ب	بمبن الباحث
ج	فهرس المحتويات
ط	Abstract
ك	الإهداء
ل	كلمة الشكر
1	المقدمة
الباب الأول: يوسف السباعي وأعماله الأدبية	
7	الفصل الأول: حياة يوسف السباعي
8	ولادته واسمه
8	والده
12	والدته
14	طفولته
17	دراسته
21	حياته العملية
28	الجوائز والأوسمة

29	زواجه
31	أولاده
32	اغتياله
35	قالوا عنه
40	الفصل الثاني: أعمال يوسف السباعي الأدبية
41	المجموعات القصصية
42	أطياف
46	اثنتا عشرة امرأة
52	خبايا الصدور
58	يا أمة ضحكت
63	اثنا عشر رجلا
69	في موكب الهوى
73	من العالم المجهول
77	هذه النفوس
82	مبكى العشاق
86	بين أبو الريش وجنينة ناميش
91	أغنيات

97	هذا هو الحب
99	صور طبق الأصل
103	سمّار الليالي
106	الشيخ زعرب
110	نفخة من الإيمان
114	ست نساء وستة رجال
117	هذه الحياة
121	ليلة خمرة
124	همسة غابرة
129	ليالي ودموع
131	مسرحياته
135	مقالاته
137	أدب الرحلة عند يوسف السباعي
الباب الثاني: روايات يوسف السباعي	
141	الفصل الأول: روايات يوسف السباعي التاريخية
145	رد قلبي
157	طريق العودة

167	نادية
183	ليل له آخر
189	ابتسامه على شففيه
197	العمر لحظة
الفصل الثاني: روايات يوسف السباعي الاجتماعية	
203	مصطلح الرواية الاجتماعية
206	نائب عزرائيل
211	أرض النفاق
221	إني راحلة
227	بين الأطلال اذكربني
231	السقامات
235	البحث عن جسد
241	فديتك يا ليلي
245	نحن لا نزرع الشوك
الباب الثالث: الرومانسية عند يوسف السباعي	
253	الفصل الأول: الرومانسية نشأتها وتطورها
254	تعريف الرومانسية

256	نشأة الرومانسية وروادها
259	الرومانسية وروادها في مصر
263	سمات المذهب الرومانسي
271	الفصل الثاني: الرومانسية في روايات يوسف السباعي
277	الثورة على المجتمع والتقاليد
288	العاطفة
298	الاهتمام الزائد بالخيال
301	الطبيعة
307	اللجوء إلى الماضي وتمجيده
311	الفصل الثالث: المرأة عند يوسف السباعي
313	المرأة في (أرض النفاق)
318	المرأة في (بين الأطلال اذكريني)
324	المرأة في (السقامات)
329	المرأة في (نحن لا نزرع الشوك)
الباب الرابع: دراسة فنية لإنتاجه الروائي الرومانسي	
334	الفصل الأول: دراسة تحليلية لإنتاجه الأدبي
335	المبحث الأول: عناصر الرواية عند يوسف السباعي

354	المبحث الثاني: ميزات أعمال يوسف السباعي الروائية
365	المبحث الثالث: المآخذ على كتابة يوسف السباعي
367	الفصل الثاني: دراسة نقدية لإنتاجه الروائي
380	المبحث الأول: آراؤه الدينية
384	المبحث الثاني: آراؤه الاجتماعية
388	المبحث الثالث: آراؤه السياسية
392	المبحث الرابع: آراؤه التعليمية
394	الخاتمة
395	نتائج البحث
400	التوصيات
402	الاقتراحات
403	الفهارس الفنية
409	المصادر والمراجع

Abstract

یوسف سباعی کی ناول نگاری پر رومانوی اثرات

انیسویں صدی کی ابتداء کو جدید عربی ادب کا آغاز سمجھا جاتا ہے فرانس کے مصر پر قبضے کے بعد سے ہی عربوں اور بالخصوص مصریوں میں بیداری کی لہر پیدا ہوئی۔ فرانسیسی چھاپے خانے کی آمد نے کتابوں کے حصول کو آسان بنا دیا۔ سیاسی ہلچل اور غیر ملکی قبضہ کے خلاف جدوجہد اور عوامی شعور کے نتیجہ میں اخبارات اور رسائل کے لئے راہ ہموار ہوئی۔ تعلیمی اور فوجی مقاصد کے لئے بھجوائے جانے والے طلبہ کی نثر اور شعر کی جدید روایتوں جیسے: افسانہ، ناول، ڈرامہ، کالم نگاری اور سفر ناموں وغیرہ سے واقفیت نے مصر میں جدید عربی ادب کے قیام کے لئے ماحول کو سازگار بنانے میں اہم کردار ادا کیا۔

جدید عربی ادب کی ابتداء یورپی نثر نگاری اور شاعری کے عربی تراجم سے ہوئی، وقت گزرنے کے ساتھ ساتھ اس خیال نے زور پکڑا کہ مقامی ماحول سے ہی افسانہ اور ناول کے موضوعات تلاش کئے جائیں تاکہ مختلف معاشرتی اور سیاسی رویوں کو اجاگر کیا جاسکے اس سلسلہ کا پہلا باقاعدہ عربی ناول "زینب" فرانس سے تعلیم مکمل کرنے والے محمد حسین ہیکل کی کاوش ہے جو پہلی جنگِ عظیم کے لگ بھگ تحریر کیا گیا۔

رومانوی تحریک کا آغاز اٹھارویں صدی کے اواخر میں فرانس میں ہوا جبکہ انیسویں صدی کے وسط تک رومانوی سوچ عروج پر پہنچ چکی تھی یہ ادبی تحریک اس دور کے صنعتی انقلاب 'طبقہ شرفاء اور وہاں کے دگرگوں سیاسی اور معاشرتی حالات کے خلاف ایک زہنی بغاوت تھی رومانوی فکر میں خیالات اور جذبات کی قوت کو ہی حقیقی خیال کیا جاتا ہے بیسویں صدی میں اگرچہ رومانوی تحریک کی شدت فرانس میں دم توڑ چکی تھی لیکن بیسویں صدی کے وسط تک مصر میں نہ صرف بادشاہت قائم تھی بلکہ بعد میں آنے والی جمہوری حکومتیں بھی بدترین آمریت کا نمونہ تھیں لہذا ماحول کی گھٹن 'معاشرتی نا ہمواریوں اور طبقہ شرفاء کو دی جانے والی مراعات کے خلاف ماحول سازگار ہی رہا بیسویں صدی میں بین الاقوامی، علاقائی اور مقامی حالات میں ہونے والی تبدیلیوں نے لکھنے والوں کے لئے نئے نئے موضوعات

فراہم کئے۔ ان حالات میں مصری نثر نگاری میں ایک نئے گروہ کا اضافہ ہوا یہ وہ ادباء تھے جو بنیادی طور پر مختلف شعبہ ہائے زندگی سے تعلق رکھتے تھے لیکن ان میں فطری طور پر موجود ادیب نے حالات کے پیش نظر اپنا کردار ادا کرنا ضروری سمجھا۔ انہی ادباء میں سے ایک قابل ذکر نام یوسف سباعی کا بھی ہے، جنکی ناول نگاری کو میں نے "یوسف سباعی کی ناول نگاری پر رومانوی اثرات" کے عنوان سے پی ایچ ڈی کے مقالہ کا موضوع منتخب کیا ہے۔

یوسف سباعی کی شخصیت کے انتخاب کی کئی وجوہات ہیں جن میں سے اہم ترین ان کی شخصیت میں موجود تنوع اور جہد مسلسل ہے۔ ایک ادبی گھریلو ماحول میں پرورش پانے والے سباعی نے اپنی عملی زندگی کا آغاز ایک فوجی افسر کی حیثیت سے کیا۔ بریگیڈیئر کے عہدے تک ترقی پانے کے بعد جب وہ ریٹائرڈ ہوئے تو ان کے افسانوں کے چند مجموعے اور کچھ ناول منظر عام پر آچکے تھے پھر صحافت کے میدان میں قدم رکھا تو کئی کامیاب رسائل کا نہ صرف اجراء کیا بلکہ "اہرام" جیسے صف اول کے مصری اخبار کے چیف ایڈیٹر بھی رہے۔ سیاست کے میدان میں قسمت آزمائی کی تو مصر کے وزیر ثقافت کا قلم دان سنبھالا۔

16 ناولوں اور افسانوں کے 21 مجموعوں کے مصنف نے کالم نگاری کو بھی اظہار کا ذریعہ بنایا اور کالموں پر مشتمل ان کی کتابوں کی تعداد 8 ہے۔ یوسف سباعی نے 4 ڈرامے بھی تحریر کئے اور بین الاقوامی اسفار کی روداد کو بھی ایک کتاب میں سمیٹا ہے۔ 1978 میں یوسف سباعی کو 61 سال کی عمر میں قبرص کے دار الحکومت میں اسوقت قاتلانہ حملہ کا نشانہ بنایا گیا جب وہ ایک بین الاقوامی کانفرنس میں شریک تھے۔ یوں تمام عمر ملک و قوم کی خدمت کرنے والے شخص کی زندگی کا اختتام بھی وطن کی خاطر جان قربان کرنے پر ہوا کیونکہ اسوقت بھی یوسف سباعی مصر کے وزیر ثقافت تھے۔ مجھے قوی امید ہے کہ یوسف سباعی کی زندگی اور ناولوں کا مطالعہ عربی ادب کے طلبہ اور ناول نگاری سے دلچسپی رکھنے والوں کے لئے ایک مفید مطالعہ ثابت ہوگا۔

طاہر محمود

PhD Scholar
Arabic Department
NUML – Islamabad

الإهداء

إلى أمي الحبيبة الغالية

طال انتظارها لإكمال دراستي

حتى اختارها الله إلى جواره.

إلى أستاذتي الفاضلة

نورت لي طريق العلم والمعرفة

رحمها الله وأسكنها جنان الخلد.

إلى أبي الحنون، معلمي الأول

غرس حب اللغة العربية

وحافظ عليه طيلة السنوات

لولاه لما استطعت أن أنجح في حياتي.

كلمة الشكر

أقدم شكري الخالص لأستاذي ومشرفي د. كفايت الله همداني، أستاذ مشارك ورئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الوطنية للغات الحديثة حيث أكرمني بإشراف أطروحتي من جهة و شجعني لإكمال أطروحتي كرئيس قسم اللغة العربية من جهة أخرى وساعدني في إيجاد بعض المصادر من القاهرة أيضا ومنحني فرصة التدريس للأدب العربي الحديث كذلك.

وأشكر د. محمد بادشاه، أستاذ مساعد ومنسق قسم اللغة العربية على مساعدته وتعبه لإكمال الإجراءات الرسمية ولتقديم نصائحه القيمة من خلال كتابة هذه الأطروحة كما أنتهز الفرصة لأشكر زميلي د. محمد نعيم أشرف و د. محمد فخر معين لدعمهما المعنوي المستمر ووقوفهما بجانبني في ظروف الشخصية التي مررت بها من خلال إعداد هذه الأطروحة

وأتوجه بشكري الخالص إلى أستاذتي د. فضيلة داؤد رحمها الله حيث كانت تصر على التحاقني بالدراسات العليا ودرستني في ماجستير الفلسفة وكذلك في الدكتوراه وتكرمت على بقبول إشرافها على أطروحتي أيضا وأنا مدين كذلك لصديقي عبدالإله فاروق بادشاه على ما قدم من مساعدته لطباعة هذه الأطروحة.

وأخيرا أشكر زوجتي على تعاونها على ما أخذت من وقتها ووقت العائلة خلال إعداد "الرومانسية في الأدب الروائي عند يوسف السباعي دراسة تحليلية نقدية".

المقدمة

بدأت النهضة العربية الحديثة بعد هجوم نابليون على مصر في بداية القرن التاسع عشر فظهر الأدب العربي الحديث بظهور المطابع والمكتبات وحركة الترجمة وإرسال البعثات إلى البلدان الغربية لأغراض علمية وعسكرية وسياسية مما ساعد كثيرا لخلق أجواء ملائمة للحركة الأدبية الجديدة فوجد هؤلاء المصريون الأنواع الثرية الجديدة مثل القصة القصيرة والرواية والمسرحية والمقالات وأدب الرحلات الخ من الفنون الثرية الحديثة بالإضافة إلى المدارس الأدبية الفكرية مثل مدرسة المحافظين ومدرسة الديوان وجماعة أبولو وتأثروا كذلك بالإتجاهات الأدبية كالرومانسية والواقعية الخ من الإتجاهات الأدبية المعروفة آنذاك التي لم يكن لها الوجود في مصر وفي البلدان العربية الأخرى.

ترجم المصريون هذه الآداب الغربية في أول الأمر إلى اللغة العربية وقام البعض بتمصيرها وفي نهاية الأمر جربوا حظهم في كتابة القصص والروايات والمسرحيات الخ من الفنون الثرية في اللغة العربية ليصوروا فيها آلام الشعب المصري تحت سيطرة أجنبية وأن تحمل كتاباتهم ما يكون أقرب إلى الواقع من الحياة المصرية ويفهمه القارئ المصري والعربي بدلا من ذكر الشخصيات والأماكن والثقافة الغربية التي لا تترك أثرا بالغ الأهمية على القراء المصريين.

تطورت الفنون الثرية في القرن العشرين وظهر عدد كبير من الأدباء المصريين الذين عرفوا على مستوى العربي والعالمي وترجمت مؤلفاتهم إلى اللغات الأخرى أمثال محمد حسين هيكل ود. طه حسين ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم ويوسف إدريس الخ من الأدباء المصريين البارزين وساعدت الأحداث العالمية والمحلية مثل الحرب العالمية الأولى والثانية وقضية فلسطين وتحرير الدول العربية وثورات المصريين ضد النظام الملكي الموجود آنذاك وتحول مصر من المملكة إلى الجمهورية وتكوين الأحزاب الجديدة ووحدة مصر مع سوريا وخوض مصر الحروب مع العرب ضد إسرائيل الخ من الأحداث السياسية في تطور الأدب العربي الحديث.

عاش بعض المثقفين المصريين هذه الأحداث المحلية فلاحظوا مواقف الجنود والضباط والمرضى والأطباء والفلاحين وملاك الأراضي وزعماء الحركات الدينية

والسياسية وأتباعهم فرأوا من واجبهم الوطني ومسئوليتهم نحو الشعب المصري أن يؤلفوا لرفع معنوياتهم أولا وأن يقدموا لهم الصورة الحقيقية ثانيا التي لم يعرفها عامة الناس لكونهم بعيدين عن ميادين القتال والسجون والأماكن التي تتخذ فيها القرارات لتقرير مصير الشعب المصري فكانوا خير إضافة إلى قائمة الأدباء المصريين ومنهم د. يوسف إدريس ود. نجيب الكيلاني ويوسف السباعي.

فاخترت من هؤلاء الأدباء البارزين يوسف السباعي لأكتب عنه وعن أعماله الروائية فموضوع أطروحتي "الرومانسية في الأدب الروائي عند يوسف السباعي دراسة تحليلية نقدية".

وأعجبتني خلفيته الأدبية إذ كان أبوه أديبا ومترجما وترى على يديه في الأجواء الأدبية وشخصيته العسكرية لأنه خريج الكلية الحربية حيث تقاعد عميدا من الجيش وشخصيته السياسية، إذ دخل المجال السياسي بعد التقاعد حتى وصل منصب وزير الثقافة في جمهورية مصر العربية وشخصيته الصحفية إذ عمل في المجال الصحفي وأنشأ عدة مجلات منها آخر الساعة والرسالة الأخيرة.

وظيفة يوسف السباعي في الجيش أو عمله في الصحافة المصرية أو نشاطاته السياسية لم تستطع أن تمنعه من الإنتاج الغزير في الفنون النثرية المختلفة فقدم ست عشرة رواية وله واحدة وعشرون مجموعة قصصية ونشرت له ثماني مجموعات لمقالاته التي عبر فيها عن آراءه ألف كذلك أربع مسرحيات ودون كتابا عن رحلاته المختلفة.

أسباب اختيار الموضوع

اخترت هذا الموضوع لأسباب وهي :

أولا: عشت إحدى العواصم العربية لخمس سنوات فمن خلال دراستي لاحظت أن الرواية مرتبطة كل الارتباط بالمجتمع الحديث وتحمل دلالات اجتماعية وفكرية مختلفة وتتخذ شخصياتها من عامة الناس.

ثانيا: درّستُ الأدب العربي الحديث على مستوى البكالوريوس والماجستير والماجستير الفلسفة في قسم اللغة العربية في الجامعة الوطنية للغات الحديثة بإسلام آباد

فوجدت نفسي أكثر ميلا في تدريسها من مواد أخرى فأردت المزيد من المعرفة عن أهم المذاهب الأدبية "الرومانسية" وسماتها وتأثيرها على المجتمع المصري ومعرفة الأسباب التي أدت إلى انتشار هذا المذهب الأدبي في مصر وكيف عالج أحياء مصر مشاكل مجتمعهم في ضوء الرومانسية.

ثالثا: قراءة الروايات العربية هوايتي منذ أكثر من عشرة سنوات فقرأت الروائيين المصريين مثل نجيب محفوظ ويوسف إدريس ويوسف السباعي فتمتعت كثيراً بقراءتها. مما أجبرني أن أدرس هؤلاء الأدباء وأقرأ عن هؤلاء الشخصيات قراءة واسعة في إنتاجهم الأدبي فاخترت قصص يوسف إدريس القصيرة لرسالة ماجستير الفلسفة واخترت روايات يوسف السباعي لأطروحة الدكتوراه.

رابعا: أحببت أن أكتب أطروحتي عن شخصية كتبت في مجالات أدبية مختلفة وأن تكون قد تميزت في إحداها فوجدت أن يوسف السباعي كتب في مجال القصة والرواية والمسرحية والمقال وأدب الرحلة وامتاز في فن الرواية. ولهذا الأسباب المذكورة اخترت موضوع أطروحتي "الرومانسية في الأدب الروائي عند يوسف السباعي دراسة تحليلية نقدية".

أسئلة البحث

إن دراسة شخصية يوسف السباعي أعماله الروائية تتطلب الوقوف والبحث عن الأسئلة الآتية:

1. ما المستوى الأدبي لرواياته وماذا أنتج من خلالها؟
2. ماذا كان يهدف إليه في رواياته وكيف صوّر الثقافة العربية فيها؟
3. أكان فعلا يمثل أفكار المجتمع المصري مشاعره في رواياته التاريخية؟ فإذا كانت الإجابة بنعم فهل استطاع أن يرسمه رسما حقيقيا بعد أن تأثر بالرومانسية تأثرا قويا؟
4. هل وفق يوسف السباعي من خلال كتابته التاريخية وكيف يرى النقاد أعماله التاريخية من ناحية صحة المعلومات والتأثير وهل استطاع

السباعى نقل أفكاره الثورية على لسان شخصيات التاريخية وكيف
قدّم العالم العسكري لقراءة المدنيين؟

5. ما هي المشاكل والموضوعات الاجتماعية التي عالجها في رواياته
الاجتماعية فيالسنوات المختلفة وهل حاول من خلالها تقديم الآراء
والحلل المناسبة حسب تركيبة المجتمع المصري ونفسيته؟

الدراسات السابقة حول هذه الموضوع

1. رؤية المكان في روايات يوسف السباعي، دراسة فنية تطبيقية (رسالة
دالماجستير) رضا السيد العشماوي محمد، كلية الآداب، جامعة المنصورة،
2010، مصر.
2. الروائيون الثلاثة: يوسف الشاروني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980.
3. سيميائية الشخصية في روايات يوسف السباعي الاجتماعية (رسالة
الدكتوراة): أسماء ابراهيم حسين شنقار، قسم اللغة العربية، كلية البنات
للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين الشمس، القاهرة، مصر، 2015.
4. صورة الوطن في روايات يوسف السباعي (رسالة الماجستير): هبة محمد
أسامة ابراهيم، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مصر، 2010.
5. قضايا الفن الروائي عند يوسف السباعي (رسالة الماجستير): حامد عبد
اللطيف، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، 1987.

منهج البحث

المنهج الذى نتبعه خلال كتابة هذه الأطروحة هو أننا في الفصل الأول الباب
الأول تعرف مجموعات القصصية باختصار وذلك لأن عدد المجموعات القصصية يفوق
عشرين مجموعة قصصية فنركز ما يميز بها هذه المجموعات من وجود الأبيات والأمثال
الخ وقد يكون حديثنا عنها أطول مقارنة بأعماله الأدبية الأخرى كحديثنا عن

مسرحياته فنكتفى بتعريف المسرحيات فقط ويكون بحثنا عن مجموعات مقالاته موجزا أيضا ولا نحاول أن نتبع المنهج نفسه في حديثنا عن أدب رحلاته أيضا لأن البحث الطويل في هذه الأعمال تبعدنا عن هدفنا لكتابة هذه الأطروحة.

وفي الباب الثاني فتحدث بالتفصيل عن رواياته التاريخية والاجتماعية لأن تعريف الروايات في هذا الباب ومعرفة شخصياتها تساعدنا كثيرا في معرفة أفكاره وتأثير الاتجاهات الأدبية على أعماله الأدبية خلال رحلته الأدبية وهذا الباب قد يكون أطول مقارنة بالأبواب الأخرى وذلك لأننا لم نجد رسالة علمية تشتمل على تعريف أعماله الروائية معا ويكون هذا الباب هو أساس الباب الثالث والرابع ويكون فيهما منهجا تحليليا نقديا لأننا نحلل أفكاره المختلفة في ضوء عناصر الرواية وننقد آراءه بعد تقديمها ونعرض آراءه نحو المرأة وملتقى الضوء على رؤية تقديمه المرأة في رواياته بعد الحديث عن فكرة الرومانسية.

خطة البحث

الإهداء

الشكر والتقدير

المقدمة

تبويب البحث

الباب الأول : يوسف السباعي أعماله الأدبية

وفيه فصلان :

الفصل الأول: حياة يوسف السباعي

الفصل الثاني: أعمال يوسف السباعي الأدبية

الباب الثاني: روايات يوسف السباعي

ويشتمل هذا الباب على فصلين:

الفصل الأول: روايات يوسف السباعي التاريخية

الفصل الثاني: روايات يوسف السباعي الإجتماعية

الباب الثالث: الرومانسية عند يوسف السباعي

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول: الرومانسية نشأتها تطورها

الفصل الثاني: الرومانسية في روايات يوسف السباعي

الفصل الثالث: المرأة عند يوسف السباعي

الباب الرابع: دراسة فنية لإنتاجه الروائي الرومانسي

وفيه فصلان :

الفصل الأول: دراسة تحليلية لإنتاجه الأدبي

الفصل الثاني: دراسة نقدية لإنتاجه الروائي

نتائج البحث

التوصيات والاقتراحات

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

وأرجو الله أن يوفقني فيما أريد أن أصل إليه من كتابة هذه الأطروحة لنيل

شهادة الدكتوراة في اللغة العربية وآدابها وأن يجعل عملي هذا مفيدا للباحثين الطلاب

أساتذة اللغة العربية.

الباب الأول : يوسف السباعي وأعماله الأدبية

الفصل الأول: حياة يوسف السباعي

الفصل الثاني: أعمال يوسف السباعي الأدبية

حياة يوسف السباعي

ولادته واسمه

ولد يوسف السباعي يوم 1917/6/10م في القاهرة،⁽¹⁾ وذكر يوسف السباعي في كتابه البحث عن جسد عن منطقة ولادته في القاهرة بقوله "أنا نفسي ولدت في حياتي السابقة في حارة الروم... في الدّرب الأحمر".⁽²⁾ كان يكنى يوسف السباعي ابو حجاج،⁽³⁾ كما ذكر لمعي المطيعي في موسوعته.

والده

يصف غالي شكري والده قائلاً "ولد (يوسف السباعي) في القاهرة في 10 يونية 1917م ابن المرحوم محمد السباعي من أئمة النهضة الأدبية الحديثة".⁽⁴⁾ وكان والده محمد السباعي كاتباً ومترجماً وكان ذا ثقافة عالية ويتكلم لمعي المطيعي عن علاقة محمد السباعي مع ابنه يوسف السباعي إذ يقول "كان (محمد السباعي) الكاتب والمترجم يرسل ابنه الصبي (يوسف) بأصول المقالات إلى المطابع ليتم جمعها أو صقّها... ثم يذهب الصبي يوسف ليعود بما ليتم تصحيحها وبعدها الطباعة لتصدر للناس".⁽⁵⁾

(1) موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، د. خليل أحمد خليل، ط/1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 2001، ص/ 521.

(2) البحث عن جسد، يوسف السباعي، مكتبة الإسكندرية، ص/ 172.

(3) موسوعة نساء ورجال من مصر، لمعي المطيعي، ط/1، دار الشروق القاهرة، ص/ 823.

(4) الفكر والفن في أدب، يوسف السباعي، تقديم غالي شكري، دار الفكر مكتبة الخانجي القاهرة، ص/ 335.

(5) موسوعة نساء ورجال من مصر، ص/ 824.

كتب يوسف السباعي قصته (أمام الفك) وذكر فيه والده المرحوم قائلاً "ولست أدري أي دافع خبيث يلح علي في ألا أغير أسماء الأبطال... لأن أحدهم هو أبي بالذات: المرحوم محمد السباعي وأنا واثق أنه لو مد الله في عمره لسبقني إلى نشرها.. كما سبق أن نشر معظم حوادثه مع المرحوم الشيخ عبدالرحمن البرقوقي في قصة الدروس القاسية في البلاغ الأسبوعي في سنة 1928م.. والاثنان.. كما هو واضح لمن لا يعرفهما من أبناء الجيل الجديد من آئمة الأدب العربي وأعلامه". (1)

ذكر السباعي رأى عباس محمود العقاد عن والده في هذه القصة إذ يقول "فهو أبي: محمد السباعي، الذي قال عنه العقاد في تقديمه لأحد كتبه أنه كان طليعة المدرسة الأدبية الحديثة في نهضة الأدب المصري". (2)

ثم يصف والده قائلاً "واني أستطيع أن أتصور أبي بجسده الضخم وكتفيه العريضتين ووجهه الأحمر الممتلئ وقد جلس على كرسي من الخوص ووضع ساقا على ساق في نفخة وعظمة". (3)

يبدو أنّ يوسف السباعي كان كثير الاهتمام بأبيه إذ ألف قصته "رحت الفرن" ووصف والده قائلاً "كان أبي يركب الترام من ميدان السيّدة ويجلس على مقعده مهيباً محترماً بين الركاب بجسده الضخم القوي الممتلئ ووجهه الأبيض المشرب بحمرة وبذلته الأنيقة المنشأة والطربوش الطويل يحجب معظم جبينه ويستقر على حاجبيه كان يجلس بين الركاب في نفخة واعتداد". (4)

تحدث عن طبيعة والده بأنه كان فناناً عبقرياً وكان قليل الاهتمام بالحياة كما يفعل الآخرون من عامة الناس وحكى قصة عن والده رواها له عمّه طه السباعي بأنه استقال من وظيفته ليحفظ ديوان ابن الرومي وكتب أيضاً ما أخبره جدّه عن طبيعة

(1) صور طبق الأصل، يوسف السباعي، ص/ 215-216.

(2) المصدر نفسه، ص/ 216

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه، ص/ 163-164.

والده بأنه كان يكره التدريس في الإسكندرية فكان يجمع كل دروسه في يوم واحد ويستريح بقية الأسبوع في القاهرة "فإذا ما جاء ذلك اليوم.. رفض السفر.. ويظل جدّي يتوسل إليه ويدعو الله أن يهديه حتى يرضى أخيراً ولكي يطمئن جدّي على سفره ويأخذه من يده ويذهب به إلى المحطة ويركبه القطار ويتحرك القطار.. فيهدأ بال جدّي ويحمد الله الذي هداه ثم يعود إلى الدار مطمئناً ويصل القطار إلى أول محطاته في بنها فيشاور أبي عقله ويغادر القطار... ثم يأخذ القطار العائد إلى القاهرة لاعتنا الإسكندرية ومهنة التدريس". (1)

ويبدو أن يوسف السباعي افتقد والده طول العمر فذكر دائماً إذ أنّ القصة تحمل ذكر والده وأحد أصدقائه وهو الأسطى محمود الحلاق وهو نفسه في روايته (نحن لا نزرع الشوك) صديق الأستاذ محمد السمادوني "وفوتي على الأسطى محمود المزين قولي له بيحي بسرعة". (2)

والسيد محمد السمادوني في الرواية هو والده ويبدو أن صدمة وفاة والده لازمته طوال حياته الشخصية والأدبية فذكرها في أكثر من رواية ويشير يوسف الشاروني إلى هذا الأمر في مقاله (نحن لا نزرع الشوك وأصولها الروائية في أدب يوسف السباعي) إذ يقول "ففي (البحث عن جسد) (1953) يقدم لنا يوسف السباعي مفتاح اهتمامه بمشكلة للموت حين يحدثنا عن ذكرياته حين توفي والده شبه فجائية وهي ذكريات يعيدها علينا بتفاصيلها في روايته (نحن لا نزرع الشوك) عند موت محمد السمادوني لاحظ تشابه هذا الاسم مع اسم محمد السباعي والد يوسف السباعي". (3)

ترجم محمد السباعي (رباعيات الخيام) إلى اللغة العربية وذكر يوسف السباعي في قصته (رحل القرن) أن الكتاب المذكور إحدى مؤلفات والده ينقل قول والده

(1) صور طبق الأصل، يوسف السباعي، ص/ 163-164.

(2) نحن لا نزرع الشوك، يوسف السباعي، 1/ 171.

(3) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 148-149.

"أخذت فلوس من الحاج مصطفى (الحاج مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الذي نشر له معظم كتبه ومنها رباعيات الخيام)".⁽¹⁾

وكتب لمعي المطيعي عن كتب محمد السباعي قائلاً " حفظ (يوسف) أشعار عمر الخيام التي ترجمها عن الإنجليزية والده (محمد السباعي) الذي كان متعمقا في الآداب العربية شعرها ونثرها ومتعمقا في الفلسفات الأوروبية الحديثة يساعده إتقانه اللغة الانجليزية، السباعي الأب ترجم كتاب (الأبطال وعبادة البطولة) لتوماس كارليل وكتب في مجلة (البيان) للشيخ عبدالرحمن البرقوقي وفي أخريات حياته كتب قصة (الفيلسوف).. فتوفى وترك القصة لم تكتمل وأكمل القصة (يوسف السباعي) وطبعت عام 1957 بتقديم للدكتور (طه حسين)".⁽²⁾

وذكر د. محمد الجوادى في مقاله أنّ السباعي الأب ترجم الأعمال العديدة "أبرز الكتب التي حفظتها المكتبة العربية للسباعي المترجم كانا كتابين تربويين مهمين أولهما (التربية) للفيلسوف الإنجليزي هربرت سبنسر وثانيهما هو كتاب (الأبطال) لتوماس كارليل".⁽³⁾

وأضاف أيضا أن السباعي الأب ترجم رواية نشيد الميلاد لشارلز ديكنز وأنه كان يكتب في الجريدة والبلاغ والأسبوعي بالإضافة إلى كتابته في البيان وذكر أنه ألف ثلاث روايات اجتماعية وهي الخادمة والعاشق المنتقل والدروس القاسية.⁽⁴⁾

وله كتاب في المقالات المنشورة في الصحافة باسم الصور وكتب عصام عبدالفتاح أنه ينتمي إلى سلالة الرسول ﷺ وأنه ورث ميوله الأدبية عن والده.⁽⁵⁾

(1) صور طبق الأصل، ص/ 168.

(2) موسوعة نساء ورجال من مصر، ص/ 824.

(3) محمد السباعي أول عميد للأدباء المترجمين مقال د. محمد الجوادى تاريخ 5-8-2019،

google.com/amp/blog.

(4) المصدر نفسه.

(5) الاغتيالات السياسة في التاريخ، عصام عبدالفتاح، الإسكندرية، ط/ 1، 2012، ص/ 235.

والدته

قارن يوسف الشاروني بين والدي يوسف السباعي إذ يقول "كان السباعي الكبير صديقا لابنه المراهق أكثر مما كان والدا له.. بينما كانت الوالدة على عكس ذلك تميل إلى الشدة والصرامة فيما كان الوالد يقول لصغيره كفى المذاكرة كانت الأم تحبسه وأخويه ليذاكروا".⁽¹⁾

أما يوسف السباعي فذكر والدته في أعماله المختلفة ففي روايته (نحن لا نزرع الشوك) مثلاً هي زوجة الأستاذ محمد السمدوني -والأستاذ محمد هو نفسه محمد السباعي كما ذكرنا قبل قليل- ووالدة (حمدي) -بطل الرواية- فوصفها قائلاً "وفتح الباب وبدت وراءه سيدة طيبة القسماات نظيفة الوجه كالفتى وسألته في دهشة: حمدي.. ماذا بك".⁽²⁾

يبدو أنّ أمه كانت طيبة القلب أيضا إذ نرى أنّها أدخلت الخادمة الجديدة بقولها "ادخلي يا بنتي... إن شاء الله تستريحين عندنا".⁽³⁾

أما صراحتها وانفعالها فأشارت إليها (سيدة) خادمة في الرواية المذكورة قائلة "ولكن من الذي نجا.. من قرصاتها وسبابها من أهل البيت.. في زحمة العمل.. وحدة الانفعال، كان يتساوى أمامها (سي محمد) رب البيت وسيدة.. خادمته.. فكان السباب ينطلق موزعا على أهل البيت كأنه نداءات طبيعية لم يكن لها بديل... وكان القرص والزعد... تعبيرات عن انفعالات مؤقتة.. لا تسبب ألما... للواقعة عليه.. أكثر مما تسبب تفريجا لانفعال الواقعة منه".⁽⁴⁾

يبدو أنّها لم تكن تعرف القراءة "وضحك الأب فقد كان واثقا أنّها (زوجته) لن تستطيع أبدا أن تضبط هذه الموارد الخافية.. لسبب بسيط.. هو أنّها لا تعرف

(1) أدباء ومفكرون، يوسف الشاروني، ص/ 47.

(2) نحن لا نزرع الشوك، يوسف السباعي، 1/ 183.

(3) المصدر نفسه، ص/ 185.

(4) المصدر نفسه، ص/ 188.

القراءة..⁽¹⁾ لم نعر على اسم والدته في أعماله القصصية وذكر السباعي جدته (أم والدته) بكنية أم عطية قد يكون (عطية) اسم والدته أو خالته.

أما أخواه فهما محمود وأحمد كما يتضح في مجموعته القصصية (بين أبو الريش وجنيئة ناميش) وورد في حديثه مع عزرائيل في روايته الشهيرة "البحث عن جسد" أن محموداً كان يكبره بسنة وفي كتابه (من حياتي) كتب قصة تعلم ركوب الدراجة فكتب عن أخيه الأكبر "وقد أقدم عليه أخي الأكبر.. في غفلة من والدتي .. وأصبح بين عشية وضحاها من راكبي العجل".⁽²⁾

أما أحمد فكان أصغرهما ففي حديثه عن أمه وخوفها كتب حدثاً اختفاء أخيه الأصغر أحمد وإرسال والدته له للبحث عنه.

ذكرت دولة طه السباعي في حوارها مع نعم الباز أن السباعي كما يحب أمه كثيراً "إن زوجي أحب أمه حبا عظيما وتأثر بها إلى حد بعيد والأم هي المرأة الأولى في حياة كل رجل".⁽³⁾

كما يتضح الأمر وكانت أم السباعي تراقب موارد محمد السباعي للمحافظة عليها في (نحن لا نزرع الشوك) عندما يمنع الأب ابنه "إياك أن تدخل هذه المجالات البيت.. والاضاع المورد الذي نخفيه عن سيطرة أمك".⁽⁴⁾

فكانت زوجة مثالية من هذه الناحية لأن والد يوسف السباعي كان قليل الاهتمام بأمور البيت، كانت تخاف على أولادها وذكر ذلك في قصته (غراب على شجرة) "والدتي كانت تجد في ثلاثة أرباع الأعمال التي يباشرها الصبية.. ونباشرها نحن. أنا وأخوتي بالتبعية.. خطورة على حياتنا.. وكانت لا تكاد تطمئن على حياتنا إلا ونحن جلوس أمام المكتب أو نيام في الفراش... نشأنا ونحن نمارس لهو الصبية

(1) نحن لا نزرع الشوك ، ص/ 196.

(2) ليلة خم - من حياتي، يوسف السباعي، مكتبة مصر، ص/ 151.

(3) زوجاتكم وأنا، نعم الباز، دار الشعب القاهرة، ص/ 64.

(4) نحن لا نزرع الشوك، ص/ 197.

خلصة كأننا نرتكب المعصيات.. أو نفعل المنكر.. وكانت المعصية الكبرى..
والمنكر الأشد... هو ركوب البسكليت" (1)

كانت أم يوسف السباعي شديدة الاهتمام به لكنها كانت تختلف في أسلوبها من زوجها ورسوب السباعي في الإبتدائية خير دليل على ذلك "عندما اتضح أن لي ملحقا في الحساب.. بدأ الملحق كطوق النجاة وبدأت جهود العائلة (أعني أمي وخالي فقد كان أبي خارج الحلقة في كل ما يختص بالشؤون المدرسية التافهة في نظره)" (2).

وكان موضع اهتمامها خاصة بعد وفاة والده إذ كانت تعلم أن ابنه تأثر كثيراً بوفاة زوجها وكان يحتاج إلى رعاية خاصة في كل الأمور وكان نجاحه ضمان مستقبل الأسرة.

طفولته

يشرح لنا يوسف الشاروني أن كاتبنا ولد في حارة الروم في القاهرة ولكن أسرته انتقلت بعد ذلك إلى حي السيدة زينب "أسرته ما لبثت أن انتقلت إلى حي السيدة زينب مما أتاح له أن يتجول في طفولته في جنية ياميش (3) وأبو الريش وسيدي زينهم والمارودي وسيدي الحبيبي والبالغلة وحارة السيدة وزين العابدين والخليج المصري والناصرية والمبتديان وسيدي العتريس تلك الأحياء الشعبية التي شم رائحتها وتلمس مذاقها في كثير مما كتبه" (4).

وإذا راجعنا (بين أبو الريش وجنية ناميش) مجموعة قصص قصيرة ليوسف السباعي فوافقنا رأى الأستاذ يوسف الشاروني لأنها تحمل إحدى عشرة قصة وخصص الكاتب لكل حارة قصة ويبدو أن الشاروني استفاد من فهرس المجموعة لأنه ذكر

(1) ليلة خم من حياتي، ص/ 150-151.

(2) المصدر نفسه، ص/ 112.

(3) لعله يقصد ناميش لأن يوسف السباعي ألف مجموعة قصصية "بين أبو الريش وجنية ناميش".

(4) الروايات الثلاثة، يوسف الشاروني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1970، ص/ 103.

الحارات حسب الترتيب المذكور في المجموعة غير أنه قدّم (جنينة ناميش) على (أبو الريش).⁽¹⁾

وأهدى هذه المجموعة إلى أخويه لأخهما جالا معه في أبو الريش وجنينة ناميش،⁽²⁾ وفي قصته في جنينة ناميش يذكر السباعي أنّ أسرته كانت تعيش في 1930، في جنينة ناميش قرب سيدي الأربعين⁽³⁾، وفي نائب عزرائيل يصف علاقته بجنينة ناميش قائلاً "فإن لها على حقا.. فقد كانت لي مرتع الصبا.. ومراح الطفوله اللاهية العابثة.. فهي بقعة من الأرض عزيزة على نفسي.. حبيبة إلى قلبي.. وقد ينسى المرء كل مكان إلا مرتع طفولته... وموطن حبه".⁽⁴⁾

وفي الرواية نفسها يذكر السباعي أنه كان يجيد الزحلقة "لم يكن هناك أحب إلى في طفولتي من الزحلقة على الترابزين.. وأني كنت بارعا في هذه اللعبة غاية البراعة.."⁽⁵⁾ وأنه كان لا يستخدم السلم للنزول إلى فناء البيت في غياب الكبار وفي حضورهم، كان يتأخر عنهم متعمدا ليتمتع بالزحلقة.

وفي هذه الرواية نفسها شارك ذكريات طفولته بأنه كان كثير الأكل سريع الجوع وكان لا يشبع من الطعام مهما أكل "وكانت جدته تنهيه بأنه آكل في آخر زاده،" وتصح قولها إذا قارنا برغبة الأكل عند السباعي وهو ابن سبع سنوات فذهب إلى بيت جدته فبات عندها فبالغت في إكرامه في الفطور وقدمت له عشرة أنواع من الطعام فالتهمها ثم سأل الجدّة عن الفطور لأنه كان متعودا على تناول الفول في الإفطار.

(1) الروائيون الثلاثة، ص / 103.

(2) بين أبو الريش وجنينة ناميش، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة، ص / 6.

(3) المصدر نفسه، ص / 19.

(4) نائب عزرائيل-البحث عن جسد، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة، ص / 97.

(5) المصدر نفسه، ص / 78.

لأنه إذا تناول الفول المدمس في الفطور فكان بإمكانه أن يقوم بأعماله ويتعد عن الطعام إلى الغداء "فبهذه الأكلة يمكنني أن أودي أعمال بعد ذلك وأروح وأجئ دون أن أحس بألم الجوع... إلا قبيل الساعة الثانية".⁽¹⁾

ويذكر السباعي أن أخاه وابن عمه كانا يأكلان كثيرا أيضا وكانوا يتنافسون بينهم "واني لأذكر كيف كنا أنا وأخ لي وابن عم خطرا على أي دار ندعى للطعام فيها.. وخاصة عندما تنقلب المسألة بيننا إلى منافسة ومسابقة".⁽²⁾

لم ينسى السباعي طفولته بحلوها ومرارتها وكانت الذكريات راسخة جدا في قلبه إذ نرى أنه يذكر حب جدته (أم الأب) له ويهديها روايته البحث عن جسد "إلى أول من أحبني وأولة من أحببت... إلى أبداع من قص وأعذب من روى إلى (نينة أم طه)"⁽³⁾، وطه هو عمه طه السباعي وكما ذكرنا سابقا أنها كانت تهتم به كثيرا وهي مشلولة وكان يحمل لها هدية في نهاية كل أسبوع وكان يجبها وكان يشعر أنها الأولى التي أحبته "كانت تضطجع في ركن من إحدى الحجرات، بجسدها الطويل النحيل وشعرها الأبيض الفضي، مشلولة لا تستطيع الحراك... فأرتقى بين أحضانها وأسلمها الهدية فتضميني إليها وترقدي بحوارها.. وتدلني وتقص علي أحسن القصص".⁽⁴⁾

ولكن جدته أم عطية (أم والدته) لم يكن يجبها في طفولته وظلت مرارة تعاملها معه في ذكرياته لكنه غفرها بعد مرور الوقت ورعاها في أيام موتها كما ورد في حوار مع عزرائيل وهو الذي يشرح له أسباب كرهه لها مقارنا بين الجدتين.

"لم ذكرت (أم طه) ونسيت (أم عطية).. لم ذكرت مدلتي ونسيت معذبتي، أنسيت كيف كانت تعتقد أنني حرمت أخي محمود اللبن لأني ولدت بعده بسنة.. فأخذتني -وأنا رضيع بجزيرة حرمانه... فأحبهته وأبغضتني وأعزته وأذلتني.. كانت

(1) نائب عزرائيل-البحث عن جسد، ص/ 88.

(2) المصدر نفسه.

(3) نائب عزرائيل-البحث عم جسد، ص/ 137.

(4) المصدر نفسه.

تحمل في قلبها حقدا دفينا وسلموا لها أمري ففرضت من نفسها ديكتاتورا على طفولتي.. وجعلت منها قطعة عذاب.. كنت أرى في سفرها إلى البلد عيداً".⁽¹⁾
فترة الطفولة ما أحلاها فكتب عنها في أعماله المختلفة لكننا نكتفي بهذا القدر ونتقل إلى المدرسة.

دراسته

درس السباعي في المدارس المختلفة في القاهرة ومنها مدرسة وادي النيل الابتدائية ففي قصته (دنيا) يقول "كنت وقتذاك تلميذا في السادسة من عمري بمدرسة وادي النيل الابتدائية"⁽²⁾ يبدو أنه إلى مدرسة محمد علي الابتدائية لأنه لم ينسى "توفيق أفندي" مدرس اللغة الإنجليزية وقساوته وضربه وهو طالب السنة الثانية الإبتدائية فانتج تلك الدراسة كرهه للغة ومدرستها فيتبين هذا الكره في أكثر من قصة فوصف مدرسه في روايته (البحث عن جسد) وفي سيرته الذاتية (من حياتي) خصص فصلا سماه (عقدة الإنجليزية) إذ يقول "وذكرت لها تاريخي المجيد في اللغة الإنجليزية.. وأكدت لها أن ثلاثة أرباع كرهني للاستعمار الإنجليزي هو كرهني للغة لإنجليزية ولما جنيته منها في تلمذتي".⁽³⁾

وكتب في نفس الفصل أنه رسب مرتين بسبب اللغة الإنجليزية في الثانوية لكنه رسب أيضا في مدرسة محمد علي الإبتدائية في 1928، وذكر رسوبه هذا في (ملحق حساب) وشرح تأثير رسوبه على أفراد عائلته واهتمام والدته وخاله وجهودها لإنقاذ الشهادة الضائعة على حد تعبير قوله فسجل صباحا في مدرسة وادي النيل الإبتدائية الأهلية لإعداد مادة الحساب ولكن أهله كانوا يرسلونه للدرس الخصوصي عند مدرس الرياضة.

(1) نائب عزرائيل-البحث عن جسد، ص/ 148.

(2) يا أمة ضحكت، يوسف السباعي، ص/ 240.

(3) المصدر السابق، ص/ 339.

ولعل هذا هو الرسوب الذي أشار إليه الكاتب يوسف الشاروني قائلاً
"وعند ما رسب يوسف في الامتحان ذات مرّة عاد الأب إلى المنزل يسأل عنه
ليكافئه.. وكان أخوه محمود قد نجح ولم يهتم به الوالد فدهشت الأم لذلك فقال
لها الناجح تكفيه فرحة النجاح أما الراسب فهو أحق بالعزاء".⁽¹⁾
وهذا ما قال والد (حمدي) الأستاذ محمد السمدوني لابنه الخائف في مادة
الحساب "إذا سقطت لك عندي فسحة لا تحلم بها... إذا سقط فهو في حاجة
إلى شيء يفرحه... أما إذا نجح فتكفيه فرحة النجاح".⁽²⁾
وعن نشاطاته الرياضية يقول عصام عبدالفتاح: "كانت للسباعي أيضا
نشاطات رياضية... حيث كان رئيس فريق الهوكي في مدرسته".⁽³⁾ أكمل يوسف
السباعي دراسته الثانوية في مدرسة شبر الثانوية في القاهرة. وكان يكتب في مجلة
المدرسة "كما كتب أيضا نشيد مدرسة شبرا ولحن الموسيقار محمود رمزي وكانت
تنشده المدرسة كلها".⁽⁴⁾ ويكتب ماهر حسن أنه أكمل البكالوريا في سنة
1935⁽⁵⁾ والتحق السباعي بالكلية الحربية بعد ذلك نظرا لظروف العائلة ويخص
السباعي ذلك الصراع بين المسؤولية وآمال المستقبل على لسان حمدي إذ يقول
"واستمر ر دراستك قد أصبح يشكل عبئا على أكتاف الآخرين..
بدل أن تتحمل أنت عبئهم.. وتريح أمك من عناء التوفير والتدبير..
ستجعلهم يتحملون عبئك.. أربع سنوات طوالا حتى تتخرج.. وتصبح إنسانا قادراً
على إعالتهم واستمرت التعليقات... ودرات المناقشة حول أي مدرسة عليا ممكن
أن توفر المصروفات وتمنحه وظيفة مضمونة في أقل مدّة دراسة ممكنة... وهم هو

(1) الروايات الثلاثة، ص/ 110.

(2) نحن لا نزرع الشوك، 1/ 248.

(3) الاعتيالات السياسية في التاريخ ص/ 235.

(4) الروايات الثلاثة، 104.

(5) اغتيال الروائي وزير الثقافة يوسف السباعي (مقال)، ماهر حسن، الخميس، 17-2-2011،

بأن يعلن في حزم أنه سيتوظف بالبالكوريا"⁽¹⁾ وفي لقاءه مع الكاتب يوسف الشاروني يخبر السباعي أنه حفظ القرآن ويؤكد أنه كتب نشيد المدرسة عندما كان الأستاذ ابراهيم تكلا ناظر المدرسة إذ يقول: "وأنا أذكر أنني حاولت الغناء وأنا تلميذ في المدرسة الثانوية في نطاق شلة الأصدقاء كما حاولت الرسم فكنت أرسم المجلة التي أصدرها حتى أن مدرس الرسم كان يعتقد أنني سأكون رساما ولكن في النهاية استقر بي الأمر على طريقة التعبير بالكلمة المكتوبة"⁽²⁾ وفي 1937 تخرج السباعي في الكلية الحربية وتم تعيينه ضابطا في سلاح الفرسان.

أهدى السباعي روايته (رد قلبي) إلى هذا السلاح "إلى سلاح الفرسان بخيوله وعرباته ودباباته وجنوده وضباطه وقواده وشهداءه ومحاربيه القدماء إلى سلاح (النصر أو الموت) أهدى قطعة من "حياته وحياة مصر"⁽³⁾.

واستفاد كثيراً من خبرته العسكرية في كتابة الرواية المذكورة وذلك من خلال تدريبه في الكلية العسكرية وتعيينه في سلاح الفرسان بعد التخرج لأن بطل هذه الرواية (علي) تدرّب في المدرسة الحربية وعين في سلاح الفرسان فور تخرجه واعترف السباعي في مقدمة رد قلبي حيث يقول "ويبدو لي سبب اهتمامي بهذه القصة.. هو يقيني بضرورة تسجيل الأحداث الخطيرة التي حدثت في تاريخنا المعاصر وثقتي بأني -بصفتي العسكرية- أقدر الكتاب على تسجيلها بحكم خدمتي في الجيش"⁽⁴⁾ لا نهدف هنا إلى ذكر تفصيل هذه الرواية فتكلم عنها في الباب الثاني لأهميتها التاريخية وإنما القصد أن نشير إلى عمله الروائي ذا صلة بسلاح الفرسان أو السواري وكان نائب مدير سلاح الفرسان⁽⁵⁾ قبل تقاعده بعد أن تدرج في المناصب المختلفة حتى وصل إلى رتبة العميد في الجيش المصري ولكننا إلى الآن في حديثنا عن بداية حياته العملية واهتمامه بسلاح الفرسان وكذلك بطل روايته

(1) نحن لا نزرع الشوك، ج/ 1، ص/ 358-359.

(2) الروائيون الثلاثة، ص/ 180.

(3) رد قلبي، يوسف السباعي، مكتبة مصر القاهرة، ج/ 1، ص/ 5.

(4) المصدر نفسه، ص/ 8.

(5) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 133.

((طريق العودة)) عسكري وتكلم السباعي فيها عن حرب الدبابات ضد إسرائيل وتعيينه في سلاح الفرسان هما سهل له كتابة هذه الرواية من جهة فثبت وفاءه وحبه لهذا السلاح ولم ينسأه كذلك من خلال كتابة أحداث (العمر لحظة) علما أن القصة تتحدث عن الأحداث التي وقعت بين عامي 1969 و1970 وفي القصة يُسجل السباعي خاصة بطولات القوّات الخاصة خلال حرب الاستنزاف وذكر في رواياته وقصصه ما يدور في داخل القوات المسلحة بداية من الحياة المهنية إلى المؤامرات وحياة الضباط والجنود وأخذ شخصيات قصصه من هؤلاء الذين عاش بينهم ما يقارب عشرين سنة من عمره.

وقصّ بعض قصص التدريب في الكلية العسكرية في أعماله المختلفة وكما ذكرنا سابقا أنه كان كثير الأكل في طفولته فنضيف ونقول إنه استمرّ على هذه الحال في فترة التدريب أيضا وفي "نائب عزرائيل" يسجل ذكرياته "وأذكر كذلك كيف كنت في وزميلا تتنافس على بطولة الأكل.. وكيف كنا نحن الإثنين نستعد لدخول مباراة للملاكمة وكان الممرن يحاول جهده أن يجعلنا نتبع رجينا خاصا في الطعام حتى لا يزيد وزننا وكان يصر على ألا نتناول طعام العشاء. وكنا نذهب أمامه فعلا لكي ننام.. ولكن لا يكاد الليل ينتصف حتى نقفز من فراشنا فنهجم على المطبخ ونأتي على كل ما به".⁽¹⁾

فذكر أيضا أن الممرن أمرهم بركضة طويلة المسافة لنقص وزنهما الذي كان لا ينقص رغم جهود ممرنهما وخلال استراحتهما في الطريق أكل كل منهما ثلاثين يوسفية عند ما غفل عنهما المدرّب "وعند ما عدنا وحاول الممرن أن يزننا بعد ذلك.. كاد يصعق عندما وجد أن وزننا قد زاد"⁽²⁾ وخلال التدريب العسكري تعلّم ركوب الدراجة الهوائية التي كانت هوايته وقد منع في طفولته كما ذكرنا سابقا "ولم يكن هناك بد والأمر من التنازل عن اللجنة التي تحت أقدام الأمهات.. وأن

(1) نائب عزرائيل، ص/ 89.

(2) المصدر نفسه، ص/ 90.

أقدم على تعلم ركوب العجل بعد أن أضحي ركوبي للعمل لا للهو"،⁽¹⁾ وشرح في نفس القصة عن صف رسم الخرائط وتحدث أيضا عن مدرسه.

وفي ماريكا كتب عن بداية عهده بركوب الخيل وجرحه وذكر اسلوب معالجة الطبيب لركبته المجروحة، حيث استلقى في فراش المستشفى وبركبته السليمة جبيرة.. وربقت ركبته المجروحة كما هي".

قدّم السباعي ذكريات الكلية في نفس المجموعة فشرح الصعوبات التي لاقها خلال التدريب العسكري بأنواعها "سلسلة الأحداث التي توالى علينا.. لم تدع لنا الفرص لأن نشعر بشيء.. لا أمل... ولاخيبة أمل".⁽²⁾

ويلخص هذه الفترة التدريبية بقوله "كأن هناك إنسانا قد أمسك من يديك وظلّ يدور بك بلا توقف حتى يقذف بك آخر اليوم على فراشك وأنت في شبه اغماء ولم أقول في شبه؟ وقد كنا نأوى إلى الفراش في التاسعة.. وفي التاسعة ودقيقة واحدة نكون في سبات عميق".⁽³⁾

حياته العملية

ولم نعثر على معلومات دقيقة حول تدرجه الوظيفي في حياته العسكرية إلا ما ذكره في أعماله القصصية والروائية فكتب السباعي بعنوان عقدة الإنجليزية في سيرته الذاتية "من حياتي" وشرح ما لاقى من الصعوبة في الحياة العسكرية بسبب هذه اللغة وذلك لأنه "وعندما تخرج في الكلية الحربية إلى سلاح الفرسان فاختار للذهاب إلى بعثة في إنجلترا، ثم ذهب.. للقاء وزير الدفاع آنذاك وهو بدوره سأله عن سنة تخرجه في اللغة الإنجليزية فلم يستطع أن يرد على كلامه.. وأرتب نطقي

(1) ليلة خم من حياتي، ص/ 153.

(2) المصدر نفسه، ص/ 120.

(3) المصدر نفسه، ص/ 121.

عام 1937 كانت البعثة قد طارت.. للذي بعدي".⁽¹⁾ فأخفق يوسف السباعي في الحصول على بعثة إلى إنجلترا ويتأكد قوله لنا بأنه تخرج في 1937 وفي كلية أركان الحرب... لم يضق يوسف السباعي بشيء قدر ضيقه من اللغة الإنجليزية.. وكانت هي وحدها التي أثرت على درجة تخرجه في تلك الكلية.

هكذا وصف السباعي ضيقه من الإنجليزية وتصف ربما سليم أهمية التخرج من هذه الكلية "هي البوابة التي يعبر من خلالها الضابط إلى موقع تحمل مسؤولية القيادة إما كقائد كتيبة أو كضابط ركن".⁽²⁾

وفي (لورى خبطة) تحدث عن علاقته بأحمد مظهر الممثل المصري الملقب بفارس السينما المصرية قائلاً "بدأت صداقتي بأحمد مظهر وأنا أعلمه ركوب الخيل في فرقة الركبدارية في سلاح الفرسان.. (ولست أقولها على سبيل التفاخر.. لأنه أضحى وثلاثة أرباع الذين علمتهم ركوب الخيل أبطالاً في الفروسية.. وأنا لم أصبح شيئاً)".⁽³⁾

لا نعرف ما الذي جعله أن يشعر بمثل هذا الشعور وقد يكون شعوره هذا لأنه لم يصل إلى أعلى مناصب القوات المسلحة وتعرف من خلال قراءة هذه القصة أنه اشتغل المناصب العديدة ومنها

- مدرس ركوب الخيل
- مدرس في الكلية الحربية
- قائد تدريب سلاح الفرسان⁽⁴⁾

وفي قصته (غافلت القدر وسافرت) تكلم عن أربع فرص ضاعت منه خلال حياته العسكرية وكانت الأولى منها في سنة 1937 وآخرها بعثة ضباط

(1) ليلة خم من حياتي، ص/ 238.

(2) تحقيق عسكري (مقال) إعداد، ربما سليم ضومط العدد 229 تموز 2004،

www.lebarwy.gov.lb

(3) المصدر السابق، ص/ 247.

(4) المصدر نفسه، ص/ 252.

الأركان حرب إلى إيطاليا، لم يحدد سنة الفرصة الرابعة لكنها بعد أبريل 1953 بالتأكيد لأنه ضاع الفرصة الثالثة في ذلك الشهر. واشتغل السباعي منصب قائد السرية أيضا ويشير إلى ذلك في قصته (بصقة على دنياكم) "وإذا بي نفسي قد أضحيت ذلك الفارس الذي أبصرته منذ عشرات السنين.. لقد تحقق الحلم، تحقق بالضبط وأصبحت قائد السرية الخيل البيضاء تتقدم الموكب".⁽¹⁾

وذكر عبدالعزيز الدسوقي بأنه درس التاريخ في الكلية العسكرية في 1943 وحصل على شهادة الأركان حرب في 1944 "ثم عين كبيرا للمعلمين في المدرسة الثانوية العسكرية وفي عام 1952 عين مدير للمتحف الحربي"،⁽²⁾ ويرى لمعي المطيعي أنه كان ذلك في 1949 وكما ذكرنا سابقا أنه اشتغل أيضا منصب نائب مدير سلاح الفرسان وكان آخر أعماله العسكرية إذ تقاعد سنة 1956 عميدا من القوات المسلحة.

قدّم يوسف السباعي كثيرا في حياته المدنية وكان نشيطا جدا واشتغل المناصب الهامة "كان الحظ يوحى بأن الذي كتبه فعل هذا وهو يجري... تشعر وأنت تقرأ مخطوطات يوسف السباعي أنّ الرجل وراءه من المهام والمشغوليات الكثير".⁽³⁾

ويرى د. خليل أحمد خليل أن حياته المهنية الأدبية قد بدأت سنة 1947 "فأنشأ سنة 1953 (نادي القصة) (مع إحسان عبدالقدوس) وعنه أصدرنا سلسلة (الكتاب الذهبي)".⁽⁴⁾

(1) بين أبو الريش وجنبنة ناميش، يا أمة ضحككت، ص/ 227.

(2) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 133.

(3) هم وأنا، صالح مرسي، ص/ 176.

(4) موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، 1/ 521.

وكتب صالح مرسي في ذكرياته عن يوسف السباعي أنه كان يزوره في نادي
القصة "الذي أسسه يوسف السباعي مع إحسان عبدالقدوس والذي كانت مكاتبه
تشغل شقة في عمارات "سيف الدين بشارع القصر العيني".⁽¹⁾
يؤيد رأى د. خليل أحمد ما قاله السباعي عن فرصة البعثة الضائعة في
خدمته العسكرية "في أبريل سنة 1954 في نفس الوقت الذي كنت أعد فيه مجلة
الرسالة الجديدة للظهور.. وكان السفر مستحيلا.. واعتذرت".⁽²⁾
يبدو أنه كان موضع ثقة قيادة الثورة وكلف رسميا للإشراف على الإعداد
للمجلة المذكورة وكلمة مستحيلا تشير إلى ذلك لأن ظروف مصر السياسية قد
تغيرت بعد نجاح الثورة ويرى الأستاذ صالح مرسي أن السباعي لم يكن مشاركا في
الثورة لكن قيادة الثورة كانت تثق به وكان السباعي معروفا ككاتب قبل تغيير الحكم
أيضا، أمّا قصة الإعداد للرسالة الجديدة فهي أن الأستاذ أحمد حسن الزيات بدأ
بمجلة أدبية ثقافية أسبوعية في 1932 واحتجبت هذه المجلة في 1952 بعد
خدمة عشرين سنة متواصلة وكان الأدباء والقراء ويشعرون بفراغ أدبي وثقافي فحاول
السباعي أن يسد هذا الفراغ الأدبي والثقافي كما أشار إليه السباعي في كلمة المحرر
(سوق الأدب و.. وسوق الزلط) فأنشأ مجلة شهرية جديدة باسم الرسالة الجديدة
ويقول عن تسميته "ولقد اعترض البعض على اسم هذه المجلة فمن متشائم خشى
أن يكون بالاسم القديم نوع من النحس يقضى على الاسم الجديد ومن مشفق
على أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة القديمة أن نقيم رسالتنا
الجديدة اسم مجلته الراحلة ولكني فضلت هذا الاسم لأني أعتقد أننا سنتمم الرسالة

(1) موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين ، ص / 177.

(2) ليلة خمرة - من حياتي، ص / 167.

التي بدأ بها سوانا كما أتموا هم رسالة من سبقهم وإن التمسك بهذا الاسم نوعا من التكريم لصاحب الرسالة القديمة واعترافا بفضله". (1)

ونشرت هذه المجلة لمدة خمس سنوات برئاسة التحرير للسباعي وكان أنور السادات-رئيس الجمهورية فيما بعد- هو المدير العام لها.

وفي 1956 أنشأت الحكومة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فأختير السباعي السكرتير العام لها "وكان المجلس بهذه الصورة هو الأول من نوعه على المستوى العربي الأمر الذي دفع العديد من الأقطار العربية إلى أن تحذو حذو مصر وتشكل مجالس مشابهة". (2) ويذكر صالح مرسي فضل السباعي وأهمية إنشاء هذا المجلس إذ يقول "هذا المجلس الذي جمع فيه الرجل الغالبية العظمى من أدباء مصر كي يعطيهم الفرصة للإبداع دون أن تجرفهم الحاجة إلى شغل وظائف قد تمتص جهدهم... فلم تأت شهرة السباعي من مركزه بل ربما سعى إليه المركز نتيجة لهذه الشهرة من ناحية ولثقة القيادة فيه من ناحية أخرى". (3)

وفي 1957 تم تعيينه سكرتيرا عاما لحركة تضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية "انعقد في القاهرة في نهاية 1957 وحتى أول يناير 1958 المؤتمر الأول.. والذي انبثقت منه السكرتارية الدائمة للمنظمة ومقرها الدائم بالقاهرة". (4) وذكرت هذه المنظمة، ثلاثة أسماء وهي المؤتمر الأفريقي الآسيوي كما ورد في كتاب الأستاذ صالح مرسي في حديثه عن يوسف السباعي "كما كان يشغل منصب سكرتير السكرتارية الدائمة للمؤتمر الأفريقي الآسيوي"، (5) وحركة تضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية كما ذكرنا سابقا ومنظمة تضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية كما أشار

(1) "سوق الأدب وسوق الزلط" (مقال)، يوسف السباعي، مجلة الرسالة الجديدة، الرقم الأول 1-4-1954، ص/ 3.

(2) عن-المجلس/scc.gov.eg/council

(3) هم وأنا، ص/ 178.

(4) .html.مرحبا-بكم-في-م-ت-ش-أ-اapsorg.

(5) هم وأنا ص/ 184.

إليه لمعي الطبيعي،⁽¹⁾ وهو الاسم الذي يستخدم الآن رسمياً كما ورد في موقع المنظمة.

وسافر السباعي إلى الدول الأفريقية والآسيوية المختلفة بحكم عمله ومنها سفره إلى وينبا إحدى مدن غانا في 1965 الذي انعقد فيه المؤتمر الرابع لمنظمة التضامن وسجل أحوال المؤتمر في كتاب رحلاته (طائر بين المحيطين) وخصص سبع وثمانين صفحة بهذه المناسبة،⁽²⁾ وكتب في الكتاب مقالا عنوانه (شروود على شاطئ الأطلسي) وهو في كوناكري في عاصمة غينيا وهي التي المدينة التي انعقد فيها المؤتمر الثاني للتضامن سنة 1960 وسافر كذلك إلى مدينة طشقند عاصمة أوزبكستان وخطب فيها بمناسبة عيد البطبخ وعنوان مقاله خطبة وتحدث بالتفصيل عن عيد البطبخ والتقاليد والعادات في أوزبكستان "هذه هي الخطبة رقم 27 للسكرتير العام للتضامن"،⁽³⁾ وكتب جمال الدين الرمادي بأن السباعي كان يحضر رسالة الدكتوراه في تلك الفترة حيث يقول "ويعمل في المؤتمر الآسيوي الإفريقي سكرتيراً عاماً له ويجتهد في نفس الوقت في تحضير رسالة الدكتوراه في الصحافة من قسم الصحافة بكلية الآداب بجامعة القاهرة وعنوان رسالته القصة الصحافية".⁽⁴⁾

عين السباعي سنة 1960 عضواً في إدارة المجلس لمؤسسة روز اليوسف وذكر د. خليل أحمد خليل أنه "تولى رئاسة إدارة مؤسسة روز اليوسف"،⁽⁵⁾ ولكنه لم يحدد السنة التي تولى فيها رئاستها وكتب عبداللطيف بن الطالب الصحفي المغربي أنه تولاه في سنة 1961، خوفاً من إطالة البحث في المناصب التي احتلها السباعي نلخص ونقول إنه اشتغل أيضاً منصب:

(1) موسوعة رجال ونساء من مصر، ص/ 830.

(2) طائر بين المحيطين، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة، ص/ 5-91.

(3) طائر بين المحيطين، ص/ 160.

(4) من أعلام الأدب المعاصر، جمال الدين الرمادي، دار الحمامي للطباعة، شارع الجيش، ص/ 161.

(5) مؤسسة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، 1/ 521.

● الأمين العام لاتحاد الأدباء العرب.

● السكرتير العام لاتحاد الكتاب الأفريقيين والآسيويين.⁽¹⁾

أضاف د. خليل أحمد أنه عمل أيضا كأمين العام لجمعية الأدباء وكان أميناً عاماً لاتحاد الأدباء أيضاً ويوافقه كامل سلمان الجبوري في ذلك لكنه فضل كلمة الجمعية بدلا من الاتحاد واستخدام كلمة (الكتاب) بدلا من (الأدباء) حيث يقول "وعين أميناً عاماً لاتحاد الكتاب في بلاده منذ تأسيسه وأميناً عاماً كذلك لجمعية الكتاب الأفرو آسيوية".⁽²⁾

وأضاف أنه كان عضواً في نادي القلم الدولي بالإضافة إلى عضويته لاتحاد الكتاب العربي في سوريا.

● رئيس مجلس إدارة الهلال في 1971.

● تم اختياره وزير الثقافة في سنة 1973، ثم عين وزير الإعلام سنة 1975.⁽³⁾

● "وعام 1976 رئيساً لاتحاد الإذاعة والتلفزيون".⁽⁴⁾

● رئيس مجلس إدارة الأهرام في سنة 1976 كما ذكر الأستاذ يوسف الشاروني أما د. خليل فأضاف أنه عين رئيس التحرير لجريدة الأهرام أيضاً. وانتخب في 1977 نقيب الصحفيين المصريين.

(1) تنمة الأعلام للزركلي، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم بيروت، سنة 2002، ط / 2، 2 / 316.

(2) معجم الأدباء (من العصر الجاهلي حتى سنة 2002) كامل سلمان الجبوري، ط / 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، 65 / 7.

(3) موسوعة أعلام العرب المبدعين، 1 / 521.

(4) موسوعة رجال ونساء من مصر، ص / 831.

الجوائز والأوسمة

حصل يوسف السباعي على عدّة جوائز وأوسمة وهي:

حصل على جائزة وزارة الثقافة وعنها يقول الكاتب يوسف الشاروني "في سنة 1959 فاز بجائزة وزارة الثقافة عن أحسن قصة لفيلمي (رد قلبي) و(جميلة) وأحسن حوار لقصة فيلمه (رد قلبي)".⁽¹⁾

كتب بهاء حجازي أن السباعي منح جائزة الدولة التقديرية في الآداب لكنه رفض ولم يستلم الجائزة لأنه كان وزيرا آنذاك ونقل بهاء جملته المشهورة "هيقولوا يوسف السباعي الوزير كرم يوسف السباعي الأديب"،⁽²⁾ وذلك في سنة 1973 ووضع محمد خير رمضان يوسف أن السباعي منح الجائزة في 1974 "منح جائزة الدولة التقديرية في الآداب سنة 1974 وتنازل عن التقدير المادي مكتفيا بالتقدير الأدبي".⁽³⁾

وأضاف محمد خير إلى هذا أن السباعي "وفي سنة 1962 منح وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من الجمهورية العربية المتحدة".⁽⁴⁾ وبعد سنة منحه جمهورية إيطاليا وسام الاستحقاق من طبقة فارس وذكر الأستاذ محمد هواري وسامين آخرين أيضا وهما وسام لينن للسلام من روسيا سنة 1970 وحصل على وسام الجمهورية من الطبقة الأولى سنة 1975.⁽⁵⁾

(1) الروايات الثلاثة، ص/ 300-301.

(2) دافع عن الثورة ب "رد قلبي" واغتيل بسبب كامب ديفيد (مقال)، بهاء حجازي، 10:25م الاثنين، 18 فبراير 2019.

(3) تنمة الأعلام للزركلي، 2/ 316.

(4) المصدر نفسه.

(5) أعلام الأدب العربي المعاصر، محمد هواري، دار الكتب العلمية بيروت، ص/ 396.

زواجه

تزوج السباعي ابنة عمه دولت طه السباعي في سنة 1942 بعد خطبة دامت لسنتين إذ أنه كان قد خطبها في عام 1940 وهي بطلة روايته إني راحلة كما اعترف يوسف السباعي في لقاءه مع الطلاب والطالبات في قسم الصحافة "فحاول الزوغان من الإجابة ولكن إصرار الطلبة وفضول الطالبات جعله يعلن أنها زوجته". (1)

وأهدى السباعي هذه الرواية إلى زوجته حيث يقول "إلى أحب من وفي... وأوفى من أحب إلى الحبيبة الأولى: أم (بيسا) و(إسماعيل)"،⁽²⁾ وهي صبيته "الرفيعة الجسم الخضراء العينين".⁽³⁾ وابنة العم المريضة للصبى التي "أصابتها حمى خبيثة شديدة الخطر"،⁽⁴⁾ بعد الاستماع إلى قصة حكّت جدتها في (حديث جدة) وذهبت الجدة إلى بيت الصبية لتضيف إلى القصة تكملتها حتى ترضى وتشفى "ولا يذكر الصبي ان الجدة قصت عليهم بعد ذلك قصة الا وقد تزوج البطلان في النهاية".⁽⁵⁾

فقصة الحب التي نشأت في بيت جدة بين الصبي يوسف وابنة عمه دولت تزوج فيها الصبيان في نهاية الأمر وأضافت لوتس عبدالكريم في مقالها أن دولت هي بطلة روايته (ليل له آخر) والملهمة في أغلب ما كتب من روايات على مدى حياتهما معا ووصفتها بقولها "عظيمة الراحل العزيز الأديب يوسف السباعي عظيمة في حبها وأخلاقها مثلما كانت عظيمة في حياته وبعد مماته"⁽⁶⁾ وتعلق منى جمال

(1) زوجاتهم وأنا، ص/ 59.

(2) إني راحلة، يوسف السباعي، مطبعة السنة الحمديّة، ص/ 5.

(3) نفحة من الإيمان، صور طبق الأصل، يوسف السباعي، ص/ 279.

(4) المصدر نفسه، ص/ 285.

(5) المصدر نفسه، ص/ 287.

(6) دولت حبيبة يوسف السباعي (مقال)، يونس عبدالكريم، الخميس 2018/3/15، 21:37.

زوجة اسماعيل يوسف السباعي، تأثير وفاة يوسف السباعي على شخصيتها إذ تقول "إنّ الحب بين يوسف ودولت السباعي عظيما وفريدا في الوقت ذاته حتى أنّها أحبته كزوج وابن وبعد اغتياله مكثت في شبه عزلة لا تتكلم وترتدي الأسود لسنوات طويلة وظلت لا تحضر أفراح أو أي مناسبات سعيدة ولم تخرج من عزلتها قليلا ولم تتكلم كثيرا إلاّ عندما بدأت تجلس مع بناتي دينا ودولت".⁽¹⁾

وكانت دولت تخاف كثيرا على أسفاره وخاصة إذا كان السفر بالطائرة "وانني اعترف أنني فشلت في أن أعود على سفرياته الكثيرة إنني في كل مرة أتعذب وهو كثير السفر وأنا كثيرة العذاب.. أخاف عليه دائما وخصوصا من ركوب الطائرات رغم أنني طرت أكثر من مرة ولكننا كنا نظير معاً".⁽²⁾

وفي إحدى أسفاره وخلال رحلته الجوية بدأ السباعي يفكر عن تأثير موته على أقربائه إذا انفجرت الطائرة "وبدأ ذهنه يستعرض وقع موته على هؤلاء الذين يحبونه بطريقة مرتبة دقيقة وكأنه مات فعلا وأحس أنه يوشك أن يبكي ليس على نفسه بل على محبيه الذين فقدوه"⁽³⁾، فالحب والخوف والاهتمام من الجانبين إذا وكان السباعي على دراية تامة من خوف دولت عليه فكان يخفف عنها هذا العذاب إذ كان يتأخر في إخبارها بموضوع السفر "وتذكرت رحلتي من القاهرة وكيف بدأتها بكل ما يمكن من إزعاج لزوجتي فهي لم تستطع أبدا أن تروض نفسها على قبول سفري بالطائرة ببساطة كغيرها من بقية خلق الله وأنا أحاول دائما أن أهدئها بالخدع والأكاذيب معتمدا في أكاذيبي على جهلها التام بالجغرافيا خرجت ذات مرة على أنني ذاهب إلى عملي في الزمالك وبعد ساعتين حدثتها في التليفون من دمشق وفي رحلتي إلى غينيا والصين قلت لها إني ذاهب فقط إلى غينيا..

(1) ابن يوسف السباعي، اغتاله الفلسطينيون نكايّة في السادات (مقال)، زينب إبراهيم الدستور الأحد

17 يونيو 2018، 10:46م.

(2) زوجاتهم وأنا، ص / 70.

(3) طائر بين المحيطين، ص / 11.

وأنا أحاول دائما أن أوجّل أخبار سفري إلى آخر لحظة حتى أقلل أيام
انزعاجها".⁽¹⁾

بل أكثر من ذلك أنه سافر إلى فينيا للمشاركة في مؤتمر نادي القلم ولم
تعلم زوجته إلاّ بعد أن سافر.

أولاده

رزق السباعي بطفلين بيسة واسماعيل ذكرت لوتس عبد الكريم أن اسم
بيسة الحقيقي نفيسة وكانت تكبر أختها اسماعيل لأنّ الصحفية نعم الباز وصفت
اسماعيل بقولها "وفي أحد أطراف الحديقة كان اسماعيل السباعي . الثمرة الثانية لزواج
الحبيبين يقرأ أحد الكتب".⁽²⁾

ذكر السباعي مرض ابنه ومعاناة الأسرة في روايته جفت الدّموع التي عاشت
في حالة من الخوف والتوتر لمدة سنة شرح د. طه حسين في مقاله عن إني راحلة
للسباعي إذ يقول "فقد مرض ابنه الصبي ولم يستطع أن يعالجه في القاهرة فذهب
به إلى لندرة وهناك خضع الصبي لجراحات متعددة حتى أُتيخ له الشفاء"،⁽³⁾ وكتبت
لوتس عبدالكريم عن أول لقاء لها مع زوجة يوسف السباعي حيث تروي "اقتربت
منها كثيرا منذ أول لقاء لنا في لندن وأثناء عملية جراحية في ساق ابنها إسماعيل...
وتزاورنا على مدى سنوات طويلة"،⁽⁴⁾ وتأثرت أم اسماعيل بهذه الفترة "إن تعاد
حياتي لحظة بلحظة... يوما بيوم ما عدا سنة واحدة.. حيمنا مرض ابني وقضيناها
في عذاب لا أحب أن أتذكره أبدا...".⁽⁵⁾

(1) طائر بين المحيطين، ص/ 170.

(2) زوجاتهم وأنا، ص/ 65-66.

(3) الفكر والفن في أدب، يوسف السباعي، ص/ 42.

(4) عاشوا معي، لوتس عبدالكريم، دار المصرية اللبنانية، ص/ 62.

(5) زوجاتهم وأنا، ص/ 69.

اغتياله

سافر السباعي إلى إسرائيل مع رئيس الجمهورية أنور السادات في نهاية سنة 1977 بصفته رئيس التحرير لجريدة الأهرام وكما ذكرنا سابقا أنه قد استلم منصب رئاسة مجلس الأهرام في 1976 ولم ترى بعض المنظمات الفلسطينية نظرة الإعجاب لسفره إلى الأرض المحتلة فهددوا من كان يرافق الرئيس المصري في زيارته وذكر الأستاذ نوري عبدالرزاق (السكرتير العام لمنظمة التضامن الأفر وآسيوية لاحقا) في حوار مع قناة الجزيرة بأن السباعي أخبره أن هنالك تهديدات من بعض المنظمات الفلسطينية وأعلنوا أنهم يستهدفون الجميع الذين رافقوا السادات وفي 17 فبراير 1978 سافر السباعي إلى نيقوسيا عاصمة قبرص للمشاركة في منظمة التضامن الآسيوي الأفريقي السادس لأنه كان سكرتيرا عاما لها. طلب منه زملاءه أن يغير مكان الاجتماع وألا يسافر إلى القبرص بسبب الوضع الأمني في نيقوسيا من جهة وبسبب التهديدات والخطر على حياته لكنه رفض قائلا إنه لا يريد أن يقال عنه أنه جبن وأكد محمد صبيح الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية هذا القول في لقاءه التلفزيوني (الجريمة السياسية).⁽¹⁾ وبأنه شخصيا طلب من السباعي أن يكون الاجتماع إما في موسكو أو في برلين.

لم نجد كتابا يتحدث بالتفصيل عن أحداث اغتياله فنضطر أن نستعين بفيلم وثائقي بعنوان (الجريمة السياسية) التي أجريت فيه الحوارات مع الشخصيات التي شاهدت الحادث بعينها مثل الأستاذ كمال بهاء الدين مساعد السباعي ووكيل أول وزارة الثقافة والسفير حسن بشاش سفير جمهورية مصر لدى قبرص آنذاك د. مرسي سعد الدين الكاتب والصحفي د. فاسوس ليساريدس رئيس الحزب الاشتراكي القبرصي والكاتب الروائي إدوارد الخراط أحد الرهائن لدى القاتلين و مترجمهما الذي كان قد رافق الوفد المصري للمشاركة في المؤتمر ويذكر سعادة السفير المصري بأنه اندهش كثيرا لزيارة يوسف السباعي لنيقوسيا في تلك الفترة

(1) الجريمة السياسية، قناة الجزيرة، www.youtube.com/watch?v.v

لأن الجزيرة كانت مختربة بأجهزة المخابرات المختلفة وإنه استقبله في المطار وعرض عليه حارسه الشخصي لأنه كان غير مطمئن على الوضع الأمني في نيقوسيا لكن السباعي لم يقبل ذلك والغريب في الأمر أنه لم تكن ترافقه أي حماية من الحكومة المصرية وهو وزيرهم للثقافة وسكرتيرا عاما لمنظمة التضامن.

نزل قاتلاه زايد حسين علي وسمير محمد الخضير الفندق الذي عقد فيه المؤتمر وقتلاه داخل الفندق صباح يوم السبت الثامن عشر من فبراير 1978 في أول يوم للمؤتمر عندما كان في طريقه إلى الجلسة الافتتاحية للمنظمة وحملت منظمة الفتح المجلس الثوري الفلسطينية لصبري بناء الشهر بأبي نضال مسؤوليتها عن الحادث وأما القاتلان فكان أحدهما فلسطينيا والآخر عراقيا كما ظهر في التحقيق ووجهت أصابع الاتهام إلى القبارصة بأن العملية كانت مع التنسيق معهم وخاصة بعد شهادة أعضاء الوفد المصري المشارك في المؤتمر بأن الإجراءات الأمنية كانت متراخية وذكر الأستاذ لمعي المطيعي شهادة الكاتب عبدالرحمن الشرقاوي التي نشرها جريدة الأهرام في الرابع والعشرين من فبراير 1978 إذ يقول مخاطبا الأستاذ يوسف السباعي "يكفي أن نشير إلى ما كتبه صديقك ورفيقك في رحلة الموت إلى قبرص (عبدالرحمن الشرقاوي) الذي رأى بعينه أن حارس الأمن كان على بعد عشر أمتار أو أقل ولم يحرك ساكنا".⁽¹⁾

ونقل الأستاذ لمعي أيضا قول الكاتب أحمد أبو فتح "الاستشهاد هو أعظم ما يتوج حياة الفناء الاستشهاد ذكرى في الدنيا مغفرة في الآخرة... لكل أجل كتاب جاء أجل يوسف السباعي يوم ذكرى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ذهب ليقتل رغم تحذير الأحياء والمخلصين.. بكاه كل الناس".⁽²⁾

والغريب أن يوسف السباعي وضع (الموت بالرصاص) كإحدى احتمالات وفاته وذكرها في أكثر من قصة إذ نرى أنه من خلال حديثه عن الموت في قصته لو تعلمون يذكر موته "من منكم يعتقد أنه من المخلدين.. من منكم يظن أنه لن

(1) موسوعة نساء ورجال من مصر، ص/ 823.

(2) المصدر نفسه، ص/ 824.

يموت؟.. بل من منكم لا يرى الموت أقربد إليه من حبل الوريد!. أنا نفسي أراه
كامنا بجواري في كل لحظة... في عربة تعدو في الطريق أو في زر الكهرياء أو من
عود ثقاب... أو من رصاصة صغيرة".⁽¹⁾

وفي نفس المجموعة القصصية قصة أخرى عنوانها بصقة على دنياكم
فيتحدث على لسان رئيس الوزراء عن موته "أصبت اليوم برصاصة وأنا خارج من
مجلس الوزراء لقد قتلوني.. بلا سبب"،⁽²⁾ لقد قتلوه فعلا بلا سبب بلا ذنب "
سار في سياسة دولته ولم يخن بلاده ولا شعبه خيانة فردية فمن ينسأه شاهدا على
تضامن كتاب آسيا وإفريقيا؟ ومن يستطيع الجزم بأن يوسف السباعي ليس شهيدا
لكتابة وضحية للسياسة الساداتية"⁽³⁾

والغريب في الأمر أن الرئيس أنور سادات لم يشارك في مراسيم جنازته ولعلَّ
الكاتب صالح مرسي يشير إلى ذلك بقوله "إنما ظلمه هؤلاء الذين أحاطوا به أكثر
من الذين هاجموه... أن مصرعه جاء نتيجة لكونه هذا الأديب الضابط الذي سمع
الأمر فأطاعه، وكان في هذا مصرعه".⁽⁴⁾

وكتب يوسف السباعي عن تأثير موته على الآخرين في طائر بين المحيطين،
كتاب في أدب رحلاته قائلا "ماذا سيكون تأثير الموت عليّ! وعلى الآخرين؟ لا
شئ ستنشر الصحافة نبأ موتي كخبر مثير ليس لأني مت بل لأن موتي سيقترن
بحادثة مثيرة... ماذا يمكن أن يكتب عني في الصحف وماذا يمكن أن يقال عن
نبوغي وعبقريتي والنقاد الذين كانوا يشتموني بمناسبة وبغير مناسبة سيقولون إني -
رحمة الله على - كنت وكنت".⁽⁵⁾

لم يكن يخاف يوسف السباعي من الموت على نفسه وكان يرى "أن الموت
هو خير ما يمكن أن يصيب الشخص نفسه وأنه رقدة هينة ناعمة مريحة تخلصنا

(1) يا أمة ضحكت، يوسف السباعي، مكتبة مصر، ص/ 200.

(2) المصدر نفسه، ص/ 238.

(3) أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، ص/ 525.

(4) هم وأنا، ص/ 201.

(5) طائر بين المحيطين، ص/ 231-232.

من كل متاعب الحياة ومنغصاتها"،⁽¹⁾ ولكنه كان يخاف من تأثير موته على ابنه اسماعيل أنه كما ذكرنا مرّ بتجربة قاسية عندما توفي والده محمد السباعي وهو ابن أربع عشرة سنة "وتذكرت صبيا صغيرا يتدلى شعره الأصفر على جبينه وتفرج شفثاه في ابتسامة تبرز سنتين جمليتين كبيرتين، تذكرت أنه سينتظري دائما كما كنت أنتظر أبا لي منذ عشرات السنين وتذكرت أنه سيفتقدني كما افتقدت أبي وتذكرت أحزاني ووحدي في الحياة وكرهت أفكارني وأنايتي.. إنّ قيمة حياتنا كائنة في نفوس الآخرين، في نفوس أولئك الذين يحتاجون إلينا وينتظروننا دائما".⁽²⁾

قالوا عنه

تحدث عن يوسف السباعي الأدباء والمفكرون ونقل الكبار آراء البعض عن شخصيته:

توفيق الحكيم

كتب الكاتب الكبير توفيق الحكيم مقدمة الطبعة الثالثة لمجموعة يوسف السباعي القصصية يا أمة ضحكت فقال "ولست أدري اليوم لماذا يجيئني اليوم؟ وقد عرف قراؤه ملامحه واتجاهاته فأحبهه وتبعوه حيثما كتب ونشر فهو سهل عذب باسم ساخر... يتناول بالرمز والسخرية بعض عيوب المجتمع المصري يوم كان هذا المجتمع غارقا في فوضى الحزبية السياسية"⁽³⁾ وهو الذي لقبه ب "رائد الأمن الثقافي" أيضا، بما قدم من خدمات لأدباء مصر.

(1) طائر بين المحيطين، ص/ 230.

(2) المصدر نفسه، ص/ 232.

(3) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 56.

د. طه حسين

كتب عميد الأدب العربي أربعة مقالات عن الأعمال الأدبية الروائية ليوسف السباعي وفي نهاية تعليقه حول روايته (ليل له آخر) يهنئ السباعي قائلاً "أهنئ الكاتب الصديق بقصته الممتعة وأتمنى له المزيد من النجاح والتوفيق".⁽¹⁾

د. خليل أحمد خليل

وكتب المفكر والموسوعي د. خليل أحمد عن شخصية السباعي حيث يقول "شهرة يوسف السباعي لم تأت، في عالم الثقافة، لا من بزته العسكرية ولا من مناصبه الإدارية والرسمية فهي تكاد تكون فوق ذلك، قائمة على قمة أعماله الروائية.. التي لاقت رواجاً كبيراً ما بين الستينات والسبعينات".⁽²⁾

صالح مرسي

يتحدث أديب الجاسوسية صالح مرسي عن شخصية السباعي في كتابه (هم وأنا) فيقول "الذي أعرفه يقينا وحتى اليوم ان هذا الرجل الذي لاقى في حياته هجوماً لم يحظ به أديب كان يحمل في صدره، قلباً يسع الدنيا كلها...".⁽³⁾

لوسي يعقوب

خصّصت الأدبية والمترجمة لوسي يعقوب كتاباً للحديث عن يوسف السباعي وأعماله الأدبية (يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية) وعلقت

(1) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي ، ص / 47.

(2) موسوعة أعلام العرب المدعين في القرن العشرين، ص / 522.

(3) هم وأنا، ص / 191.

على شخصيته قائلاً "كان مهموماً باحتضان المواهب الأدبية الشابة الواعدة ورعاية الأخرى الناضجة وذلك بفتح مجالات العمل والنشر أمامها يستوي في ذلك الذين يختلفون معه والذين يتفقون معه فهو كان لا يفرق بين الاثنين وتلك كانت سليقة وطبيعة يوسف السباعي أن يرمى الجميع ويحنو عليهم بحبه ووده دون النظر إلى خلاف في الرأي أو الاتجاه أو التيار وهو دور جعل ليوسف السباعي وجوداً حياً وخالداً في ساحة الوطن المصري والعالم العربي".⁽¹⁾

د. لوتس عبد الكريم

ألفت الكاتبة الصحفية لوتس عبد الكريم كتاباً بعنوان عاشوا معي وتشارك ذكرياتها مع السباعي قائلة "لقد كان يوسف السباعي صديقي وأخي وأبي وأستاذاً ومرشدي والنفس الحنون التي إليها أُلجأ والصدر الواسع الذي إليه أشكو والكتف العاقلة التي عليها أبكي وأتكئ.. ولست متشائمة من مقبل الأيام فيما يخص مكانة ومكان يوسف السباعي في ذاكرة وتاريخ الأدب والثقافة العربية لأنه منح وأعطى الكثير ككاتب ومسؤول.. وكان يوسف السباعي الذي عرفته من قرب عاشقاً للحياة محباً لتفاصيلها".⁽²⁾

د. محمد مندور

كتب الدكتور محمد مندور مقالاً عن رواية السباعي السقامات وفيه يقول عن السباعي "هذا الأديب من أدباء السوق الذين لا يمتنون إلى أدباء الأبراج بصلة فهو لا يقبع في برج عاجي، يعود فيه إلى بطون الكتب ليستمد من التاريخ القريب

(1) يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية، لوسي يعقوب، الدار المصرية اللبنانية، ص/ 20.

(2) عاشوا معي، ص/ 57-58.

أو البعيد مادة لقصصه أو يطلق خياله ليتصور الحياة والأحياء كما يجلو له... بل ينزل إلى السوق ويضرب في الأزقة والدروب". (1)

محمد فريد أبو حديد

ألف محمد فريد أبو حديد مقالا بعنوان (سوط الكاتب والمجتمع) فخاطب فيه السباعي قائلا "وليني أهنتك بما أنتجت في هذه المدة القصيرة التي تبدأ من سنة 1947 وهو عهد قريب كل القرب وأعجب كيف يكون انتاجك في عام 1957 فمن جهة العدد أراك تضرب الرقم القياسي... أرى أن الله قد خلقك لنوع فذ من الأدب لم يستطع غيرك إلى الآن أن يبدع فيه كما أبدعت ومهما يكن رأيك فيني قد قارنت بين أسلوبك وأسلوب غيرك فتبينت أنك تملك سوطا له أهوب طويل تستطيع أن تهوي به على السخفاء وسخافتهم فتشوى جلودهم وتعرض للسخرية سخفهم". (2)

لمعي المطيعي

ذكر الباحث لمعي المطيعي في موسوعته "أبو حجاج أو يوسف السباعي ذو الوجه الباسم فاتح ذراعيه للأحباب والصحاب الذي لم يكره أحدا ولم يخاصم أحدا"، (3) ولم يكتف بذكر رأيه عن أدينا بل نقل آراء الآخرين أيضا إذ نجد أنه يحرر آراء أحمد أبو الفتح وأحمد رشدي صالح وأحمد بهجت وعبدالعزیز الصادق أيضا بعنوان دموع الأصدقاء في موسوعته.

(1) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 63.

(2) المصدر نفسه، ص/ 59-61.

(3) موسوعة ونساء ورجال من مصر، ص/ 823.

السيدة دولت السباعي

وننقل أخيرا ما قالت زوجة الأديب يوسف السباعي عن زوجها المرحوم "لم أعد أرغب في الحياة... ليس لي بعد فقهه أي مطالب كان هو المطلب الأهم والهدف الأكبر.. أصبحت حولي الحياة فارغة لقد أخذ معه كل شئ وكان هو الحياة".⁽¹⁾

وبهذا قد أكملنا الفصل الأول عن حياة يوسف السباعي وحاولنا أن نختصر في حديثنا عن شخصيته ونقدم المفيد المختصر ولكننا حاولنا أيضا أن نغطي معظم جوانب حياته وحاولنا أن نتجنب التكرار.

ونرى أن دراسة حياته تحتاج إلى بحث مفصل أو رسالة تناسب مستوى الأديب يوسف السباعي ومكانته ولم نجد دراسة عن حياته في ضوء أعماله الأدبية فهذا الجانب يحتاج إلى عناية الباحثين لأنّ السباعي تحدث عن تجاربه الشخصية على لسان شخصياته أحيانا وكان يصرح كذلك عما لاقى في الحياة والمجتمع من الأفراح والآلام فعلى الباحثين والطلاب الاهتمام إلى هذا حيث اكتفينا بتقديم بعض النماذج عن أحداث حياته من مجموعات القصصية والروايات والسيرة الذاتية.

(1) عاشوا معي، ص/65.

الباب الأول
الفصل الثاني

ويشتمل هذا الفصل على تعريف أعماله الأدبية غير الروائية فنتعرف على قصصه القصيرة ومسرحياته ونشير كذلك إلى ما قدمه يوسف السباعي في مجال الصحافة من خلال كتابة المقالات في الجرائد المختلفة ونتحدث كذلك عما ألفه السباعي في أدب الرحلة من الكتب.

المجموعات القصصية

ألف يوسف السباعي ما يقارب مائتان وثمان وعشرون قصة وطبعت له واحدة وعشرون مجموعة قصصية خلال تسع سنوات وكانت أطياف هي المجموعة الأولى التي نشرت سنة 1947م وكانت ليالي ودموع مجموعته الأخيرة التي نشرت سنة 1955م. والمنهج الذي نتبعه خلال تعريف مجموعات يوسف السباعي القصصية هو تقديم فهرس القصص لكل مجموعة أولاً وذكر ما استشهد به من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية والأشعار العربية والأمثال الفصيحة والعامية ثانياً والإشارة إلى بعض الأخطاء المطبعية أو اللغوية ثالثاً والاهتمام بالمقدمة لكل مجموعة إن وجدت رابعاً.

وهذه قائمة مجموعات يوسف السباعي القصصية مع ذكر سنة نشرها:

أطياف	1947م
اثنتا عشرة امرأة	1948م
خبايا الصدور	1948م
يا أمة ضحككت	1948م
اثنا عشر رجلاً	1949م
في موكب الهوى	1949م
من العالم المجهول	1949م
هذه النفوس	1950م
مبكى العشاق	1950م

بين أبو العريش وجنينة ناميش	1951م
أغنيات	1951م
هذا هو الحب	1951م
صور طبق الأصل	1951م
سّمّار الليالي	1952م
الشيخ زغرب	1952م
نفحة من الإيمان	1952م
ست نساء وستة رجال	1953م
هذه الحياة	1953م
ليلة خمّر	1953م
همسة غابرة	1953م
ليالي ودموع	1955م

قدّم يوسف السباعي هذا الإنتاج القصصي الغزير خلال تسع سنوات فقط بالإضافة إلى المسرحيات والروايات التي دونها خلال هذه الفترة القصيرة أيضاً وهنأه محمد فريد أبو حديد على هذا في مقاله (سوط الكاتب والمجتمع) إذ يقول: "وإني أهنتك بما أنتجت في هذه المدّة القصيرة التي تبدأ من سنة 1947م وهو عهد قريب كل القرب وأعجب كيف يكون إنتاجك في عام 1957م فمن جهة العدد أراك تضرب الرقم القياسي".⁽¹⁾

أطّيف

هذه هي المجموعة الأولى ليوسف السباعي التي نشرت في 1947م وفيها إحدى عشرة قصة والنسخة التي وجدناها تشتمل على كتابيه (ليالي ودموع،

(1) الفكر والفن في أدب، يوسف السباعي، ص/ 59.

أطياف) ولعلّ الغرابة كلّ الغرابة أنّ الناشر قدّم ليالي ودموع وهي مجموعته الأخيرة على أطياف مجموعة يوسف السباعي القصصية الأولى. (1)

وتبدأ هذه المجموعة بلا إهداء ودون مقدمة أيضاً أمّا القصص فعددتها إحدى عشرة قصة وهي:

ردّت الروح	لقاء على غير موعد
صعود أو هبوط	المرأة الأخرى
الأماني الفانية	حلم ليلة
خريف امرأة	العودة
مجنون الهوى	جريمة ملاح
أنين	

ومن يتعمق في قراءة هذه المجموعة سيجد أن الكاتب كان كثير الاهتمام بالشعر والشعراء في تلك الحقبة الزمنية والعصر العباسي كان موضع اهتمامه إذ نرى أنه استعان في قصص هذه المجموعة بالأشعار للتعبير عما كانت تشعر به شخصيات قصصها ففي القصة الأولى (ردت الروح) ينزعج أخو البطل بالجلوس في بيته فيذهب إلى البطل فيجده مشغولاً بالقراءة فيسأله عما يطالعه فيجيبه البطل رباعيات الخيام" ثم أكب مرة أخرى على تلاوة كتابه في صمت عميق وعدت أسأله في سخرية:

وماذا تقرأ

رباعيات عمر الخيام

وما تكون رباعيات الخيام هذه

كتاب شعر .. قديم .." (2)

(1) ليالي ودموع، أطياف، يوسف السباعي، مكتبة مصر، 3 شارع كامل صدقي الفجالة، القاهرة، ص/ 155.

(2) المصدر نفسه، ص/ 158.

وفي (لقاء .. على غير موعد) يشرح الكاتب سكون المكان ووحشته على لسان الريح "خفف الوطاء ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد".⁽¹⁾ والبيت جزء من قصيدة (ضجة الموت رقدة)⁽²⁾ لأبي العلاء المعري وعندما تحولت وحشة المكان إلى الجمال وتغير المكان بسبب حب الفتى فذكر رباعياً للخيام "هل سرت أنفاس عيسى في الفلاة .. مثنى ورباع".⁽³⁾ يصور الكاتب حالة البطل النفسية وهو يزور شجرته المحبوبة التي كان يجلس تحتها مع حبيبته "وما زرتكم عمداً ولكن ذا الهوى إلى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل".⁽⁴⁾ وكتب علي محمد الكفراوي أن صاحب البيت هو صالح عبد القدوس أحد الشعراء العباسيين.⁽⁵⁾ ولكن ابن المعتز نسب هذا البيت إلى عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي⁽⁶⁾ علماً أنه قدّم ترجمة صالح عبد القدوس في طبقاته لكنه لم ينسب إليه هذا البيت. وفي المرأة الأخرى القصة الرابعة لهذه المجموعة كتب البيت الآتي ممّا يدل على تأثره بشعراء العصر العباسي والبيت هو:

"هل الزمان سعيد فيك لذتنا
أم الليالي التي أمضته ترجعه؟"⁽⁷⁾

والبيت جزء من قصيدة للشاعر العراقي علي بن زريق البغدادي والقصيدة "لا تعذليه فإنّ العذل يولعه".⁽⁸⁾ وتبدأ القصة الخامسة الأمانى الفانية بيت أبي العلاء المعري:

-
- (1) ليالي ودموع، أطياف، ص/ 169.
 - (2) سقط الزند، أبو العلاء المعري، ط 1957م، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، ص/ 7.
 - (3) رباعيات عمر الخيام: المترجم محمد السباعي مكتبة لسان العرب، ص/ 7.
 - (4) ليالي ودموع - أطياف، ص/ 185.
 - (5) أبيات فاقت للشهرة قائلها: علي محمد الكفراوي، ط 2، العبيكان، ص/ 166.
 - (6) طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق: عبد الستار، ط 3، دار المعارف بمصر، 1119 كورنيش النيل، القاهرة، ص/ 279.
 - (7) ليالي ودموع-أطياف، ص/ 200.
 - (8) <https://www.aldiwan.net/cat-poet-ibn-al-baghdadi-zuryk>.

(علّاني فإني بيض الأمامي فنيث والظلام ليس بفان)⁽¹⁾
وهذا البيت مطلع قصيدة بعنوان ابن مستعرض الصفوف⁽²⁾ لأبي العلاء المعري
ويتكلم يوسف السباعي في حلم ليلة عن جنون الحب والمجانين قائلاً: "لعلك قد
أصبت بالجنون في يوم من أيام ما فيك المظلم؟ ولكن خفف قليلاً من حزنك فمن
منا لم يصب بالجنون"⁽³⁾ ثم يضيف بيتاً شعرياً وهو:

"وكل الناس مجنون ولكن على قدر الهوى اختلف الجنون"⁽⁴⁾
لكنه لم ينسبه إلى قائله أيضاً. وفي قصته (خريف امرأة) استعان بـ أبي العلاء المعري
قائلاً: (وأطريني الشباب غداة ولي
والبيت من قصيدة (إليك طوى المفاوز كل ركب)⁽⁶⁾، وفي (أنين) القصة الأخيرة
لهذه المجموعة يعبر عن مشاعر البطل قائلاً:

والنجوم خافقات
والغيوم مهجة كا
مثلما تَهفو القلوب
دت من الوجد تذب⁽⁷⁾
وهي كلمات الشاعر المصري أحمد رامي من أغنيته المعروفة ذكرى الغرام⁽⁸⁾ غناها
محمد عبد الوهاب.

ويذكر السباعي أحياناً شطراً من رباعيات عمر الخيام بمناسبة النص كما
ذكر في وصف الزوجين السعيدين، عاشا في كوخ "وعاش الزوجان الجميلان في

(1) لبالي ودموع، أطيف، ص/ 213.

(2) سقط الزند، ص/ 94.

(3) المصدر السابق، ص/ 223.

(4) المصدر نفسه، ص/ 224.

(5) المصدر نفسه، ص/ 245.

(6) سقط الزند، ديوان أبي العلاء المعري، شرح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،
لبنان، ص/ 64.

(7) لبالي ودموع، أطيف، ص/ 285.

(8) ديوان رامي، أحمد رامي، ط/ 1 سنة 2000م، دار الشروق، القاهرة، ص/ 206.

كوخي الحقير فملأه بهجة وحبوراً وسطع ضوء الحب فيه فإذا به كأنه قصر يتلألأ⁽¹⁾ ثم يقول "إذا بنا في جنة راق بها الحسن وراع"⁽²⁾.
والشعر "جنة راق بها الحسن وراع جزء من النشيد الأول"⁽³⁾ من رباعيات عمر الخيام التي ترجمها إلى العربية والد الكاتب محمد السباعي.

اثنتا عشرة امرأة

وهذه المجموعة القصصية الثانية نشرت في 1948م وتحمل القصص الآتية:

1. امرأة صابرة
2. امرأة خاسرة
3. امرأة نائمة
4. امرأة محرومة
5. امرأة ورماد
6. امرأة وظلال
7. امرأة غيري
8. امرأة ضالّة
9. امرأة ثكلى
10. امرأة شريفة
11. امرأة غفور
12. امرأة..

وفي المقدمة كتب رأيه عن القصة وتأثير الكتابة على القارئ قائلاً "القصة أشبه ما تكون ببرشامة يستطيع أن يضع فيها الكاتب أفكاره وآراءه ويسهل لقارئه بواسطتها ابتلاعها دون أن يحس منها ضيقاً ولا مرارة كما أن القصة لا تزيد عن

(1) لبالي ودموع، أطيف، ص/ 288.

(2) المصدر نفسه.

(3) رباعيات عمر خيام، ص/ 41.

حدوته قد خلت من الأفكار لن يكون لها تأثير في نفس القارئ أكثر من تأثير برشامة فارغة. (1)

ويتكلم عن عجزه وعدم معرفته لإدراك طبيعة النساء رغم تجاربه اعترف بها "بي شوق إلى أن أحب وأن أحب ويتملكني الخجل من نفسي ولا أملك إلا أن أوجه اللوم إلى قلبي الذي لا أظن إلا أن الشاعر قد عناه بقوله:

"قلبي إلى ما ضرّني ساعي
يكثر أحزاني وأوجاعي
كيف احتزاسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي" (2)

والأبيات التي ذكرها هي أبيات من قصيدة العباس بن الأحنف. يبدو أن الكاتب أخطأ بكلمة (ساعي) في الشطر الأول من البيت الأول لأننا وجدنا في ديوان العباس بن الأحنف كلمة (داعي) بدلاً من (ساعي) وفي الشطر الثاني كذلك كلمة (أحزاني) لم نجدها في ديوان الشاعر إذ وردت كلمة (أسقامي) وجاء على الشكل الآتي:

قلبي إلى ما أضّرني داعي
يكثر أسقامي وأوجاعي (3)

وكذلك ذكر صاحب أمالي المرتضى هذا البيت وكتب داعي (4)

أما كلمة (أحزاني) التي وردت في الشطر الثاني من البيت المذكور فكتبها أيضاً الشريف المرتضى وإن لم نجد في نسخة الديوان التي بين أيدينا والذي حققته عاتكة الخزرجي.

أما البيت الثاني الذي ذكره فهو البيت الرابع من حيث الترتيب (5) لعل الكاتب استشهد به لكونه أقرب إلى المعنى الذي كان أراد إيصاله إلى قراءه.

(1) اثنتا عشرة امرأة، يوسف السباعي، مكتبة مصر القاهرة، ص/ 4.

(2) المصدر نفسه، ص/ 5.

(3) ديوان العباس بن الأحنف، عاتكة الخزرجي، سنة النشر 1954م، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ص/ 178.

(4) أمالي المرتضى، الشريف المرتضى علي بن الحسين: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، 1954م، دار إحياء الكتب العربية، 1/ 460

(5) المصدر السابق، ص/ 179.

وفي امرأة محرومة يطلب الابن من أبيه أن يغني له أغنية الأطفال الشعبية
"وكان الصوت صوت طفل ورجل وسمعت الطفل يقول: غن لي أبوح .. يا أبوح
وأجابه الرجل متسائلاً: (ثم تنام؟). أجل وبدأ الرجل يغني (أبوح يا أبوح كلب
العرب مدبوح"⁽¹⁾)

وهذه الأغنية ذكرها حامد أنور في كتابه تحت عنوان أغاني الأطفال لكنه
لم ينسبها إلى قائلها.⁽²⁾

وفي (امرأة غيري) أخبر الخطيب صديقه أن خطبته فسخت مع حبيبته
وعليها أن تساعد في إقناع حبيبته حتى تعود إليه لكونها صديقة للخطيب ومخطوبته
والفتاة التي طلب منها هذا الطلب، كانت تعشق الخطيب وكانت تبحث عن
فرصة أن يعود إليها بدلاً من أن يتزوج خطيبته.

"وجلس قبالي وأحست بضربات قلبي تشتد وبأنفاسي تتلاحق وسادت
فترة صمت كان هو يحرق خلالها أمامه في ذهول وشروء، دون أن ينظر إلى وأخيراً
قال:

إني أريد منك معروفاً لن أنساه مدى الحياة. ولم أتكلم فقد كانت كل
جارحة في تكاد تنطق "ليت لي فوق الضنى ما أوجعك".⁽³⁾

وليت لي ... هو الشطر الثاني من البيت في قصيدة (ردت الروح) لأمير
الشعراء أحمد شوقي

أرجفوا أنك شاك موجه ليت لي فوق الضنا ما أوجعك

واستشهد الكاتب بحسن في كل عين من تود مرتين في هذه المجموعة وهو

أيضاً الشطر الثاني في قصيدة عمر بن أبي ربيعة

فتضاحكن وقد قلن لها حسن في كل عين من تود⁽⁴⁾

(1) اثنتا عشرة امرأة، ص/ 54.

(2) أشكال الغناء الشعبي في الشرقية (غرب الزقاريق نموذجاً)، حامد أنور، ص/ 55.

(3) المصدر السابق، ص/ 75.

(4) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة: محمد محي الدين عبد الحميد، ط/ 1، 1952م، مطبعة السعادة،

مصر، ص/ 313.

واستشهد يوسف السباعي بالشرط الأول من بيت للإمام الشافعي بقوله:

دائماً نلوم الأيام ونتهم الحياة ونحن أحق باللوم
والإتهام نعيب زماننا والعيب فينا
والبيت هو نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا⁽¹⁾

والشرط يعد أيضاً من الأمثال إذ يقول محمد محي الدين "حسن في كل
عين من تود: جرى مجرى مثل".⁽²⁾

وفي (امرأة غيري) يقول "وبقيت المرأة الغيرى ذابلة ذاوية.. كأنها عود
يابس.. أو ورق جفّ (فأودى به الصبا والدبور)..."⁽³⁾

لعلّ الكاتب قد تصرّف في هذا الشرط لعدي بن زيد العبادي والشرط
كما وجدنا في ديوانه هو:

ثم أضحوا كأنهم ورق جفّ فألوت به الصبا والدّبور⁽⁴⁾
والبيت ورد في شرح الأشموني لألفية ابن مالك⁽⁵⁾ أيضاً فذكر كلمة
(فألوت) ولم يقل (فأودي) كما كتبها يوسف السباعي.

وكتب يوسف السباعي في امرأة ثكلى الأذن تعشق قبل العين أحياناً وهو
الشرط الثاني من البيت الآتي لبشار بن برد:

يا قوم أذني لبعض الحيّ عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً⁽⁶⁾

(1) ديوان الإمام الشافعي، شرحه وحققه: د. عمر الطباع، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص/ 117.

(2) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص/ 313.

(3) اثنتا عشرة امرأة، ص/ 87.

(4) ديوان عدي بن زيد العبادي: حققه وجمعه: محمد جبار المعبيد، 1965م، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع بغداد، ص/ 90.

(5) شرح الأشموني لألفية ابن مالك: محمد محي الدين عبد الحميد، ط/ 1، 1955م، دارالكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1/ 225.

(6) ديوان بشار بن برد: شرحه وحققه، محمد طاهر ابن عاشور، راجعه وصححه، محمد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 4/ 194.

ولكن يوسف السباعي لم يبدأ الشطر الثاني بدون بالواو بينما يبدأ الشطر الثاني في ديوان بشار بن برد بالواو.

وفي (امرأة غفور) استشهد بيت لمهيار الديلمي من قصيدته التي كتبها أبي للملك الحسن والبيت هو:

فاعتق الغصن القويم لقدمها وأنتم ثغراد كأس أحسبه فاهاً⁽¹⁾

أما الأمثال فنصيبها قليل في هذه المجموعة إذ نرى أنه استفاد من المثليين فقط. كتب الكاتب عن صديقه في (امرأة صابرة) الذي تزوج أرملة بعد أن جاوزه من الشباب فيقول "بل كان يبدو لي أنه قد عزم على أن يقضي ما تبقى من عمره (أعزب) وأنه قد صمم على ألا يتيح الفرصة لامرأة أيا كانت، أن تفسد عليه حياته. وفوجئت أيضاً.. لأني قد رأيت الرجل بعد طول صيام، أفطر.. كما يقولون "على بصلة"⁽²⁾.

وذكر أحمد تيمور باشا أنه من الأمثال العامية إذ يقول في شرحه:

"صيام وفطر على بصلة" فطر أي أفطر أي: صام ثم أفطر على شيء زهيد لا يغني عن الجوع..."⁽³⁾

واستعان السباعي كذلك بالمثل الشهير "فما يضير الشاة سلخها بعد ذبحها"⁽⁴⁾ مرتين في هذه المجموعة وقال هل يضير الشاة... أيضاً.

وهو قول شهير لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عن ابنها عبد الله بن الزبير عندما حوضر في الحرم من قبل الحجاج بن يوسف.

وفي (امرأة ثكلى) ذكر قول لا (المال والبنون زينة حياة الدنيا)⁽⁵⁾ إذ يقول "أنت أب يا سيدي.. وتعرف أية بهجة يخلعها الأطفال على البيوت.. إني ما

(1) ديوان مهيار الديلمي، ط/ 1، 1931م، مطبعة دار الكتب المصرية، بالقاهرة، 3/ 183.

(2) اثنتا عشرة امرأة، ص/ 8.

(3) الأمثال العامية، أحمد تيمور باشا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، رقم إيداع 2014/14186، ص/ 274.

(4) المصدر السابق، ص/ 50، 117.

(5) سورة الكهف، الآية: 46.

كنت أعرف حكمة قوله تعالى: "المال والبنون زينة الحياة الدنيا" حتى رزقنا بذلك
الطفل لقد كنت أسأل نفسي وأنا أضمه إلى صدري كيف كنت اعتبر الحياة قبل
أن أنجبه".⁽¹⁾

وعرّف! الشذوذ في قصته (امرأة ضالّة) حيث يقول:
"فالشذوذ هو أن ينفرد المرء بفعل ما لا يتعوده الناس أن يأتي بما لم
يألفوه..."⁽²⁾

(1) اثنتا عشرة امرأة، ص/ 108.

(2) المصدر نفسه، ص/ 89.

خبايا الصدور

وهي المجموعة القصصية الثالثة لـ يوسف السباعي ونشرت سنة 1948م. والنسخة التي عثرنا عليها تحمل المجموعتين معاً. المجموعة الأولى وهي من العالم المجهول والمجموعة الثانية هي (خبايا الصدور).

تحمل خبايا الصدور على الإهداء وعشرة قصص قصيرة أمّا عناوين

القصص فهي:

1. دمية أخرى
2. خطيئة أم
3. زهور ذابلة
4. عبقرى يبعث
5. شاة وقصاب
6. خبايا الصدور
7. صاحبة الحقيبة
8. مجانين البريد
9. أمل
10. ترضية

ومن خلال قراءة هذه المجموعة نجد التحسن عند الكاتب من باب التنوع فنرى أنه لم يكتف بذكر ابن الرومي وأبي نواس وأحمد شوقي وإنما استفاد من الأمثال العربية أيضاً بالإضافة إلى آراءه من خلال كتابة القصص القصيرة. الطابع الرومانسي يغلب معظم قصص المجموعة لكنه يتطرق إلى المشاكل الاجتماعية مثل المغفرة والخيانة الزوجية والتضحية أيضاً وكذلك يرى القارئ أنه أحياناً يستدل بالآية الكريمة وبالحدِيث النبوي الشريف أيضاً ودعا إلى إحدى قصصه إلى العودة إلى سبحانه وتعالى الملجأ الوحيد الذي يعود إليه الإنسان في حالة عجزه لمواجهة المشاكل تحيط بها في حياتنا العادية.

نرى أن الأبيات هي موضع اهتمامه في هذه المجموعة. فيقدم يوسف السباعي في (زهور ذابطة) آراء الفلاسفة عن الجنون وفي نهايتها يكتب قول ابن الرومي ويظهر ميله إلى ذلك قائلاً: "فقد كنت لا أرى في الفلاسفة إلا أقدر الناس على قول ما لا يفهمه الناس، ولا حاجة إليهم بفهمه أما هذا القول فقد كان قريباً إلى فهمي.. إذ كانت تلك هي عقيدتي.. وهذا هو مذهبي.. وكنت كما قال ابن الرومي:

لا أرى في العشق الهائم إلا صحيحاً له أفعال مجنون⁽¹⁾

وفي (عقبري بيعث) يتكلم عن غناء بطل قصته على لسان حبيته وتصفه فتاته قائلة "وكان شديد الوله بشوقي وبعد الوهاب عندما يلتقيان في أغنية.. وإني لأكاد أسمع صوته العذب وهو يترنم بقصيدة (ردت الروح) وكانت أحب الأغنيات إلى نفسه.. وأكاد أبصر وجهه الرقيق وهو ينشد في ابتسامه حلوة هادئة:

موقعي عندك لا أعلمه آه لو تعلم عندي موقعك⁽²⁾

والبيت جزء من قصيدة أحمد شوقي المعروفة بـ"ردت الروح على المضنى معك"⁽³⁾ ثم تخبر الفتاة كاتب القصة عما تشعر بعد موت فتاها فتقول "أتمنى لو يسمعي الآن كما أسمعها وأن يصل صوتي إلى مضجعه.. فأهتف به كما هتف بي من قبل"⁽⁴⁾ ثم تنشد البيت الأخير من قصيدة ردت الروح وهي:

نامت الأعين إلا مقلة تسكب الدمع وترعى مضجعتك⁽⁵⁾

(1) من العالم المجهول- خبايا الصدور، يوسف السباعي، مكتبة مصر سعيد جوده السحار وشركاءه، القاهرة، ص/ 207.

(2) المصدر نفسه، ص/ 220.

(3) الشوقيات: أحمد شوقي، سنة 2012م، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص/ 523-524.

(4) من العالم المجهول، خبايا الصدور، ص/ 221.

(5) المصدر السابق، ص/ 524.

ونراه أنه أحياناً يستدل بشرط بيت فيذكر الشرط المقصود فقط مثل ما فعل في قصته (أمل).

((لم يكن هناك بدّ من هذه الكذبة حتى أراد لها ذلك الدرس الذي حاولت أن تعطيني آياه وحتى أخرجها من تلك الوحدة التي كانت تحاول أن تطوى فيها نفسها، لقد كانت كذبتني خير علاج لها "وداوي بالتي كانت هي الداء".⁽¹⁾)
وهو الشرط الثاني من مطلع قصيدة لأبي نواس الشاعر العبّاسي وورد في ديوانه تحت عنوان الخمریات والمطلع هو:

دع عنك لومي فإنّ اللوم إغراء وداوي بالتي كانت هي الداء⁽²⁾
لعلّ كتابة (داوي) خطأ مطبعي في قصة السباعي لأن الكلمة وردت في ديوان أبي نواس (داوي) في الشرط الثاني من البيت.

واستفاد السباعي كذلك من بيت شعري للطغرائي في القصة نفسها وذكر مفهومها في قصته ثم ذكر الشرط الثاني من البيت فقط حيث يقول ((أترى الفرصة تعود؟ لا أظنّ.. ولكن مع ذلك أعلل النفس بالأمل وإلا لما استطعت البقاء في قيد الحياة لحظة "ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل".⁽³⁾)

والبيت هو

أعللّ النفس بالأمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل⁽⁴⁾

وعرفت هذه القصيدة بلامية العجم ومطلعها:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لذي العطل⁽⁵⁾

(1) من العالم المجهول، خبايا الصدور، ص/ 278.

(2) ديوان أبي نواس برواية الصّولي: تحقيق د. بهجت عبد الغفور الحديثي، ط 1، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية 2010م، ص/ 53.

(3) المصدر السابق.

(4) ديوان الطغرائي، تحقيق د. علي جواد الطاهر، ط 2، 1987م، مطابع الدوحة الحديثة د. يحيى الجبوري، ص/ 305م.

(5) ديوان الطغرائي صاحب لامية العجم، ط 1، سنة نشر 1300هـ، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ص/ 54.

وأحياناً لا يذكر يوسف السباعي حتى ذلك الشطر الذي يستدل منه كما فعل في (صاحبة الحقيبة) عندما يصف قدوم القطار والليل معاً إذ يقول:
عندما وصل القطار .. كان الليل قد أرخى سدوله.⁽¹⁾
والكلمات قد أخذت من الشطر الأول لبيت في وصف الليل من معلقة امرئ القيس وهو:

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي⁽²⁾
وفي هذه المجموعة، نجد أنه أيضاً استفاد من بعض الأمثال العربية بمناسبة أحداث قصصه القصيرة فمثلاً في القصة المذكورة الذي سافر فيها زوج إلى مدينة أخرى بسبب عمله واستبدل العمال حقيبتيه بحقيبة أخرى نسائية تشبه حقيبتيه تماماً في اللون والحجم وكانت الحقيبة التي وجدها حقيبة امرأة تحمل الملابس والأدوات النسائية الأخرى وفاجأته زوجته مساء اليوم التالي والحقيبة ذات أغراض نسائية مازالت في الغرفة وقبل أن يفسر لها عمّا حدث جاءه خادم ليخبره أن امرأة تريد مقابلته فقال (يا للكارثة) جاءك الموت يا تارك الصلاة"⁽³⁾ والمثل في أصله شعبي مصري كما ذكره د. إبراهيم أحمد شعلان والمثل هو "جالك الموت، يا تارك الصلاة"⁽⁴⁾ وفي (مجانين البريد) يصف حالة العساكر المنتظرين للرسائل من أهاليهم وأحباءهم ويصف السيارة التي كانت توصل هذا البريد ((فقد كانت وسيلة نقل البريد بين القاهرة، والبحرية. وهي مسافة تقرب من الأربع مائة كيلومتر ليس بينها متر واحد ممهد بالأسفلت. وهي عربية (فورد) بلغت من الكبر عتياً شعارها في التأيي السلامة"⁽⁵⁾.

(1) من العالم المجهول، خبايا الصدور، ص/ 249.

(2) ديوان امرئ القيس، شرح د. محمد الاسكندراني، د. نهادرزوق، ، 2004م، دار الكتاب العربي، بيروت ص/ 31.

(3) المصدر السابق، ص/ 254.

(4) موسوعة الأمثال الشعبية المصرية، د. إبراهيم أحمد شعلان، 1992م. دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة، ص/ 232.

(5) من العالم المجهول، خبايا الصدور، ص/ 259.

والمثل هو كما ذكره جلال عبده خدشي "وفي الثاني السلامة وفي العجلة الندامة".⁽¹⁾

وكتب يوسف السباعي في قصته (ترضية) مثلاً آخر وهو "ماذا يضير الشاة من سلخها بعد ذبحها".⁽²⁾

ويشرح كمال محمد علي معنى المثل بعد ذكر قصة عبد الله بن الزبير مع أمه أسماء بنت أبي بكر صاحبة هذا القول الشهير فيقول "أي لا قيمة للشعر الصغير مع الشّر الكبير. يضرب للتنبيه إلى عدم أثر الضّرر البسيط بعد الكبير".⁽³⁾ وأهدى يوسف السباعي قصتي مجموعته إلى شخصيتين غير مصريتين فقصته (شاة وقصاب) أهداها للكاتب اللبناني الشهير (ميخائيل نعيمة) فكتب في بداية القصة "هذه القصة مهداة إلى الأستاذ ميخائيل نعيمة.. على غير معرفة بيننا ولا سابق لقاء.. وإن كنت من جانبي قد لقيته أجمل لقاء على صفحات كتابه (كرم على درب) وصافحته بخاطري بين سطوره وكلماته أو بين عناقيده وحياته".⁽⁴⁾

أما الإهداء الثاني فهو قصته (أمل) أهداها إلى أحد قراءه العراقيين ولم يذكر اسمه "إلى قارئني في كركوك.. القارئ الذي طلب إلى أن أكتب إليه قصته بعنوان "أمل..". أهدى هذه القصة لأنني لا أستطيع أن أردّ لواحد من أهل العراق طلباً فإنهم جميعاً أعزاء على نفسي، أحباء إلى قلبي".⁽⁵⁾

ذكر يوسف السباعي الآيتين الكرمتين من الذكر الحكيم في هذه المجموعة والآية الأولى كتبها في قصة (خطيئة أم) ينهي القصة قائلاً "وصمتت محدثي..

(1) موسوعة الأمثال العالمية، مرجع علمي: بحث وإعداد، جلال عبده خدشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص/ 60.

(2) من العالم المجهول، خبايا الصدور، ص/ 291.

(3) حكايات الأمثال والحكم العربية، كمال محمد علي، المكتبة الأكاديمية، 1998م، ص/ 239.

(4) المصدر السابق، ص/ 227.

(5) المصدر نفسه، ص/ 269.

فقلت لها إن الله غفور رحيم"⁽¹⁾ والآية "اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم".⁽²⁾

واستخدم السباعي الكلمات القرآنية في (مجانين البريد) في وصف سيارة البريد "هي عربية فورد بلغت من الكبر عتياً"⁽³⁾ والآية "وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً".⁽⁴⁾

واستعان الكاتب بالحديث النبوي الشريف في (خطيئة أم) عندما عبر عن مشاعر الفتاة المحرومة من الأمومة "لا تقل أن في نفسي غلظة وقسوة .. ولا تقل لي إن الجنة تحت أقدام الأمهات".⁽⁵⁾

وكذلك يتحدث عن إيمانه بـX والتوكل عليه والعودة إليه "ولم يبق لي من أمل في غير الله، لقد لجأت إليه بعد طول ذنب وعصيان وزلل وخطايا، أسأله أن ينقذني منك ومن نفسي وينسيني إياك".⁽⁶⁾

(1) من العالم المجهول-خبايا الصدور، ص/ 205.

(2) سورة البقرة، الآية: 173.

(3) المصدر السابق، ص/ 259.

(4) سورة مريم، الآية: 8.

(5) من العالم المجهول-خبايا الصدور، ص/ 259.

(6) المصدر نفسه، ص/ 181.

يا أمة ضحكت

هي المجموعة الرابعة لـ يوسف السباعي من القصص القصيرة والتي نشرها في 1948م أيضاً وسميت المجموعة بقصتها الأولى وهذه المجموعة تشتمل على الإهداء والمقدمة وتسع قصص، الإهداء يختلف في طبيعته من الإهداءات الروتينية حيث يقول "إلى الحمير الكبار ... أهدي كتابي هذا..."⁽¹⁾

أما في المقدمة فيكشف الستار عن السر أنه يبدأ الكتابة من الصفحة التاسعة قائلاً "تعودت عندما أطبع كتاباً أن ابدأ الكتاب من الملزمة الثانية أعني أن يبدأ أوله من الصفحة التاسعة تاركاً الثماني صفحات الأولى لعنوان الكتاب ولالإهداء والمقدمة."⁽²⁾

وكذلك قدّم رأيه عن والده والاعتراف بتأثره الشديد من كتاباته "فما أراي إلا بقية منه .. أو تنمة له .. وما تحرك قلبي للكتابة إلا بفضلته .. وما تأثرت في حياتي بشيء كما تأثرت بكتابه: الصور والسحر."⁽³⁾

وذكر أنه فكّر أن يكتب له مقدمة الكتاب أحد الكتاب الكبار مثل توفيق الحكيم والمازني والعقاد وعباس حافظ لكنه وجد الأسباب التي منعتة أن يكلف أحدهم فالجدير بالذكر أنه اتهم توفيق الحكيم في هذه الطبعة الأولى أنه لا يكتب المقدمة إلا بالنقود ولكنه نفسه طلب من توفيق الحكيم أن يكتب مقدمته ففعل ذلك فعلاً. فما الذي جعله أن يفعل ذلك وذكر توفيق الحكيم كل هذا أيضاً بمقال (يا أمة ضحكت ..) إذ يقول:

"في عام 1948م ظهرت الطبعة الأولى من كتاب (يا أمة ضحكت) وقد صدرت بكلمة للمؤلف الأستاذ يوسف السباعي يقول فيها: إنه فكر في أن يطلب تقديم كتابه إلى القراء فنصحته الناصحون أن ينبذ الفكرة من رأسه مؤكداً له أن (توفيق الحكيم) لا يتحرك إلا بالنقود، وأنه إذا أعطاه مائة جنيه فإنه يكتب

(1) يا أمة ضحكت، ص/ 144.

(2) المصدر نفسه، ص/ 145.

(3) المصدر نفسه.

المقدمة.. مضى على كل ذلك نحو ست سنوات نشر فيها الأستاذ يوسف السباعي عدداً كبيراً من مؤلفاته وذاع اسمه وامتلاً جيبه.. فعاد إليّ أخيراً راسخ القدم ثابت الجنان يطلب المقدمة للطبعة الثالثة من كتابه في وثوق واطمئنان".⁽¹⁾

أما القصص فعددها تسع قصص وهي:

1. يا أمة ضحكت

2. نابغة المبيضة

3. ميمون الجبل

4. لو تعلمون

5. المحاكمة الكبرى

6. بصقة على دنياكم

7. دنيا

8. في جهنم

9. في الجنة

فكتب في مقدمة المجموعة "فما حك جلدك مثل ظفرك" وأصل المثل قول الإمام الشافعي رحمه الله وورد في ديوانه بعنوان "تحمل مسؤوليتك بنفسك".⁽²⁾
(ما حكّ جلدك مثل ظفرك فتولّى أنت جميع أمرك)⁽³⁾
ومن خلال قراءة هذه المجموعة نرى أنه أكثر استخداماً للأمثال من الشعر.⁽⁴⁾

ففي قصته الأولى (يا أمة ضحكت) استخدم المثل الشعبي (تور الله في برسيمه) لشرحه ما سماه الجهل البسيط ونقد السباعي أصحاب حلقة الذكر

(1) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 54.

(2) يا أمة ضحكت، ص/ 147.

(3) ديوان الإمام الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، جمع وتعليق: د. أحمد أحمد شتيوي، دارالغد الجديدة المنصورة، مصر، ص/ 133.

(4) المصدر السابق، ص/ 160.

الإسلامية نقداً شديداً "ترى أي الطريقتين أفضل في حمد الله وذكره: طريقة الحمير الهادئة الصامته أم طريقة الآدميين المخبولة المجنونة".⁽¹⁾

وذكر إبراهيم مرزوق هذا المثل في كتابه تحت عنوان (البهائم والعجول)⁽²⁾ ويشرحه كمال العخناوي قائلاً: "المعنى مجازي سلمي لوصف شخص غبي ومهما نعيد عليه الكلام أو تعليمات معينة بأكثر من طريقة نلاقي من تصرفاته إنه ما استوعش اللي قلناه".⁽³⁾

ويقول السباعي في (نابغة الميضة) "وأحست المرأة بمكان الحمصة متقيحاً ملتهباً ولكنها طمأنت نفسها متممة "يضع سره في أصغر حمصة".⁽⁴⁾ والمثل هو يضع سره في أضعف خلقه وجمع خليفة العويدي بين المثل والشعر:

يا ضعيننا يملك العقل الذكي إنّ هذا السر من صنع الإله⁽⁵⁾
وفي (بصقة على دنياكم) يقول "إنّ الغاية تبرر الوسطة .. ولا بدّ أن أصل إلى الغاية مهما كانت الوسطة. ماذا يضيرني أن أكون شيخ المهرجين في أمة التهريج والمهرجين؟"⁽⁶⁾

وذكر الأستاذ أحمد ذكي أنه المثل في أصله فرنسي إذ يقول "وذلك يشبه من بعض الوجوه المثل الفرنسي الغاية تبرر الوسطة"⁽⁷⁾ وفي (جهنم) يشرح لنا كيف ساعد أحداً من الجهنميين لكنه لم يشكره "حتى بدأت أحسن بالتعب وانتظرت أن يقوم الزبني فيشكرني على ما أسديت له ويتناول مجرفته ويقول لي كما

(1) يا أمة ضحكت، ص/160.

(2) 6000 من أمثالنا الشعبية، إبراهيم مرزوق، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ص/57.

(3) Arabi liblib: كمال العخناوي، جمال علي، ص/70.

(4) يا أمة ضحكت، ص/166.

(5) ما يطابق أمثال العرب من شعرهم: خليفة العويدي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، صويلح الأردن، ص/88.

(6) المصدر السابق، ص/236.

(7) السفر إلى المؤتمر: أحمد زكي، سنة النشر 2012م، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. حي السفارات، القاهرة، ص/87.

قلت له من قبل: (خل عنك) ولكن الشقي لم يفعل وانتظرت فترة أخرى حتى أحست أن عضلاتي قد بدأت تتصلب وأني لم أعد أقوى على الحركة ونظرت خلفي لأستحثه بنظرة مستعطفة وأذكره بالمثل "إن كان حبيبك غسل .. ما تلحسوش كله." (1)

وعدّ بروفيسور يوسف رانا هذا المثل من الأمثال الشعبية وذكره في موسوعته⁽²⁾ وفي نفس القصة يقول "ماذا أخشى الآن .. لقد خشيت فيما مضى حساب الدنيا وعقاب الآخرة أما الآن، فإني ميت .. وفي جهنم .. وخالد فيها أبداً ماذا يمكن أن أخشى بعد ذلك .. ماذا يمكن أن يصيبني من مكروه وشر مما أنا فيه؟ قيل (ضربوا الأعور على عينه .. قال خسارانه خسارانه) فما بالكم وأنا بالنسبة لهذا الأعور الذي قيل فيه المثل: أعمى." (3)

والمثل ضربوا الأعور ... ذكرت في موسوعة الأمثال أيضاً. (4)

وفي قصته الأخيرة لهذه المجموعة في اللجنة يشرح لنا أحوال اللجنة ويعبر لنا عن مشاعره بعد رؤية الحور العين فيقول "ودار بخلدى وقتذاك أنه لو عرضت هذه الحور العين على أهل الأرض وراؤها رأي العين كما أبصرتها أمامي وعلموا أنّ العينة بينة وأن للصالحين من هذا الصنف ما يشاءون ترى هل يبقى في الأرض بعد ذلك إنسان غير صالح." (5)

(1) يا أمة ضحككت، ص/ 261.

(2) موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة، بروفيسور يوسف رانا، إصدار مجمع القاسمي للغة العربية سنة

النشر 2014م، مكتبة كل شيء، حيفا.

(3) المصدر السابق، ص/ 266.

(4) المصدر نفسه، ص/ 169.

(5) المصدر نفسه، ص/ 287.

وكتب أحمد أمين في شرح العينة بينة "تعبير يعني نموذج الشيء يدل على
ما تحته" (1).

(1) قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية: أحمد أمين، كلمات عربية للترجمة والنشر، مدينة نصر -
القاهرة، ص/ 286.

اثنا عشر رجلاً

نشر يوسف السباعي مجموعته القصصية الخامسة (اثنا عشر رجلاً) في 1949م وأهداها "إلى نابغة الشرق وعبقري الجيل الأستاذ توفيق الحكيم أهدي كتابي هذا..."⁽¹⁾

ثم يهديه بيتاً من قصيدة أبي العلاء المعري وهي (الطاهر الآباء) قصيدة رثاء قالها في بغداد "يرثي الشريف أبا أحمد موسى الملقب بالطاهر ويعزي ولديه الرضي أبا الحسن والمرضى أبا القاسم"⁽²⁾، والبيت هو:
وأنا الذي أهدى أقلّ بحارة حسناً لأحسن روضة مئانف⁽³⁾

أما المقدمة فيظهر فيها أبا كاتباً لأنه يخاطب ابنته فيها "كثيراً أما أسائل نفسي وأنا أتأمل ابنتي (بيسا) ماذا تقول عن أبيها عندما تبلغ سن النضج وتقرأ هذه القصص الملاي بالحب"⁽⁴⁾

يشرح لابنتها الفرق بين الحياة التي يعيشها أبطال قصصه والحياة العادية التي نعيشها عادة فيقول "نحن نحاول بالكتابة أن نهيئ لأنفسنا ناحية من الإرضاء نفتقدها في الحياة، نجدها قد انهارت وتطايرت كدخان في الهواء .. أننا لكي ننجح في الكتابة يجب أن نحكم قلوبنا ولكن لكي ننجح في الحياة يجب أن نحكم عقولنا"⁽⁵⁾.

ويستغرب السباعي أن ابنته شغلت فكرته وهو يكتب مقدمة كتابه هذا "لست أدري ما الذي جعلني أشغل بك مقدمة كتابي.. ولكنها كلمة قد تسرك في زمن ما .. عندما تبلغين مبلغ الأنوثة .. وتقبلين على قراءة هذا الكتاب ..

(1) اثنا عشر رجلاً: يوسف السباعي، مكتبة مصر، 3 شارع كامل صدقي، الفجالة، القاهرة، ص/ 3.

(2) سقط الزند، ص/ 31.

(3) المصدر نفسه، ص/ 38.

(4) اثنا عشر رجلاً، ص/ 5.

(5) المصدر نفسه، ص/ 6.

وتعرفين الكثير عن أنواع الرجال .. دون أن يصيبك شيء من شرورهم. هذا الكتاب يا بنيتي .. نور بلا حر .. وشهد بلا أبر".⁽¹⁾

ويذكر في المقدمة أيضاً رأيه عن الحب وكذلك كتب رأي زوجته عنه "أني أذكر ما قالته أمك ذاك مرّة من أنّها لا تتمنى لك أكثر من أن تتزوجي إنساناً مثلي"⁽²⁾ أمّا القصص فهي:

1. رجل وظلال
2. رجل عاقل
3. رجل عبقرى
4. رجل قرير
5. رجل كافر
6. رجل مهرج
7. رجل مضىء
8. رجل خاطئ
9. رجل ورسالة
10. رجل مجهول
11. رجل كريم
12. رجل ...

ومن خلال قراءة القصص يجد القارئ أن الأبيات موضع اهتمام السباعي للتعبير عمّا يشعر به أبطال قصصه. وفي (رجل وظلال) يقول "ضحكة انطلقت من فيها فاستقرت في قلبي.. وتردد صداها في صدري فملأتني نشوة وأفعمتني طرباً ومرّت بي الليالي وأنا أعيش على الضحكة.. أميزها من بين ألف ضحكة وأعرف منها صاحبته إذا حملها إلى النسيم كما قال الشاعر:

(1) اثنا عشر رجلاً، ص / 7.

(2) المصدر نفسه.

هبت لنا من رياح الغور رائحة بعد الرقاد عرفناها برباك⁽¹⁾

والبيت من قصيدة الشاعر العباسي الشريف الرضي ومطلعها:

يا ظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك⁽²⁾

والبيت المذكور في (رجل وظلال) هو البيت الثالث من هذه القصيدة وعدد أبياتها ثمانية عشر بيتاً وفي (رجل عبقرى) استعان بشعر جوتيه الشاعر الألماني ليعبر عن شعور الرجل العبقرى "وكلّما ازدادت شهرته ازداد تواضعه وازداد حياؤه حتى بت أعتقد أن الرجل لا يعرف قدر نفسه.. وأن ما يصدر عنه من دلائل النبوغ وعلامات العبقرية ليس سوى خبط عشواء لقد صارحته بذلك ذات مرّة فلم يجبني بأكثر من قوله جوتيه شاعر الألمان "نحن لا شيء ولو صدقنا أنفسنا فوضعناها في أماكنها لما بقي في الدنيا غرور وكبر".⁽³⁾

وفي القصة نفسها ذكر بيتاً من قصيدة (لا تعذليه فإنّ العذل يولعه) لابن زريق البغدادي والدكتور محمود محمد الطناحي كتب مقالا حول هذه القصيدة سماها عينية ابن زريق⁽⁴⁾ والتي نشرها مجلة الشعر في عددها الأول والبيت هو:

بالله يا منزل الأنس الذي درست آثاره وعفت منذ بنت أربعة⁽⁵⁾

وفي بعض الأحيان يكتب مفهوم الشعر في قصته ولا يذكره. قد يكون السبب معرفته وإدراكه عند قراء القصص المصريين إذ يقول "وفوجئت من رنة الأسى التي به فما كنت أتوقع أن يكون له في المكان واقعة غرام قديمة وما كنت أتوقع أيضاً أن تكون كعبة غرامه التي يحج إليها.. هي دكان عصير قصب وأن يكون هذا الدكان هو كلّ ما تبقى من منزل الأنس الذي يتحدث عنه".⁽⁶⁾

(1) اثنا عشر رجلاً، ص/ 23.

(2) ديوان الشريف الرضي، تحقيق: د. محمد مصطفى حلاوي، الطبعة الأولى سنة 1999م. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2/ 93.

(3) المصدر السابق، ص/ 44.

(4) مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، القسم الأول. ط 1، سنة 2002م، دار البشائر الإسلامية، ص/ 122.

(5) اثنا عشر رجلاً، ص/ 48.

(6) المصدر نفسه.

والتعبير (كعبة غرام) استخدمه الشاعر المصري إبراهيم ناجي في قصيدته
(العودة) إذ يقول:

هذه الكعبة كنا طائفهـا _____
والمصلين صباحا ومساء
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها كيف بالله رجعنا غرباء⁽¹⁾
وفي نفس القصة يستعين بقول عمر الخيام عندما يتحدث عن الحظ قائلاً
"وهكذا الحظ، لا يمنح للإنسان إلا وليد مصادفة ولا يفصل بين الشقاء والنعيم
إلا حادثة بسيطة قد تحدث وقد لا تحدث أو كما قال الخيام:
أترى عمر الفتى قد علقا بسوى خيط وماذا حسما
غير خيط بين نور وظلام⁽²⁾

وردت هذه الكلمات في النشيد الثاني من رباعيات الخيام⁽³⁾
وفي (رجل ورسالة) كتب الشطر الثاني من قصيدة أحمد الشوقي "سحر
لعمرى له في السمع ترديد" وورد البيت في الفصل الثاني من المسرحية الشعرية
(مجنون ليلي) إذ يقول الشاعر على لسان قيس:
ليلى نداء بليلي رنّ في أذني سحر لعمرى له في السمع ترديد⁽⁴⁾
وفي القصة نفسها ذكر أيضاً الشاعر البريطاني بايرون وفكرته عن الحبّ
والفؤاد والفراق.

واستعان في هذه القصة بأبيات شوقي غير مرّة "نفسى قوية الأمل، شديدة
الإيمان بالله وبك - أجل ! سنلتقي ثانية ((وأحسن الأيام يوم أرجعك))".⁽⁵⁾
وهو أيضاً الشطر الثاني من قصيدة شوقي (ردّت الروح) ومطلعها:
ردّت الروح على المضنى معك وأحسن الأيام يوم أرجعك⁽⁶⁾

(1) ديوان إبراهيم ناجي، سنة النشر 1980م، دار العودة بيروت، ص/ 13.

(2) اثنا عشر رجلاً، ص/ 55.

(3) رباعيات الخيام، ص/ 48.

(4) مجنون ليلي، أحمد شوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، ص/ 45.

(5) المصدر السابق، ص/ 132.

(6) الشوقيات، ص/ 523-524.

رجل ... تبدأ قصته برسالة أرسلت من ميدان القتال ويقول فيها يوسف السباعي "كلنا في الهم شرق"⁽¹⁾ وهو الشطر الثاني من بيت وردت في قصيدة (نكبة دمشق).

نصحت ونحن مختلفون داراً ولكن كلنا في الهم شرق⁽²⁾
وعدد أبياتها خمسة وخمسون بيتاً وذكر الآيات القرآنية في قصتين ومنها ما جاء في نهاية قصته "رجل كافر" إذ يقول "لقد كان وجوده يتعني ولكن ذهابه أضناني .. ترى أي شيء يرضى الإنسان في هذه الحياة! وصمت صاحبي وأجبتة هامساً بما ينطق به لسان حاله: لا شيء .. قتل الإنسان ما أكفره"⁽³⁾ والآية الكريمة هي "فُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ"⁽⁴⁾.

والآية الثانية التي استعان بها السباعي قد وردت في نهاية القصة (رجل كريم) حيث يقول "هل تسمحين لي بأن أذكرهم بأن ملذات الحياة محدودة وأن أموالهم مهما كثرت فلن ينالوا من متع الحياة أكثر مما نالوا؟ وبأن أذكرهم بأن ثروتهم لن تحمل معهم إلى قبورهم وأنها لن تنفعهم في الحياة الأخرى أجل يا سيدي .. دعيني أذكرهم فما أملك غير التذكرة: "فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر"⁽⁵⁾ والآيتان هما من سورة الغاشية.⁽⁶⁾ ولا بد من إشارة إلى الخطأ المطبعي في الآية الأخيرة وهي بمسيطر "وورد في القرآن الحكيم بمصيطر"⁽⁷⁾.

وذكر السباعي الحديث النبوي الشريف (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) ذكره في (رجل مهرج) قائلاً "وأطرقت المرأة، ورأيتها تكرر قولي في شيء من شرود

(1) اثنا عشر رجلاً ، ص / 159.

(2) الموسوعة الشوقية، شرح إبراهيم الأبياري، ط 2، 1998م، دار الكتاب العربي، ج 4، ص / 19.

(3) اثنا عشر رجلاً، ص / 90.

(4) سورة عبس، الآية: 17.

(5) المصدر السابق، ص / 155.

(6) سورة الغاشية، الآيتان: 21 - 22.

(7) المصدر نفسه.

الذهن:- تضرب بجنبها عرض الحائط وتنتظر حتى تتزوج رجلاً محترماً!! تماماً كما

فعلت .. لا .. لا يا سيدي .. لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين".⁽¹⁾

وذكر المثلين فقط أحدهما عندما يعرف صديقه العبقري "وكان صاحبي
رغم عبقريته ككاتب ورغم كل ما أقيم له من حفلات تكريم ورغم ما له من شهرة
وتقدير مازال في نظري (الخم) خلق الله! وكنت أرى فيه خير دليل على المثل
العامي: "يعطي الحلق للي بلا ودان".⁽²⁾

والمثل الثاني ذكره في (رجل قرير) حيث يقول "فلقد أصرّ الزوجان على أن
يشاركهما الأوسطي على غداءهما .. ولم لا والمثل يقول: اللقمة اللي تقضي واحد
تقضي اثنين ما دامت النفوس قانعة".⁽³⁾

(1) اثنا عشر رجلاً، ص/ 92، 93.

(2) المصدر نفسه، ص/ 43.

(3) المصدر نفسه، ص/ 68.

في موكب الهوى

هي المجموعة السادسة لـ يوسف السباعي التي نشرها في عام 1949م. (1) ويشتمل الكتاب على إهداء ومقدمة واثنى عشرة قصّة. أمّا النسخة التي وجدناها فهي تجمع مجموعتيه مبكى العشاق وفي موكب الهوى معاً. أما إهداء الكتاب فهو إلى "الداميات الحدود .. الفائرات النهود .. إلى اللاتي دفعني في ركب الغرام .." (2) ومقدمة الكتاب قطعة رومانسية يخاطب بها حبيبته "ولولاك يا حلوة الروح .. لجف النبع ونضب المعين .. ولما جاشت الروح في الأسطر وتنفست الكلمات". (3) أما القصص فعناوينها كالآتي:

1. دمية
2. حديث كرمة
3. هذه الربوة
4. قرى شفتيك
5. هل تذكرين
6. سلو الربيع
7. ليتته ما عاد
8. حائرة
9. رسالة راحلة
10. دائماً معي
11. نهاية شقاء
12. آه

ومن خلال قراءة هذه القصص يجد الباحث أن الكاتب اهتم بالجانب الفكري واستشهد بالأبيات المختلفة لشرح آرائه ولم يركز على الأمثال ولم يستدل

(1) مبكى العشاق، في موكب الهوى: يوسف السباعي، مكتبة مصر، ص/ 255.

(2) المصدر نفسه، ص/ 135.

(3) المصدر نفسه، ص/ 139.

كذلك من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة كما فعل في بعض المجموعات القصصية الأخرى.

ففي (دمية) كتب البطل رسالة إلى حبيبته فيقول "وكان كل منّا يحس أن لا غنى لأحدنا عن صاحبه .. ولا عيش له بدونه. ترى لم أكتب إليك الآن وقد تبدد ما بيننا وتفرق؟ ترى لم أكتب إليك الآن وقد أضحينا "كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تفانيا"⁽¹⁾ وورد الشعر (كلانا غنى عن ..) في قصيدة وعين الرضا"⁽²⁾ للإمام الشافعي.

والفكرة الغريبة التي قدّمها السباعي في هذه القصة هي (فترة الراحة) ويقصد بها حبّ الرّجل المتزوج المؤقت لفترة تعيد له نشاطه ثم عودته إلى حياته الطبيعية مع زوجته وأطفاله ونرى أن هذه الفكرة ستنتج الخيانة نقصد الخيانة الزوجية من جهة والخيانة مع الحبيبة المختارة لفترة الراحة والخيانة مع الحبّ أيضاً لأنّ المطلوب هو الوفاء في الحبّ مهما اختلف نوعه وهدفه.

"هذه الربوة" تحمل الاتجاه الواقعي وهي قصة حب نهايتها موت حبيبة غرقاً في البحر واستفاد الكاتب بقصيدة أحمد شوقي فيها والقصيدة وردت في الفصل الخامس من مسرحية شعرية له (مجنون ليلي) ومطلعها (جبل التوباد حيّاك الحيا)⁽³⁾ وبدأ يوسف السباعي قصته بثلاثة أبيات من هذه القصيدة وأولها.

هذه الربوة كانت ملعباً لشبابينا وكانت مرتعاً⁽⁴⁾

وفي نهاية القصة يقول "إنّ السنين تمرّ .. ويخيل إلى أن ربح النسيان قد محت ما بي .. كما محت ربح الشاطئ ما خططناه بالرمال .. وإذا بي أهتف بالربوة.
ما لأحجارك صمّا كلما هاج بي الشوق أبت أن تسمعا
كلما جئتك راجعت الصبا فأبت أيامه أن ترجعا

(1) مبكى العشاق، في موكب الهوى، مكتبة مصر، القاهرة، ص/ 141.

(2) ديوان الإمام الشافعي، ص 123.

(3) مجنون ليلي، ص/ 121.

(4) مبكى العشاق - في موكب الهوى، ص/ 154.

قد يهون العمر إلاّ ساعة وتهون الأرض إلاّ موضعاً⁽¹⁾

والأبيات المذكورة هي الأبيات الأخيرة من قصيدة أحمد شوقي على لسان
قيس في الفصل الخامس من مسرحيته الشعرية (مجنون ليلي).⁽²⁾

وفي بداية (هل تذكرين) كتب يوسف السباعي أبياتاً لتعزيز أباطة.⁽³⁾

وهي قصيدته المعروفة التي أشار إليها السباعي بنفسه بـ(همسة حائرة)
ووردت القصيدة في مسرحية شعرية لتعزيز أباطة المسمى (قيس ولبنى) وركز السباعي
في قصته على الشطر الأول من إحدى الأبيات وهو:

هل تذكرين بشط النيل مجلسنا نشكو هوانا ونفسي في شكاوانا

ويستدل السباعي بقول إبراهيم ناجي في (سلوا الربيع) إذ يقول: "واستبد
بي داء الحب .. واستحكمت العلة .. وأنا إنسان خيالي، مرهف الحس، .. فبدأت
أأخذ من دارها كعبة أطوف حولها كل ليلة"⁽⁴⁾ وأصل الكلام قول الشاعر إبراهيم
ناجي الوارد في (العودة).

هذه الكعبة كنا طائفها والمصلين صباحاً ومساءً⁽⁵⁾

وفي نفس القصة ذكر السباعي جزءاً من الشطر الثاني لبيت أبي العلاء
المعري إذ يقول: "كنت واثقاً من حبها .. واثقاً من قدرة الحبّ على فعل المعجزات
فقد كنت أنا نفسي على استعداد لأن أفعل من أجلها المعجزات .. وأن آتى في
سبيلها (بما لم تستطعه الأوائل)".⁽⁶⁾

(1) مبكى العشاق - في موكب الهوى، ص/ 162.

(2) مجنون ليلي، ص/ 121.

(3) المصدر السابق، ص/ 171.

(4) المصدر نفسه، ص/ 182.

(5) ديوان إبراهيم ناجي، ص/ 13.

(6) مبكى العشاق - في موكب الهوى، ص/ 185.

وقال أبو العلاء المعري في قصيدته الفخرية بعنوان (ألا في سبيل المجد)

وإني، وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل⁽¹⁾

وفي (رسالة راحلة) يستفيد من كلام عمر الخيام دون أن يشير إليه قائلاً
"إنه لا يحاول أن يستبق الحاضر حتى لا يفقد بهجته .. بل هو دائماً يعيش للحظته
(لا يضيق هما بأمس أو غد) ولا يحاول أن يشغل نفسه عما هو فيه من هناء
ومتعة"⁽²⁾ وورد في رباعيات الخيام:

لا تضيق هما لأمس وغد أمس أودى وغد لم يولد⁽³⁾

وفي قصته الأخيرة لهذه المجموعة (آه ...) يقول السباعي "آه يا حبيبي!
هل تسمع آهتي؟ ما بالك إذا لا تجيب، إني أبصرك، وإني أتحسس وجهك. أجل
والله هذا وجهك. لم لا تتبسم؟ لم لا تقبلي؟ هل نسيت شفتاك القبل؟ ما بالك
لا تذكر ليالينا معنا. ليالي أبعد فيها الهوى عنا الكرى فنعمنا بيقظة الحب النقي
الطاهر.

بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وتقى يلفنا الشوق من فرع إلى قدم

ثم انثنينا وقد رابت ظواهرنا وفي بواطننا براء من التهم⁽⁴⁾

ووردت البيتان المذكورتان في قصيدة الشريف الرضي ومطلعها "يا ليلة
السفح ألا عدت ثانية"⁽⁵⁾ وأما الأمثال الواردة في هذه المجموعة فهي كالمعدوم
وذكر السباعي مثلاً إذ يقول "وهنا بدأ دور النصح وأفهموني أن من العبث أن
أحاول انتظار الغد المجهول وأن عصفوراً في اليد خير من ألف على الشجرة"⁽⁶⁾
والأصل كلمة (عشرة) وليست (ألف) كما كتب يوسف السباعي.

(1) سقط الزند، ص/ 193.

(2) مبكى العشاق - في موكب الهوى ، ص/ 221.

(3) رباعيات الخيام، ص/ 83.

(4) المصدر السابق، ص/ 247.

(5) ديوان الشريف الرضي، 2/ 231، 232.

(6) مبكى العشاق - في موكب الهوى، ص/ 252.

من العالم المجهول

نشرت المجموعة السابعة (من العالم المجهول) في سنة 1949م⁽¹⁾، وإهداء الكتاب يكشف لنا سر تسمية المجموعة بهذا الاسم إذ يقول "إلى أهل العالم المجهول ... إلى العفاريت والجن والأشباح والأرواح، أهدي كتابي هذا، بلا سابق لقاء ولا قديم معرفة عله يكون فاتحة صداقة بيني وبينهم ...".⁽²⁾

وفي مقدمة الكتاب يعترف أنه لا يؤمن بالعالم المجهول "كل ما أعرف عن العالم المجهول لا يعدو السماع، فأنا أسمع عن أرواح تهيم وأشباح تطوف وعفاريت تحوم وجنيات تعشق وكلها ظهرت لأناس آخرين ... أما أنا لا فلا ... حتى لكأن بيني وبينهم تنافر مستحكم وبغضاء مقيمة فهي تأبى لقائي والظهور لي".⁽³⁾

وذكر يوسف السباعي أيضاً أنه رسب في الامتحان خلال دراسته لكنه لم يحدد سنة الرسوب ولم يشر إلى أسباب رسوبه أيضاً ولكننا نجد في روايته (البحث عن جسد) ذكر رسوبه الذي يؤكد لنا أنه رسب في اللغة الإنجليزية إذ يقول "إن الاحتلال لم يعلمني كره الإنجليز ولكن علمني هو توفيق أفندي لقد جعل الإنجليز واللغة الإنجليزية ألد أعدائي ولا أذكر بعد ذلك أي رسبت في امتحان إلا كانت اللغة الإنجليزية هي السبب".⁽⁴⁾ وأنهى مقدمته بذكر قول عمر خيام من رباعياته وهو "

كم بذرنا حكمة الفكر البصير

وسقيناها حيا العقل الغزير

ما جنينا غير بهتان وزور ما علمنا غير أنا في الملا

شعل البرق خبت بعد التمتع"⁽⁵⁾

(1) مبكى العشاق - في موكب الهوى، ص/ 255.

(2) من العالم المجهول، يوسف السباعي، ص/ 3.

(3) المصدر نفسه، ص/ 5.

(4) نائب عزرائيل - البحث عن جسد، ص/ 150.

(5) رباعيات الخيام، ص/ 62.

واستعان كذلك من رباعياته في (خذني معك) حيث يقول: "وقلت لنفسي
ماذا يضيرك أن يكون حلماً أو غير حلم أقبل على المتع التي أمامك واذكر قول
الخيام "ويلتا أن ضاع يومي من يدي"⁽¹⁾ والشطر من النشيد الثاني من رباعيات
الخيام، أما القصص فهي:

1. حديث على القبر

2. أرواح هائمة

3. شبح في فراش

4. صورة روح

5. معجزة كبرى

6. الحاجلي

7. حياة مزدوجة

8. كانت هناك

9. صوت مجهول

10. هذا البيت لي

11. خذني معك

12. مات قريراً

13. صفقة عجيبة

14. علمها عند ربي

استشهد الكاتب في هذه المجموعة من القرآن والحديث النبوي واستعان
ببعض الأمثال العربية أيضاً وقدّم كذلك آراءه من خلال قصصه القصيرة وهناك
وجدت بعض الأخطاء النحوية أيضاً نشير إليها كذلك.

أما الآيات الكريمة فاستشهد بها قصص مختلفة مثل (أرواح هائمة) إذ يقول
"من يدري؟ قد تكون أصيبت هي وسائرة في الطريق .. إن بعض الظن إثم"⁽²⁾

(1) من العالم المجهول، ص/ 128.

(2) المصدر نفسه، ص/ 38.

وإن بعض الظن إثم⁽¹⁾ جزء من الآية الكريمة الواردة في سورة الحجرات. وفي (الحاجلي) يصف الحاج على ويتكلم عن خداعه فيستعين بآيات من سورة المطففين "فهو سريع النكتة.. حاضر البديهة.. حلو الفكاهة.. ولست أشك في أن هذا هو السبب الذي جعل عباد الله يغفرون له ما يرتكبه معهم من غش ونصب، وفي الوقت نفسه يقبلون عليه وعلى بضائعه، حتى ازدحم بهم حانوته، رغم تأكدهم أنه (مغلواني) وأنه من الغشاشين المخادعين.. "المطففين الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون".⁽²⁾

وقال الله ﷻ في كتابه الحكيم "ويل للمطففين.. يخسرون".⁽³⁾ وفي (صوت مجهول) يذكر وفاة امرأة وأثر موتها على زوجها "وعندما ماتت لم يكن في موتها أية مفاجأة.. فقد كانت نتيجة منتظرة محتومة.. ولا أظن الرجل إلا قد حزن عليها وإن كان قد حاول جهده أن يبدو متمالكا متماسكا وبأن يتذرع بالصبر والإيمان وب"إنا لله وإنا إليه راجعون".⁽⁴⁾

فاستعان بقوله تعالى: "الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون"⁽⁵⁾ وفي القصة الأخيرة لهذه المجموعة (علمها عند ربي) يقول: "أفعالا تعنى شيئاً دون أن نستطيع أن نعلل كيف حدثت أو من فعلها.. كيف يمكن أن يعلل ما حدث؟ أهو تجاوب أرواح.. الله وحده أعلم ((يسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي))"⁽⁶⁾ والآية الكريمة هي "ويسألونك.. أمر ربي".⁽⁷⁾

(1) سورة الحجرات، الآية: 12.

(2) من العالم المجهول، ص/ 69

(3) سورة المطففين، الآيات: 1-3.

(4) المصدر السابق، ص/ 110.

(5) سورة البقرة، الآية: 156.

(6) المصدر السابق، ص/ 165.

(7) سورة الإسراء، الآية: 85.

واستشهد كذلك بحديث الرسول ﷺ في (الحاجلي) حيث يقول: "إذا ما أذن المؤذن بالصلاة هبط من على مصطبه صائحا بقوله المأثور ساعة لقلبك وساعة لربك ثم يعطي لربه نصيبه من الركعات والسجادات".⁽¹⁾

ومن الأمثال التي استخدمها في كتابته هو مثل "أكل العيش يجب الطعمية"⁽²⁾ ولكنه غير قليلاً عندما يصف شخصية الحاج على "وفلسفته في هذا أن (الشغل شغل) وأن (أكل العيش يجب الحداقة)!. وأكل العيش يعني لديه ابتزاز أقصى ما يمكن ابتزازه من أموال عباد الله .. أما (الحداقة) فهي عنده وسيلة واسعة مطاطة".⁽³⁾

وكذلك استفاد من المثل الشهير ((ضرب عصفورين من حجر)) ففي قصته الحاجلي يذكر ذلك "وأخذت أفكر في قول الشبح فرأيت أني أستطيع أن أصيب عصفورين بحجر. إذ أستطيع بشراء الأثواب أن أنقذ روح الرجل.. ثم إن الصفقة نفسها صفقة هائلة فمن ذا الذي يستطيع أن يشتري الآن قماشاً بأسعار ما قبل الحرب".⁽⁴⁾

أما الأخطاء النحوية التي وقعت فيها يوسف السباعي فمنها قوله:
"وإذا عشت بغير حب فكأنك لم تعيش"⁽⁵⁾ فلم يحذف حرف العلة في "تعيش" وكذلك قوله "ولم أدري ماذا أقول له"⁽⁶⁾ والصحيح لم أدر.

(1) من العالم المجهول، ص/ 70.

(2) موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة، حكم وتقاليد واستلال، ص/ 176.

(3) المصدر السابق، ص/ 68.

(4) من العالم المجهول، ص 76.

(5) المصدر نفسه، 46.

(6) المصدر نفسه، 140.

هذه النفوس

نشرت هذه المجموعة الثامنة ليوسف السباعي في 1950م⁽¹⁾، وأهداها إلى أنواع النفوس المختلفة وأنهى إهداءه قائلاً "إلى النفس التي بحثت عنها في هذه الأرض عبثاً: أهدي كتابي هذا لو كان لها وجود وأما المقدمة فيقول فيها "إن شعار النفوس هو نفسي أولاً.. أو نفسي فقط.. إذا أحسننا.. فيجب أن نتوقع ردّ الإحسان بالإساءة وإذا أحببنا فيجب أن نتنظر البغض والقطيعة. وإذا نجحنا أو أصابنا خير فيجب أن نتوقع الحسد حتى ممن لا يضيره نجاحنا ولا يوجعه ما نلنا من خير. حقاً ما رزى ابن آدم بشر من نفسه. اللهم ارحم هذه النفوس .. من هذه النفوس".⁽²⁾

أما القصص فهي:

1. نفس مدمرة
2. أمنية نفس
3. نفس كريمة
4. نفس هاوية
5. نفس شقية
6. نفس ظمأى
7. نفس وصدى
8. نفس جميلة
9. نفس ضائعة
10. نفس مهجورة
11. نفس هائمة

(1) هذه النفوس-هذه الحياة، يوسف السباعي، مكتبة مصر القاهرة، ص/4.

(2) المصدر نفسه، ص/6.

كثرت الأخطاء النحوية في هذه المجموعة مع بعض الأخطاء المطبعية. يخطئ السباعي عادة في الفعل المضارع المعتل المجزوم ومن أمثلتها ما كتب في (نفس مدمرة).

أ. "لا تخشين شيئاً إني أريد معاونتك".⁽¹⁾

ب. "وقال لي الطبيب: إنه لم يستطيع أن يضع ثقته في سواي".⁽²⁾

ج. "وهكذا كانت مع بقية أهل الدار الذين حاولوا عبثاً أن ينتشلونها من وحدة الحزن واليأس".⁽³⁾

د. وفي (أمنية النفس) كتب يوسف السباعي "ولم يستطيع العجوز أن يخفي ابتسامة السخرية والدهشة التي علت وجهه".⁽⁴⁾

هـ. وكذلك نجد مثل هذه الأخطاء في قصته (نفس هاوية)، حيث كتب "لم أستطيع أن أكون زعيماً للمظاهرات لأني لم أكن أملك الشخصية التي تؤهلني لذلك".⁽⁵⁾

و. وكذلك قوله "ولم أستطيع كذلك أن أكون شهيراً بالغباء والخيبة".⁽⁶⁾

ز. وفي (نفس شقية) يقول السباعي "فلم أستطيع السكوت وذهبت لاستشارة الطبيب".⁽⁷⁾

ح. وشرح كذلك موت رجل قائلاً "لقد قالت زوجته: أنه ألقى بنفسه من الشرفة وهو يسير في نومه ولم يستطيع أحد أن يجزم بغير ذلك".⁽⁸⁾

(1) هذه النفوس - هذه الحياة، ص/ 9.

(2) المصدر نفسه، ص/ 10.

(3) المصدر نفسه، ص/ 15.

(4) المصدر نفسه، ص/ 35.

(5) المصدر نفسه، ص/ 57.

(6) المصدر نفسه.

(7) المصدر نفسه، ص/ 81.

(8) المصدر نفسه، ص/ 82.

ط. وفي (نفس ظمآي) تقول الزوجة "ولم يستطيع زوجي أن يخفي علامات الدهول والألم التي علت وجهه"⁽¹⁾.

ويخطئ أحياناً في الفعل المضارع المنصوب كما ذكر في (نفس وصدى) عن فتاة تعتني بأمها المريضة "فإني أراها معذورة كل العذر وليس على القراء لكي يلتمسون لها العذر كما التمسست"⁽²⁾.

وفي (نفس ضائعة) يفكر الرجل عن تصرف حبيبته ويقول "وهل كان هذا هو السبب في أنها لم تستطيع أن تحبه هو؟"⁽³⁾ وفي (نفس هائمة) كتب السباعي "وكان يعرف كذلك أن ببعض النساء نزفا واستهتارا ولكنه لم يستطيع أن يتصور ما حدثه به صاحبه حقيقة واقعة"⁽⁴⁾.

ومن الأخطاء المطبعية الواردة في هذه المجموعة هي.

أ. "إني واثق أنك قذفتي بنفسك أمامها عامدة"⁽⁵⁾ والصحيح هو (قذفت).

ب. "إنها سلبته شرفة دون أن يستطيع أن يثبت أنها خائنة"⁽⁶⁾ والكلمة هي شرفه.

ج. "حتى انتهى به الأمر إلى دعوتها إلى الغداء في داره"⁽⁷⁾ والكلمة هي الغداء وليست الغداء.

والأبيات التي يستشهد بها يوسف السباعي في هذه المجموعة قليلة. ففي (أمنية نفس) ذكر بيت أبي الطيب المتنبي متحدثاً عن تأثير النفوس على الأجساد "أشقى الناس في هذه الحياة إنسان تباينت فيه النفس والجسد.. إن الجسد مطية النفس.. تسوقه للوصول إلى بغيتها ونيل مرادها وأمانيتها:

(1) المصدر نفسه، ص/ 88.

(2) المصدر نفسه، ص/ 95.

(3) هذه النفوس - هذه الحياة، ص/ 121.

(4) المصدر نفسه، ص/ 143-144.

(5) المصدر نفسه، ص/ 9.

(6) المصدر نفسه، ص/ 77.

(7) المصدر نفسه، ص/ 144.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام⁽¹⁾

وهذه الأبيات من قصيدة المتنبي في مدح سيف الدولة عندما أراد الرحيل عن أنطاكية ومطلعها "أين أزمعت أيهذا الهمام"⁽²⁾.

وفي (نفس وصدى) استعان يوسف السباعي بقول أمير الشعراء أحمد شوقي قائلاً "وتحدث الفتى.. فكان لحديثه نشوة في رأسها جعلتها كالحلمة.. ثم تحدثت هي.. فوجدت نفسها تتحدث في سهولة لم تكن تتوقعها من قبل.. ومرت ساعة لم يزد فيها ما جرى بينهما على تلامس الأيدي وتبادل الحديث.. ومع ذلك فقد كانت ساعة لا شك أن الشاعر قد عناها بقوله: "قد يهون العمر إلا ساعة"⁽³⁾ وهو الشطر الأول من البيت أما البيت فهو:

قد يهون العمر إلا ساعة وتهون الأرض إلا موضعاً⁽⁴⁾

وهو البيت الأخير من قصيدة جبل التوباد في مسرحية شعرية لأحمد شوقي بعنوان (مجنون ليلي).

وفي (نفس ضائعة) ذكر الشطر الثاني من بيت لأبي الطيب المتنبي "... حتى يراق على جوانبه الدم". والبيت هو:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم⁽⁵⁾

ذكر يوسف السباعي الآيات الكريمة في قصتي المجموعة ففي نفس وصدى يقول "لقد أنكر قدرة الله إلا في ذلك الفرد.. "قتل الإنسان ما أكفره"⁽⁶⁾ والآية الكريمة "قتل الإنسان ما أكفره"⁽⁷⁾ وردت في سورة عبس.

(1) هذه النفوس - هذه الحياة، ص / 31.

(2) شرح ديوان المتنبي، عبدالرحمن البرقوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، حي السفارات، مدينة نصر، القاهرة، ص / 125.

(3) المصدر السابق، ص / 99.

(4) مجنون ليلي، ص / 121.

(5) شرح ديوان المتنبي، ص / 1254.

(6) هذه النفوس - هذه الحياة، ص / 103.

(7) سورة عبس، الآية: 17.

وبدأ قصة (نفس ضائعة) من سورة الناس فكتب ست آيات⁽¹⁾ هذه السورة. أمّا الأمثال العربية فنصيبها قليل في هذه المجموعة ومنها ما ذكر في (نفس ظمّاي) حيث يقول "الاشترك في حديث لا يعنيني في قليل ولا كثير، كان معظمه يدور حول ذكريات قديمة يستعيدون ذكرها .. ذكريات لا ناقة لي فيها ولا جمل".⁽²⁾

وذكر المثليين الآخرين وهما "يضع سره في أضعف خلقه"⁽³⁾ و"ما يضير الشاة سلخها بعد ذبحها"⁽⁴⁾ فالمثلان شرحناهما في هذا الفصل لأنهما وردا في مجموعات أخرى تحدثنا عنها آنفاً.

(1) هذه النفوس - هذه الحياة، ص/ 115.

(2) المصدر نفسه، ص/ 87.

(3) المصدر نفسه، ص/ 94.

(4) المصدر نفسه، ص/ 141.

مبكى العشاق

هذه المجموعة تحمل اثنتي عشرة قصة بالإضافة إلى الإهداء ومقدمة ونشرت في سنة 1950م ويقول كاتبنا في إهداء المجموعة "إلى كل مقلة ذابلة وجفن مقروح، إلى كل ساهر جفاه المرقد .. إلى كل عاشق باك، أهدى مبكى العشاق ليجد ما يسكب فيه دمة ويريق عبراته." (1)

وبدأ الكاتب مقدمة المجموعة بيت أبي تمام والبيت هو:

لا تسقني ماء الملام فإنني صب قد استعذبت ماء بكائي (2)
ثم يذكر تجربته في الحب وعلاقة الحب بالبكاء إذ يقول "أذكر أنني عشقت فتاة ما رأيتها مرة إلا وأحست بميل شديد إلى البكاء كنت أعشقتها من بعيد .. فلا شك أن الدموع دائماً تصحب الحب .. ولا شك أن أكثر الناس ميلاً إلى البكاء هم العشاق." (3)

ثم يشرح لنا يوسف السباعي ما يحمله هذا الكتاب قائلاً "وقد ضمنت كتابي هذا قصصاً يحملها الهوى المستعر المتنازع، أقدمها للعشاق - وكلنا عشاق - عليهم يجدون فيها بعض العزاء ويسكبون بعض الدموع ولقد كنت أسبقهم إلى البكاء في مبكى العشاق. إن في البكاء نشوة والدموع ضريبة الحب يدفعها العاشق راضياً مختاراً." (4)

وأنتهى يوسف السباعي مقدمته بيت شعري من قصيدة (يا ظبية البان) للشريف الرضي والبيت هو:
الماء عندك مبدول لشاربه وليس يرويك إلا مدمعي الباكي (5)

(1) مبكى العشاق - في موكب الهوى، ص/ 5.

(2) شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي، قدمه: راجي الأسمر، ط 2، 1994م، دار الكتاب العربي، بيروت، 1/ 24.

(3) المصدر السابق، ص/ 7.

(4) المصدر نفسه، ص/ 8.

(5) ديوان الشريف، 2/ 93.

أما عناوين القصص فهي:

1. أريد الحياة
2. سكينه
3. حديث أعمى
4. عودة
5. أمنية ضائعة
6. ليتك تحبيني
7. اللوحة الأخيرة
8. شفاء من حب
9. عبثاً خلقت
10. حالة يأس
11. ملهمة العمر
12. ربيع دائم

استعان الكاتب في هذه المجموعة ببعض الأبيات لعمر الخيام واستشهد كذلك بشعر ابن الرومي الخ ولكنه كان أكثر تركيز على التعبير عن مشاعره وأفكاره عبر النثر ويجد القارئ خلال قراءة هذه القصص أنه لم يستعن بالأمثال في كتابة هذه المجموعة إلا نادراً.

في قصته الأولى (أريد الحياة) يذكر فلسفة الحياة ثم يسأل "ما الحياة .. وم يقاس عمر المرء فيها؟ أيقاس العمر بفترة الزمن التي يقضيها الإنسان حياً أم بعدد المتع التي يستطيع الحصول عليها"⁽¹⁾ ثم يجيب على سؤاله على لسان عمر الخيام قائلاً:

لا تضق هما بأمس وغد أمس ولى وغد: لم يولد!

ويلتا إن ضاع يومي من يدي⁽²⁾

(1) مبكى العشاق - في موكب الهوى، ص/ 13.

(2) رباعيات الخيام، ص/ 83.

وفي (أمنية ضائعة) يذكر قول قيس قائلًا "وأجتاز شارع الخليج إلى حي المنيرة وتلوح لي دارها فيخفق قلبي بشدة، لقد كنت على غير مذهب قيس .. لقد كنت أحب الديار وما بها وما حولها كانت رؤية الشجر الوارف من بعد تنير في نفسي الشوق وتبعث الحنين، كنت أحب الدار حجرا حجرا وشجرة شجرة، كنت أحب العبد الأسود الرابض أمام الباب والكلاب النابغة في الحديقة.." (1)

والبيت الذي ذكره يوسف السباعي وجدناه في خزانة الأدب للبغدادي:
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا(2)
وفي (شفاء من حب) استعان بشعر الشاعر العباسي ابن الرومي "وأقبلت على ذات مرّة ومنحتني نوبة من نوبات العطف التي تبل بها حرارتي أو على الأصح تؤجج حرارتي:

وألثم فهاكي تزول حرارتي فيشتد ما ألقى من الهيمن(3)
والبيت من قصيدة نفس مشوقة (4) لابن الرومي.

وفي القصة الأخيرة لهذه المجموعة (ربيع دائم) يخاطب الروضة قائلاً:
"نسيم الليل يا روضة فيك أم خفق القلوب؟ وحفيف الدوح في روضك أم همس الحبيب؟. حدثيني يا روضة .. كم من العشاق ضمت حناياك .. وكم من المهج والأفئدة وسدتها ندى ثراك ..؟ ما سر خضرتك الدائمة .. ونضرتك التي لا تمتد إليها يد الذبول؟.." (5)

ثم كتب رباعياً لعمر الخيام "هل سرت أنفاس عيسى في الفلاة" (6)

(1) مبكى العشاق - في موكب الهوى، ص 64.

(2) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، ط/ 4، 1997م، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 4 / 227.

(3) المصدر السابق، ص/ 92.

(4) ديوان ابن الرومي، شرح أ. أحمد حسن بسج، ط 3، 2002م، دارالكتب العلمية، بيروت، 406/3.

(5) مبكى العشاق - في موكب الهوى ، ص/ 123.

(6) رباعيات الخيام، ص/ 34.

واستعان بالحديث النبوي الشريف في (ليتك تحبينني) إذ يقول دعيني أعترف
بفعلتي الشائنة .. فقد استمددت من توبتي قوة على الاعتراف وأضحيت أحس
وأنا أكتب إليك أني إنسان آخر .. نظيف محترم .. وبت أعتقد أنك لا شك
غافرة لي .. ألم يقولوا "إن التائب من ذنب كمن لا ذنب له".⁽¹⁾
يبدو أن الكاتب فهم أن القول مثل ولكنه حديث الرسول ﷺ في كتاب
الزهد "التائب من الذنب كمن لا ذنب له".⁽²⁾
وذكر مثلاً عربياً في (حديث أعمى) حيث يقول "لقد أنكرتها فيما مضى
.. فإن هي أنكرتني الآن فلا حرج ولا لوم .. ولا تائب ولا تثريب .. واحدة بواحدة
والبادئ أظلم".⁽³⁾

(1) مبكى العشاق، في موكب الهوى، ص/ 71.

(2) سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق: محمد فواد عبد الباقي، ج2، مطبعة

دار إحياء الكتب العربية، ص/ 1420.

(3) المصدر السابق ، ص/ 36.

بين أبو الريش وجنينة ناميش

نشرت هذه المجموعة في 1950م وأهداها إلى أخويه قائلاً "إلى رفيقي الصبا.. وزميلي الطفولة... إلى أخوي.. (محمود) و(أحمد) أول من جال معي: بين أبو الريش وجنينة ناميش"⁽¹⁾ وفي مقدمة الكتاب يشرح لنا أسباب اختياره هذا العنوان لمجموعة القصصية ثم يقول "ولا أظني قد وفيت الحي حقه بهذه الأقايص... ولا استنفدت بها كل ما في الذاكرة عنه... ولا أظني إلا عائداً إليه مرة أخرى... فما زالت ذكرياته تملأ رأسي... ولست بمستريح حتى أسكبها على الورق".⁽²⁾

ويشير يوسف الشاروني إلى هذا في مقاله (نحن لا نزرع الشوك وأصولها الروائية في أدب يوسف السباعي) إذ يقول "ويبدو أن يوسف السباعي قد وفي بوعده حين كتب روايته الأخيرة ((نحن لا نزرع الشوك)) بعد ذلك بحوالي ستة عشر عاماً وإن كانت رائحة الأحياء الشعبية القاهرية ومذاقها تنتشران في كثير من رواياته وقصصه القصيرة".⁽³⁾

والجدير بالذكر أنه في مقدمة المجموعة نقل رأي أحد قراءه الذي يصر على عدم استمرار السباعي لكتابة المقالات. "فقد تبين أنّ القصة أضحت فرضاً واجباً على.. وأن القارئ يأبى أن يقبل مني إلا قصة... بل إنّه. سامحه الله - مقتنع تمام الاقتناع بأني لا أعرف غير القصة... ولا أجيد في غير القصة... فقد كتبت ذات مرة مقالا نقدياً في الغناء فجاءني خطاب من أحد القراء يدهش فيه كيف أكتب في الغناء وأنا قصصي!"⁽⁴⁾

أما القصص فعناوينها كالاتي:

1. في أبو الريش

(1) بين أبو الريش وجنينة ناميش، يوسف السباعي، ص/ 5.

(2) المصدر نفسه، ص/ 8.

(3) الفكر والفن في أدب، يوسف السباعي: ص/ 138.

(4) بين أبو الريش وجنينة ناميش، ص/ 8.

2. في جنينة ناميش

3. في سيدي زينهم

4. في الماوردي

5. في البغالة

6. في حارة السيدة

7. في زين العابدين

8. في الخليج المصري

9. في الناصرية

10. في المبتديان

11. في سيدي العتريس

وكتب يوسف السباعي تحمل عادة أكثر من عشرة قصة في مجموعة واحدة وكذلك هذه المجموعة نجد فيها إحدى عشرة قصة وقد يعود السبب إلى عدد الأحياء التي يتحدث عنها الكاتب لأنه كتب قصة عن كل حي من تلك الأحياء الشعبية المذكورة.

تكثر الأمثال في هذه المجموعة وذكر الكاتب الأغاني الشعبية كذلك لكنه لم يستشهد بالأبيات الفصيحة ولم يستعن بالآيات القرآنية إلا في قصة فقط. أما الأمثال فذكر منها (في جنينة ناميش) "وذهل جودة عندما أمرته أمي بإعادة الصينية وانهالت عليه بالشتائم ونظر إلى أبي مستنجداً ولكن أبي هزّ رأسه كأنه يقول (ما باليد حيلة) وخرج جودة عائداً إلى الفرن وهو يصيح: أصل ما لكمش في الطيب نصيب".⁽¹⁾

والمثلان هما ما باليد حيلة وليس له في الطيب نصيب .

وفي نفس القصة ورد المثل على لسان جودة "وأخذنا نسأله عما حدث وضحك والدموع في عينيه وأجاب متفاخراً: عصفورين بحجر. عصفور حقيقي

(1) بين أبو الريش وجنينة ناميش، يوسف السباعي، ص/ 22.

وعمه الشيخ كحكو .. خليتها تنزل ترف .. فاتكم نص عمركم" (1) والمثل هو ضرب عصفورين بحجر واحد.

وورد المثل الشعبي خلال حديث جودة مع أم سيدة إذ يقول "معلش يا أم سيده أول جوز عصفير ليكي. مانيش عايزه عصفير، اللي يفرقه العويل يسفه". (2)

والمثل الشعبي هو "اللي يفرقه العويل يسفه". (3)

وفي (الماوردي) ذكر السباعي المثل (القرد في عين أمه غزال) إذ يقول "ونزل الششتاوي ذات ليلة فلم يجد من يستقبله سوى الأم الطريحة وجارة أرقها الصباح فتطوعت للمساعدة.. ولم يكن الششتاوي، والشهادة لله - جميلاً بحال من الأحوال ومع ذلك فما انطبق المثل القائل بأن "القرد في عين أمه غزال". (4) وكذلك ذكر المثل الشعبي أطعم الفم تستحي العين (5) "فإذا ما أيقظه جوع أو ألم به ضيق .. ألقمته ثديها .. فانطبق عليه المثل أطعم الفم تستحي العين ولا تمضي دقائق حتى تستحي عينه ويستغرق في نومه" (6) "وكذلك كتب مثلاً آخر "فلم تر من إطلاقه بدأ وطمأنت نفسها بأن الحذر لا يمنع القدر وأنه تترك الأمر لله العلي القدير". (7)

فالمثل هنا الحذر لا يمنع القدر.

هي قصة بإلحاق فاطمة شيخون والدة ششتاوي بمجموعة الشيخ أحمد "ومنذ ذلك اليوم لم ير الشيخ أحمد قط وحيداً. لقد زاد عدد المخابيل واحداً ..

(1) بين أبو الريش وجنينة ناميش ، ص/ 24.

(2) المصدر نفسه، ص/ 27.

(3) الأمثال العامة، أحمد تيمور باشا، ط/ 2، 1956م، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، ص/ 83.

(4) بين أبو الريش وجنينة ناميش ، ص/ 43.

(5) المصدر نفسه، ص/ 29.

(6) المصدر نفسه، ص/ 43.

(7) المصدر نفسه، ص/ 45.

وكانت فاطمة شيخون تلازمه أينما ذهب .. لقد كانت تحارب معه العدو المشترك ..
.. عله يعيد إليها ما أخذ!" (1)

ويبدو أنها هي نفس فاطمة شيخون التي أهداها روايته (نحن لا نزرع الشوك) "إلى فاطمة شيخون التي سألتني قبل موتها أن أدفنها في مقابر الأسرة فأوحت إلى بهذه القصة". (2)

وفي (في الماوردي) يقول "وارتبك زكي، فقد كانت مفاجأة شديدة الموقع على نفسه ونزل عليه - كما يقولون. سهم الله فلم ينبس بنت شفة". (3)
وفي قصته (في البغالة) يسخر من المثل إن القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود فيحول القرش إلى القشر إذ يقول "كان يحتفظ بقشر البطيخ ليأخذه معه إلى الكتاب قائلاً: إن القشر الأبيض ينفع في اليوم الأسود وأن له فيه منافع جمّة..". (4)

وفي القصة نفسها مثل آخر "وترتفع الكرة .. لتستقر في وسط الصينية وتقلب عاليها سافلها ويعود أبو سريع يخبر أباه أن السسب هذه المرة كانت قشرة شمامة ويهيج أبوه ويثور.. ويقسم أنه لا بد أن يحطم رأسه وتتدخل أمه قائلاً التالته ثابتة وأنه يجب أن يعطي الصبي فرصة أخيرة" (5) والمثل هنا تالته تابة يعني تالته ثابتة.

و(في حارة السيدة) استعان بمثل أيضاً "واحمّر وجهه وتجهم وتطير الشرر من عينيه فننذ خلال الواجحة الزجاجية وعبر اللافتة التي نقشت عليها "عزّ من قنع .. وذل من طمع". (6)

(1) بين أبو الريش وجنيبة ناميش، ص/ 50.

(2) نحن لا نزرع الشوك، ص/ 5.

(3) المصدر السابق، ص/ 56.

(4) المصدر نفسه، ص/ 64.

(5) بين أبو الريش وجنيبة ناميش، ص/ 66.

(6) المصدر نفسه، ص/ 76.

واستخدم المثل "عدو عاقل خير من صديق جاهل"⁽¹⁾ في قصته (في زين العابدين) عندما أضرب دكش مشكالا صديقه موقنا بأنه يساعده "لقد كان دكش يضرب بمنتهى الإخلاص"⁽²⁾ واستعان كذلك بثلاثة أمثال شعبية "في الخليج المصري"⁽³⁾ ومنها يموت الزمار وصباغه يلعب ويشرح الأديب أحمد تيمور باشا قائلاً "ومعنى المثل - من شب على شيء شاب عليه".⁽⁴⁾

وأما الآيات القرآنية فذكر الآيتين الكريمتين عندما وصف حجرة في قصته (في أبو الريش) وعلى الجدران علق لوحات قرآنية وحكمية، مثل: (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) و(نصر من الله وفتح قريب)". أما الآية الأولى (إنا فتحنا ...) وردت في سورة الفتح وإما الآية الثانية فجاءت في سورة الصف.

والحديث النبوي الشريف الذي ذكره في هذه المجموعة وردت في قصته (في الماوردي) حيث يقول "أجل .. إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، وقد لدغت من المدبوع ومن فن الجزارة مرة .. فمن الحمق أن تدفع بابنها إلى السبيل الشائك، لتلدغ من الجحر مرة أخرى".⁽⁵⁾

(1) بين أبو الريش وجنيبة ناميش، ص/ 94.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه، ص/ 98.

(4) الأمثال العامة، ص/ 555.

(5) بين أبو الريش وجنيبة ناميش، ص/ 45.

أغنيات

نشرت هذه المجموعة في 1951م وأهداها المؤلف إلى المغنيين المصريين الشهيرين قائلاً إلى ... أم كلثوم وعبد الوهاب أهدي صدى صوتيهما .. وترديد أغاريدهما. فمن ألحاهما سطرت كتابي. ومن أغنياتها استوحيت أغنياتي".⁽¹⁾

وفي مقدمة الكتاب يذكر رأيه عن الغناء وتأثير الأغاني على نفسية الإنسان قائلاً "ولكل إنسان لحنه وموسيقاه التي تمس من نفسه موضعاً حساساً فلا يكاد يسمعها حتى يطير ذهنه إلى موضع معين من أيامه الخوالي ويصير على ضوءها صورة من صور الماضي التي طواها الزمن .. ومهما كان من مرارتها أو حلاوتها فإن لها في النفس لذة عجيبة ونشوة ممتعة".⁽²⁾

وذكر كذلك قصته رابطاً بين الحزن والغناء فيقول "إني لأذكر نفسي بعد وفاة والدي وأنا صبي في الرابعة عشر وقد خيم على البيت الحزن .. وقد أخذت أغني بصوت خافت. بلا وعي ولا إرادة. أغنية كنت لا أفتأ أرددها في ذلك الحين ودهش من حولي وأمروني بالكف لا أرى هناك تناقضاً بين حزني وغنائي بل كنت أشعر أن غنائي قطعة من حزني .. وأن بينهما توافقاً كاملاً وانسجاماً تاماً".⁽³⁾

أما القصص فعددتها سبعة قصص فقط وعناوينها هي:

1. يا ساكن القلب

2. ذكريات عصفت بي

3. آه لو كنت معي

4. وأوشك أعبده

5. في الليل لما خلا

6. آه لو شاركتني

7. وعادها الشوق

(1) أغنيات، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة، ص/ 6.

(2) المصدر نفسه، ص/ 7.

(3) المصدر نفسه، ص/ 8.

بدأ يوسف السباعي كل قصة بقطعة شعرية ومنها اختار عنوان القصة فتبدأ قصته الأولى (يا ساكن القلب) بموال المؤلف والشطر الأول هو "يا ساكن القلب طيفك مرّ في بالي"⁽¹⁾ والغريب أنه أهدى هذه المجموعة إلى المغنيين المشهورين لكنه اختار أبياته في القصة الأولى وهي لم تغنى. ووصف الكاتب حالته النفسية عندما كتب هذا الموال "وما زلت أذكر موالاً نظمته في ساعة سهد في بهمة الليل وكنت لا أفتأ أردده لنفسى في لحن حزين وأنا أتقلب على المرقد الجاني: يا ساكن ..."⁽²⁾

والقصة عبارة عن زيارة المؤلف لمدرسته القديمة بعد أن أصبح موظفاً محترماً "وقد التف بي ذلك الحشد الرزين المتمد وسار بجواري حضرة الناظر المحترم يريني نواحي المدرسة ويستعرض لي مبانيتها وفصولها."⁽³⁾

وذكر السباعي أنه أنشد نشيداً خلال دراسته مطلعها

"يا مصر يا أمّتي يا طيب أرض الوطن"

والمدرسة جعلتها نشيد المدرسة "أجل إنه نشيدك أنت .. النشيد الذي نظمته وأنت تلميذ .. إن المدرسة تعتر به وستظل تنشده إلى الأبد."⁽⁴⁾ وتحدّث عن حبه الفاشل في تلك الفترة المراهقة الذي جعله شديد الاهتمام في الدراسة وكثير التركيز على موهباته الشعرية "لقد كنت مصمماً على أن أصبح شيئاً غير ذلك الحمار الغبي الأبله مصمماً على أن يكون لي ما أعتز به وأفخر."⁽⁵⁾

(1) أغنيات، ص/ 9.

(2) المصدر نفسه، ص/ 35.

(3) المصدر نفسه، ص/ 11.

(4) المصدر نفسه.

(5) المصدر نفسه، ص/ 34.

ويقول عن كيفية كتابة نشيد المدرسة "وكتبت نشيد المدرسة وكانت المرة الأولى التي أحاول أن أقرض فيها الشعر .. ولم أكن شاعراً بالفطرة ولكنها كانت الإرادة وكان الجلد وكانت الرغبة أن أكون إنساناً ممتازاً." (1)

بدأ يوسف السباعي قصته الثانية (ذكريات عصفت بي) واستمد اسمها من قصيدة (خطايا) لكامل الشناوي وكتب بعض أبياتها ومنها:

لا تثر لي ذكرياتي إثمها شيبيني شيبت حتى صبايا
ذكريات عصفت بي، ذكريات لم تدع من أجلي إلا بقايا(2)
وتقول منال الجيوشي عن هذه القصيدة ((غناها ولحنها موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب عام 1946م ويقول مطلعها "زعموا حيي يا قلبي خطايا لم يطهرها من الإثم بكايا))". (3)

أما القصة الثالثة فعنوانها (آه لو كنت معي) واختارها من قطعة شعرية لقصيدة على محمود طه والقطعة هي:

آه لو كنت معي نختال عبره
بشراع تسبح الأنجم إثره
حيث يروى الموج في أرخم نبرة
حلم ليل من ليالي كليوباترة
أين من عيني هاتيك المجالي
يا عروس البحر يا حلم الخيال(4)

(1) أغنيات، ص/ 35.

(2) المصدر نفسه، ص/ 38.

(3) في ذكرى رحيله ... أغاني خلدت أسطورة الشاعر كامل التسناوي (مقال). منال الجيوشي، الخميس

30 نوفمبر 2017م. www.masrawy.com

(4) ديوان علي محمود طه، علي محمود طه، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، سنة النشر 2012م،

القاهرة، ص/ 134.

والقصيدة سماها الشاعر "أغنية الجندول في كرنفال فينيا" وغناها محمد عبدالوهاب أيضاً في 1939م.

والقصة الرابعة (وأوشك عبده) تحمل سبعة أبيات أمير الشعراء أحمد شوقي التي غناها أيضاً محمد عبد الوهاب والبيت الذي أخذ منه عنوان القصة هو:
ويقول تكاد تجن به فأقول وأوشك عبده⁽¹⁾

اختار يوسف السباعي سبعة أبيات من قصيدة شوقي لكنه لم يخترها حسب ترتيبها في الشوقيات فرى أنه اختار مطلع القصيدة مع البيت الثاني لكنه ترك البيت الثالث وهو:

أودي حرقاً إلا رمقاً يقيه عليك وتنفذه⁽²⁾

ثم يذكر البيت الرابع والخامس في بداية قصته وأوشك أعده ثم يختار ثلاثة أبيات أخرى ليذكرها في بداية القصة بعد أن ترك أحد عشر بيتاً من تلك القصيدة".

واستمد عنوان قصته (في الليل لما خلى) من شعر أحمد شوقي أيضاً إذ يقول:

في الليل لما خلى إلا من الباكي
والنوح على الدوح حلى للصارخ الشاكي
ما تعرف المبتلى في الروض من الحاكي⁽³⁾

ويقول د. أسامة عفيفي محلاً أن هذه الأغنية تحفة فنية "بإيجاز تعتبر في الليل لما خلى تحفة فنية بكل المقاييس أو ما يسمى في الغرب **Master Piece** وهي مما يسمع للآن بشغف شديد .. وهي من شعر شوقي، أغنية وصفية تأملية بالدرجة الأولى."⁽⁴⁾

(1) الشوقيات، ص/ 516.

(2) المصدر نفسه، ص/ 515.

(3) أغنيات، ص/ 72.

(4) في الليل لما خلى تحليل موسيقى (مقال)، د. أسامة عفيفي،

ويعلق عفيفي على أداء محمد عبد الوهاب الذي لحنها وغناها قائلاً
"أحدث هذا اللحن لعبد الوهاب دوياً هائلاً وأثار إعجاب الجمهور المثقفين والعامّة
على السواء واعتبر نقله كبيرة في فن عبد الوهاب والموسيقى العربية بصفة عامة." (1)
ويبدو أن علاقة قوية كانت تربط أحمد شوقي ومحمد عبد الوهاب ويشير
د. شوقي ضيف إلى هذا الأمر قائلاً "وما من شك في أن هذا التألف أثر في شعر
شوقي لا من حيث تأليفه للأغاني بل أيضاً من حيث تأليفه للألفاظ وانتخابها
بحيث تحمل كل ما يريد محمد عبد الوهاب من تموجات واهتزازات صوتية فكأنّ
كلا منهما كان يؤثر في صاحبه من حيث يدري ومن حيث لا يدري وكان
يستخرج منه خير إمكاناته ومقداراته الموسيقية قاصداً وغير قاصد." (2)

كتب يوسف السباعي ثلاثة أبيات من (ليالي كليوباترا) لعلي محمود طه في
بداية قصته (آه لو شاركتني) واستمدّ عنوان القصة من البيت الآتي:
يا حبيبي هذه ليلة حبي آه لو شاركتني أفراح قلبي (3)
وجاء في جريدة الاتحاد عن هذه القصيدة وعن صاحبها تحت عنوان
(كليوباترا إحدى روائع محمد عبد الوهاب).

"كتبها الشاعر علي محمود طه الذي ولد عام 1901م .. وكان قد كتب
(كليوباترا) في 24 بيتاً واختار عبد الوهاب منها. عشرة أبيات مقسمة إلى ثلاثة
مقاطع لتكون هي القصيدة المغناة ويتكون كل مقطع من 3 أبيات وخص بيتاً
واحداً من العشرة يا حبيبي هذه ليلة حبي ليختم به كل مقطع." (4)

في <https://arabianmusic.owrldpress.com/2009/07/24/>

الليل. لما خلى. تحليل موسيقي.

(1) في الليل لما خلى، تحليل موسيقي (مقال).

(2) شوقي شاعر العصر الحديث، د. شوقي ضيف، ط 8، دار المعارف، مصر، ص/ 167-
168.

(3) ديوان علي محمود طه، ص/ 221.

(4) كليوباترا .. إحدى روائع محمد عبد الوهاب، تاريخ النشر. الجمعة 16 سبتمبر 2016م.

غنت أمّ كلثوم (سلوا كئوس الطلا) بعد وفاة الشاعر المصري الشهير أحمد شوقي وهو الذي أهداها هذه القصيدة بنفسه "هدية أسعدت أم كلثوم ... واحتفظت بها لنفسها وفي سنة 1936م وبعد أربع سنوات عن رحيل ناظمها قررت أم كلثوم نفض الغبار عن هذا القصيد بأن قدمته للملحن الكبير الرياض السمباطي الذي أعد لها لحناً خالداً في مدونة الطرب العربي." (1)

وذكر يوسف السباعي خمسة أبيات من تلك القصيدة المغناة في بداية قصة (وعادها الشوق) وعنوان القصيدة من البيت:

وعادها الشوق للأحباب فانبعثت تبكي وتهتف أحياناً بشكواها(2)

(1) سلواكؤوس، الطلا، عندما - ينحني-أحمد-شوقي
archive.alchourouk.com/142416676/، إكراماً - لأم كلثوم.

(2) الأغنيات، ص/ 95.

هذا هو الحبّ

تشتمل هذه المجموعة على الإهداء وثلاث عشرة قصة كما هو يفهم من تسمية المجموعة أنّها قصص الحب وحكايات الفؤاد ويؤيد إهداء المجموعة هذا الموقف إذ يقول فيه يوسف السباعي "يا لائمي في الهوى .. يا ناصحي بالتقى .. أمسك عن لومك .. وكف عن نصحك أو إليك كتابي .. لتعرف ما بي: فإذا سألوك .. أصحابك مجنون؟ فقل لهم لا .. هذا هو الحب." (1)

ثم ذكر قول ابن الرومي عن الحب الذي أخذه من قصيدته (في نعمة) إذ يقول ابن الرومي:

أغوى الهوى كلّ ذي لب فلست ترى إلا صحيحاً له أفعال مجنون (2)
وأخطأ يوسف السباعي فذكر كلمة "أهوى" بدلاً من أغوى كما ورد في ديوانه.

أمّا القصص الواردة في هذه المجموعة فهي:

1. جمالاً لا يفنى
2. الغائبان
3. امرأة تافهة
4. حديث مجنون
5. مبادئ القلوب
6. قصة شعر
7. أحلام ملاح
8. الخاسرة الرابعة
9. شجرة العشاق
10. وادي القلوب المحطّمة

(1) هذا هو الحب، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة، ص / 4.

(2) ديوان ابن الرومي، 3/ 398.

11. سخرية

12. بريق خبا

13. هذا هو الحب

رکز السباعي في هذه المجموعة على الحب نفسه فلم يأت بأمثال عربية أو شعبية كما هو أسلوبه ولم يستشهد كذلك بأبيات شعرية إلا نادراً ولم نجد غير ثلاثة أبيات في ثلاث قصص مختلفة ومنها ما استشهد به في قصته (قصة شعر) إذ يقول:

من منكم لم يسكرهد عبير شعر سرى مع النسيم شذاه فتركه نشوان يكاد
من فرط الطرب يهتف:

هبت لنا من رياح الغور رائحة بعد الرقاد عرفناها برياك⁽¹⁾
ولكنه لم ينسبه إلى قائله والبيت من قصيدة (يا ظبية البان) للشريف
الرضي⁽²⁾ وفي (أحلام ملاح) ذكر البيت الآتي:

مني إن تكن حقاً أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمنا رغداً⁽³⁾
وبداً قصته (شجرة العشاق) بالشطر الأول والثاني من رباعيات عمر الخيام
كما ورد في رباعياته:

أنضر الورد وأبجاه نما حيث روى الأرض مدفون دما⁽⁴⁾

(1) هذا هو الحب، ص/ 69.

(2) ديوان الشريف الرضي، 2/ 93.

(3) المصدر السابق، ص/ 84.

(4) رباعيات عمر الخيام، ص/ 51.

صور طبق الأصل

نشرت هذه المجموعة في 1951م أيضاً وتشتمل على الإهداء ومقدمة وثلاث عشرة قصة. أهدي السباعي مجموعته إلى صديقه قائلاً "إلى خير من فرج عني الهم .. وأزال الكرب .. إلى أحد أصول هذه الصور. الصديق عبد المنعم الشاذلي." (1)

وفي مقدمة الكتاب يقول إنها قصص حقيقية وشخصياتها يعرفها شخصياً "هذه القصص أخذتها من الناس.. صور طبق الأصل لهذا وذاك .. لا أدعي لنفسي فيها حق ولا فضل.. شيئاً أنا نفسي ناقله من الأصل المجسد .. كيف أحرم على الناس ما أخذته من الناس: أستطيع أن أدعي لنفسي حقاً في (أمام الفك) و(خال علام) .. وهي مخلوقات حيّة تسعى بيننا؟" (2)

أما القصص الموجودة في المجموعة فهي:

1. خال أعلام
2. رحى الفرن
3. الأسطى عبده
4. في بيت معه
5. في رد نجوت
6. الوسواس الخناس
7. أمام الفك
8. النزهي
9. صينية قرع
10. في سبيل كلب
11. منتهى الفناء

(1) نفحة من الإيمان - صور طبق الأصل، يوسف السباعي، مطبوعات لجنة النشر للجامعيين، ص/

12. الزوج الحادي عشر

13. حديث جدة

ومن خلال قراءة هذه القصص نرى أن الكاتب عاد إلى أسلوب كتابته في هذه المجموعة الذي غاب عنا في مجموعته (هذا هو الحب) المشهورة في العام نفسه فنراه يستعين بأمثال عربية ويذكر بعض الأبيات الخ فمن الأمثال التي ذكرها "إنّ العين بصيرة واليد قصيرة"⁽¹⁾ وكتبها في قصته (الأسطى عبده والمسترتويدي) وفي (أمام الفك) يذكر المثل الشعبي قائلاً "ومرّت الأيام والأسابيع والشهور.. وأمام. كما يقولون. مقطع السمك وديلها .. حتى طبقت شهرته آفاق المواخير ولم يعد هناك بيت من بيوت السر، إلا ولأمام فيه مركز ممتاز." ⁽²⁾

واستعان بالمثل الشعبي (يعطي الحلق للي بلاودان) في قصته (الزوج الحادي عشر) حيث يقول "ولكن ماذا كنت أستطيع أن أفعل مادام "يعطي الحلق للي بلاودان ويا ليتته بلا أذن فقط .. بل بزوجة وثلاثة أولاد وهو فوق ذلك زوج مخلص وفي." ⁽³⁾

وفي (ردنجوت) استخدم الكاتب شطراً من المقامة البشرية خلال الحوار بين الشخصين في القطار ((ولكن الأرض أضمن "أنل قدمي ظهر الأرض أني)).
يا سيدي .. العمر واحد والرب واحد
وهكذا استمرّ الحديث يجري بيننا تافهاً متقطعاً.. حديث لقاء عابر في قطار".⁽⁴⁾ وأخطأ الكاتب في الكلمة الأخيرة من الشطر الثاني حيث كتبها (أني) وهي (إني) كما وردت في مقامات بديع الزمان الهمداني حيث يقول بشر بن عوانة العبدى:

(1) نفحة من الإيمان-صورة طبق الأصل، ص/ 173.

(2) المصدر نفسه ، ص/ 220.

(3) المصدر نفسه، ص/ 272.

(4) المصدر نفسه، ص/ 189.

أُنل قدميَّ ظهر الأرضِ إنِّي رأيت الأرض أثبت منك ظهرًا⁽¹⁾
وفي "النزهى" يصف لنا الكاتب حالة كاينة مدام ماريكا قائلا وجلسنا
في الكاينة الجرباء المشققة، كنا نسير فيها فتقرع أرضيتها تحت أقدامنا فتذكرنا بقول
الشاعر:

ودار خراب بها قد نزلت ولكن نزلت إلى السابعة
فلا فرق ما بين أني أكون بها أو أكون على القارعة
وأخشى بها أن تقيم الصلاة فستجد حيطانها الراكعة
إذا ما قرأت إذا زلزلت خشيت بأن تقرأ الواقعة⁽²⁾
لم يذكر الكاتب اسم الشاعر ولم نعثر على اسمه أيضاً.

والجدير بالذكر أنه استخدم بعض الكلمات الإنجليزية في قصصه ومنها
كلمتا **back ground** كلمة **mess** ما ذكر في (خال علام) حيث يقول
"قبل أن أروى الواقعة. أن أعطى للقارئ فكرة عن حياتنا وقتذاك ... فأرسم له ما
يسمونه (الباك جراوند) التي ستخذ الواقعة محلها فيه. كنا ثلاثة عزّاب نقطن
الميس".⁽³⁾

وفي (النزهى) عندما تحدث عن لعبة كرة القدم فاستخدم الكلمات الآتية
hardluck و **second** و **team** إذ يقول "وكنا نلعب معاً في تيم الكرة
بالمدرسة، السكند تيم طبعاً.. وكنا دائماً السبب في هزيمة التيم فما أظن أن ملاعب
الكرة قد رأت أسوأ منا ومع ذلك فلم يكن أسهل علينا من تقارض المديح وتبادل
الثناء و(الهارد لك)".⁽⁴⁾

(1) مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، شرح: محمد محي الدين، سنة الطباعة 1923م. مطبعة

المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر، ص/ 451.

(2) نفخة من الإيمان - صورة طبق الأصل، ص/ 239.

(3) المصدر نفسه، ص/ 153.

(4) المصدر نفسه، ص/ 227.

وكذلك في منتهى الغناء يستخدم كلمة Bedroom قائلاً "وسمعت صوتاً يصيح من البدروم"⁽¹⁾ ويجد القارئ أن هذه القصص لا تخلو من الأخطاء النحوية والمطبعية أيضاً فمن الأخطاء النحوية التي وقع فيها الكاتب "ولم تستطيع الأنسة أن تمنع الابتسامة التي افتر عنها ثغرها وهزّت رأسها"⁽²⁾ والصحيح (لم تستطيع) بحذف حرف العلة وكذلك عندما وصف الحي قائلاً "وفي الساعة الثامنة مساء بدأت السعي للمعبد .. وظللت أدلف من شارع إلى شارع .. وكان الحي مظلم مقفر"⁽³⁾ والصحيح (مظلماً مقفراً).

وذكر الكاتب تسلل الأميرة في قصة (حديث جدة) فقال "وهربت في زي أحد الجنود وذهبت إلى معسكر أبيها فباحث له بأسرار الأمير ولم يمضي يومان على اختفائها من القصر حتى كانت المدينة قد سقطت وحصدها العدو حصناً والصواب "لم يمض"⁽⁴⁾ ومن الأخطاء المطبعية كلمة (الجالوس) وأراد بها الكاتب (الجلوس) حيث يقول عن الصبية "ولكنها كانت أسرعهم إلى الجالوس حول فراش العجوز".⁽⁵⁾

(1) نفخة من الإيمان - صورة طبق الأصل ، ص / 261.

(2) المصدر نفسه، ص / 203.

(3) المصدر نفسه ص / 260.

(4) المصدر نفسه، ص / 282.

(5) المصدر نفسه، ص / 279.

سَمَار الليلي

نشرت هذه المجموعة في 1952م وتحمل رسالة الإخاء والسلام والمحبة في قصصها وركز الكاتب فيها على نشر فكرة السلام وعدم القتال وأشاد جهود منع وقوع الحروب ويرى أنه من العيب أن يضيع ابن آدم عمره في الحروب وأشار إليه في إهداء الكتاب "إلى ابن آدم .. التافه الأحمق إلى شر من استعمل ذهنه، إلى من ضيع عمره بين حرب .. وانتصار حرب".⁽¹⁾

ليس من الضروري أن نتفق مع ما خاطب به ابن آدم لكننا أردنا هنا أن نبين موقفه من الحرب فقط أمّا مقدمة المجموعة فعنوانها (في سبيل السلام) ويحلل فيها سبب الحرب فيقول "لا وطنية .. ولا دين .. ولا مبادئ. ولا شيء من هذا كله يمكن أن يكون سبب النزاع البشري. إنها كلها مسميات براقعة تستر وراءها الداء الأصلي .. وهو الطمع والأنانية".⁽²⁾

أمّا القصص فعددها اثنتا عشرة قصة لكن الكاتب جعلها تحكى على لسان جارية القصر (آمنة) التي "كانت تحب أحد ضباط القصر من الفرسان وكانت تعلم أن فرقته ستكون في طليعة الفرق الذاهبة للقتال وهي ما زالت تذكر كيف يتمتها الحرب السابقة وحرمتها من أبيها وتذكر أمها الراحلة التي ذهب الحزن بصوابها وأفقدتها رشدها"⁽³⁾ فهي الفتاة المناسبة لتحكى هذه القصص التي فقدت والديها كنتيجة الحرب السابقة وقد تخسر حبيبها إذ وقعت الحرب القادمة. فما السبيل إلى إيقافها ومنع القادة والزعماء من أن يشنوا حرباً أخرى.

أفلحت آمنة في إيجاد حل لذلك "لم لا تحاول هي أن تفعل بالزعماء السفاكين ما فعلته أختها شهرزاد بالملك السفاك. إن شهرزاد أنقذت بنات جنسها: أما هي. إذا أفلحت فستنقذ الناس أجمعين".⁽⁴⁾

(1) سَمَار الليلي، يوسف السباعي، ص/ 4.

(2) المصدر نفسه، ص/ 5-6.

(3) سَمَار الليلي ، ص/ 7.

(4) المصدر نفسه.

فقصت لهم كل ليلة لتمنعهم من أخذ قرار بدء الحرب حتى نجحت في إقناعهم وصمت القوم برهة ثم انفصم عقدهم وعاد كل منهم إلى عشيرته ليبشرها بالسلام الأبدي والسكينة الدائمة".⁽¹⁾

وعناوين القصص التي حكتها آمنة هي:

1. الهاربون من الجنة

2. غرام المهرج

3. يذكرها وتنسأه

4. الصبي الفيلسوف

5. حب وحب

6. الجبان

7. الطاووس

8. قد تنفع الذكرى

9. الراهبة

10. وفاء

11. هبة الشيطان

12. ستمار الليالي

واستشهد الكاتب بالآيات القرآنية في هذه المجموعة واستخدم بعض الكلمات القرآنية أيضاً خلال كتابته وذكر إحدى الأحاديث النبوية الشريفة بالإضافة إلى الاستعانة ببعض الآيات من عمر الخيام وغيره وكتب بعض الأمثال العربية بمناسبة النص وقدم الأفكار الرائعة في قصصه ومنها ما كتبه خلال حديث الوالد مع ابنه عن المال فيقول الوالد.

"ليست السعادة في المال يا بني: فإن المال يفسد النفوس..."⁽²⁾

(1) ستمار الليالي، ص/ 143.

(2) المصدر نفسه، ص/ 47.

والجدير بالذكر أنه وضع الخاتمة بعد أن حكى آمنة هذه القصص للقادة
والزملاء فنقل في الخاتمة ما كتبه والده محمد السباعي في كتابه (العمر) حول هذا
الموضوع.⁽¹⁾

(1) المصدر نفسه، ص/ 143.

الشيخ زعرب

نشرت هذه المجموعة في سنة 1952م أيضاً وأعدّها السباعي توأماً لمجموعته (بين أبو ريش وجنيّة ناميش) المنشورة في 1951م "ولئن كان رابط القصص في مجموعة (أبو الريش) هو عامل المكان .. فإن رابطها في (الشيخ زعرب) هو الشخصية .. والرابط في كلا التوأمن كما قلت مصري .. ولذا فليس هناك حد فاصل بين التوأمن".⁽¹⁾

أهدى السباعي مجموعته إلى أشهر الممثلين الفكاهيين المصريين نجيب الريحاني واعتبره من معجزات بلاده "معجزات هذا البلد في عصرنا ثلاث: (أم كلثوم) و(عبد الوهاب) و(الريحاني) .. فألى روح ((الريحاني أهدى كتابي هذا فهو أحق من سواه بالشيخ زعرب وآخرون".⁽²⁾

وأهدى السباعي كتابه إلى روح (الريحاني) لأنه قد توفي في 1949م أي قبل ثلاث سنوات من نشر الكتاب.

قلّما نجد أن يشكو الكاتب في إهداءه إلى الشخصيات لكنه فعل ذلك واتهم أم كلثوم وعبد الوهاب بالجهل وقلة الذوق نجد أن أهداهما كتابه (أغنيات) "ويبدو لي أن المعجزتين إمّا تجهلان القراءة أو تجهلان الذوق لأنهما لم تشعراني بأتهما أحستا بالإهداء".⁽³⁾

ويعترف الكاتب في مقدمة الكتاب بأن هذه المجموعة تحمل القصص الفكاهية "ولست أدري ما إذا كان هذا النوع من القصص المحلي الفكاهي الساخر يرضى جمهرة قراء البلاد العربية .. الذين يشاركون القراء المصريين في استيعاب جزء كبير من إنتاج الأدب العربي".⁽⁴⁾

(1) الشيخ زعرب، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة، ص/ 115.

(2) المصدر نفسه، ص/ 114.

(3) المصدر نفسه، ص/ 114.

(4) المصدر نفسه، ص/ 115.

والجدير بالذكر أنه ردّ على من يحاسبونه وينتقدونه على الأخطاء اللغوية في أعماله الأدبية لكنه لم يتحمل مسؤولية تلك الأخطاء حيث يقول "وإني أوافقهم على أن هذه الأخطاء على قلتها أشبه بالأثرية التي قد تؤثر تأثيراً ظاهرياً على بهجة الكتاب .. ولكن أعتقد أن مهمة الإزالة هذه توكل دائماً إلى المصححين .. وأن الكتاب يمر قبل الظهور على ما لا يقل عن أربعة من ذوي العمامم والتمامم فإن بقيت به بعد ذلك أثرية فهو تقصير من مزيلي الأثرية اللغوية أو كناسي اللغة." (1) لم يكتف السباعي بهذا وإنما سخر من أهل اللغة قائلاً "وما دامت أمثال هذه الأخطاء وهي غير معتمدة لا تحس بين الأغلبية الرّاضية .. فليس على الأقلية المنزعجة إلاّ أحد أمرين: إما تعودها حتى تصبح في حكم الصواب وإما إراحة أنفسهم بتصحيحها في سكون." (2)

والإجابة لا يمكن أن يوافق عليها فنقول يا ليته وفر مشقة الرد بمثل هذه الإجابة. أما القصص فعددها اثنتا عشرة قصة وعناوين القصص هي:

1. الشيخ زعرب
2. حسن أفندي
3. زكية الحنش
4. عبد البر أفندي
5. ميدو قلب الأسد
6. أم نجية
7. الواد عطوه
8. عبد الجادر عبد الدليل
9. عبد ربه الصرماتي
10. الحاج قطة
11. سي جمعة

(1) الشيخ زعرب، ص/ 116.

(2) المصدر نفسه.

12. الأستاذ شملول

المزاح والسخرية هما عنصران مهمان في كتابة هذه القصص وفي قصته (زكية الحنش) يحكى على لسان شبشب "وأحست بالفخر والغرور.. فالشبشب كالغواني.. يغرها الثناء".⁽¹⁾ ويشير بذلك إلى ما قاله أمير الشعراء في قصيدته (خدعوها) في باب النسيب في شوقياته.

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرن الثناء⁽²⁾

وفي قصته (عبد البر أفندي) يصف لنا حالة الرجل الذي يحمل طفلاً في مرة أولى في حياته والطفل ليس طفله "وحمل الطفل في نظره ليس بالأمر السهل.. لا بد أن يحمل بطريقة فنية وإلا تهشم وتفتت.. إنه يحتاج إلى مثل طريقة الحجاج بن يوسف الثقفي "شدة في غير عنف ولين في غير ضعف".⁽³⁾

وأخيراً لم يحتمل الرجل فخاطبه قائلاً إن يدي مشغولة بحقيبة ملابسك ولا أستطيع تهشيكك وتديلك.. اصبر.. إن أمك آتية بعد برهة قصيرة.. إنها تحدث أباك في التليفون.. فكن رجلاً واحتمل.⁽⁴⁾

وفي (الواد عطوه) يقول "حمداً لله، إنَّ الرغيف الأبيض ينفع في الليلة السوداء".⁽⁵⁾ وأصل الكلام مثل عربي يقول إن القرش الأبيض ينفع في الليلة السوداء استدلل الكاتب بالحديث النبوي أيضاً فنراه في (الشيخ زعرب) يذكر قول النبي ﷺ "واتخذ زعرب مكانه وسط المجاذيب وبدأ في الرقص والصياح.. عندما مرَّ بذهنه فجأة قول الرسول: (إني مباه بكم الأمم يوم القيامة).⁽⁶⁾

وكتب السباعي الأمثال الكثيرة في هذه المجموعة ومنها ما كتب في قصته (عبد الجادر عبد الدليل) عندما يتكلم عن حذاء محمد الذي كان يرتديه دائماً

(1) الشيخ زعرب، ص/ 141.

(2) الشوقيات، ص/ 507.

(3) المصدر السابق، ص/ 158.

(4) الشيخ زعرب، ص/ 159.

(5) المصدر نفسه، ص/ 194.

(6) المصدر نفسه، ص/ 125.

ولكنه كان يخلعه في وقت الرياضة "ولكن العجيب.. هو خلعه ساعة اللعب.. أي في عز المعمعة. ذلك كان أمراً عجيباً ولكن – كما يقول المثل. إذا عرف السبب بطل العجب ولم يكن للأمر العجب سبب واحد بل كان هناك مائة سبب." (1)

ويذكر المثل العامي في (سي جمعة) حيث يقول "من يصدق أن الزيارة كان يمكن أن تنتهي إلى مثل هذا ! لقد أتى يطلب وظيفة فخرج بوظيفة وعروس، صدق من قال الفقي لما يسعد تيجي له خاتمتين في ليلة". (2)

وذكر الكاتب قول الحجاج بن يوسف الثقفي أيضاً وأشار إلى بعض أبيات أمير الشعراء أحمد شوقي من خلال هذه القصص ونود أن نذكر أن كثرة العبارات العامة تصعب فهم بعض القصص للقارئ غير عربي ولكن يوسف السباعي ذكر في مقدمة الكتاب أنه من الأدب الفكاهي المحلي.. فنرى أن القراء المصريين يستفيدون أكثر من هذه القصص من غيره لأنهم هدف الكاتب في وقت كتابة القصص "لست أدري مدى رضاء هؤلاء الإخوان (العرب) عن مثل هذا النوع من الإنتاج ولكن الذي أدريه هو أن هذا النوع شيء واجب .. فهو لا يعدو تسجيل لوحات كائنة في حياتنا .. بل إنها هي حياتنا فعلاً .. وإذا لم يسجل الكاتب حياة قومه .. فمن يسجلها." (3)

(1) الشيخ زعرب ، ص / 203.

(2) المصدر نفسه، ص/ 250.

(3) المصدر نفسه، ص / 115.

نفحة من الإيمان

هذه المجموعة صورة مختلفة من أعمال يوسف السباعي القصصية إذ أنها تحمل كثيراً من الآيات القرآنية في قصصها ويرى القارئ أن كل قصة منها تدور حول فكرة معينة مأخوذة من القرآن الكريم فنراه أنه في بداية كل قصة يذكر الآية الكريمة يبدو أن السباعي اختار الآيات الكريمة ثم بدأ بكتابة القصة ما يناسب معاني تلك الآيات ومفاهيمها وهذا يخالف أسلوبه في المجموعات المنشورة قبلها حيث رأينا أنه كان يستشهد أحياناً بآية قرآنية من خلال كتابة القصة وكانت تلك الآيات لا تشمل القصة كلها بل موقفاً معيناً فقط فنستطيع أن نقول أن كثرة الآيات هي ما امتازت بها هذه المجموعة ولم يكتف بالأخذ من آيات الذكر الحكيم بل أخذ من إنجيل متى في قصته (ثلاثين فضة) كما ذكر بنفسه قبل بدء القصة.

(1)

أهدى يوسف السباعي مجموعته إلى الكاتب المصري إحسان عبد القدوس معترفاً بشخصيته وقوة كتابته مادحا أسلوبه وتعبيره "إلى أخي العزيز إحسان عبد القدوس أهدي كتابي هذا. أهدى إليه بصفته أولاداً.. أخاً عزيزاً.. رغم أن له من المزايا العامة في نفوس القراء والجماهير ما يفوق كثيراً هذه الميزة الخاصة في نفسي فهو كاتب سليم التفكير، صريح الأسلوب، جذاب التعبير، شجاع، صريح غير معوج ولا ملتو .. رغم على هذا فأنا أتجاهلها في إهدائي .. وأهدي هذا كتابي إليه لمجرد أنه أخ عزيز." (2)

وإهداءه يشتمل على صفحتين من الكتاب حيث بدأ يشرح بعد الإهداء معنى الأخوة وعلاقته بالكاتب وذكر آراءه عن الآخرين وهو أمر يستغرب منه لأننا لا نجد مثل هذا الإهداء عادة والمجموعة تخلو من المقدمة لأسباب نجهلها أمّا القصص فهي:

1. لا تسألوا

(1) نفحة من الإيمان - صور طبق الأصل، يوسف السباعي، ص/ 15.

(2) المصدر نفسه، ص/ 3.

2. 30 فضة
3. أعدها يا رب
4. الرحلة الكبرى
5. عودة التائه
6. نور مثال
7. بين حي وميت
8. بلا عودة
9. جريمة
10. عويل الرياح
11. نفحة من الإيمان

كما ذكرنا أنه اختار من الآيات القرآنية عناوين القصص فنرى أن قصته الأولى (لاتسألوا) تشتمل على آيات مختلفة ومنها الآية الكريمة "يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن..."⁽¹⁾ وكتبها قبل بداية القصة وذكر الآية الأخرى في القصة نفسها حين يقول "فتاة من عائلة كريمة طيبة كانت له نموذجاً للزوجة الطيبة الراضية بالقناعة فحقق بها عليه"⁽²⁾ قول الله تعالى: (أنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً)⁽³⁾ والآية التي ذكرها السباعي وردت في سورة الكهف⁽⁴⁾، ويجب الإشارة إلى أن الكلمة هي (إنّا لا نضيع) وأخطأ الكاتب حين كتبها (أنا لا نضيع..) وكذلك نقل قوله "قل إنّ الأمر كله لله.. قل لو كنتم في بيوتكم.." ⁽⁵⁾ وأخطأ الكاتب في كتابتها حيث كتبها (إن الأمر لله)⁽⁶⁾ ولم يكتب (كله) كما وردت في القرآن الكريم.

(1) سورة المائدة، الآية: 101.

(2) نفحة من الإيمان، ص/ 5.

(3) المصدر نفسه، ص/ 7.

(4) سورة الكهف، الآية: 30.

(5) آل عمران، الآية: 154.

(6) نفحة من الإيمان، ص/ 13.

واستشهد السباعي بقوله تعالى إذ يقول "وصمت الفقيه برهة .. ثم عاد يتلو قوله تعالى: (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) (1) ووردت الآية في سورة البقرة. (2)

وفي نهاية القصة يذكر آية من سورة النساء "وصمت الصوت برهة ثم عاد يردد: (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم) وصرخ الرجل صائحا بصوت يائس مبسوح لا .. لا .. لا أريد أن أسمع هذا كذب .. ووصل إلى أذنيه الصوت يردد بقية القول (فامسكوهنّ في البيوت حتى يتوفاهن الموت)" (3) وجاءت الآية المباركة في النساء. (4)

بدأ يوسف السباعي قصة (أعدها يا رب) بالآية الكريمة الآتية:
"وإن يمسك الله بضرّ فلا كاشف له ... " (5) (والرحلة الكبرى) نجد في بدايتها الآية المباركة من سورة الإسراء وهو قول ﷺ "ويسألونك عن الروح قل ... " (6) (عودة التائه) حديث جندي من ميدان القتال فاختر السباعي لتلك القصة آية هي "ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله ... " (7).
ذكر يوسف السباعي ست آيات من القرآن الكريم في بداية (نور مثل) وهي "وسيجنبها الأتقى الذي ... يرضى". (8)

وفي سورة النحل ورد قول ﷺ: "أفأمن الذين مكروا السيئات .. " (9) وذكرها السباعي في قصته (بين حي وميت) وحكى يوسف السباعي قصة امرأة فقدت

(1) نفحة من الإيمان ، ص/13

(2) سورة البقرة، الآية: 255.

(3) نفحة من الإيمان، الآية: 14.

(4) سورة النساء، الآية: 15.

(5) سورة الأنعام، الآية: 17.

(6) الإسراء، الآية: 85.

(7) سورة البقرة، الآية: 154.

(8) سورة الليل، الآيات: 16-21.

(9) سورة النحل، الآية: 45.

زوجها في شبابها في قصته (بلا عودة) واختار الآية الكريمة "الذين صبروا ابتغاء وجهه .." (1) ونجد "إنا من المجرمين منتقمون" (2) في بداية (جريمة).

وكتب السباعي في (عويل الرياح) الآية المباركة التالية:

"قل لا أملك لنفسي .." (3) وفي القصة الأخيرة من هذه المجموعة (نفحة من الإيمان) أخطأ الكاتب في كتابة الآية (ولم يجعلني جبّاراً شقيماً) وإنما كتبها "لم يجعلني جبا شقيماً" (4) وهي من ضمن خمس آيات لسورة مريم التي كتبها في بداية هذه القصة.

استشهد السباعي في هذه المجموعة من الأبيات والأمثال أيضاً يلاحظ عنصر المزاح بين قصة وأخرى أيضاً لكن هذه المجموعة تركز على الآيات القرآنية.

(1) سورة الرعد، الآية: 22.

(2) سورة السجدة، الآية: 22.

(3) سورة يونس، الآية: 49.

(4) سورة مريم، الآية: 32.

ست نساء وستة رجال

نشرت هذه المجموعة في 1953م والنسخة التي عثرنا عليها لا تحمل الإهداء وإنما تبدأ بالمقدمة والكتاب تكملة لمجموعتيه حيث يقول "إليكم ست نساء وستة رجال .. تنمة للاثني عشرة امرأة والاثني عشر رجلاً وبقية من هؤلاء وهؤلاء لم يتسع لها الكتابان السابقان".⁽¹⁾

وذكر رأي د. بنت الشاطيء عن الكاتب بعد نشر (اثنتا عشرة امرأة) ثم كتب رأيها بعد أن قرأت إحدى رواياته وغيّرت رأيها فيه قائلاً "وثمة شيء آخر شجعني على الكتابة عن النساء .. وهو أن الدكتورة ابنة الشاطيء نفسها .. كتبت إلى رسالة خاصة بعد أن قرأت (إني راحلة) تقول: إنها كانت تنتقد فيما سبق كتابتي عن النساء وافراطي في الكتابة .. ولكن بعد قراءتها لهذا الكتاب وجدت أنني أستطيع أن أكتب عنهن كما أشاء وأن أفرط في الكتابة كما أشاء".⁽²⁾

أما القصص فهي:

1. امرأة مغرورة
2. امرأة مخدوعة
3. امرأة طيبة
4. امرأة آثمة
5. امرأة منتقمة
6. امرأة قاتلة
7. رجل مغرور
8. رجل مخدوع
9. رجل طيب
10. رجل آثم
11. رجل منتقم

(1) ست نساء وستة رجال، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة، ص/ 3.

(2) المصدر نفسه، ص/ 4.

12. رجل قاتل

استشهد الكاتب بكلام الشعراء خلال كتابة هذه القصص فتأثره بالشعر واضح في هذه القصص حيث نرى أنه استدل بقول الشعراء الكبار مثل ابن زيدون الأندلسي وبشار بن برد وأحمد شوقي وعمر الخيام وأبو فراس الحمداني الخ من الشعراء ونقل بعض تلك الأبيات ولا نذكر جميعها خوفاً من إطالة البحث في هذا المجال وخروجاً من المنهج الذي حددناه لهذه الأطروحة.

وفي بداية قصته (امرأة مغرورة) نقل السباعي شعر ابن زيدون من قصيدته (أن يطل ليلي) ومطلعها:

ودّع الصبر محبّ ودعك ذائع من سره ما استودعك⁽¹⁾

وفي القصة نفسها نقل رباعياً لعمر الخيام "غرّد الطير فنّبّه من نعس ... في هام القلاع"⁽²⁾ وينهي الكاتب هذه القصة بقول ابن زيدون إذ يقول: أهكذا لا يملك عابذك إلا جلسة صامته أمام قبرك .. يكتم لوعته ويحبس دمه .. ثم يعود في بهمة الليل كالأشباح السارية مستغفراً نادماً .. يحرقه الشوق .. ويلهبه الأسى .. يقرع السن على أن لم يكن زاد في تلك الخطأ إذ شيعك⁽³⁾

والبيت من نفس القصيدة التي ذكرناها آنفاً لابن زيدون.⁽⁴⁾

وفي (امرأة طيبة) استعان بشرط من شعر أحمد شوقي وكذلك استشهد بالشرط الثاني من شعر بشار بن برد حيث يقول "لو كان كلاهما أبكم .. لقلنا أنهما تفاهما بالعيون ولو تعطلت. برغمها لغة الكلام لخاطبت (عينيه في لغة الهوى عيناها) ولو كان كلاهما أعمى لقلنا جرى بينهما الحديث فعشق كلاهما الآخر

(1) ديوان ابن زيدون، شرح: د. يوسف فرحات، ط/ 2، 1994م، دار الكتاب العربي، بيروت، ص/ 209.

(2) رباعيات الخيام، ص/ 29.

(3) ست نساء وستة رجال، ص/ 18.

(4) ديوان ابن زيدون، ص/ 209.

بسمعه وأذنه (والأذن تعشق قبل العين أحياناً) أما أن يجمعا بين العمى والبكم
ويتحابا .. فذلك ما حيرني وملاّني عجباً!" (1)

وأصل الحديث بيتان والبيت الأول لأحمد شوقي من قصيدته الشهيرة (يا
جارة الوادي)

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت عيني في لغة الهوى عينك

والبيت الثاني الذي أشار إليه الكاتب هو:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً⁽²⁾

وقدّم السباعي آراءه المختلفة كذلك من خلال قصصه فمنها ما يصف به
حالة الأديب في بلاده "أما هنا والأديب المجرد لا يعرف كيف يأكل عيشه .. أما
هنا والبلد يعترف والبدال واللحاد والكناس: كأصحاب مهن .. ولا يعترف
بالأديب .. أما هنا والأديب لا يجسر أن يكتب على بطاقته (أديب) فكيف أقول
إني أديب؟"⁽³⁾

ويستغرب القارئ بعض الأحيان من آراءه مخالفة للتعليمات الإسلامية
والتقاليد العربية والمحلية ومنها ما رأى به فتاة متزوجة تريد العيش مع الحبيب بدلاً
من

الزوج فيقول لها "ليس هناك بد من الخلاص بالطريق الثاني وهو تمزيق
التقاليد وتحطيم الأصول .. وفراق الزوج والأبناء وتكملة الحياة مع الحبيب".⁽⁴⁾

(1) ست نساء وستة رجال ، ص/ 30.

(2) ديوان بشار بن برد، 4/ 206.

(3) المصدر السابق، ص/ 9.

(4) المصدر نفسه، ص/ 48.

هذه الحياة

نشرت هذه المجموعة في 1953م والنسخة التي عثرنا عليها لا تحمل الإهداء ولا المقدمة. وجمعت مكتبة مصر مجموعتيه (هذه النفوس) و(هذه الحياة) في مجلد واحد وهذا هو المجلد الذي بين أيدينا. وجدنا في هذا المجلد إهداء ومقدمة ل(هذه النفوس) ولكن مكتبة مصر لم تنشر إهداء (هذه الحياة) ومقدمتها. أما عناوين القصص فهي:

1. حياتي من أجلك

2. حياتي أنت

3. حياة راضية

4. حياة مقلوبة

5. حياة موهوبة

6. الحياة حب

7. حياة ضائعة

8. حياة فاسدة

9. حياة حمقاء

10. حياتكم الباقية

استشهد السباعي بالآيات القرآنية واستدل بالأمثال الفصيحة والعامية وتأثر بالشعراء فنقل بعض أبيات المتنبي وعمرو بن معدي كرب وامرئ القيس الخ من الشعراء. أمّا الآيات القرآنية فنقل قوله سبحانه وتعالى في نهاية قصته (حياة راضية) عندما عاد حبيب عفت إليها وأخبر أخته أنه يتزوجها "إذا نويت أن تزوري عفت مرة ثانية فاحضري لزيارتها في داري، أفاهمة أنت؟ حقاً.. إن مع العسر يسراً... إن مع العسر يُسراً...". (1)

فالآيتان هما "فإنّ مع العسر يسراً إن مع العسر يُسراً". (2)

(1) هذه النفوس - هذه الحياة، ص/ 196.

(2) سورة الشرح، الآيتان: 5-6.

وفي قصته (حياتكم الباقية) يقول السباعي "نعمة من الله ... المال والبنون زينة الحياة الدنيا ويجب عليك أن تحافظ على حياتك وتكرسها في تربية ابنك". (1)

فذكر في الحديث المذكور قول ﷺ "المال والبنون ..". (2)

وأما الأمثال العربية فمنها قول نعمان بن المنذر ملك الحيرة ونقله يوسف السباعي في (حياة مقلوبة) حيث يقول "هل سيحترمني باعتباري أباه الذي كان السبب في وجوده في هذه الدنيا؟ وهل أستطيع أن أود به، أو أضربه لنتظر، أن غدا لناظره قريب". (3)

وتشرح إيمان سامي هذا المثل في مقالها (أقوال) إذ تقول "إن غدا لناظره قريب هي مقولة للنعمان بن المنذر أحد ملوك الحيرة وقالها لأحد وزرائه وكان يدعى قرد بن أجدع وقد كان يعني بها أن انتظار الغد ليس ببعيد علّ من ينتظره وصارت بعد ذلك مقولة شهيرة يرددتها العرب من بعده ويريدون بها أن تحقيق الأماني ليس بالأمر المستحيل طالما وجد اليقين بتحققها". (4)

وفي (حياة ضائعة) استخدم مثلاً آخر حيث يقول "وساورني شك في أننا قد سقطنا من عال ووقعنا من السماء وأن سقطتنا جاءت في مكان الحريق وأنا سنصلي ناره وإن المثل (من حفر بئراً لأخيه وقع فيها) قد حق علينا وأنا لأول مرة في التاريخ سنجرب ذلك المصير طالما به لرناءه ونحن نجلس في أبراجنا هائنين". (5)

والأمثال العامية هي التي استشهد بها السباعي أيضاً في هذه المجموعة وفي (حياة مقلوبة) يقول "وكل شيء سيبقى على حاله أو كما يقولون: (لا يبروح عليه الزمان ولا يبيجي)". (6)

(1) هذه النفوس - وهذه الحياة، ص/ 291.

(2) سورة الكهف، الآية: 46.

(3) المصدر السابق، ص/ 209.

(4) مقولة .. إن غداً لناظره قريب" (مقال) إيمان سامي، يناير 2، 2018

<https://www.almrsa.com/post/582813>

(5) هذه النفوس - وهذه الحياة، ص/ 244.

(6) المصدر نفسه، ص/ 205.

والمثل الآخر ذكره في (حياة ضائعة) ويقول فيها السباعي "ولكن أؤكد لك أن الإنسان ما عاد يشعر بك .. ماذا تستطيع أفعالنا أن تؤثر فيه (ضربوا الأعور على عينه آل خسراة خسراة)" (1).

أما الشعر فاختر السباعي الأبيات المختلفة واستشهد بها. ذكر قول الشاعر الجاهلي امرؤ القيس من معلقته الشهيرة في وصف الليل "وأحست بثقل في الأجنان وصداع في الرأس وأسندت رأسي بكفى وضغطت جيني بأصابعي وتناءبت وتمطيت بقول امرئ القيس: (ألا أيها الليل الطويل ألا انجل) متى تنتهي هذه الليلة المتعبة ومتى يهبط الضيف الجديد فيضع حداً لهذا الانتظار الثقيل المرّ ..؟" (2).

الشرط المذكور هو صدر البيت وأخطأ الكاتب بكلمة (انجل) والصحيح (انجلي) كما وردت في ديوانه في وصف الليل :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح فيك بأمثل (3)
وفي (حياة موهوبة) استخدم كلمات الشاعر العباسي أبو الطيب المتنبي إذ يقول السباعي "ولكن حدث فجأة أن تطورت المسألة تطوراً خطيراً وهبت الريح بما لا تشتهي السفن فقد تقدمت أنت لخطبتي" (4) وقال أبو الطيب المتنبي:
"ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجرح الرياح بما لا تشتهي السفن" (5)
بدأت قصته (حياة حمقاء) بشعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي ولكن السباعي لم يذكر اسم الشاعر وقال قلت لصاحبي:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع (6)

(1) هذه النفوس - وهذه الحياة ، ص/ 248.

(2) المصدر نفسه، ص/ 202.

(3) ديوان امرئ القيس، ص/ 31.

(4) هذه النفوس هذه الحياة، ص/ 220.

(5) شرح ديوان المتنبي للبرقوقي، ص/ 1496.

(6) المصدر السابق، ص/ 265.

ووجدنا البيت المذكور في ديوان الزبيدي⁽¹⁾ الذي جمعه ونسقه مطاع
الطرايشي.

(1) شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمعه ونسقه مطاع الطرايشي، ط2، 1985م. مجمع اللغة
العربية بدمشق، ص/ 145.

ليلة خمر

نشرت مكتبة مصر هذه المجموعة وجمعتها مع مجموعة مقالات فأصبحت تسمى (ليلة خمر - من حياتي) ولم ندر ما الذي جعلت المكتبة تجمعها في مجلد واحد لأنهما تختلفان في المجال وسنة النشر كذلك حيث نشرت (ليلة خمر) في 1953م ونشرت (من حياتي) في 1958م. ويستغرب القارئ بقول السباعي في مقدمة هذه المجموعة "هذا الكتاب يحتوي على ثلاث مجموعات من القصص القصيرة كل مجموعة يجمعها رابط ويضمها شبه".⁽¹⁾

ولكن الكتاب لا توجد فيه ثلاث مجموعات. يبدو أن مكتبة النشر جمع المجموعتين بدون التغيير في مقدمة (ليلة خمر) التي نشرت قبل ذلك مع مجموعتين أخريين في كتاب آخر. أما الإهداء فهو "إليها .. الملهمة الصغيرة .. الباسطة ذراعيها بأرض الغفير.. النابحة على الغرباء .. الماسحة. برأسها على قدمي في شوق وحنين .. لقد ألهمتني القصة الأخيرة في ساعة عز فيها الوحي واستعصى الإلهام".⁽²⁾

وتحدث الكاتب في مقدمة الكتاب أنه اتهم بأنه حشاش ويتعاطى بعد نشر كتابه (نائب عزرائيل) "وكان أول من اتهمني هو المرحوم الحاج مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية بعد أن قرأ أو قرئ عليه - كتابي (نائب عزرائيل) فأبدى لي إعجابه ثم مال على أذني وسألني هامساً: "هل تعاطيت شيئاً وأنت تكتبه" .. وأنكرت بالطبع .. فلم يبد عليه الإقناع".⁽³⁾

ثم ذكر السباعي أن توفيق الحكيم اتهم كذلك بتعاطي المخدرات "وتعجب توفيق الحكيم .. لأنه لا يعرف كيف يتعاطى تلك المخدرات وهو لا يدخن ولا يشرب القهوة".⁽⁴⁾

(1) ليلة خمر-من حياتي، يوسف السباعي، ص/ 5.

(2) المصدر نفسه، ص/ 4.

(3) المصدر نفسه، ص/ 5.

(4) المصدر نفسه.

ونقل كذلك ما رواه د. طه حسين عن كاتبة فرنسية شهيرة وذكر آراء الكتاب الآخرين عن تعاطى المخدرات قبل الكتابة وفي الأخير تأكد يوسف السباعي لقراءه وأخيراً .. أؤكد لكم مرة أخرى .. أنني لم أسكر مرة واحدة رغم قصة ليلة خمر.

أما القصص فهي عشرة قصص وعناوينها كالتالي:

1. ليلة خمر
2. انتقام
3. قديمة
4. من تحت لفوق
5. الوطن المحتضر
6. نقصوا واحداً
7. ذاكرة لا تغفل
8. هذيان محموم
9. خاتمة المطاف
10. لنا عودة

ركز السباعي على الأمثال من خلال كتابة هذه القصص ففي قصته الأولى (ليلة خمر) يقول "حمداً لله أنني لم أنطلق في حديثي .. كان يحتمل أن تضيعني زلة لسان .. وصدق من قال: "لم يروهم يسرقون .. ورأوهم يتحاسبون".⁽¹⁾ وفي (انتقام) ذكر السباعي المثل (تكون في بقك وتقسم لغيرك) حيث يقول "ما الفائدة في أن أضيع مجهودها سدى؟ إن كل ما استطعت أن أفعله هو أن أقول - في سري - للجاري المسكين: (تكون في بقك وتقسم لغيرك).⁽²⁾

(1) ليلة خمر - من حياتي، ص / 21.

(2) المصدر نفسه، ص / 29.

وفي خاتمة المطاف يقول السباعي "فقد كنت أحس أنه غضب مصطنع
وكنت أشعر كما يقول الإنسان: إن "ضرب الحبيب زي أكل الزبيب".⁽¹⁾
ويقول محمد بن إبراهيم فايح حول هذا المثل "يقول الناس منذ القدم في
أمثالهم الشعبية ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب تعبيراً عن الرومانسية في أبسط
صورها وقبول أخطاء الحبيب".⁽²⁾
استعان السباعي في (قديمية) برباعي عمر الخيام ولكنه أخطأ حين قال
"بالغوا في الحدس حتى حذروا"⁽³⁾ والصحيح (بالغوا في الحدس حتى هذروا) كما
وردت في رباعيات الخيام التي ترجمها أبوه إلى اللغة العربية.⁽⁴⁾

(1) ليلة خمرة-من حياتي ، ص/ 88.

(2) "ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب": محمد بن إبراهيم فايح

(3) المصدر السابق، ص/ 33.

(4) رباعيات، عمر الخيام، ص/ 59.

همسة غابرة

نشرت (همسة غابرة) في 1953م وكتب السباعي عن تسميتها "وأجد فيها نوعاً من الرقة يجعلني أسرها ((همسة غابرة)).. في أذن القارئ.. من همسات الماضي الحالم البعيد".⁽¹⁾

أما الكتاب الذي وجدناه، ففيه مجموعة قصصية ومسرحية. المجموعة القصصية هي (همسة غابرة) والمسرحية هي (أقوى من الزمن). هذه المجموعة تحمل قصصاً تاريخية وهي إحدى ثلاثياته كما سماها بنفسه "وأنا حين أقدمها في هذا الكتاب أضيف تزاماً ثالثاً لكتابتني (هذا هو الحب) و(سَمَّار الليالي) إذ يجمع الثلاثة رسوم مائتانية الرائعة ولوحاته التاريخية المتقنة التي سجل فيها كل سمات العصر ودقائقه وتفصيله ومميزاته".⁽²⁾

تخلو المجموعة من الإهداء وتشتمل على مقدمة وأربع عشرة قصة أمّا القصص فهي:

1. نهاية بطل
2. المرجومة الخالدة
3. كسرى وصاحبه
4. امبراطورية وجواد
5. الجمجمة
6. النبوءة
7. بعد العاصفة
8. ذو اللحية السوداء
9. نهاية قريبة
10. الماء الأسود
11. فنان

(1) همسة غابرة - أقوى من الزمن، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة، ص/ 4

(2) المصدر نفسه.

12. انتصار

13. كارابو

14. الطاغية

وإذا ألقينا نظرة على هذه القصص فنعرف السنوات التي وقعت فيها تلك الأحداث ويقول يوسف السباعي عن بطل قصته في (نهاية بطل).

"كان ذلك عام 1940، عندما حول كولومبس منسجة إلى حانة وكان ابنه الأكبر كريستوف كولومبس لا يزال في السابعة عشرة، فتى قوي الجسد، متين البنيان، يرى فيه أبوه خير عون له".⁽¹⁾

وفي نهاية القصة يؤرخ السباعي الأحداث قائلاً: "وفي نوفمبر 1504 ماتت الملكة ومّرت الأيام بكولومبس فهدمه الكبر وحطمه اليأس وأرسل إلى الملك يطالبه ببعض حقه أو بنصيبه من الذهب الذي تدفق عليهم من الأرض الجديدة فلم يكن نصيبه سوى الإهمال ورقد كولومبس وحيداً في حجرة صغيرة في فالادوليد لا يملك من حطام الدنيا سوى فراش رث يرقد عليه بجسده الذي أفناه في استكشاف الأرض الجديدة .. وفي 21 مايو أغمض كولومبس عينيه وفاضت روحه".⁽²⁾

وفي (المرجومة الخالدة) يذكر السباعي رغبات المرء في عهد الإغريق إذ يقول:

"هكذا خلق الرجل! هو دائماً يريد امرأة أخرى، لا يهمه أن تكون أجمل من الأولى بقدر ما يهمه أن تكون (أخرى) وبقدر ما يهمه أن يركب الصعب في الحصول عليها وأن تكون محرمة عليه ممنوعة عنه — ومن عدة قرون خلت، في عهد الإغريق. وهو عهد من عصور المدنية الزاهرة. نجد ظاهرة من الظواهر قد تبدو لنا الآن على شيء من الغرابة".⁽³⁾

(1) همسة غابرة - أقوى من الزمن، ص/ 5.

(2) المصدر نفسه، ص/ 24.

(3) المصدر نفسه، ص/ 26.

ثم يحدد ذلك العهد الزاهر بالمدنية بقوله: "وافتقد القوم أبللس الفنان العظيم - الرسام الخاص للأسكندر الأكبر - فلم يجدوه." (1)

ونعرف عصر قصته (كسرى وصاحبه) من السطور الآتية:
"كان ذلك منذ آلاف السنين في نحو القرن الرابع قبل الميلاد في عهد كسرى الأكبر امبراطور الفرس وقاهر بابل والدولة الآسيوية." (2)

وفي (امبراطورية وجواد) يصف عهد القصة قائلاً:
"كان ذلك حوالي سنة 521 قبل الميلاد وقت أن كانت مصر وفارس وبلاد الأغر يق مهداً للحضارة وال عمران وكان غيرها قفراً يبابا لا يرى سوى الوحشة والخراب". (3)

تبدأ (الجمجمة) بذكر زمن من أحداث القصة "كانت أراضي التيرول والنمسار والمجر في مستهل القرن السادس الميلادي، مسرحاً لنزاع عدد من القبائل البربرية التي جعلت من هذه المناطق دولتين." (4)

بعد العاصفة قصة حب قبيل ثورة فرنسا في نهاية القرن الثامن عشر وأكّدت الأحداث نبوءة عجوز "رجل استطاع أن يحقق لها نبوءة العرافة لأنه لم يكن سوى نابليون بونابرت يا للعجوز البارعة .. لقد تحقق نبوءتها وتربعت جوزفين على عرش فرنسا .. ولكن بعد أن رملتها العاصفة." (5)

(1) همسة غابرة ، ص / 28.

(2) المصدر نفسه، ص / 35.

(3) المصدر نفسه، ص / 53.

(4) المصدر نفسه، ص / 47.

(5) المصدر نفسه، ص / 75.

يصف السباعي بطل قصة (ذو اللحية السوداء) مع ذكر فترة الأحداث
قائلاً: "ذلك هو إدوار تيتش ملك القراصنة وجبار البحار الشهير بذي اللحية
السوداء .. بدأ تيتش حياة القرصنة في عام 1717م". (1)

وقعت أحداث (نهاية قريبة) في القرن السادس عشر حيث يقول الكاتب:
"كان طريق كوروناري من أبهج شوارع روما وأكثرها ازدحاماً في خلال القرن
السادس عشر." (2)

ويذكر لنا السباعي زمن أحداث (الماء الأسود) حيث يقول: "كان ذلك
في أوائل القرن التاسع عشر، في إحدى قرى ولاية أوريجون بأمريكا الشمالية وكانت
قرية بعيدة يسكنها الهنود الحمر". (3)

لم يذكر الكاتب عن الزمن الذي وقعت فيه أحداث (فنان) ولم يشير إليه
من قريب أو بعيد ولا يختلف فيه نصيب (انتصار) من أخته (فنان) حيث لا نجد
ذكر الزمن على الإطلاق.

ولكن السباعي يعود إلى أسلوبه بعد هاتين القصتين ويذكر في (كارابو)
أنّ الأحداث وقعت في بداية القرن التاسع عشر حيث يقول: "كان ذلك في 3
أبريل سنة 1817م وفي إحدى قرى جلو سترشير علي بعد عشرة أميال من
بات." (4)

وتبدأ (الطاغية) القصة الأخيرة لهذه المجموعة بالجمل الآتية: "في صبيحة
يوم مشؤم منذ عدة قرون وقف أتيليا يحمل سيفاً قديماً علاه الصدا." (5)
فكلماته منذ عدة قرون لا تعطينا فكرة واضحة عن زمن الأحداث إلاّ أنّها
تكفي لتؤكد لنا أنّها قصة تاريخية قديمة.

(1) همسة غابرة - أقوى من الزمن ، ص / 78.

(2) المصدر نفسه، ص / 85.

(3) المصدر نفسه، ص / 96.

(4) المصدر نفسه ، ص / 121.

(5) المصدر نفسه، ص / 133.

وبهذا حاولنا أن نربط الأحداث بالزمن مما أكّد لنا علاقة القصص بالتاريخ
وذكرنا باختصار عن هذه المجموعة خوفاً من إطالة البحث في هذه المجموعة.

ليالي ودموع

نشرت (ليالي ودموع) في سنة 1955م وهي المجموعة القصصية الأخيرة لـ يوسف السباعي. بدأ يوسف السباعي نشر مجموعاته القصصية في 1947م، فكان ينشر كل سنة مجموعة قصصية على الأقل ولكنه لم ينشر في 1954، ثم نشر مجموعته الأخيرة في السنة القادمة. جمعت مكتبة مصر مجموعته الأولى (أطياف) ومجموعته الأخيرة (ليالي ودموع) في كتاب واحد ويجد القارئ المجر على قراءتهما معاً فرقاً شاسعاً بين كتابة السباعي خلال تلك السنوات لأنه قبل كتابة (ليالي ودموع) فكان قد دخل في مجال الرواية ونشرت له الروايات العديدة مثل نائب عزرائيل وأرض النفاق وإني راحلة وبين الأطلال وسقامات الخ من الروايات وكان قد جرب حظه في المجال المسرحي وأنتج مسرحيات رائعة وهي أم رتيبة ووراء الستار وجمعية قتل الزوجات فنجد أن تجربة السنوات وخبرة مجال الرواية والمسرحية غيرت نكهة هذه المجموعة الأخيرة.

ذكر السباعي الأبيات المختلفة في (أطياف) لكنه لم يستعن بالشعر في (ليالي ودموع) إلا بالبيت من قصيدة كليوباترة لـ علي محمود طه حيث يقول في قصته (ليلة حيي): "وهو موزع المشاعر بين اللحن المنبعث والوجه المصفى وكل ما حوله من تعاون على إرهاف حسه والهلب عواطفه والصوت يردد: (يا حييي! هذه ليلة حيي آه شاركتني أفراحي)".⁽¹⁾

وكذلك كان السباعي يستشهد بأمثال فصيحة وعامية لتوضيح مواقف شخصيات قصصه ولكننا نرى أن هذه المجموعة تخلو من هذه الظاهرة أيضاً. أما العامل المشترك في المجموعتين فهو عدد القصص حيث تشتمل كل مجموعة على إحدى عشرة قصة وكذلك تخلو المجموعتان من الإهداء والمقدمة (في الكتاب الذي عثرنا عليه). أما عناوين القصص في (ليالي ودموع) فهي:

1. ليلة بلا ثمن

(1) ليالي ودموع - أطياف، ص/ 52.

2. دموع في ليلة حمراء

3. ليلة حبي

4. نجيب في الظلام

5. موعد في الليل

6. ليلة الثأر

7. دموع الشاعرة

8. الرداء الأخير

9. ليالي الطفولة

10. عفريته الليل

11. دموع الرجل المخيف

قدّم يوسف السباعي آراءه في هذه المجموعة ومن أفكاره في (دموع في ليلة حمراء) حيث يقول "عندما يحب الرجل عشر نساء .. يمتلك العشر .. وعندما يحب واحدة تمتلكه الواحدة." (1)

وفي القصة نفسها يناقش قضية تأثير النساء على الأدباء فيقول: "بل يبدو لي أن المسألة على النقيض وأن أخطر أنواع النساء وأشدهن تأثيراً على الكتاب والفنانين وأصحاب التجارب هن أشدهن سذاجة وبراءة وبساطة." (2) وهكذا انتهينا من تعريف مجموعاته القصصية وحاولنا أن نختصر فيها وننتقل من مجموعاته القصصية إلى ذكر مسرحياته.

(1) ليالي ودموع، ص/ 27.

(2) المصدر نفسه، ص/ 40.

مسرحياته

جرّب يوسف السباعي حظه في مجال المسرحية أيضا فكتب أربع مسرحيات ما بين 1951م و1966م المسرحيات هي:

1. أم رتيبة 1951م.
2. وراء الستار 1952م.
3. جمعية قتل الزوجات 1953م.
4. أقوى من الزمن 1966م.

عثرنا على نسخة مسرحيته أم رتيبة وجمعية قتل الزوجات في مجلد واحد علما أن (أم رتيبة) هي مسرحيته الأولى والمسرحية الأخرى هي المسرحية الثالثة للسباعي.

قد تكون اللغة العامية المستخدمة في المسرحيتين هي السبب الأساسي في جمعهما لأن السباعي قد كتبهما في اللغة العامية المحلية ويبدو أن السباعي كان من مؤيدي العامية في تلك الفترة حيث يقول في مقدمة (أم رتيبة) "وثمة شئ أريد أن أقدم له.. وهو أنني كتبتها باللغة العامية.. إن من الجنون أن أحاول إنطاق أبطالها بالعربية فأرجو من أنصار اللغة العربية أن ((يصهينوا شوية)) ويتسامحوا معي قليلا.. فالمسامح كريم"⁽¹⁾ وكان السباعي يعتقد أن المسرحيتين تؤامان كما يظهر من إهداءه لـ (جمعية قتل الزوجات) حيث يقول "إلى النقاد الذين أثارتم ((أم رتيبة)).. واتهموني بالإسفاف والتهريج.

أهدى مزيدا من الإسفاف والتهريج"⁽²⁾

والسبب الثاني في جمع المسرحيتين أنهما مسرحيتان فكاهيتان حيث أهدى السباعي أم رتيبة إلى والدته بهدف إسعادها "لا أحاول أن أرد بها جميلا سابقا فجميلها أجل من أن يرد ولكني أرجو أن أهب لها لحظات ضحك تسرى بها عن

(1) أم رتيبة - جمعية قتل الزوجات، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة، ص/ 8.

(2) المصدر نفسه، ص/ 139

نفس بكية. فياضة الدمع. هامية المآقي" (1) وذكر السباعي في مقدمة هذه المسرحية أيضا أن هدفه من كتابة (أم رتيبة) هو إضحاك القارئ "وأرجو بعد كل هذا ألا تخذلني (أم رتيبة) فتضحك القارئ كما أضحككتني.. فإذا فشلت فليعذرني.. لأن إبكاءه قد يكون يسيرا.. أما إضحাকে فهو أمر جد عسير" (2).

ولا يختلف الأمر في مقدمة (جمعية قتل الزوجات) حيث يخاطب السباعي قراءه مؤكدا أهدافه من كتابة تلك المسرحية "فإذا كنت يا أخي القارئ ((غلبانا)) مثلي ومثل بقية الناس الذين أرهقتهم أيامهم من أمرهم نصبا وعسرا وأردت أن تخفف عنك بعض هذا النصب والعسر فاقراً هذه المسرحية.. قد تفلح في منحك بعض الراحة والتسلية." (3)

والغريب أن المسرحيتين كتبتا في اللغة العامية ولكن الإهداء والمقدمة فيهما في اللغة الفصحى وهو التناقض الغريب في شخصية كاتبهما - ما الذي يمنعه من أن يخاطب قراءه بلغة ملاءمها مسرحيته وما الذي أجبره أن يخاطبهم بلغة سخر بها في مقدمة (أم رتيبة) ولخص أحمد إبراهيم الشريف قصة أم رتيبة بقوله "وتقوم المسرحية على قصة أخوين رجل وامرأة أما الرجل فقد كان يشتغل مدرسا للخط العرب ثم أحيل على المعاش فاشتغل بتحضير الأرواح.. وقد قطع حياته عازبا وكان يرى أن الزواج هو سبب الشقاء والبلاء وسبب خراب البلاد والعباد وأما المرأة فهي (أم رتيبة) التي كان أخوها هذا عاتقا دائما لها دون الزوج فقد خطبها الكثيرون وتم رفضهم جميعا لما كان يراه في أمر الزواج حتى بلغت الخامسة والأربعين وهي بين الحسرة والأسف واللهفة على الزواج الحبيب والولد النجيب" (4).

أما مسرحية (وراء الستار) فنشرها السباعي في 1952 وهي مسرحيته الثانية وكتبها في اللغة العربية الفصحى وكشف الستار عما يحدث في مكاتب

(1) أم رتيبة - جمعية قتل الزوجات، ص/ 6.

(2) المصدر نفسه، ص/ 8.

(3) المصدر نفسه، ص/ 141.

(4) مع الساخرين.. يوسف السباعي.. أم رتيبة (مقال) أحمد إبراهيم الشريف السبت 11 يونيو 2016

الصحافة وتحدث عن علاقتها بالأحزاب السياسية وكتب عن دور الصحافة في إرضاء الحكومات وفي إسقاط الوزارات وأهداها إلى نقيب الصحفيين فكري أباطة باشا وفي مقدمتها ذكر السباعي أن المسرحية تختلف في موضوعها لأنها تسلط الضوء على الذين يسلطون الضوء على الآخرين وينشرون حياة الآخرين وخبايا صدورهم ولكن أحدا لم يحاول أن يكشف الوجوه الحقيقيين للصحفيين ويكتب عن استغلال أصحاب المجلات ومصالحهم الشخصية "ماذا دعاني إلى المغامرة بتسليط الضوء على منابع الضوء وإلى محاولة كشف من بأيديهم وسائل الكشف؟ أقصد بذلك فحص داء علاج علة؟! أقصد إقامة معوج وإصلاح فاسد وهداية ضال وإظهار خطأ وتوضيح صواب؟!... فهذه المسرحية هي انطلاق فكرة".⁽¹⁾

ويوافقه عباس خضر في مقاله عن هذه المسرحية بقوله "انفعلت بهذا الموضوع انفعالا شديدا لأنني لابتست جوه، وبلوت المر من ثمر، فعرفت ماوراء كواليس الصحافة، ولم أستطع أن أوفق بينها وبين أي اتجاه موضوعي أقصد إليه كنت مثل خالد من بعض الوجوه - وضع المؤلف الصحافة على مسرحه قصته هذه، وسلط الضوء على مواطن الداء فيها، وقدم لنا من الصحفيين نماذج لا تزال بيننا حية ترزق".⁽²⁾

ترك السباعي مجال الفن المسرحي بعد جمعية قتل الزوجات في 1953 ولم يكتب مسرحية أخرى لثلاث عشرة سنة تقريبا وعاد إلى كتابة المسرحية بمسرحيته الرابعة أقوى من الزمن في سنة 1966 مؤيدا بناء السد العالي في أسوان ونشرت مكتبة مصر، القاهرة هذه المسرحية مع مجموعة قصصية للسباعي وهي همسة غابرة ولا ندري ما الذي جعل صاحب هذه المكتبة أن يجمع بينهما وأهدى السباعي عمله إلى عماله وإلى قيادة بلاده إذ يقول "إلى الذين جعلوا من الأمنية حقيقة.. ومن الأغنية واقعا ملموسا

إلى الذين قالوا ((حانبي السد)) وبنوه

(1) وراء الستار، يوسف السباعي، لجنة النشر للجامعين، مكتبة مصر، القاهرة، ص/ 7.

(2) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 110.

إلى أصحاب المعجزة

إلى القائد بعزيمته وصلابته وإصراره

والشعب بقدرته وجلده وصبره

الذين قدموا الدليل على إرادة الإنسان وتفوقه المطلق في هذه الأرض"⁽¹⁾ وتشتمل هذه المسرحية على ستة فصول وعدد صفحاتها ما يقارب مائة وخمسون صفحة وتحدث د. طه حسين عن هذه المسرحية ولخصها في مقاله وتحدث عن الحب بين عمر المهندس المصري ومريت ابنة فرعون إذ يعلق بقوله:
"والحب الذي ابتكره كاتبنا في هذه القصة التمثيلية غريب حقا فهو يثور فجأة بين شخصين لا يمكن أن يجتمعا إلا في الخيال، أحدهما مهندس مصري معاصر يعمل في بناء القناة والشخص الثاني فتاة مصرية أيضا ولكنها عاشت منذ آلاف السنين وهي مريت بنت أحد الفراعنة الذين ملكوا مصر في عصر من أقدم عصور التاريخ المصري القديم"⁽²⁾ ونكتفي بهذا القدر من التعريف لمسرحياته وننتقل إلى مجموعات مقالاته.

(1) همسة غابرة - أقوى من الزمن، ص/ 145

(2) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 48.

مقالاته

جمع يوسف السباعي مقالاته في ثمانية كتب حيث نشر (أيام تمر) في 1957 وكان أيام جمال عبد الناصر آخر كتبه في هذا الموضوع، نشرته مكتبة الخانجي، القاهرة في 1971 حاولنا العثور على مجموعاته واستطعنا أن نحصل على كتابين فقط وهما "من وراءهم الغيم" و"من حياتي" أما الكتب الأخرى فكانت غير متوفرة في بلادنا ولم نستطع الحصول عليها من مصر أيضا فالكتب هي:

اسم الكتاب	سنة النشر	الناشر
أيام تمر	1957	الشركة العربية
من حياتي	1958	الشركة العربية
لطمات ولثمات	1959	المكتب التجاري بيروت
أيام مشرقة	1961	مكتبة الخانجي
أيام وذكريات	1961	مكتبة الخانجي
أيام من عمري	1962	مكتبة الخانجي
من وراء الغيم	1970	مكتبة الخانجي
أيام جمال عبدالناصر	1971	مكتبة الخانجي ⁽¹⁾

نشرت مكتبة مصر (من حياتي) مع المجموعة القصصية (ليلة خمرة) ولا نعرف سبب جمعها في مجلد واحد وقد يكون السبب أن صاحب مكتبة مصر عد هذا الكتاب من ضمن مجموعات يوسف السباعي القصصية⁽²⁾ وكان يرى الأستاذ غالي شكري أنه مجموعة مقالات فذكره في "الفكر والفن في أدب السباعي" في كتب المقالات ومن خلال قراءة مقدمة (من حياتي) نفهم أن الكتاب جزء من أدب السيرة الذاتية لأن السباعي تحدث فيه عن طفولته ورسوبه في الامتحان وضعفه في اللغة الإنجليزية ويخبر قراءه أنه كيف تعلم السباحة وتحدث عن أمه

(1) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 338.

(2) من وراء الغيم، يوسف السباعي، مكتبة مصر، ص/ 314.

وخوفها من ركوب أبنائها الدراجة الخ من الموضوعات التي تخص حياة الكاتب يوسف السباعي وفي مقدمة الكتاب يخاطب السباعي قراءه بقوله "إن حياة الكاتب ليست ملكا خاصا به.. بل هي ملك مشاع بين القراء... ولا يمكن حجبها عنهم وهم إن لم يلتقطوها متناثرة في كتاباته... قدمها إليهم النقاد مكشوفة في تراجمه... وأنا هنا أقدم لكم قطعا من حياتي اقتطفها كما هي وألقى بها إليكم عارية مجردة... لا أثر فيها لخيال قاص أو ابتكار مؤلف... ويدي لا بيد عمرو". (1)

أما (من وراء الغيم) فهي مجموعة مقالات سياسية كتبت بعد حرب حزيران 1967 ودون يوسف السباعي تاريخ الكتابة في نهاية كل مقال حيث نجد أن المقال الأول (مع نفسي) قد كتب في 21 يولييه 1969⁽²⁾ وكتب المقال الأخير (لكي يكون الوقت في صالحنا" في 19 من فبراير سنة 1969" هذه كلمات أطلقتها انفعالات ما بعد النكسة كلمات تطلق من وراء الغيم وقتامة الكنسة تخيم علينا وكآبتها تغمر نفوسنا ونحن نحاول أن نصلب عودنا ونلم شملنا ونشد أزرنا، لنخطو إلى الأمام من جديد متجاوزين بالصبر والعمل الجاد كل أسباب النكسة وآثارها لننتقل في أفق ينقشع منه الغيم وتشرق الشمس من ورائه لنحقق لشعبنا العربي انتصارا على كل عدوان على أرضه وآماله ونهيئ له الحياة الحرة الكريمة التي يشارك بها في إقرار سلام العالم وإثراء حضارة الإنسان". (3)

(1) ليلة خم - من حياتي، ص/ 109.

(2) من وراء الغيم، ص/ 14.

(3) من وراء الغيم، ص/ 3.

أدب الرحلات

سافر يوسف السباعي إلى البلدان العربية والأجنبية المختلفة لأسباب مختلفة ومنها سفره لمعالجة ابنه اسماعيل إلى انكلترا وكانت أسفاره الأخرى بحكم وظيفته وتوليه المناصب المختلفة في الحكومة ومنها سفره إلى إسرائيل مع رئيس الجمهورية وكان كثيرا الأسفار بين قارتي آسيا وأفريقيا للمشاركة في المؤتمرات المختلفة فخصص كتاب للحديث عن بعض أسفاره فسماه (طائر بين المحيطين) فذكر الأحداث الهامة وتكلم عما يدور بين أعضاء المؤتمر وذكر عن تعب السفر "وتعب الطائرة تعب غريب عشر ساعات ما بين إغفاء واستلقاء واسترخاء وسرحان وقراءة وأكل وشرب وثرثرة وممارسة كل مظاهر العطلة والفراغ ومع ذلك لا تكاد تنتهي الرحلة ويهبط الإنسان من الطائرة ويستقر على الأرض حتى يشعر بفرط الإرهاق وشدة التعب ولا يعود لديه من أمل أكثر من أن يخلع ملابسه ويغتسل ثم يتمدد على فراش"⁽¹⁾ ووضع السباعي بعض أسماء الفصول باسم المدن والدول التي زارها ومنها. إلى وينبا والمرافق على كتفه! وشروود على شاطئ الأطلنطي وذكريات من أديس أبابا ووداعا.. كليمنجارو وفي الطريق إلى كوبا والتفاهم على الطريقة الأذربيجانية وأنا وعقرب الساعة.. وفي روما وبالده كوتا إلى تونس وفي اليمن.. مع إخوتي في الكاكي وعابر سبيل في بيروت وهانوي بلد المعارك... والابتسام والغناء وفي سمر قند الخ.

وأهدى السباعي هذا الكتاب إلى الأديب الكبير توفيق الحكيم بقوله:
"قال لي الأستاذ توفيق الحكيم... عندما تكتب في السياسة لا أقرأ لك...
وأنا هنا أهديه شيئا للقراءة..."⁽²⁾

وبهذا قد انتهينا من تعريف أعمال يوسف السباعي غير الروائية وقد شرحنا في هذا الفصل قصصه القصيرة وكتبنا باختصار عن مسرحياته ومجموعات مقالاته وفي الأخير تحدثنا عن أدب الرحلة عند يوسف السباعي ومنتقل الآن إلى الباب

(1) طائرة بين المحيطين، يوسف السباعي، مكتبة مصر، ص/ 21-22.

(2) المصدر نفسه، ص/ 3.

الثاني ونتحدث فيه عن أعماله الروائية ونعرف كل رواية كتبها يوسف السباعي ونحاول الوصول إلى أسباب كتابته بتلك الروايات.

الباب الثاني

روايات يوسف السباعي

الباب الثاني: روايات يوسف السباعي

الفصل الأول: روايات يوسف السباعي التاريخية

الفصل الثاني: روايات يوسف السباعي الاجتماعية

هذا هو الباب الثاني وتكلم فيه عن روايات يوسف السباعي ونلخص ما قدّم من الأعمال في هذا المجال وكتب يوسف السباعي ست عشرة رواية ونقسمها إلى فصلين.

الفصل الأول هو عن روايات يوسف السباعي التاريخية والفصل الثاني يشتمل على رواياته الاجتماعية.

الفصل الأول: روايات يوسف السباعي التاريخية

كما ذكرنا أننا في هذا الفصل نتكلم عن الروايات التاريخية للسباعي وهي سبع روايات وربط الكاتب الأحداث التاريخية في تاريخ مصر المعاصر في رواياته بداية من ثورة 23 يوليو 1952م، في روايته رد قلبي إلى حرب الاستنزاف في نهاية 1969م وبداية العام 1970م في روايته العمر لحظة. يحسن بنا أن نذكر الروايات مع سنة إصدارها قبل الحديث عن مفهوم الرواية التاريخية فالروايات هي:

1. رد قلبي 1954م.
2. طريق العودة 1956م.
3. نادية 1956م.
4. جفت الدموع 1961م.
5. ليل له آخر 1963م.
6. ابتسامة على شفثيه 1970.
7. العمر لحظة 1973.

وننتقل الآن إلى مفهوم الرواية التاريخية فيقول د. أحمد هيكل هي: "الرواية التي تتخذ مادتها الأساسية من التاريخ"⁽¹⁾ وورد في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب عن الرواية التاريخية "سرد قصصي يدور حول حوادث تاريخية وقعت

(1) الأدب القصصي المسرحي في مصر، د. أحمد هيكل، ط/ 4، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص/ 242.

بالفعل وفيه محاولة لإحياء فترة تاريخية بأشخاص حقيقيين أو خياليين أو بهما معا ومن أشهر هذا النوع من الأدب العربي الحديث روايات جرجي زيدان وبعض روايات نجيب محفوظ".⁽¹⁾

ويرى د. سعيد علوش أنّ المراد بالرواية التاريخية هو "سرد قصصي يرتكز على وقائع تاريخية تنسج حولها كتابات تحديث ذات بعد إيهامي معرفي. وتنحو غالباً إلى إقامة تعليمية وتربوية"⁽²⁾، ونعلم أن السباعي لم يكتب هذه الروايات لوظيفة تربوية ولكن الذي أدريه وأوقن به، هو أنني قد أدّيت واجبا كنت أشعر به يلح على نفسي وألقيت عبئا كنت أحس به يثقل كاهلي⁽³⁾، وهذا يعني أن الكاتب كان يشعر بمسؤولية كبيرة لكتابة الروايات التاريخية لأنه قال عن روايته (رد قلبي) وفي مقدمتها، لم أكن أخشى في أوقات المرض أو التفكير في الموت إلا أن أموت قبل إتمامها، لقد كنت أخشى عليها أولاً ثم على زوجتي وأمي وأولادي⁽⁴⁾.

ويشرح لنا د. أحمد هيكل في حديثه عن الرواية التاريخية من حيث الهدف فقسم الرواية التاريخية إلى قسمين:

1. الرواية التاريخية التعليمية

2. الرواية التاريخية القومية

فيوضح قائلاً "الرواية التي تتخذ مادتها الأساسية من التاريخ إما أن تقصد إلى تعليمه ويكون صبه في القالب الروائي لإساغته وتحسين عرضه وهذه هي الرواية التاريخية التعليمية. وقد عرفنا اللون الأول في الفترة السابقة على يد جرجي زيدان

(1) معجم المصطلحات العربية والأدب، مجدي وهبة-كامل المهندس، ط/ 2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص/ 184.

(2) معجم المصطلحات المعاصرة، د. سعيد علوش، ط/ 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985، ص/ 103.

(3) رد قلبي، ص/ 8.

(4) المصدر نفسه.

الذي قدم سلسلة من الروايات التاريخية التعليمية دون إحساس قومي أو هدف وطني". (1)

ويشير د. عبدالبديع عبدالله إلى هذا الأمر عندما تكلم عن تأثير الحركة الواقعية والرومانسية على أدباء العرب لأننا كما نعلم أن الرومانسيين أكثر رغبة في موضوعات تاريخية واجتماعية، ونتكلم عنهم في الباب الثالث بالتفصيل فيقول ولأمرما تجاهل هؤلاء الأدباء الحركة الواقعية الأوروبية التي كانت قائمة حينذاك واختاروا التيار الرومانسي فظهر تيار الرواية التاريخية وكان من رواده جرجي زيدان وتابعه على نحو أكثر تطوراً ونضجاً بعد ذلك محمد فريد أبو حديد، وعلي الجارم ومحمد عوض محمد.. وهي أعمال تختلف اختلافاً جوهرياً عن تلك الروايات التي كتبها جرجي زيدان قبل ذلك. (2)

فوجدنا أن د. عبد البديع عبدالله يجعل الكاتب الروائي محمد فريد أبو حديد على رأس القائمة الثانية وتختلف هذه المجموعة في أسلوب كتابتها للرواية التاريخية اختلافاً جوهرياً مما ألفه جرجي زيدان.

ويرى د. أحمد هيكل أن الفارق الأساسي ما قدمه جرجي زيدان وما ألفه محمد فريد أبو حديد ونجيب محفوظ هو هدف قومي وإحساس وطني وفي هذه الفترة التي يساق عنها الحديث ظهرت روايات تاريخية منها ما يعتبر خطوة نحو اللون القومي ومنها ما يعتبر البداية الأولى لهذا اللون أما العمل الذي يمثل خطوة نحو الرواية التاريخية القومية، فهو (ابنة المملوك) لمحمد فريد أبي حديد وأما العمل الذي يمثل بداية الرواية التاريخية القومية فهو عبث الأقدار لنجيب محفوظ. (3)

ونستنتج من هذا البحث في الفرق بين أسلوب الرواية التاريخية أن الهدف الوطني وإحساس قومي هو الذي يفرق بين الأسلوبين فننقل ما عرفه د. أحمد هيكل الرواية التاريخية القومية حيث يقول إنها "تقصد إلى إحياء الماضي وتمجيده

(1) الأدب القصصي والمسرحي في مصر، ص/ 242.

(2) رواية الآن دراسة في الرواية العربية المعاصرة، د. عبدالبديع عبدالله، ط/ 1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1990، ص/ 9.

(3) المصدر نفسه، ص/ 242-243.

ويكون عرض التاريخ في قالب روائي خدمة لهدف قومي أو تعبيراً عن إحساس وطني وهذه هي الرواية التاريخية القومية". (1)

فالهدف القومي والشعور بالمسؤولية هما أساسان للرواية التاريخية القومية ومنتقل إلى حوار جرى بين السباعي والصحفي يوسف الشاروني فسأله عما يهدف من كتابة الرواية التاريخية فأجاب يوسف السباعي بقوله "الظروف حملتني مسؤولية أن أعيش في تجربة هي تجربة العمر والقدر جعلني قادراً على التعبير عن هذه التجربة إذا لم أعبر عن هذه التجربة اعتبر أنني تخليت عن مسؤوليتي.. والغرض من كتابتي الرواية التاريخية هو تضمين أدبنا القصصي واقعا من الممكن أن يغفل وذلك بالأسلوب الذي عرفناه في قصة مدينتين التي سجلت الثورة الفرنسية وغيرها من الثورات". (2)

فالسباعي الذي ألف رواياته بهدف قومي وشعر مسؤولية كبيرة نحو كتابة الأحداث حتى جعلها أقرب إليه من أسرته من خلال كتابة رد قلبي -روايته الشهيرة- فبذلك يعد السباعي من أدباء الرواية التاريخية القومية وهو الذي خصص سبع روايات لها علاقة بمصر وفلسطين وسوريا فهو كاتب ألف ما شعر نحو القضايا الوطنية والقومية وأدى واجبه الذي أثقل كاهله.

(1) رواية الآن دراسة في الرواية العربية المعاصرة، ص/242-243.

(2) الروائيون الثلاثة، ص/ 190.

1. رد قلبي

نشر يوسف السباعي هذه الرواية في سنة 1954م وقسمها إلى جزئين وتبدأ أحداث القصة في العقد الرابع من القرن الماضي في مملكة مصر وتنتهي في 1953م بعد اعلان جمهورية مصر ومن ثم إصدار مجلس قيادة الثورة بمصادرة أموال وممتلكات أسرة محمد علي ورد أموال (أحمد عرابي) لورثته. (1)

ذكر د. طه حسين في مقاله أن الرواية طويلة وعدد صفحاتها كثيرة إذ يقول "هذه هي القصة التي أهداها إلى الأستاذ يوسف السباعي منذ أسابيع والتي أنفقت في قراءتها وقتا ليس أقل منها طولا فهي لا تقرأ في يومين ولا في أيام قليلة وإنما تقرأ في الأيام الكثيرة وفي الليالي الكثيرة أيضا لأنها أطول من شهر الصوم، وأشهد أنني رضيت عن نفسي حين رأيتني أفرغ من قراءة الصفحة الحادية عشر بعد المائتين والألف وكنت أقدر أنني لن أبلغها". (2)

أما النسخة التي وجدناها فعدد صفحاتها سبعمائة وستون صفحة وكتب السباعي هذه الرواية في أربعة وستين فصلا وخصص خمسة وثلاثين منها للجزء الأول وكان من نصيب الجزء الثاني تسعة وعشرون فصلا ومن خلال قراءة القصة نستطيع أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام كما أشار إليه د. طه حسين أيضا في مقاله (المطولة.. رد قلبي). القسم الأول هو قصة حب بين ابن جنابني على عبدالواحد وأميرة أنجي ابنة أمير اسماعيل وهذا القسم يأخذ معظم صفحات الرواية والقسم الثاني يشتمل على حياة الضابط العسكري دخل المدرسة الحربية وفيها تفاصيل كثيرة عن التدريب العسكري وذكر من خلال أحداثها حياة الجيش في الثكنات وكتب السباعي فيها عن الصعوبات التي يواجهها الجنود والضباط من خلال المعارك وسجل التاريخ العسكري للجيش المصري وعن هذا القسم يقول د. طه حسين "ينفع العقل أكثر ما يمس القلب.. ولكنه نافع ممتع لأنه يظهر مثلك ومثلي من

(1) رد قلبي، يوسف السباعي، 2 / 728.

(2) نقد وإصلاح، د. طه حسين، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013، ص/ 63-64.

الذين لا يعرفون شؤون الجيش ولا حياة الضابط على حقائق من الخير لهم أن يعرفوها". (1)

والقسم الثالث يشتمل على ذكر أحداث السياسة والسياسيين قبل اندلاع الثورة وحرب فلسطين وبين فيه الكاتب وجهة نظر الجيش نحو سياسة القصر نحو الشعب والانجليز وتقدير السياسيين لأداء واجباتهم الوطنية ومن ثم ذكر أحداث الثورة وما خلفت من تأثير على المجتمع المصري وتكوينه الثقافي والاقتصادي الجديد بعد تسلم قيادة الثورة البلاد، أما شخصيات القصة الرئيسية فهي أسرة البطل:

- علي عبدالواحد بطل القصة.
- حسين عبدالواحد أخو علي.
- عبدالواحد والد علي ورئيس بستاتين القصر.
- ام علي لم يذكر الكاتب اسمها.
- بهية ابنة خالة علي التي تسكن معهم.

ومن أسرة البطلة:

- أنجي بطلة القصة وأميرة القصر.
- الأمير اسماعيل أمير القصر ووالد أنجي.
- الأمير علاء أخو أنجي

وشخصية سليمان زكي وهو رمز الثورة، صديق علي عبدالواحد وزميله منذ أيام المدرسة أما بطل الرواية علي عبدالواحد فشخصيته قريبة جدا من شخصية السباعي نفسه فأحداث القصة تؤكد ذلك وأنجي بطلة القصة هي السيدة دولت زوجة السباعي، فأكدت السيدة دولت ذلك في حوارها مع نعم الباز حيث تقول "يوسف بطل إني راحلة في خطوبتنا وهو أيضا أحمد في رد قلبي فقد حكى فيها قصته في الكلية الحربية وتفاصيل الحياة فيها وبدأ الصراع في التفكير في الثورة على الأوضاع". (2)

(1) نقد وإصلاح، ص/ 67.

(2) زواجهم وأنا، ص/ 65.

ويبدو أن هناك خطأ في اسم أحمد إذ أننا لا نرى اسم أحمد من خلال دراستنا لهذه الرواية و ثم من غير المعقول أن يجعل حبيبته بطله القصة وليس له دور رئيسي في الرواية. وهناك كثير من الأدلة التي تثبت موقفنا لكننا نكتفي بهذا القدر من الحديث لننتقل إلى القصة مباشرة.

ومن خلال قراءة القصة نستطيع أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام كما أشار إليه أيضاً د. طه حسين في مقالته المطولة رد قلبي، الأول هو قصة حب بين ابن جنائني علي عبدالواحد وأميرة انجي ابنة أمير اسماعيل وهذه القصة تأخذ معظم صفحات الرواية والقسم الثاني يشتمل على حياة الضابط العسكري الذي دخل الكلية الحربية وفيها تفاصيل كثيرة عن التدريب العسكري وذكر السباعي من خلال أحداثها حياة الجيش في الثكنات وكتب عن الصعوبات التي يواجهها الجنود والضباط من خلال المعارك وسجل التاريخ العسكري للجيش المصري والقسم الثالث يشتمل على ذكر الأحداث السياسية وقرارات السياسيين قبل اندلاع الثورة وبيان وجهة نظر الجيش نحو سياسة القصر وتقصير السياسيين لأداء واجباتهم ومن ثم ذكر أحداث الثورة وما خلفت من تأثيرها على المجتمع المصري.

تبدأ أحداث الرواية في إحدى ضواحي القاهرة حيث كان عبد الواحد يشتغل عند الأمير إسماعيل رئيساً لبساتين القصر وكان يسمى الباشا جنائني وكانت ابنة الأمير تلعب في الحديقة مع مربيته لأن زوجة الأمير قد توفيت واصطحب عبد الواحد ابنه معه إلى العمل كان الصبيان هما علي وحسين ولدا الرئيس عبد الواحد وقد انتهز الرجل فرصة عطلتها من المدرسة ومرور الأمير على السوبة والمشتل فأحضرهما علة يراهما فيغدق عليهما بعض منحه وعطاياها.⁽¹⁾

وكان والدهما يطلب منهما أن يقبلا يد الأمير فلذا كان عليا يكره الذهاب مع أبيه لكنه رافقه ذلك اليوم لإرضاءه. سمع الأمير صرخة المربية فانتبه إلى الأمر واندفع والجمع وراءه إلى خارج السوبة ليقع بصرهم على التروولي ينحدر مندفعاً بالصبية الصغيرة بعد أن فكت الرباط الذي كان يربطه كانت العربة الحديدية تندفع

(1) رد قلبي، 1 / 11.

بقوة الانحدار ولم يكن هناك من سبيل لوقفها.. كان المصير واضحا للأذهان.. اندفع الشبح الصغير من بين الغاب كأنه صاروخ.. فوصل إلى قضبان الترولي في اللحظة الأخيرة ووقف بجسده الصغير معترضا طريق العربة المندفعة وصدمته العربة واندفع جسده يطوى الطريق أمامها حادا من سرعتها رويدا رويدا حتى توقف الجسد ووقفت العربة ووصل الجمع المندفع إلى حيث توقفت العربة قبل أن تصل إلى الطريق وهجم الأبوان كل يتحس ولده ويرى ما أصابه" (1) ومن هنا بدأ اهتمام أنجي بعلي الذي أنقذ حياتها من الموت المؤكد وبعد هذا الحادث بدأ الاهتمام من الجانبين غير أن عليا كان ينجل من مقابلتها بعد ما بعد عرف أنها رأت بنطلونه المرقع، مَرَّ الزمن وهما على هذه الحال حتى أكمل علي الثانوية فقدم أوراقه للمدرسة الحربية وعندما كان عائدا منها فرأته أنجي وطلبت منه أن يرافقها في سيارتها لأنَّ أسرة علي كانت تسكن قرب القصر، خجل علي من مرافقتها من جهة وكان خائفا من جهة أخرى لأنهما من الطبقتين المختلفتين لكنه ركب سيارتها وخلال هذه الرحلة القصيرة عرف أنها تهتم به وتجبه ففرح جدا بهذه المفاجأة ومن خلال الحديث عرفت أنجي أنه يحتاج إلى الوساطة للمقابلة الأخيرة فقررت أن تتكلم مع والدها لترد عليه الجميل فتحدثت إلى والدها فانددهشت من رده إليها "أنا أرجو أحدا من ذوي الشأن؟ لأجل ابن الرئيس عبد الواحد حتى يكون ضابطا؟ أمجنونة أنت؟ ماذا يدعو هذا الجنائبي الغبي إلى أن يستقدم بانه إلى المدرسة الحربية ومن ذا يعمل في الحقائق إذا كان كل أولاد الجنائية سيتعلمون". (2)

وشاءت الأقدار أن يوصي الأمير لعلي لأنه كان يكره ألا يلبي حاجة ابنته فلما رجع إلى البيت فعرف أن أنجي في غرفتها ولم تنزل للعشاء فقال قل لها أن تمبط لأني سأعرف كيف أزيل صداعها. لقد لببت رجاءها أو على الأصح. لقد لبي القدر رجاءها. (3)

(1) رد قلبي، 1 / 24.

(2) المصدر نفسه، ص / 115.

(3) المصدر نفسه، ص / 119.

فقبل في المدرسة الحربية والتحق أخوه حسين أيضاً في كلية البوليس ففرحت العائلة بهذه المصادفة لتضمن بها مستقبل ابنها وبدأ الحب بين بهية وحسين وهي ابنة خالتهما تسكن معهم بعد وفاة والدتها وعرفت بهية أنها تحب حسين أكثر من علي "وهمست (بهية) لنفسها وهي تنظر إليه في حب منطو في جوانحها والله ليس هناك خير منك.. حتى ولا علي.. بكل ما فيه من خير".⁽¹⁾

ودخل على المدرسة الحربية وتدرّب فيها وشرح الكاتب بالتفصيل الحياة العسكرية بأيامها ولياليها "مرّت الأيام الأولى في المدرسة الحربية دون أن يشعر كيف مرت فقد كانت المشاغل تأخذ بخناقها فلا تعطيه فرصة لتفكير أو شرود.. وتصل إلى أذنيه نوبة نوم طويلة هادئة.. وهو يحس أنها الفرصة الوحيدة في خلال ست عشرة ساعة مضت الذي يتهيأ فيها لجسده استقرار على ظاهر الأرض".⁽²⁾ استمرت اللقاءات بين الحبيبين بين فترة وأخرى "لم تفارقيني لحظة، كنت في رأسي وفي قلبي وفي عيني.. كنت في دمي.. كنت أراك في وردتك التي أعطيتها لي آخر مرّة والتي استقرت أوراقها الجافة في درجي تحمل إلى عبيرك".⁽³⁾ ومات الملك خلال فترة تدريب علي في مدرسة وشارك الطلاب وانشق طابورهم نصفين ليصطفوا على جانبي الطريق ووضعوا بنادقهم منكسة على أقدامهم وأحنوا رءوسهم والنعش الملفوف في العلم الأخضر يمر بينهم.⁽⁴⁾

تخرج علي في المدرسة في سنة 1937 وعين في سلاح السوارى وعرفت عائلة أنجي عن علاقتها بعلي وكان أبوها يكره أن تقابل ابنته ابن الجنائى "ابنتى أنا تركب مع ابن الجنائى كان يجب أن أحطم رأسك قبل أن تفعلنى هذا.. ولكن

(1) رد قلبي، ص/ 130.

(2) المصدر نفسه، ص/ 142.

(3) المصدر نفسه، ص/ 172.

(4) المصدر نفسه، ص/ 246.

سأعلمك كيف تتصرفين كابنة أمير" (1) وفصل عبد الواحد والد علي من وظيفته عقابا.

واستمرت العلاقات بين الحبيبين عبر الرسائل واللقاءات الخاطفة أحيانا حتى عرف أخو أنجي بذلك فهدد الأب ابنته بضياح مستقبل علي "وكان عليها أن تطيع الأمر.. لا خوفا على نفسها بل عليه هو.. فلقد أصر أخوها بكل ما فيه من حقد ونزق وجنون على أن يقتله إن رآها معه أو عرف أنه مازال على صلة بها وأصر أبوها بكل ما فيه من قسوة.. على أن يضيع مستقبله إن لم ينته كل ما بينهما". (2)

كنمت أنجي علاقتها بعلي ولم تخبره عن هذه الأحداث فاستغرب علي على انقطاعها المفاجئ وصبر إلى فترة وتأثرت حالته النفسية بذلك فساعده أخوه حسين ودبر أن يوصل رسالته إلى أنجي فكتبت إليه عمّا حدث وأنها تحبه كذلك ولكن الرسالة لم تصل إلى علي حيث اطلّعت عليها كريمة إحدى الزاقصات المشهورة وكانت تحبه وترغب فيه لكن عليا لم يكن يرغب فيها فأحرقت الرسالة حتى تدفن حبه لأنجي وتقطع كل صلة بينهما.

"إذا فهذه قصة المجنون بليلاه كما تسردها رسالتها التي منحتها بها مزيداً من أمل!.. هي أيضا تحبه.. لقد أحبته من اللقاء الأول.. من النظرة الأولى.. وكان ممكن أن يحبها لولا أن الأخرى كانت أسبق منها إليه... فشدهته بخيطها الوهمي.. الذي تسميه أملا... وبعد لحظة... أنت النيران على بقية الرسالة... أو على بقية الأمل... ولم يسبق من هيكلها سوى رماد تذرره الرياح". (3)

اقترب علي من كريمة بعد محاولات اللقاء الفاشلة مع أنجي ولم يكن يحبها ولكنه كان يشبع بها غريزته الجنسية وكان يبحث عن الاستقرار فيها. حاول الأمير اسماعيل إبعاد علي عن القاهرة إلى المناطق الحدودية ولم يستطع سلاحه أن يمنع

(1) رد قلبي، ص/ 293.

(2) المصدر نفسه، 2 / 531.

(3) المصدر نفسه، 2 / 544-546.

نقله خارج القاهرة لكنه لم يرسل إلى الحدود بل دبر سليمان ذكي زميله القديم أن ينقل إلى سيوه.

ولم يسمح له العودة إلى القاهرة وقضى فترة خلال الحرب العالمية الثانية خارج القاهرة واشتاقت كريمة إلى زيارته فذهبت إليه في الميدان دون علمه فقضت أيامها معه حتى منع من إبقاءها معه فرجعت إلى القاهرة.

"ورحلت (كريمة).. ومرة أخرى جلس (علي) في وحدته وهو يرقب الفراش الخالي والحجرة الساكنة.. ويستعيد لنفسه ذكرى المرأة العجيبة التي قطعت من أجله مئات الأميال.. لترجوه أن يقول لها: (أحبك) رغم يقينها أنه لا يحبها".⁽¹⁾ مرض على خلال عودته إلى القاهرة لقضاء بعض الإجازات فأصابته الحمى وسمع الأهل من خلال هذيانه أنه كان يتكرر أن يتزوج بأنجي وشفي ولم يعرف ماكان ينطقه خلال مرضه ولم يستطع الأب أن يرى ابنه في تلك الحالة فذهب إلى الأمير ليطلب يد ابنته فاستغرب الأمير ثم شتمه وأمر حراسه أن ينقل إلى المستشفى لأنه كان يعتقد أن عبدالواحد أصابه جنون وطلب من العائلة أن يغادروا البيت.. حيث كانت أسرة على تسكن على أرض الأمير اسماعيل فانتقلت الأسرة إلى القاهرة.

ثم نقل علي من سيوة إلى القصابة ثم رقي إلى رتبة يوز الباشي ومع مرور الزمن رجع إلى القاهرة وساعده سيلمان ذكي لإعداد امتحان دخول كلية أركان الحرب فتخرج فيها بعد سنة ودخلت مصر حرب فلسطين وهو يدرس هناك ثم عين في الكلية الحربية أما انجي "ولم يكن قد بقي بينه وبينها سوى صلة التفكير ومناجاة الطيف وعتابه وزاد الطيف من نأيه ولكنه لم يرحل وظلت الموءودة في القلب.. وإن تراكمت عليها أتربة الأيام التي تمر والبعد الذي يتزايد ومع كل هذا كانت باقية.. بقاء عزيز ناء تضحل صورته ولا تمحى ذكره".⁽²⁾

ومرّت السنوات وهم على نفس الوضع، ولم تتزوج أنجي واستمرت كريمة في حبها لعلي والوفاء به وبقي علي غير متزوج بعيداً عن أنجي وقريباً من كريمة لكنه

(1) رد قلبي، 2 / 580.

(2) المصدر نفسه، ص / 610.

لم يكن يشعر ذلك الحب السامي نحوها كما كان شعوره نحو أنجي لكنه قرّر قبيل الثورة سنة 1952م. أن يتزوجها، "لقد قلت لك إني أشعر دائماً بجاجتي إليك.. وأؤكد لك أني على استعداد للزواج منك.. في أي وقت.. غداً إذا شئت".⁽¹⁾ وقرّرت كريمة أنها تحتتم حياتها الفنية غداً بعد أول عرض لفيلمها الأخير ويتزوجان غداً بعد العرض مباشرة وشاءت الأقدار أن استلم علي أمر الذهاب إلى القصر الملكي واحتج الناس على سياسة القصر فأحرقوا المدينة بما فيها السينما وأمر علي للذهاب إلى الثكنات ولم يعلم من أمرها شيئاً فخبرته بثينة -صديقة كريمة- فزارها في المستشفى فاستغفرته كريمة وأخبرته بما فعلت برسالة أنجي قبل أن تفارق الحياة وأكد حسين أخو علي ما قالته كريمة فلام علي نفسه وانتظر الفرصة ليقابلها.

"وليس بد من الثورة لتريح العاشقين من شقاءهما المتصل وتلغى ما كان بينهما من فروق ولتتيح لهما أن يخلصا كل منهما لصاحبه ولكن بعد أهوال أي أهوال".⁽²⁾

هكذا أشار د. طه حسين إلى نهاية القصة، قرّرت مجلس قيادة الثورة مصادرة أموال أسرة محمد علي وعينته "عضواً في لجان مصادرة أموال وممتلكات أسرة محمد علي"،⁽³⁾ والحق أن صديقه الحميم سليمان ذكي وضع اسمه من ضمن القائمة لأن سليمان كان عضواً نشيطاً في إقامة الثورة فذهب إلى قصر السيد اسماعيل بعد أن جرّد منه لقب الأمير فوجده مسافراً فقابل أنجي فتفاهم الحبيبان.

"أنت واجبي الأول إني لم آت هنا إلا لأجلك.. لأجل أن أراك.. وأقبيك كل سوء.. وأدفع عنك كل شر.. كانت فرصتي الوحيدة لكي أراك فغامرت بانتهازها"⁽⁴⁾، فعرض عليها الزواج قائلاً "لقد أتهم أبوك.. أبي بالجنون.. عندما حاول أن يخطبك لي منه ترى لو حاولت أن أكرر السؤال في هذه الظروف..

(1) رد قلبي، 2 / 634.

(2) نقد وإصلاح، ص / 67.

(3) المصدر السابق، 730.

(4) المصدر نفسه، ص / 749.

أظنين بي جنونا؟ وفاجأ السؤال (أنجي) وأحسّت برغبة جارفة في البكاء وضغطت بأسنانها على شفتها السفلى حتى توقف نوبة البكاء". (1)

فوافقت أنجي وعرف علاء أمر خروجهما من القصر فعندما وصلا قرب السيارة أطلق النيران على عليّ فأصيب بطلقته ثم قتل علاء في تبادل إطلاق النار ونقل عليّ إلى المستشفى ثم تزوّجها وتزوَّج حسين بemie في آخر المطاف بعد عودته من إيصال الملك وأسرته إلى إيطاليا فالقصة في النهاية مضطربة والأحداث سريعة كادت تخرج عن نطاق الرواية وتحدث د. طه حسين عن هذا الأمر قائلاً.

"أما الملاحظة الثانية فتتصل بأخر القصة الذي هو جدير بفيلم من أفلام السينما كما نعرف الأفلام السينمائية في مصر فهذه الأحداث الكثيرة العنيفة التي يتبع بعضها بعضاً في سرعة خاطفة وهذا الدم الذي يسفك وهذا العاشق الذي يجرح في قدمه والرصاص الذي ينطلق بحساب أو بغير حساب كل هذا يهبط بالقصة من منزلة رفيعة إلى منزلة لا أحبها لكاتب مجيد كالأستاذ السباعي". (2)

والفصول الثلاثة الأخيرة من الرواية تشير إلى هذا الاضطراب في الرواية ويضطرب أسلوب كتاب الرواية بسبب سرعة الأحداث ويشترك فيه أسلوب نهاية القصة السينمائية الذي جعل د. طه حسين يقول هذه قصة بدأت كأحسن القصص وأنتهت كأسوأ ماتنتهي وأضطربت بين بدايتها ونهايتها في ألوان من الإجادة الرائعة والتهافت المؤلم. (3)

أما من ناحيتها الرواية التاريخية فنرى أن عنصر التاريخ قليل إذا قورن بقصة حب عليّ أو حياته العسكرية إذا أننا لا نجد الكثير عن مقدمات الثورة وظروف الشعب في الجزء الأول من الرواية غير أن سليمان ذكي يثور ويشرح سخطه للإنجليز والملك منذ دخوله المدرسة أما الحرب العالمية الثانية فتكلم فيها وشرح مواقف الدول الأوروبية وإعداد الإنجليز للجيش المصري ليستخدمه لمصلحه الخاصة واختصر حديثه عن حرب فلسطين ولعل السبب هو أنه خصص روايته طريق العودة لأحداثها

(1) رد قلبي، ص/ 751.

(2) نقد واصلاح، ص/ 68.

(3) المصدر نفسه، ص/ 69.

ونتائجها ونجد كذلك أنه اختصر طريق الثورة بتقديم الأحداث السياسية سريعاً وفي الفصل الثالث والخمسين شائعات من الرواية وفي الفصل الرابع والخمسين وراء سراب أيضاً ولعل ذلك لتكملة الأحداث وذكر رؤيتها من الناحية العسكرية أو تأثيرها على الجيش فقط ويصعب على القارئ الذي لم يعيش تلك الأحداث أن يستوعب سقوط الوزارت واحدة تلو الأخرى.

ويرى د. طه حسين أن الجانب التاريخي فيها ضعيف "وهو التاريخ السياسي الرسمي الذي يعرفه الناس الآن ليس فيه جديد وعسى أن ينقصه كثير جداً من التحقيق والتعمق".⁽¹⁾

وأما من الناحية العسكرية فهناك كثير لمن يرغب أن يعرف نظام الجيش في تلك الحقبة من الزمن بداية من تدريب الضباط الجدد وأنواع التدريبات والأسلحة ونظام الطابور وأهمية نظافة البندقية وكيفية تعامل المدربين للضباط داخل المدرسة الحربية وخارجها ويعرف القارئ كذلك أن الضباط المسؤولين يهتمون كثيراً بجنودهم وضباطهم ويحاولون حل مشاكلهم الشخصية ويحاولون أن يحافظوا على الانضباط وكتب السباعي خاصة عن سلاح السوارى لأنه قضى فيها ما يقارب ثماني عشرة سنة من عمره فنعرف من خلالها أسلوب تفكير قادة الجيش ومسؤوليات الضباط والاهتمام بالخيال ونفسيات الجنود وإطاعتهم لقادتهم وتأثير الأحداث العسكرية والسياسية على معنويات الجيش الخ من الأمور الكثيرة التي لا يجيد كتابتها إلا من عاش بين العساكر لفترة طويلة فهذا الموضوع في الرواية يحتاج إلى دراسة مفصلة لا يمكن حصره ضمن هذا البحث الذي خصص لدراسة تاريخية لهذه الرواية الشهيرة. أما من ناحية الأسلوب فوصف الكاتب الشخصيات وصفاً دقيقاً وتحليله للشخصيات المختلفة جعلها رواية يشتهيها القارئ واستشهد بالأمثال والأبيات الشعرية لأظهار المواقف المختلفة من الفراق والوصل والسخرية وجمع بين الشخصيات المتناقضة في رواية واحدة ونعرف أن الرواية لاقت قبولاً عند المصريين والعرب حيث قدم السينما المصرية فيلماً بعنوان رد قلبي في سنة 1957م وكتب

(1) نقد وإصلاح، ص/ 67.

حسن فؤاد عن هذا الفيلم قائلاً "لعل فيلم رد قلبي الذي يتناول القصتين معا قصة حب وقصة شعب هو من أفلام هذا الموسم السينمائي في مصر فقد أحرز نجاحاً كبيراً عندما عرض في لبنان ثمانية أسابيع لم ينقطع فيها الجمهور عن التصفيق والتهتاف في مواضيع كثيرة من الفيلم والشئ نفسه حدث في مصر في اليوم الذي شاهدته فيه".⁽¹⁾

أما الثورة فشارك فيه علي ولم يعرف عنها إلا قبيل حدوثها ويشرح الموقف قول سليمان لعلي عندما يوافق أن يكون جزءاً من هذه الثورة "سنستعين بهم جميعاً فكل ضباط كتبتك من الأحرار وهم يعرفون واجباتهم جيداً. ضباط كتبتي أنا من الأحرار؟! وكان المفروض أن تخرج الكتبية بدوني.. ألا تخجل من هذا يا سليمان؟"⁽²⁾

وذكر أسماء بعض الضباط الأحرار الذين شاركوا في الثورة، بعضهم شكلوا مجلس قيادة الثورة بعد ذلك واستفادوا منها بداية من رئاسة الجمهورية ومروراً بالوزارات إلى المناصب الأخرى.

"كان علي قد التقى بجمال الرأس المدبر للثورة مع حسين وخالد وثروت وبقية الضباط الذين سيقودون حركة الفرسان في منزل أحدهم في ثكنات العباسية".⁽³⁾

ويقصد ب(جمال) جمال عبدالناصر لأنه كان هو القائد الفعلي للثورة وبقى في الحكم منذ 1953م إلى 1956م، رئيساً للوزراء واستلم بعد ذلك منصب رئيس الجمهورية حتى وفاته سنة 1970م.

أما حسين فهو حسين الشافعي أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة وكان يخدم في سلاح السوارى وقت الثورة واشتغل مناصب عدة ومنها منصب وزير الدفاع ونائب رئيس الجمهورية ووزير الشؤون الاجتماعية الخ من المناصب وخالد هو خالد

(1) السينما والمجتمع في الوطن العربي القاموس النقدي للأفلام، إبراهيم العريس، ط/ 1، مركز دراسات الواحدة العربية، شارع البصرة، بيروت، ص/ 196.

(2) رد قلبي، 2 / 675.

(3) المصدر نفسه، ص/ 677.

محي الدين أحد ضابط سلاح السباعي ولكنه لم يستفد من المناصب الحكومية بسبب دعوته إلى العودة إلى الثكنات بعد نجاح الثورة أما ثروت فهو "الدكتور ثروت عكاشة أحد الضابط الأحرار من سلاح الفرسان ورائد الثقافة المصرية في مستهل الثورة،⁽¹⁾ كما وصفه سمير الجمل في كتابه.

وكتب السباعي عن لحظة اعتقال قائد الجيش في مبنى مقر القيادة فذكر أسماء بعض الثوار حيث يقول "دوبدا رئيس هيئة أركان حرب بقامته المشدودة وملاحه الصارمة وقد أحاط به الجنود بأسلحتهم وعلى رأسهم قائدهم صديق الأسمر العملاق. وهبط حسين فريد... وكأنه يسير في طابور استعراض... وعندما بلغ الباب الخارجي وقف له الثوار صفا واحدا ورفعوا أيديهم بالتحية العسكرية ورفع هو يده يرد لهم التحية في قوة وتفرس في وجوههم واحدا بعد واحد.. جمال، عبدالحكيم، كمال، حسن إبراهيم، زكريا، شوقي، حماد ثم علي⁽²⁾، وصديق الذي ذكره السباعي هو يوسف صديق الذي اعتقل القادة خارج المقر وفي مقر القيادة العامة للجيش أيضاً.

وذكرنا قبل قليل عن جمال عبدالناصر أما عبدالحكيم فهو صديقه عبدالحكيم عامر وتولى المناصب العديدة بعد نجاح الثورة ومنها القائد العام للقوات المسلحة ونائب رئيس الجمهورية ووزير الدفاع الخ من المناصب الهامة. و(كمال) هو كمال الدين حسين الذي عين عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد ثم وزير الشؤون الاجتماعية ووزير التعليم الخ واستلم. حسن ابراهيم منصب نائب رئيس الجمهورية في 1964م. وزكريا الذي ذكره السباعي هو زكريا محي الدين الذي شغل مناصب عدة ومنها الاستخبارات ورياسة الجمهورية مؤقتاً أيضاً ولعله يقصد أحمد شوقي بقوله شوقي وكان قائد الكتيبة في ليلة الثورة أما آخرهم حماد فهو جمال حماد الذي كان له علاقة قوية مع اللواء محمد نجيب وعمل بعد ذلك مدير مكتبه ولقب بمؤرخ الثورة لكثيرة مادون عن ثورة يوليو 1952م.

(1) الكرياء، سمير الجمل، نوفمبر 2012م، دار الجمهورية للصحافة، القاهرة، ص/ 137.

(2) رد قلبي، ص/ 689.

ونكتفي بهذا القدر من الحديث عن رد قلبي ونقل أخيرا قول السباعي حول هذه المحاولة التي جمع فيها قضية الفرد والجيش والشعب معا حيث يقول "ولقد حاولت قدر ما أستطيع أن أدمج قصتي هذه في قصة الأحداث الدامية التي حدثت فعلا حتى تبدو القصة كتلة واحدة".⁽¹⁾

2. طريق العودة

هي الرواية التاريخية الثانية التي نشرت في 1956م وعدد صفحاتها ثلاث مائة وثلاثة صفحات حسب النسخة التي بين أيدينا ونشرتها دار مصر بالقاهرة وموضوع الرواية عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى مدنهم وقراهم وجهود مصر لحل مشاكلهم وتضحية المصريين بأرواحهم لتحقيق الهدف من أجل الفلسطينيين والأمة العربية، "وروايته طريق العودة 1956 تتناول قضية تحرير فلسطين وتتنبأ بعودة العرب إليها كما يوحي بذلك عنوانها"⁽²⁾، وأهداها السباعي إلى صديقه ولم يسمه ولكنه ذكر في الإهداء أن نهاية الرواية تختلف عن القصة الحقيقية "إلى صديقي صاحب هذه القصة.. مع الاعتذار عن طريقة ختامها.. أطال الله عمره وأبقى حياته"⁽³⁾ شخصية صديقه إذا متمثلة بإبراهيم شكري قائد سرية المهندسين في الجيش المصري وتبدأ أحداث الرواية، "في خريف عام 1948م وقبيل المعارك الحاسمة التي انتهت بها عمليات القتال الأولى في فلسطين"⁽⁴⁾، ويبحث الباحث عن أسباب كتابة هذه الرواية بعد مرور ثماني سنوات على أحداثها فقد يكون نجاح الثورة سببا مباشرا في تدوين هذه الرواية وكذلك ترويج الفكر القومي العربي ودعم الفكر الثوري من أسباب ظهورها لأن الكاتب لم يشارك في أحداثها كما عرفنا من

(1) رد قلبي، 8 / 1.

(2) الروائيون الثلاثة، ص / 108.

(3) طريق العودة، يوسف السباعي، دار مصر للطباعة، رقم الإيداع 7749/86، الترقيم الدولي، 5-

274-11-977، ص / 4.

(4) المصدر نفسه، ص / 5.

قراءة تعيين الضابط علي في روايته رد قلبي لأن السباعي هو علي في تلك الرواية وذكرنا سابقا قول زوجة السباعي على أنه علي في تلك الرواية فنراه أنه كان في الكلية الحربية في تلك الفترة "وأعلنت حرب فلسطين.. وتقابل سليمان مع علي في مكتبه بالكلية الحربية.. آن لنا أن نتقدم لإنقاذ فلسطين الجريحة ورفع علي بصره عن المذكرات التي كان يراجعها وبدأت عليه الدهشة"⁽¹⁾، فكاتبنا كان بعيدا عن ساحة المعركة وتزداد الرغبة في البحث عن دوافع كتابة هذه الرواية بعد قراءة مقدمة روايته ليل له آخر حيث يقول "هذه هي الرواية الرابعة التي أكتبها انفعالا بأحداث كبيرة مرّت بنا في هذه الفترة في تاريخنا الحديث الرواية أولى رد قلبي.. والثانية نادية.. والثالثة جفت الدموع"⁽²⁾، وهذا يعني أنه لم يشمل هذه الرواية ضمن رواياته التاريخية علما أنها الرواية التاريخية حقا وإلا ما المقصود من ذكر نهي اللاجئة الفلسطينية وأختها مي وإصرار نهي على العودة إلى فلسطين ولماذا تجري أحداث الرواية في المناطق الحدودية ذات خطر وتضاعف للجنود الرواتب فيها "يمكنه سداده على أقساط يوفرها من مرتبة المضاعف الذي سيتولى عليه في الميدان"⁽³⁾. وما الداعي إلى المحاولات لإعادة التبة التي احتلها اليهود ومعارك الدبابات التي استشهد فيها الضابط والجنود ودمرت الدبابات الخ فهي رواية تاريخية فعلا لكننا مازلنا نجهل أسباب عدم ذكرها في قائمة الروايات التاريخية والسبب الوحيد الذي نفهمه هو أن الكاتب عاش أحداث الروايات المذكورة كما يشهد بنفسه "ووجدت القدر يأبى إلا أن يضعني دائما في قلب الأحداث وأن أعيشها بكل جوارحي"⁽⁴⁾، ويبدو أن القدر لم يصر أن يكون السباعي في قلب الأحداث كما يشير إليه د. صالح أبو أصبح، وهناك بعض الأخطاء التي ترجع إلى عدم دقة المعلومات لدى الكاتب عن فلسطين فهو يقدم لنا نهي على أنها فتاة فلسطينية من نابلس.. ونابلس مدينة من المدن الفلسطينية التي لم يغادر أهلها عام 1948م "ولم يهجرها

(1) رد قلبي، 2 / 604.

(2) ليل له آخر، 1 / 3.

(3) طريق العودة، ص / 11.

(4) ليل له آخر، ص / 3.

أهلها ولم يطرد منهم أحد ولم تقع اعتداءات يهودية على مدينة نابلس وإنما كانت تدور المعارك في جبالها أما أن تكون نهي لاجئة من نابلس فذلك يخالف المنطق التاريخي... وأن اليهود لم يحتلوها إلا عام 1967م⁽¹⁾، والغريب أنه لم يكن يعلم تفاصيل مدينة نابلس الأساسية أو لم يهتم بالموضوع من هذه الناحية وهي من مآخذ الرواية "ويجب أن نشير إلى أن نابلس مدينة جبلية وهذا يعني أن الحمضيات -البرتقال والليمون- لا تنزرع فيها ويكشف هذا عدم دقة معلومات الكاتب الجغرافية"⁽²⁾، لأن السباعي ذكر على لسان نهي أنها كانت تسقى أشجار الليمون والبرتقال بماء البئر كان يوجد في وسط حقولها.

أما القضايا التي ناقشها السباعي فمنها قضية الأسلحة الفاسدة التي استلمتها الجيش الملكي آنذاك فذكرها على اللسان الضابط محمود مراد من سلاح الدبابات وهو يتحدث مع إبراهيم فسأله إبراهيم عن عدد الدبابات فأجابه "قال يا جُحاً.. عد غنمك.. واحدة نائمة.. والثانية برضه نائمة"⁽³⁾، وبذلك يشير إلى تعطل الدبابات ونراه يوضح الأمر في جلسته مع وكيل المحافظة البكباشي عبد الرحمن "ودبابتي بطاريتها فاضية.. تصوروا ياجماعة دبابة على خط القتال ببطارية فاضية"⁽⁴⁾.

ولم يكن اليوزباشي مراد مطمئناً من قضية بطاريات في حديثه مع قائد الآلاي الذي طمأنه أن البطاريات عادت من الصيانة وركبت وعادت وساوسه فتأكد من أركان حرب الآلاي عن وضع البطاريات "إني على استعداد لأن أتكل على الله، ولكن ليس على ضابط الصيانة"⁽⁵⁾.

(1) فلسطين في الرواية العربية، د. صالح أبواصبح، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، أيلول 1975، ص/ 93.

(2) المصدر نفسه.

(3) طريق العودة، ص/ 59.

(4) المصدر نفسه، ص/ 92.

(5) المصدر نفسه، ص/ 111.

يجد القارئ أن قائد الهجوم يبالغ في الاحتياط عن وضع البطاريات لكننا نرى أن دبابته توقفت في وسط المعركة "مدفع بلا ذخيرة.. ودبابة بلا كهرباء! وأحس مراد بالمأزق الذي وضع فيه لقد أضحي سجيناً في دبابة لا تستطيع الحراك ولا تستطيع الضرب"⁽¹⁾ ونجد أن قبيل معركة العريش يؤمر بنقل كتيبته إليها ونصف دباباته عاطلة، "يا أخي نصلحها.. إن الصيانة كلها ستكون تحت أمرك.. هيا البس ثيابك بسرعة"،⁽²⁾ ولم يكن الأمر مقصوداً على بطاريات الدبابات فقط وإنما وضع القنابل لم يكن مريحا "إن نصف قنابلنا ينفجر من الخلف.. لقد أصبحنا نخاف من مدافعنا أكثر مما نخاف من مدافع العدو"،⁽³⁾ وشغلت قضية الأسلحة فكرة السباعي في روايته رد قلبي أيضا حيث نرى أن عليا بطل الرواية يتحدث مع صديقه سليمان عن هذا الأمر في الكلية الحربية وفي جلسة أخرى عندما جلس سليمان وعلي وحسين في بيت علي في ليلة مرور السنة الأولى على وفاة والد علي فناقشوا هذا الجانب من الأمور فتحدث السباعي على لسان الضابط سليمان وهو يمثل الجانب الثوري في الرواية المذكورة حيث يقول "ولكنك لا تعرف أن الملك وحاشيته مشتركون في كل صفقات الأسلحة الفاسدة إن العنصر الفعال في قضية الأسلحة هو الملك ورجاله.. وإذا سرق الملك ورئيس الوزراء والوزراء.. فقد انهارت المثل"،⁽⁴⁾ وأشار د. صالح في مقاله عن طريق العودة أن هناك الروائيون المختلفون اهتموا بالقضية في رواياتهم ومنها مائة ساعة في القمة وأرض الأنبياء وستة أيام واحترقت القاهرة الخ من الروايات.

والقضية الثانية التي عرضها السباعي هو عدم استعداد الجيش الملكي لدخول الحرب بسبب قلة الأسلحة والخبرة والأفراد والتدريب ونجد ذلك في حوار اليوزباشي مراد مع قائده البكباشي منصور قبل خروجه لاستعادة التبة التي احتلها اليهود "ورفع منصور رأسه وسأله بغتة كم دبابة عندك جاهزة للتحرك؟ وأجاب مراد

(1) طريق العودة، ص/ 134

(2) المصدر نفسه، ص/ 241.

(3) المصدر نفسه، ص/ 98.

(4) رد قلبي، 2 / 612.

ببرود، ولا واحدة" (1) وكان سوء التخطيط والضغط من قبل القيادة العسكرية وعدم معرفتها ما يجري على أرض المعركة جعل الضباط يسخطون حيث نجد أن مراد عندما اعترض على الخطة المرسومة للحفاظ على التبة بعد استعادتها فصرخ منصور على وجهه وعبر عن عدم ارتياحه حتى أجابه مراد "لأنهم لا يعرفون جميعا عملنا.. إنهم يريدون أن ينشرونا في المواقع الدفاعية.. إن القيادة لاتعرف.. واجبات القوات المدرعة" (2) ولكن قائد الآلاي لا يرتاح لقوله فيأمره أن ينفذ ما طلب من قبل قيادة الفرقة إن كان في طبيعة عمله أم يخرج منه فالمطلوب منه هو التنفيذ، فينفذ مراد ما طلب منه ويقتل معظم أفراد كتيبته ويعود مهزوما ماشيا على أقدامه "وفي الموقف اليأس المميت.. أمر مراد الطاقم بالانسحاب على قدميه بعد إحراق الدبابة" (3) فلهذا سمى يوسف السباعي هذه العملية عملية انتحارية.

والقضية الأخرى التي أشار إليها السباعي هي السياسة الداخلية في الجيش متمثلة برفع الأسماء للحصول على النياشين والأوسمة والترقيات الاستثنائية لمن لا يستحقونها فنجد في الرواية أن قائد الكتيبة مراد دخل المعركة وواجه العدو واستشهد جنوده ولكن اسمه لم يرفع ولكن قائد الآلاي استغل الفرصة "سيرقى منصور إلى قائمقام.. وسينعم على مرسى بنيشان النيل... بناء على طلب قائد الفرقة لما أبدياه في معركة التبة 86.. الذين لم يطلقوا طلقة واحدة.. يأخذون الرتب والنياشين.. وأنا الضحية الوحيدة كبش الفداء" (4) وحاول السباعي أن يغطي الموضوع قبل اقتراب اليهود من جهة العريش ودخول المعركة ضدهم ولكنه بذلك يرفض ما كتبه في الرواية قبل ذلك عن سياسة الجيش والظلم من قبل منصور ولم يبرر مواقف منصور فليته لم يفعل ذلك لأنه بذلك جعل مراد ظالما في عيون القراء وهو مظلوم في الحقيقة "أما قائده.. فقد ظلمه كثيرا بسوء ظنه.. لا بأس عليه" (5)

(1) طريق العودة، ص/ 102.

(2) المصدر نفسه، ص/ 105.

(3) المصدر نفسه، ص/ 134.

(4) المصدر نفسه، ص/ 163-164.

(5) المصدر نفسه، ص/ 260.

هذه من جهة عسكرية وأما من ناحية فلسطين والكره لليهود فتشترك فيه شخصيتان وهما شخصية نهي النابلسية ومراد الضابط ونحاول أن نحلل الشخصيتين في الباب الرابع في حديث عن شخصيات روايات السباعي ولكننا نكتفي بالإشارة إلى الظاهرة بأن كلا منهما لم يرغب في الثاني كإنسان ولكنهما كانا يشتركان في كرههما لليهود مع اختلاف الإمكانيات والفرص المتاحة والمركز الذي يشغله مراد ونهى. أما نهي فلا تملك من أمرها شيئا احتل اليهود أراضيها وقتلوا أسرهما وشردوها فوصلت إلى إحدى معسكرات اللاجئين فرأت فيها زوجة الوكيل الطيبة فنقلتها إلى بيتها وعندما كانت صديقتها بحاجة إلى خادمة فأرسلتها إلى بيتها ولم تعترض نهي على ذلك ولم ترحب بالموضوع "وأجابت في استسلام الذي لا يملك من أمره شيئا"⁽¹⁾ ولكنها رمز الوفاء بأرضها فكانت تتحدث مع (نادية) الصبية ابنة الضابط إبراهيم ومديحة حتى جعلتها تكره اليهود "وقبل أن يدخلوا هتفت نادية أنا أكره اليهود.. تمت نهي والظلمة تخفي دموعا ترقرقت في مآقيها، وأنا أيضا"⁽²⁾ وهي التي غيرت أسلوب تفكير إبراهيم نحو الحرب وقتال اليهود فعندما هاجم اليهود قررت أن تقاتلهم وتذبحهم بالسكين فهي مشاعر فتاة فقدت أهاليها وأرضها والقاتل أمامها فرفضت أن تجلس وتقي نفسها من البرد القارس "لا أستطيع أن أجلس.. عندما جلسنا أول مرة.. دخلوا علينا وذبحونا.. لا يجب أن ننتظر حتى يصلوا إلينا"⁽³⁾ فهذا هزت نهي مشاعر إبراهيم الرومانسية وحولته إلى المقاتل ليخرج من بيته ويدخل صفوف المقاتلين وهو ليس بضابط محارب وهي تحبه أيضا لكنها شجعتة أن يقاتل للوطن والهدف القومي وهي التي سلمته الخوذة فالفتاة بنت لشهيد الوطن وحببها الراحل قبرا رمزيا ووضعت عليه الخوذة التي أعطته قبل الخروج للقتال فهل هذا دليل بأن الخوذة باقية وهي تنتظر للمقاتل الذي يفتح لها طريق العودة ويعيد كرامة العرب.

(1) طريق العودة، ص/ 44.

(2) المصدر نفسه، ص/ 50.

(3) المصدر نفسه، ص/ 268.

أما مراد فهو الآخر الذي يكره اليهود وكان لا يخاف من الموت ومواجهة اليهود فهو مستعد بعد أن عرف عن نهي بأن يعيد نهي إلى أرضها على دبابتها نفيسة التي سماها باسم أمها "أنا وحدي الذي سأعيد.. أنا ونفيسة..."⁽¹⁾ وحتى الخمر لم ينسه هدفه وهو لا يأمل أن يتقاعد ولكنه يريد أن يعيد فلسطين إلى أهلها ثم يعود إلى الحياة المدنية "لا.. بل قريبا.. بمجرد أن نقضى على هؤلاء الخنازير.. ونعيد العرب إلى أوطانهم في فلسطين.. قسما بالله لو انطلقت بنفيسة فلن أقف إلا في تل أبيب".⁽²⁾

وتوقفت نفيسة في ميدان القتال ولم تستطع أن تقترب من اليهود فأحرقها بنفسه حتى يمنع اليهود من استخدامها وعاد مهزوما ماشيا مع بقية كتيبته عند عودته من المعركة، يتحدث مع نهي ويعبر عن سخطه وعجزه وانزعاجه في قضية الإسرائيليين وهي لا تدري أنه عائد من المعركة أعرف "لماذا لانقتل هؤلاء الكلاب نفينهم عن آخرهم.. بل لا أعرف لماذا تركتموهم يطردونكم من درياركم.. لماذا لم تطردوهم أنتم وتريجونا".⁽³⁾

فهي مشاعر ضابط الجيش فقد جنوده وشعور المواطن المصري الذي قدم زملاءه أرواحهم لتحرير فلسطين وقبل المعركة الأخيرة اشتد كرهه وزاد حقه على اليهود فكان يريد أن ينتقم منهم دم عسران، "بينه وبينهم.. دم عسران.. الصعيدي.. الذي سفكوا دمه.. دون أن يأخذ بثأره أحد.. ومن أحق بأخذ الثأر منه؟"⁽⁴⁾ لأنه كان صديقه وضابطه في كتيبته وانتقامه لكتيبته المدمرة ودباباته التي حطمت. وكرامته الشخصية كقائد الكتيبة "كان يحس بكره عميق وحقد شديد على اليهود.. هؤلاء الكلاب قد ملأوا نفسه بالمرارة".⁽⁵⁾ وكرهه لليهود لم

(1) طريق العودة، ص/ 77.

(2) المصدر نفسه، ص/ 91.

(3) المصدر نفسه، ص/ 146.

(4) المصدر نفسه، ص/ 255.

(5) المصدر نفسه، ص/ 255-256.

يتخف وهو عائد من معركته الأخيره محروقا وحاملا جسد صديقه إلى نهي زوجته
"وفي صوت مرير أجاب وهو يتجه نحو الأريكة، انتصرنا.. أبدنا اليهود".⁽¹⁾
وقد اهتم الأدباء والنقاد بهذه الرواية حيث كتب د. طه حسين مقالا بعنوان
طريق العودة حيث يقول فيه "قصة رائعة بأوسع معاني هذه الكلمة وأدقها.. وأشهد
لقد قرأتها مرتين إعجابا بها ورضى عنها"،⁽²⁾ وألف الأديب الكبير محمد عبدالحليم
عبدالله بعنوان من قصص البطولات طريق العودة ليوسف السباعي وألقى الضوء
على أسلوب كتابته حاول الأستاذ السباعي أن يعطينا في هذه القصة حوادث
بطولة هادئة.. بطولة غير صارخة تتناسب مع الفترة التي سادت بلادنا سنة
1948م وأيام حرب فلسطين الأولى.⁽³⁾

وهناك بعض الملاحظات حول شخصيات الرواية وحول بعض الأفكار
التي قدمت في هذه الرواية، لا يسمح لنا أسلوب أطروحتنا أن نناقش تلك القضايا
بالتفصيل ولكننا نشير إليها سريعا قد يستفيد منها الباحث في إعداد بحث مفصل
حول هذه الرواية وقد أشرنا إلى بعضها عندما نقلنا رأي د. صالح عن الحقائق
حول مدينة نابلس. نجد أن الضابط محمود مراد يهمل واجبه نحو زوجته ولا يهتم
بها وهي مريضة على الفراش وهذا الأمر يختلف مع مزاج مراد إذ أنه مهتم بكل من
حوله من الجنود والضباط والكتيبة الخ فكيف يتركها مع زميل له في بيته وقد
غادرت زوجة الزميل إلى القاهرة مع طفلة وهو أدرى بطبيعته الرجال وهل يفهمنا
السباعي أنه لا يرى إلى زوجته إلا أداة يشبع بها رغبته فقط ويرى الأستاذ جمال
الدين "لا أدري حكمة يوسف السباعي في تصوير شخصية مراد الذي يترك زوجته
في العريش وكأنه لا يتركها هناك فهي ليست في باله أو تفكيره دون أن يعتري قلبه

(1) طريق العودة، ص/ 299.

(2) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 21.

(3) الوجه الآخر (مقالات في الأدب والفن والحياة)، محمد عبدالحليم عبدالله، مكتبة مصر، القاهرة، ص/

أي شعور بالغيرة".⁽¹⁾ ويرفض الرمادي أن فرضية الوضع الطارئ جعله ينسى الأمور الأخرى فيرى أنه مع ذلك كان يمكن له أن يرسلها إلى أهلها.

وهناك قضية أخرى وهي قضية البطل في الرواية ونفهم من قراءة الرواية أن السباعي اختار إبراهيم كبطل الرواية لكن الآخرين يرون أن البطل الحقيقي هو مراد وليس إبراهيم ولها أسباب مختلفة ومنها قضية الخيانة ويستغرب القارئ من رأى السباعي في الخيانة حيث يرى أن إبراهيم يغازل زوجة زميله المقاتل وضيافته "ولم يكونا يفرجان عن اللهفة المكبوتة أكثر من تشابك الأيدي أو إسناد رأسها على صدره أو تخلل شعرها بأصابعه.. كان ذلك أقصى ماجرؤا على فعله مما يمكن أن يلوما عليه نفسيهما".⁽²⁾ والبطل الحقيقي يواجه العدو والبطل الحقيقية هي التي لم تخذل زوجها أمام عائلة صديقه وتركت بيتها بالصمت ولم تصرح زوجها وسافرت لخدمة الوالدين وحاولت أن تنتظر حتى تمر عاصفة المشاعر وتهدأ أوضاع البيت ويعود إليها زوجها أمّا إبراهيم وليلى فانشغلا عنهما "هكذا مرّت بهما أيامهما ولياليهما حاملة خاطفة.. ممتعة.. بلازل.. منتشية.. بلاخطئة".⁽³⁾

ماهي الخطيئة إذا؟ وما المراد بالخيانة؟ هل هو الاتصال الجنسي الكامل وهل الحب البرئ يشمل الضمّ والعناق وتشابك الأيدي؟

ونرى أن السباعي جعل قضية فلسطين قضية وطنية أو القضية القومية بالأكثر وأخرجه من الإطار العالمي الذي يؤيده العالم الإسلامي منذ بدايتها وشرح الجهاد لأجل الوطن بأسلوبه "وفتح الزجاجاة وأخذ منها جرعة.. ومصمص شفتيه قائلاً لنفسه، قليل من الخمر يصلح المعدة.. ومسح شفتيه وأردف قائلاً ويريح الأعصاب أيضاً.. ومدّيده.. إلى كوم من روايات الجيب على المنضدة وأزاحها جانبا.. وأخرج من أسفلها مصحفا صغيرا.. متآكل الغلاف.. ورفع إلى شفتيه.. ثم دسه في جيبيه".⁽⁴⁾

(1) من أعلام الأدب المعاصر، جمال الدين الرمادي، ص/ 166-167.

(2) طريق العودة، ص/ 262.

(3) المصدر نفسه، ص/ 264.

(4) المصدر نفسه، ص/ 117-118.

فالخمر والقرآن معا ويؤمن مراد بالمصحف ويدسه في حبيه قبل دخول المعركة لكنه لا ينسى الزجاجاة أيضا وأشار النقاد إلى بعض الجمل التي نطقتها نهي بأنها أكبر من مستواها الفكري وفتة العمر التي هي فيها مثل "المدفع يظلم طريق السلام ويضئ طريق العدوان"،⁽¹⁾ وعاب د. صالح القصة بمعاملة نهي في القصة "ونهي رغم أنها ليست خادمة.. إلا أنها تعامل كسقط المتاع تتصرف بها مضيفتها كأنها بعض ممتلكاتها".⁽²⁾

وعلق الأستاذ محمد عبدالحليم في نهاية مقاله عن ختام الرواية "وعلى الرغم من كل شيء فإن القصة لحن حماسي لم توضع له نهاية وسيكتب المؤلف للحن بعد ما يعود اللاجئون إلى فلسطين وتعرف نهي دارها وكرمها"،⁽³⁾ ولم تعد نهي إلى دارها وما عاد اللاجئون إلى وطنهم ولكن السباعي كتب نهاية القصة بدمه وعاد إلى ربه برصاصة قاتل فلسطيني اتهمه بالخيانة لقضية فلسطين.

(1) طريق العودة، ص/ 48.

(2) فلسطين في الرواية العربية، ص/ 88.

(3) الوجه الآخر، ص/ 113.

3. نادية

نشر يوسف السباعي هذه الرواية في سنة 1960م، من مكتبة الخانجي، القاهرة وتنقسم الرواية إلى جزئين ولها ثلاثة وخمسون بابا وتبدأ أحداث هذه الرواية التاريخية بعد عملية التطهير في المؤسسات الحكومية نتيجة نجاح ثورة 1952م، وتأثيرها على الفرد والمجتمع ويقول السباعي عنها "من العسير تبيان الحقائق من الأكاذيب.. لقد اختلط الباطل بالحق في عمليات التطهير.. وكان من المستحيل.. منع عمليات الظلم أن تحدث.. أو عزل البرئ عن أكوام المذنبين"،⁽¹⁾ وتمر الأحداث بالحديث عن اهتمام الشبان المصريين عن مؤتمر باندوج الذي تم انعقاده في 1955م، وشارك فيه الزعيم المصري جمال عبدالناصر آنذاك "الذين ينادون الآن بالسلام ليسوا الشيوعيين وحدهم. لقد كون المؤتمر كتلة جديدة محايدة تنادي بالسلام.. وتقر مبدأ التعايش السلمى"،⁽²⁾ وشرحت نادية بطلة القصة مصطلح التعايش السلمى لأختها منى قائلة، التعايش السلمى هو ما أفعله أنا.. وأنت.. نرقد في فراش واحد ونجلس متجاورتين على المائدة وفي الفصل وفي كل مكان نحل به.. ولكل منا مذهبها في الحياة.. لا تفعل إحدانا ما تفعله الأخرى.. ولا تحب ما تحبه.. ولكن بلا عراك... ولا قتال ولا جدال،⁽³⁾ ويبدو أن جمال عبدالناصر حقق هدف زيارته من هذا المؤتمر حيث كتب سامي شرف في شهادته عن مشاركة جمال عبدالناصر قائلاً "وبعد عودته من باندونج كان عبدالناصر أقل تحمسا للاستجابة لهذه الحوارات فبدأ البريطانيون والأمريكيون يلوحون بورقة المساعدات الاقتصادية والتركيز على تمويل مشروع السد العالي وكان جمال عبدالناصر قد حقق إنجازا في باندونج بوضع النزاع مع إسرائيل ضمن جدول أعمال المؤتمر وحصل على تأييد صريح في البيان الختامي كي يتضمننا نصا يدعو إلى تطبيق قرار الأمم المتحدة على فلسطين وتحقيق تسوية سلمية للقضية الفلسطينية،⁽⁴⁾ وأشار الكاتب إلى

(1) نادية، يوسف السباعي، مكتبة مصر، شارع كامل صدقي، الفجالة القاهرة، 1987، 2/ 62

(2) المصدر نفسه، ص/ 45.

(3) المصدر نفسه، ص/ 60.

(4) سنوات وأيام مع جمال عبدالناصر، سامي شرف، الكتاب الثاني، المكتب المصري الحديث، ص/ 32.

حادثة 28 فبراير 1955م، من خلال خطبة جمال عبدالناصر في الكلية الحربية التي أدى إلى شراء الأسلحة فيما بعد لقد كان يا إخواني حادثة 28 فبراير الماضي حادثة الاعتداء اليهودي المدبر الذي وصفه مجلس الأمن بأنه اعتداء مدبر وحشي على جنود آمنين مطمئنين".⁽¹⁾

وشرح سامي شرف هذا الحادث قائلاً "في 28 فبراير 1955م، شنت إسرائيل عدوانها على غزة وقد أثار هذا استياء في الأوساط البريطانية لأنه يزيد الموقف اشتعالاً واتخذ المندوب البريطاني في مجلس الأمن موقفاً متوازناً إلى حد ما عندما وصف الحادث بأنه أخطر حادث من نوعه يقع بين مصر وإسرائيل في منطقة الحدود وأعرب عن أسفه لوقوع ضحايا في الجيش المصري".⁽²⁾

وصفقة تسليح الجيش المصري حدث مهم في تاريخ مصر الحديث وكانت قيادة الثورة تحاول بعد نجاح الثورة أن تسليح جيشها بأسلحة متطورة وأشار إليه الرئيس جمال عبدالناصر في خطابه في معرض القوات المسلحة في 27 أيلول 1955م "إننا أردنا أن نقوي جيشنا حتى نشعر دائماً بالأمن وبالسلام وبالطمأنينة".⁽³⁾

وذكر عبدالناصر قصة شراء الأسلحة في الخطاب المذكور حيث قال: "وإني أحب يا إخواني أن أقول لكم في هذه المناسبة قصة تسليح الجيش.. فحينما قامت الثورة اتجهنا إلى كل الدول واتجهنا إلى كل ميدان من أجل تسليح هذا الجيش، اتجهنا إلى إنجلترا واتجهنا إلى فرنسا واتجهنا إلى أمريكا واتجهنا إلى باقي الدول من أجل تسليح الجيش، من أجل السلام ومن أجل الدفاع فماذا أخذنا؟ إننا لم نأخذ إلا مطالبات، لقد أرادوا أن نسلح الجيش بعد أن نوقع على وثيقة أو بعد أن نوقع على موثيق".⁽⁴⁾

(1) نادية، ص/ 175.

(2) المصدر نفسه، ص/ 302.

(3) الرئيس جمال عبدالناصر، إعداد هدى جمال عبدالناصر، المكتبة الأكاديمية مصر، 10/ 432.

(4) المصدر نفسه، ص/ 433.

وترى سلوى صابر أن الهجوم الإسرائيلي على غزة في 28 فبراير 1955م هو الذي غير أسلوب تفكير جمال الناصر اتجاه الغرب لشراء الأسلحة " مثلت الغارة الإسرائيلية نقطة التحول الأولى في موقف عبدالناصر من الغرب وإسرائيل.. لكن بدأ من الهجوم على قطاع غزة فصاعدا ماعاد يشعر أن من الممكن أن يقيم مع الولايات المتحدة أو بريطانيا تلك العلاقة المبنية على الثقة المفرطة والتي كان يأمل فيها.. فمع بداية آذار/ مارس 1955م بدأ عبدالناصر يدرك أنه لن يحصل على أي أسلحة من واشنطن (1).

تدور أحداث روايتنا في مصر وفرنسا فمن الأفضل أن نفهم دور فرنسا في منع التسليح وشروطها لبيع أسلحتها لمصر وأخبر عنها جمال عبدالناصر قائلاً "إن فرنسا كانت تساومنا دائماً، تساومنا على شمال أفريقيا وتقول لنا إننا نعطيكم السلاح على شرط ألا تنتقدوا موقفنا في شمال أفريقيا، على شرط أن تخلوا عن عربتكم، على شرط أن نتخلى عن إنسانيتنا، على شرط أن نرى المذابح التي تحدث في شمال إفريقيا ونسكت عليها ونغمض العين.. امداد فرنسا لنا بالسلاح كان دائماً سيفاً فوق رقابنا وكنت دائماً -يا إخواني- أهدد بقطع السلاح وكنت دائماً -يا إخواني- أهدد بتموين إسرائيل بالسلاح مع قطع السلاح عن مصر". (2) وكان السباعي يؤمن بما قال عبدالناصر في خطابه ففرى أنه يكتب عن القنصلية المصرية في مدينة مارسيليا حيث أخذ جمال -الملحق الصحفي في سفارة سويسرا- (نادية) وأسرتها إليها ويدور الحديث حول صفقة الأسلحة "إنَّ صفقة الأسلحة.. أطارَت صوابهم.. إنهم يشيعون هنا أن مصر قد أصبحت دولة شيوعية.. الشعب هنا لا يهتم إلاّ الضرائب التي تفرض عليه.. أما فيما عدا ذلك فلا يهتمه شيء.. والساسة.. يكرهوننا لأننا نحارب الاستعمار.. إنهم يكرهون تائيدنا للجزائريين ومساعدتنا في ثورتهم ضد الفرنسيين"، (3) أما الوثيقة التي تُحدث عنها السباعي في

(1) الموقف الأمريكي في سباق السلاح بين مصر وإسرائيل، سلوى صابر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مصر.

(2) الرئيس جمال عبدالناصر، 10 / 433-434.

(3) نادية، 1 / 228.

هذه الرواية وجعلها حديث في لقاء وداع لصبري ونادية بالإضافة إلى موضوع صفقة السلاح فهي التي اختلف فيها السباعي مع نفسه حيث نجد في الرواية أن صبرى، أحد محبي نادية والمتحمس للقضايا الوطنية، يودعها وهو يتحدث عن هذه الأمور " ولم يكن صبري قد استطاع في تلك الفرصة التي انفراد بها أن يحدثها عن شئ أكثر من صفقة الأسلحة وفائدتها وعدم تقييدها مصر بأي قيد.. وعن الفضيحة التي كشفها (جمال عبدالناصر) عند ما قرأ الوثيقة الرسمية التي حصلت عليها المخابرات المصرية والتي تكشف الأسلحة التي سلمتها بريطانيا لإسرائيل"،⁽¹⁾ ولكننا نرى أن نادية خلال حديثها في القنصلية المصرية ذكرت فرنسا التي سلمت أسلحتها لإسرائيل "وقالت نادية: هل سمعتم عن الوثيقة الفرنسية التي كشفها الرئيس جمال عبد الناصر والتي توضح كميات الأسلحة التي سلموها لإسرائيل.. ماذا يقولون عنها هنا"،⁽²⁾ ويشير جمال عبدالناصر في إحدى تصريحاته في أكتوبر 1955م، إلى مدير وكالة الأنباء العربية في الشرق الأوسط "إسرائيل تستورد السلاح لجيشها من جهات عدة.. وعلمنا أن إسرائيل تتلقى الأسلحة وأنها تلقت من فرنسا عددا من دبابات شيرمان ومدافع الميدان والطائرات وأن تسليم هذه الأسلحة تم في فرنسا فاحتججت لدى السفير الفرنسي، فقال: إن ذلك السلاح بريطاني لا فرنسي".⁽³⁾

قرأ جمال عبدالناصر هذه الوثيقة في 2 أكتوبر 1955م، في حفل تخريج ضباط الكلية الحربية وذكر أن الوثيقة فرنسية "وقد استطاعت المخابرات المصرية أن تحصل على وثيقة رسمية فرنسية.. تقول هذه الوثيقة الفرنسية! إن أهم معدات القوات العسكرية الإسرائيلية الثقيلة مصدرها أمريكي بريطاني... هذا ما حوته الوثيقة الفرنسية وهي طبعا لم تحو ما سلمته فرنسا نفسها إلى إسرائيل".⁽⁴⁾

(1) نادية، ص/ 188.

(2) المصدر نفسه، ص/ 228.

(3) جمال عبدالناصر، 10 / 439-440.

(4) المصدر نفسه، 10 / 452-453.

ونستغرب من أن السباعي لم يحدد الأمر علماً أنه ربط هذا الحفل بأحداث القصة حيث جعل حفل تخرج عصام صديق منى، (أخت نادية) ونقل الاقتباسات بعينها من هذه الخطبة وتستمع منى ونادية إلى البث المباشر لهذه الخطبة عبر الإذاعة "لست أدري لماذا يذيعون حفلة تخرج سى عصام.. علا صوت المذيع يقول في حماس: أيها المواطنون الرئيس جمال عبدالناصر يقف أمام الميكرفون ليلقى خطبته في جنود الوطن وحماة المستقبل".⁽¹⁾

أما التفكير عن بناء السد العالي فلم يركز عليه السباعي فنقرأ ذكره عابراً في حديث نادية ومنى "ما هي أخبار صبرى!! أما زال منكم في الدستور؟! "
"دستور إيه لقد انتهى منه منذ مدّة إنه الآن منكم جداً في بناء السد العالي.. لقد قال لي إنّه لا أمل لمصر بدونه.. وإنه لا رخاء لأجيالنا القادمة إلا به".⁽²⁾

ونرى أن السباعي أخذ شخصية صبرى لبيان أفكاره عن الأحداث التاريخية المهمة حيث نراه في الرواية أنه يقدم آراءه على لسان صبرى ويتضح الأمر عندما يسأل صبرى عن صديقه الضابط عصام عن تفاصيل الاحتفال في بور سعيد الذي وضع فيه الرئيس علم مصر على مبنى البحرية وهما جالسان في حفل بتلك المناسبة في القاهرة.

"غربت شمس 18 يونيو 1956م لتبعث في مغربها بأضواء باهرة.. تشع في قلوب المصريين فقد أفلت مع شمس ذلك اليوم شمس الاستعمار الذي اصطلى المصريون سعيها سبعين عاماً وانزاح عن مصر كابوس المستعمر الذي أثقل كاهلها وأنقض ظهرها.. وبدت مصر في تلك الليلة وهي أشرق ماتكون ضياء.. وأبهى نورا.. وفي الناحية الأخرى كانت هناك تنمة للحديث بين اثنين آخرين.. عصام وقد جلس في ركن الضابط وجواره صبرى وقد أخذ ينصت إليه في لهفة وشغف

(1) نادية، 1 / 172-173.

(2) المصدر نفسه، 2 / 402.

متسائلاً: وبعدين.. ماذا حدث؟! صف لي كل شيء.. كم وددت أن أكون هناك". (1)

ثم وصف الكاتب حفل بور سعيد على لسان عصام قائلًا: "كنا نضحك ملء صدورنا.. لم نكن في احتفال رسمي وإنما كنا في عرس.. كانت مدينة بور سعيد تبدو كالصبي في يوم عيد.. وكان الناس يتبادلون التهاني على غير معرفة.. كان بنفوسهم إحساس الأهل.. وقد تخلصوا من غريب ثقيل" (2) وشرح الكاتب شعور جمال عبدالناصر ورفعه العلم المصري على مبنى البحرية وكانت كلمته بهذه المناسبة في 18 يونيو 1956م لا تعدو على بضعة جمل ومنها "هذه اللحظة هي لحظة العمر بل إن أن هذه اللحظة هي العمر كله.. إننا اليوم أيها المواطنون نعيش لحظة حرم منها الآباء وحرم منها الأجداد، حرم منها إخوان لكم كافحوا على مرّ السنين". (3)

ونقل يوسف السباعي منها بعض الجمل لكنه تصرف فيها ولا ندري ماالذي جعله يغير في كلمات النص حيث لم نجد "لحظة كافح من أجلها الآباء والأجداد.. وراحوا قبل أن ينعموا برؤيتها". (4) ولعله أراد أن يشعرنا بجهود الآباء والأجداد لتحرير مصر من الإنجليز كما نرى ذلك في الحوار بين دكتور جاد الله ودكتور مدحت -بطل القصة- حيث يخيره د. جاد الله أنه مشترك في مظاهرات 1935 ووالده كان مشتركاً في ثورة وجده كان في جيش أحمد عرابي وكذلك حضور بطل القصة الاحتفال بمناسبة الجلاء له دلالات واضحة على أنها رواية تاريخية ونقل السباعي خلال الحديث الطيبين قطعة من كلمة جمال عبدالناصر على لسان بطل الرواية وهي من خطبته التي هتأ فيها شعبه بتلك المناسبة ولكن

(1) نادية ، ص/ 408-409

(2) المصدر نفسه، ص/ 410.

(3) الرئيس جمال عبدالناصر، 10 / 654.

(4) المصدر السابق، 2 / 411.

السباعي ترك جملة من النص المذكور دون إشارة إليها حيث لم نجد كانت المعارك لا تنقطع بين مدوجزر وتقدم وتأخر.⁽¹⁾

في النص المذكور في هذه الرواية⁽²⁾ ونرى أن بطلة القصة نادية وأختها تسمعان إلى خطبة الرئيس جمال عبدالناصر في فرنسا "ألا تردن سماعها يا نادية؟ إن اليوم 26 يوليو.. وقال لي عصام إنه سيذهب إلى الاسكندرية هو وصبري سماعها في ميدان المنشية".⁽³⁾

ونقل الكاتب اقتباسات من تلك الخطبة الطويلة⁽⁴⁾ لجمال عبدالناصر التي أعلن فيها عن تأميم القنال معركتنا مستمرة نسترد هذه الحقوق خطوة خطوة، وسنحقق كل شيء.. سنبن مصر القوية وسنبن مصر العزيزة، لهذا قد وقعت اليوم ووافقت الحكومة على القانون الآتي قرار من رئيس الجمهورية بتأميم الشركة العالمية لقنال السويس البحرية.⁽⁵⁾

وكانت خطبته مليئة بالحماسة فنرى أن "نادية" الفتاة الهادئة المتزنة العاقلة صفت صديقها توني عندما احتج من موقف الرئيس عبدالناصر ووصفه بالهمجية. وصاح توني: "هذه سرقة.. هذه همجية وهنا ارتفعت كف (نادية) بلا وعي وهبطت عليه في صفقة مدوية وهتفت وهي تضغط على نواجزها: - السرقة هي ما تفعلونه منذ مائة عام.. والهمجية هي ما تفعلونه في الجزائر".⁽⁶⁾ ويبدو أن كاتبنا مبالغ في الحماسة وقد يعود ذلك الحماس إلى زمن، كتب فيها السباعي هذه الرواية حيث رجعت بطلة الرواية إلى الراديو بعد هذه المشاجرة واستمعت مرة أخرى إلى كلمة الرئيس التاريخية.

(1) الرئيس، جمال عبدالناصر، 10 / 658.

(2) المصدر نفسه، ص / 408.

(3) المصدر نفسه، ص / 441-440.

(4) المصدر نفسه، ص / 755-808.

(5) المصدر نفسه، ص / 804.

(6) نادية، ص / 449-448.

وتكلم السباعي عن جيش التحرير في حوار مدحت مع طلابه الذين تطوعوا لذلك ومن المستحسن أن نعرف المصطلح قبل ذكر الحديث الذي دار بينهما في المستشفى، نجد في الكتاب (قاموس التواريخ) للأستاذ محمد حمدي الذي قدّمه محمد حسنين هيكل أن الرئيس جمال عبدالناصر هو الذي قرّر أن ينشئ جيشا من المتطوعين والشباب من الأعمار ما بين ثمانية عشر إلى خمسين عاما وأصدر الرئيس قراره في التاسع من أغسطس 1956،⁽¹⁾ نعود إلى لقاء صبري مع بطل الرواية قبل سفره إلى فرنسا وبدت الدهشة على وجه مدحت وجاد الله وهما ينظران إلى الحشد الكاكي الذي وقف بباب الحجرة ومالبث أن ميز مدحت تحت مظلات الكاكية وجوه طلبته.. ومن بينهم وجه صبري النحيل بمنظاره السميكة.. وأجاب صبري ضاحكا، -تطوعنا في جيش التحرير وقطب مدحت جبينه" وتساءل في دهشة، جيش التحرير! وماذا تفعلون به.. لقد جئنا نحتج على سفرك في مثل هذا الوقت.⁽²⁾ وكان مدحت لا يعتقد أن العلاقات المتوترة بين مصر وفرنسا وبريطانية حول قضية قناة السويس تؤدي إلى الحرب على مصر وتضاحك مدحت متسائلا: أي كفاح!! لقد انتهت الأزمة.. لقد اتفقوا في مجلس الأمن على الاجتماع في جنيف لحلّ المسألة، إنها فورة هدأت وزوبعة مرّت بسلام.⁽³⁾

ويشير السباعي بذلك إلى اجتماع مجلس الأمن في الأمم المتحدة في أكتوبر 1956م، الذي قرّر فيه بذلك قام السكرتير العام للأمم المتحدة باتصالات بين لندن وباريس والقاهرة للاتفاق على موعد استئناف المباحثات للنظر في المبادئ الستة التي أقرها مجلس الأمن لتكون أساسا للمفاوضات لحل مشكلة القناة ثم وجه

(1) قاموس التواريخ، محمد حمدي، تقديم محمد حسين هيكل، ط/ 2014م، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 178/2.

(2) نادبة، 2/ 539-540.

(3) المصدر نفسه، 2/ 540.

الدعوة للأطراف الثلاثة وتحدد يوم 29 أكتوبر موعداً للقاء بمقر الأمم المتحدة في جينيف . (1)

وأشار السباعي إلى قضية سحب المرشدين من قناة السويس إحدى محاولات تعطيل حركة المرور فيه وذكر مؤتمر لندن وبعثة أسترالية وهذه الأمور تحتاج إلى دراسة مفصلة كما فعلت د. لطيفة محمد سالم عندما خصّصت الفصل السابع⁽²⁾ المجهودات الغربية لتدويل قناة السويس . من كتابها لشرح هذه الأحداث التي أشار إليها السباعي لأنه من العسير أن نشرح كل أحداث لها علاقة بحرب قناة السويس ولكننا نرى بضرورة دراسة هذه الرواية كدراسة مستقلة في ضوء أحداث الحرب للدراسات العليا.

وفي الفصل السادس والأربعين من الرواية يشرح لنا الكاتب عن بداية الهجوم الإسرائيلي على مصر ليلة 29 أكتوبر 1956م في منطقة سيناء وتحديدًا في قرية القسيمة -القرية الحدودية- بين فلسطين ومصر حيث نجد بعدها عصام -الجريح في تلك المعركة- في مستشفى العجوزة في القاهرة التي عين فيها د. مدحت مع صديقه جاد الله بسبب الظروف الطارئة أنا اليوز باشي عصام الشافعي من سلاح الفرسان.. لقد كنت في القسيمة عندما هاجمنا اليهود ورفع مدحت الملائة البيضاء الملوثة بالدماء.. وبدت ساق عصام وقد لفت بكوم من القطن والشاش (3)

وكان مدحت متيقنا أن اليهود لن يهجموا على مصر وكان يسخر من زميله عن احتمال الحرب ثم ذهب للنوم في ساعة متأخرة من الليل وعندما أيقظوه من النوم فلم يصدق الأمر في البداية فقال له جاد الله لقد بدأ هجوم اليهود من الساعة الحادية عشرة.. نفس الساعة التي كنت تسخر مني فيها ،⁽⁴⁾ وكان الهجوم

(1) أزمة السويس 1954-1957، د. لطيفة محمد سالم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1954-1957، ص/ 220.

(2) المصدر نفسه ، ص/ 169-205.

(3) نادية، 2/ 603.

(4) المصدر نفسه، ص/ 599.

الإسرائيلي هدفه قناة السويس، إنهم ينطلقون الآن في الطريق الجنوبي صوب القنال.. لقد هجم اليهود في الكونتيتلا وليست السيناء فحسب وانحدروا في الطريق الخالي وهم ينزلون قوات بالمظلات عند ممر ميتلا (1).

وكانت ردود الفعل لهذا الهجوم العدواني على المستوى العربي والإسلامي والدولي وتعتقد د. لطيفة أن الرد الباكستاني كان قويا من الناحية الدبلوماسية فإنها لعبت دورها بدقة وعناية فمن الناحية الرسمية هي ملحقة بالسياسة البريطانية ومن ثم فإن الرئيس ووزير خارجية قد استقبلا ممثل المندوب السامي البريطاني.. وعلى الصعيد غير الرسمي فإن الشعب الباكستاني تعاطف مع مصر.. كما أيدت بعض الصحف مصر (2).

وفي مساء 30 أكتوبر عندما كان مدحت مسافرا إلى جينيف لأجل نادية عرف من موظف الجوازات عن الإنذار البريطاني الفرنسي عن وقف إطلاق النار فلم يصدقه في أول الأمر واعتقد أنه إشاعة ولكن الأمر لم يكن إشاعة وسرعان ما علا صوت الراديو ليعلن نص الإنذار البريطاني الفرنسي الذي وجهه (إيدن) إلى الحكومة المصرية والذي يطلب وقف القتال الدائر بين مصر وإسرائيل وسحب جميع قواتها إلى مسافة 10 أميال من ضفاف القنال وأن توافق مصر على مرابطة القوات البريطانية والفرنسية في المواقع الرئيسية ببور سعيد والإسماعيلية والسويس وحدد الإنذار مهلة قدرها اثنتا عشرة ساعة تالية لتقديمه، تنتهي في الساعة السادسة والنصف من صباح 31 أكتوبر (3) وترى د. لطيفة أنها كانت دعوة صريحة لإسرائيل أن تحتل القناة.

ومن الملاحظ أن الإنذار لم يقلل جانبي خط الهدنة وحتى جانبي النقطة التي كانت فيها قوات الفريقين عند تسلمها الإنذار بمعنى أنه دعوة صريحة لتتقدم إسرائيل غربا نحو قناة السويس (4).

(1) نادية، 2 / 599.

(2) أزمة السويس، ص / 260.

(3) نادية، 2 / 629.

(4) أزمة السويس، ص / 255.

وذكر السباعي أن الإسرائيل كانت بعيدة عن القنال كيف تبعد (الإسرائيل) قواتها عشرة أميال عنه.. إذا كانت لم تصل إليه؟! وأجاب مدحت ساخرا، أظن يتحتم على مصر أن تجرأ إلى القناة.. حتى يمكن تنفيذ الإنذار (1). وشرح جمال عبدالناصر هذه السخرية البريطانية الفرنسية في خطابه بإيقاف القتال والقوات الإسرائيلية في داخل الأراضي المصرية ثم يطلب من مصر ومن إسرائيل أيضا قبول احتلال بور سعيد والإسماعيلية والسويس بواسطة القوات المسلحة البريطانية الفرنسية من أجل حماية الملاحة في القناة! حدث هذا وكانت الملاحة مستمرة ولم تهدد (2).

ونقل السباعي رفض جمال عبدالناصر (لإيقاف القتال وقبول الإنذار) على لسان جمال الملحق الصحفي في سويسرا وهي الكلمات نفسها التي كشف بها الرئيس عبدالناصر مؤامرة هذه الدول في بيانه إلى الشعب المصري في الأول من تشرين الثاني 1956م، أعلنت مصر بعد هذا الإنذار موقفها، إنها لا يمكن أن تسمح ولا يمكن أن تقبل ولا يمكن أن توافق على احتلال.. هذا انتهاك لحريتها.. لحرية الشعب المصري وسيادته وكرامته (3) وبمهارة الكتابة وبروح المصري المحب لوطنه وقيادته نقل الأسباب لموافقة إسرائيل التي ذكرها الرئيس في كلمته وقد أعلنت إسرائيل موافقتها على شروط الإنذار طبعاً توافقاً.. كيف لا توافق على الانسحاب عن القنال عشرة أميال.. وهي بعيدة جداً عنه.. إنها توافق لأنها معتدية.. ولأن قواتنا منتصرة.. وهي ترغمها على الارتداد (4).

وأخبر الملحق الصحفي بطلنا عن آخر الأنباء أن القوات البريطانية والفرنسية تقاتلان معا تحت قيادة الجنرال تشارليس البريطاني قائد القوات المشتركة ويكون (باربو) الفرنسي نائبه وأن الغارات مستمرة على مدن مصرية مختلفة ورغم

(1) نادية، ص/ 630.

(2) جمال عبدالناصر، 10 / 912.

(3) المصدر نفسه، 10 / 913.

(4) نادية، 2 / 642.

طلب مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ورغم صدر قرار الجمعية العامة بوقف إطلاق النار وما يتبعه، واصلت بريطانيا وفرنسا عدوانهما (1).

وواصل السباعي حديث جمال عبدالناصر على لسان الملحق الثقافي من بيانه الذي أصدر إلى شعبه في الأول من نومبر حيث يقول أبلغنا مجلس الأمن عقد جلسة ولكن بريطانيا وفرنسا استهانت بجميع القوانين الدولية واستهانت بميثاق الأمم المتحدة واستهانت بالرأي العام العالمي (2). وقال أيضا إن وزارة الدفاع البريطاني أصدرت بيانا أنها تضرب المطارات المصرية لأنها رفضت العرض البريطاني الفرنسي بشأن سحب القوات المصرية عن القنال وأنهما هاجمتا فعلا المدن المصرية مثل القاهرة والاسكندرية ومنطقة قناة السويس بدأت الغارات الجوية على مصر بعد أن انتهت مدة الإنذار في يوم الأربعاء 31 أكتوبر 1956م، وشهدت القاهرة أولى تلك الغارات في الساعة الخامسة بعد الظهر (3).

وأمر الرئيس بسحب القوات المسلحة من سيناء فعبر السباعي عن شعور الضابط الجريح في أرض المعركة أحقا... سنسحب قواتنا من سيناء.. أمام قوات إسرائيل؟! أيمن أن نترك أرضنا للكلاب النابحة؟! (4).

وكان عبدالناصر سحب قواته من سيناء كتكتيك حربي لكنه لم يترك المجال المفتوح أمام العدو حيث ترك المجموعات الفدائية هناك وتركت وحدات انتحارية لليهود هناك (5). لعله يقصد القوات الخاصة أو رجال الصاعقة كما هي تسمية معروفة في مصر ووژع جمال عبدالناصر الأسلحة بين أفراد الشعب وخاصة بين متطوعي جيش التحرير وعاهد الشعب بأنه يقاتل معهم ضد العدو وأنا موجود معكم هنا في القاهرة، حنقاتل.. لأخر نقطة دم.. لن نسلم أبدا (6)، وأعلن أيضا

(1) أزمة السويس، ص/ 263.

(2) جمال عبدالناصر، 10/ 913.

(3) نادية، ص/ 665.

(4) المصدر نفسه، ص/ 668-669.

(5) الرئيس جمال عبدالناصر، 10/ 921.

(6) المصدر نفسه، ص/ 923.

أن أولاده في القاهرة ولم يرسلهم ولن يرسلهم خارجها فبذلك جعل عبدالناصر هذه الحرب حرب الشعب فنتيجة تلك الحماسة لم يكن الناس يسألون عن ضحايا الغارة من الشعب.. وإنما يتلهفون على ضحايا الطائرات المغيرة .⁽¹⁾

والمعركة الأخير التي ذكرها السباعي هي معركة بورسعيد -المدينة الساحلية- التي تقع في الجانب الشمال الشرقي لمصر وتطل على البحر المتوسط وبدأت المعارك هناك صباح 5 نومبر من قبل القوات البريطانية الفرنسية وحاولت إنزال قواتها عبر المظلات لكن أهالي المدينة الباسلة قاوموا مقاومة شديدة واندفع الأهالي.. بكل ما يملكون من أسلحة. اندفعوا (بأيادي الهون).. وبالسواطير والسكاكين. اندفعوا في حماس جنوني ليدفعوا المعتدي.. عن أرضهم.. وعرضهم وكرامتهم.. وفي أربع ساعات.. كانت الموجة الأولى.. قد قضى عليها .⁽²⁾ وودّع صبري صديقه عصام الشافعي في المستشفى بعد أن عرف من الإذاعة البريطانية أن المدينة سقطت بيد القوات الأجنبية وبعد أن عرف أن ناديه هي خطيبة د. مدحت وأن المدينة بحاجة إلى المتطوعين إنهم في حاجة إلى كل سلاح وكل قطرة من عرق لابدّ أن أقوم بواجبي في المعركة.. إن لدى موعداً مع بعض الفدائيين وستحملنا عربية .⁽³⁾ واستطاعت القوات البريطانية الفرنسية أن تنزل دباباتها وعرباتها وقوات مشاتها على أرض بور سعيد بعد الهجوم بالطيران والأسطول التي دمّرت المدينة بها ولكن المقاومة الشعبية استمرت ضد العدو وهذه المقاومة هي التي حمت مصر ما سلمت بور سعيد ولكنها قاتلت أنا يا إخواني أعلم بور سعيد قاست، انضربت بالطائرات، انضربت بالأسطول، انضربت بالقوات المعتدية ولكن بور سعيد هي اللي حمتكم، حمت مصر كلها.. بور سعيد فدت مصر كلها .⁽⁴⁾

هذه من الناحية التاريخية وأما من حيث أحداث القصة فهي رواية رومانسية وتقع معظم أحداثها في القاهرة وفي مدينة جاب الفرنسية وتبدأ أحداث الرواية

(1) ناديه، 2 / 670.

(2) المصدر نفسه، 2 / 676.

(3) ناديه، 2 / 677.

(4) جمال عبدالناصر، 2 / 935.

بزواج طالب مصري مع طالبة فرنسية وعاد بها إلى القاهرة حيث لم تقبل العائلة الزواج عموماً وعين الطالب (فاضل) في الجامعة ووصل إلى مرتبة أستاذ مساعد ورزق بطفلتين (نادية) و(منى) وبقي مع زوجته وابنتيه في شبه عزلة عن عائلته وفصل من الجامعة ظلماً في عملية للتطهير الشاملة أنت تعرف لماذا خرجت.. وتعرف الذين وشوا بك والذين كانوا ينافسونك على كرسي الأستاذية.. أنت تعرف كيف كالوا لك التهم (1). فأصابته ذبحة صدرية وقدم أوارقه في فرنسا حتى يتعد عن ذلك الجو فقبل هناك وقبيل السافر أشعلت النار في البيت فأصاب الحريق وجه نادية وبعض عنقها فأجل السفر وأصاب فاضل ذبحة صدرية أخرى التي أدت إلى وفاته ولم تكن أسرة فاضل متعاونة مع الأم وابنتيهما غير عمهما فقررت الوالدة السفر لتجتنب المشاكل العائلية والمادية فسافرت إلى فرنسا إلى أمها العجوز مع نادية ومنى.

وكانت منى تحب شاباً يدعى (عصام الشافعي) طالب الكلية العسكرية وكانت تصارحه بحبها له وكان عصام يحبها أيضاً أما نادية فكانت تحب د.مدحت أحد الأطباء المعروفين ولكنها كانت لا تقتربه وكانت تراقبه من بعيد وبعد حادث الحريق خافت من مواجهته فسافرت إلى جاب بدون وداعه وكان هناك شخصاً آخر هو "صبري" صديق عصام الشافعي الذي كان يحب نادية لكنه كان خجولاً من ناحية التعبير عن المشاعر وكان وطنياً يهتم كثيراً بالسياسة وكان يتابع بدقة أحوال البلاد والسياسة الدولية وتأثيرها على بلاده وكانت نادية غير مهتمة به من الناحية العاطفية.

وعلى متن السفينة قابلت الأسرة الملحق الصحفي المصري الجديد في السفارة المصرية في مدينة برن السويسرية فأعجب بنادية وأراد أن يخطبها، ولكنها كانت كثيرة الإهتمام بدكتور مدحت فاعتذرت ونعرف من خلال الأحداث أن الملحق الصحفي (جمال) كان قريباً لدكتور جاد الله وهو الصديق الوحيد لبطل الرواية.

(1) جمال عبدالناصر ، 1 / 64.

حثت منى أختها أن تكتب إلى الأصدقاء في مصر وبدأت نادية تكتب إلى د.مدحت فراسلها أيضا وبعد مرور الفترة طلب منها أن ترسل إليه صورتها فأرسلت إليه صورها قبل حادث الحريق ولكنه ألحّ في طلبه أن ترسل نادية صورتها الحديثة فأرسلت صورة أختها لأنها كانت تخاف أن لاتنال صورتها إعجاب د.مدحت بسبب بعض آثار الجروح على العنق فزاد اهتمامه بها فأراد أن يقابلها وهو في طريقه إلى لندن وخلال هذه الفترة ماتت منى وكانت نادية وأسرتها في وضع نفسى سيئ ووقعت هذه الأحداث قبيل حرب العدوان الثلاثي على مصر فلما وصل مدحت إلى بيت نادية ليفاجئها ففرغت وأخبرته أن نادية توفيت وهي منى ولم يعرف مدحت ماذا يفعل في جاب بعد أن تلقى تلك الصدمة القوية ورافقت نادية إلى بعض الأماكن التي ذكرتها له في رسائلها فرجع الدكتور إلى القاهرة وبدأت الحرب وكلف الأطباء لمعالجة الجرحى من العساكر فوجد مدحت هناك عصام الشافعي الضابط الجريح الذي أعطاه صورة منى لي عندك رجاء يادكتور مدحت.. لو استطعت أن تبلغ النبأ إلى أمي بطريقة سهلة مخفية.. ليس لي في الحياة غيرها وغير خطيبي، وخطيبي لحسن الحظ.. لا توجد الآن في مصر.. وهذه صورة أمي وخطيبي إنهما سبب حرصي على الحياة .⁽¹⁾ فيجد مدحت أنها صورة بعينها التي أرسلتها نادية إليه وبعد قليل بينما كان مدحت يناقش قصة صورة نادية في جيب الضابط الجريح وصلته رسالة من نادية التي لم تتحمل صدمة فراق مدحت واعترفت في رسالتها لمدحت عن وجودها وأخبرته عن موت منى وأسباب فرارها من مواجهته بسبب عنقها المجروح فأراد مدحت أن يسافر إليها للحفاظ عليها لأنها كتبت له عن نيتها بالانتحار فسهل له، جاد الله إجراءات السفر فسافر بأخر طائرة فلما وصل إلى حدود فرنسا عن طريق سويسرا منع من الدخول بسبب دخول فرنسا الحرب ضد مصر فاستعان بجمال الملحق الصحفي فدبر له عملية التهريب التي أوصلهما إلى نادية ثم رجع بها إلى القاهرة بعد موافقة أمها ويستشهد صبرى في عملية فدائية في معركة بور سعيد بعد أن يسلم رسالة إلى نادية ويطلب

(1) نادية، 2 / 604.

منها أن لاتفتحها إلا بعد وفاته وتنتهي القصة بإيقاف الحرب لست أعرف شيئاً
عن اجراءات الزواج.. ولكن لا شك أن أمي تعرف كل شيء وسنتصل بعمك
سليمان.. ليحضر إلينا وتنهت "نادية" وانحدرت عبراتها من عينيها وكفكفها
مدحت ضاحكا وهو يقول. انتهينا لا عبرات بعد الآن.. بل حياة وأمل..
وبسمات.. وسلام لنا.. ولوطننا.. ولكل الناس (1).

4. ليل له آخر

نشرت هذه الرواية في سنة 1963م ولها جزآن وموضوع القصة وحدة سوريا ومصر باسم الجمهورية العربية المتحدة وشرح السباعي أسباب الانشقاق وحل الجمهورية بعد ثلاث سنوات وكتب السباعي عن الظروف والانقلابات التي كانت تحدث قبل وحدة الدولتين في فبراير 1958م وجمع الكاتب بين تجربة عيشته في سوريا قبل الانفصال وبين مرض ابنه اسماعيل الذي تعذرت معالجته في مصر واضطر أن يعالجه في العاصمة البريطانية وشاهد عن قرب شتاء لندن وربيعها وتحمل الغربة فيها وذاق مرارة معالجة ابنه وزار المستشفيات والأطباء مما أثر على شخصيته وقوي إيمانه بالله تعالى وتمسكه بالأمل دائما فجمع بين تجربتي الغربة فأنتج هذه الرواية ووقعت أحداثها في دمشق ولندن والقاهرة وبيروت بالإضافة إلى ذكره بعض المطارات الأوروبية فالرواية تقدم لنا معالم هذه المدن ويشعر القارئ كأنه يزور هذه الأماكن بسبب الوصف الدقيق لها من قبل يوسف السباعي.

هنا عميد الأدب العربي د. طه حسين على هذه الرواية وقرأها مرتين وكتب مقالا بعنوان (ليل له آخر) حول هذه الرواية يتحدث عن جمال الرواية قائلاً ومن أجمل ما في القصة أن الكاتب لا يظهر فيها فهو لا يتحدث ولا يقص وإنما يترك ذلك لسهير هذه الفتاة التي شقيت بالمرض والحب ثم سعدت بالشفاء والأمل (1) أما السباعي فقد تكلم عن د. طه حسين وشخصيته على لسان سهير وحسان أكثر من مرة مما يدل على اهتمامه به، تسأل سهير عن مشاركة د. طه حسين في مؤتمر الأدباء الذي عقد في دمشق ونظمه الاتحاد العام للأدباء والكتاب سنة 1956م فيجيبها حسان المفروض أن يأتي.. ولكنه لم يصل بعد.. على أية حال إذا لم يحضر الليلة.. سأخذك إلى بلودان لترى.. فالمفروض أن يلقي هناك محاضرة (2) وكان السباعي بنفسه قد شارك في المؤتمر المذكور وأكد خليل قنديل ذلك في

(1) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 46.

(2) ليل له آخر، يوسف السباعي 1/ 199.

مقال له بمناسبة عيد الاتحاد الخمسين وذكر أسماء الوفد المصري⁽¹⁾ المشارك في ذلك المؤتمر وهي الأسماء التي ذكرها السباعي على لسان حسان في هذه الرواية وذكر السباعي في روايته كتاب (الأيام) لطف حسين وورد اسم طه حسين المرة الثالثة حين نشرت إحدى أعمال حسان (بطل القصة) في المجلة التي نشرت فيها مقال د. طه حسين قصة (دموع النادمة) منشورة جنبا إلى جنب مع مقال طه حيسن وتوفيق الحكيم⁽²⁾.

وبدأت أحداث الرواية في ربيع سنة 1953م بعد عيد ميلاد الثاني عشر لسهير عبدالهادي التي أصابت بشلل الأطفال، لم يحدد السباعي هذه السنة من خلال كتابته ولكن ثمة أحداث تدل على ذلك ومنها سفر سهير مع عائلتها إلى لندن في يناير السنة التالية بعد أن يؤس الأيون بعد عدة محاولات معالجتها في داخل الوطن وبعد عودتها تفأجات بانقلاب آخر لقد عدنا لنجد انقلابا قد وقع بالبلد، انقلابا أطاح بحاكمها القديم (الشيشكلي) صاحب ثالث انقلاب عاصر عمري القصير⁽³⁾. وحدث هذا الانقلاب في 25 فبراير 1954م. وغادر الشيشكلي سوريا نفس اليوم كما ورد في كتاب كمال ديب تحت عنوان (الانقلاب ضد الشيشكلي)⁽⁴⁾.

أخذ السباعي شخصيات الرواية الأساسية من الطبقة العليا وأصحاب النفوذ من المجتمع السوري حيث نرى أن (سهير) ابنة وحيدة لأبويها وكان والدها اقطاعيا وخالتها حفيظة امرأة نشيطة وكانت عضوا في الجمعيات التي تخدم المرأة بشكل أو آخر وكان زوج خالتها عبدالله رجلا معروفا في الأوساط التجارية

(1) الرئيس السوري يرمي حفل اتحاد الكتاب العرب بعيده الخمسين، خليل قنديل، الدستور، 18 أيلول 2004.

(2) ليل له آخر، ص/ 17.

(3) المصدر نفسه، ص/ 171.

(4) تاريخ سوريا المعاصر، كمال ديب، دار النهار، ط/ 1، تشرين الأول، 2011، ص/ 141.

والسياسية ويعتبر من أقدر رجال الأعمال في (سورية) وأقواهم نفوذاً. (1) وكان ابن عم عبدالله وزير المالية زار مع زوجته وابنته أسرة سهير بمناسبة عيد ميلادها. والرواية تدور حول خمس أسر ثلاثة منها في سوريا وأسرّة في مصر والأسرة الخامسة هي في لندن، تعيش أسرة سهير وأسرة حسان وأسرة سلمى صديقة سهير في دمشق وتكلمنا عن أسرة سهير وحسان أمّا أسرة سلمى فهي تشتمل على سلمى زميلة سهير في المدرسة وصديقتها المخلصة وأختها عزت، مدرسة في إحدى المدارس وأخوها رياض (ضابط في الجيش السوري ومحب سهير) ووالديهم أمّا الأسرة الرابعة فهي أسرة الدكتور هاشم وزوجته لطيفة ساعداً أسرة عبدالهادي السمان كثيراً خلال زيارتها الأولى لمعالجة سهير والأسرة في أصلها مصرية كانت قد انتقلت إلى لندن ولكنها لم تكن موجودة في لندن في زيارة الأسرة الثانية بعد فشل العملية الأولى لو كانت لطيفة والدكتور هشام هناك.. لأراحتنا كثيراً.. ليس هناك ما يحملني الهم، غير انتقالهم إلى القاهرة وعدم وجودهما هذه المرّة.. حملاً عنا عبئاً كبيراً، لقد أزالا عنا الوحشة وجعلانا بأن هناك أسرة تحمل هماً. (2) ولطيفة خالة حمدي-بطل القصة وأحد ضباط الجيش المصري وكذلك خالة نادية أديبة مصرية وحبّية حسان-وهي حلقة وصل للتعارف بين الأسرة السورية والأسرة الخامسة المصرية التي تشتمل على أم حمدي ونادية وحمدي لأنها كانت أسرة صديقة لحفيظة خالة سهير وأم حسان.

وكان اللقاء الأول بين سهير وحمدي في بيت خالته لطيفة على مأدبة العشاء قبيل إجراء العملية الأولى وليس في بيت أقرباء سهير بعد العودة من لندن كما زعم د. طه حسين غير أنها لقيت عند بعض أقربائها ضابطاً مصرياً شاباً من ضباط الجيش المصري الذي رابط مع السوريين على الحدود بين سوريا وفلسطين (3).

(1) ليل له آخر ، ص / 14.

(2) المصدر السابق، ص / 480.

(3) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص / 43.

رَّكَز السباعي على قضية تأثير الوحدة بين سوريا على الشعب السوري فلم يكلف نفسه أن يعطينا فكرة عن الظروف والأحوال السياسية قبل الوحدة إلا شيئاً بسيطاً عن تاريخ الانقلابات ما بين 1949م و1954م على لسان أبو سلمى ولكنه تجنب ذكره مرحلة وصول شكري القوتلي إلى منصب رئيس الجمهورية ولم يتحدث كذلك عن علاقاته مع جمال عبدالناصر لأنه قضى سنوات منفاه في مصر قبل عودته إلى دمشق وظهر رئيس الجمهورية السوري في هذه الرواية في مؤتمر الأدباء وأكد السباعي شعبيته من خلال وصف المؤتمر ونقل أفكاره بأنه في طريقه إلى الوحدة وبعد برهة دخل الرئيس (شكري القوتلي) وسمعت حسان يهمس إلى.. ولم أسمع همساته بين ضجيج التصفيق الذي دوى بدخول رئيس الجمهورية.. واهتزت القاعة بالتصفيق عندما أكد (رئيس الجمهورية) أننا في طريقنا إلى وحدة عربية شاملة⁽¹⁾، وتم اللقاء في هذا المؤتمر بين حسان لطيفة ونادية أخت حمدي ممّا مهد لاحقاً إلى نشأة الحب بينهما ومثل السباعي موقف حسان من هجوم العدوان الثلاثي على مصر موقف الشباب السوريين لأنه قرّر التطوع للدفاع عن بور سعيد وربط بالقتال ضد فرنسا كأنه قتال ضد الاستعمار السابق علماً أن السورية كانت جمهورية في ذلك العهد وقد مضى نحو عشر سنوات من خروج الفرنسيين من بلاده لقد قرّرت التطوع.. سأشارك في صد الإنجليز والفرنسيين سأخذ بثأرنا من الاستعمار الفرنسي⁽²⁾.

ونستغرب من موقف السباعي لسفر عائلتي حسان وسهير من أجل زيارة الطبيب العالمي للعظام والمشاركة في مؤتمر أدباء الثالث في القاهرة ولكن عائلة سهير لم تزر الطبيب ولا نجد شيئاً عن مؤتمر الأدباء ولا عن مشاركة الأدباء الخ من التفاصيل الذي ذكره في مؤتمر دمشق ويجد القارئ عكس ذلك الحديث عن الإسكندرية وشواطئها وذكر معالم القاهرة ومقارنتها بمعالم مدينة دمشق سنعتبر مقطمكم جبلاً وتعتبرون بردانا نُهراً اتفقنا؟⁽³⁾

(1) ليل له آخر، 1/ 205-206.

(2) المصدر نفسه، ص/ 219.

(3) المصدر نفسه، ص/ 233.

ومن المآخذ على هذه الرواية أن السباعي ذكر الأرقام المختلفة عن الأراضي التي يملكها عبدالهادي بعد قانون الإصلاح الزراعي حيث يقول سيقون لنا مائتي فدان من الأرض المروية أو 75 من أرض الأمطار⁽¹⁾، ولكنه على لسان عبدالهادي ذكر رقما آخر أيضا سأريهم ماذا أفعل بالسبعمئة فدان التي سيتركونها لي وسأرى ماذا سيفعلون بالأرض التي أخذوها⁽²⁾.

وفي حديثه مع سهير تتأكد سهير من أيها عن عدد الفدان حيث تقول ألم يبق لك سبعمئة وخمسون فدانا؟! ألا يكفيك هذا⁽³⁾ أما حديثه عن عدد الفدان الذي تتركه الحكومة للاقطاعيين فهو بعيد عن الواقع لأن الأراضي المروية هي أكثر انتاجا وأكثر ثمنا من أرض الأمطار فكيف يمكن أن يأخذ الاقطاعي. 200 فدانا من الأراضي المروية أو 75 فدان من أرض الأمطار والعكس صحيح وهذا ما ذهب إليه مهدي الناصر في مقاله حول هذا الموضوع صدر أول قانون للإصلاح الزراعي في سوريا خلال العام 1958م برقم 161 وتضمن القانون وضع حد أعلى للملكية المالك قدره 80 هكتارا في الأراضي المروية أو المشجرة أو 300 هكتار في الأراضي البعلية⁽⁴⁾.

وأخبر عبدالهادي عائلته أن الحكومة تسلمه مبلغ الأراضي بعد عشرين سنة ولكن الأستاذ ديب كمال لا يتفق معه حيث يقول الدولة باعت الأرض بسعر منخفض للفلاح على أن يسقط المبلغ خلال 40 سنة بعد ذلك يسلم صك الأرض⁽⁵⁾.

ولكن أدينا لم ينسى قضية فلسطين التي شغلت عالمه الفكري خلال رحلته القصصية عبر العقود فعند ما ذهبت سهير إلى الجبهة فأخذت سائقها معها أتعرف

(1) ليل له آخر، 1/ 245.

(2) المصدر نفسه، ص/ 347.

(3) المصدر نفسه، ص/ 249.

(4) تعرف على مفهوم قوانين الاستصلاح الزراعي في سوريا (مقال)، مهدي ناصر، 19 يونيو 2018، www.tal.net/2018/06/19/ لزر/

2018، لزر/

(5) تاريخ سوريا المعاصر، ص/ 197-198م.

أن (الأسطى على) فلسطيني الأصل.. لا شك أنه سيفرح كثيرا باصطحابنا إياه في هذه الرحلة. (1) وخلال زيارتها للمرحلة نجد أن الأسطى على يدل المجموعة على طريق قريته ولم ينسى ما احتله الإسرائيليون من قريته وتلك هي قريتي.. هناك.. وراء ذلك المنحدر في أقصى اليسار.. وراء هذه القباب توجد السوق.. والطريق المؤدي إلى بيتي.. وأمامه شجرة الزيتون العجوز.. موطن أبي وأمي ومرتع صباى. (2) أما أسباب انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة فلها أسباب مختلفة ومنها أن الموضوع لم يدرس بدقة قبل الوحدة فأشبه السباعي الوحدة بزواج الحب كان وحدتنا أشبه بزواج حب ملتهب خاطف دفع إليه القلب دون أن يدع فرصة للذهن أن يضع له من عراقيل الترتيبات والإعدادات ما قد يؤخره أو يحول دونه. (3) وتطبيق قانون الإصلاح الزراعي أحدث ضجة كبيرة في سوريا لأن الوضع الاقتصادي كان يختلف بين البلدين قبل الوحدة. وإمكانات الفلاح كانت مختلفة، بين البلدين لاستخدام الأراضي لا أظن هناك ضرورة لتطبيقه هنا، ليس عندنا أزمة أراض، الأراضي هنا لانجد من يزرعها وتحتاج إلى قدره كبيرة لاستثمارها (4). وكان وزير الزراعة بعثيا وعقد الأمور لتطبيق قانون إصلاح الأراضي وزاد نفور السوريين بذلك ورأى السباعي أن البعثيين استخدموا الوزارات لبت أفكارهم ونفوذهم في مصالح الدولة المختلفة حيث نجد أنّ (عزت) أخت سلمى انتقلت من المدرسة إلى وزارة الإرشاد وتسلمت رئاسة إحدى أقسامها ويبدو أن السباعي كان يرى أن خطر الشيوعيين لا يقل عن خطورة البعثيين فنجد شخصية (شكيب) يشكو دائما من الأوضاع وهو شيوعي واتهم أن البطالة تزداد بسبب عمالة مصرية تعمل بأجور رخيصة فيجيبه حسان أنّ التهمة لا أساس له ولكن السباعي لا ينفي أيضا أن سوء إدارة أمور الدولة أيضا لعبت دورا هاما في الانفصال وشرح أيضا أحداث الانفصال ونقل بيانات قيادة الثورة وسوء المعاملة مع الضابط المصريين

(1) ليل له آخر، 287/1.

(2) المصدر نفسه، ص/ 298.

(3) المصدر نفسه، ص/ 236.

(4) المصدر نفسه، ص/ 239.

ومن ضمنهم حمدي -خطيب سهير- وعبر عن مشاعر الشباب السوريين وسلط الضوء على وجهة تفكيرهم نحو الثورة والانفصال وأشار إلى التوتر في العلاقات بين المشير عبدالحكيم عامر وعبدالحميد السراج وأشار أيضا إلى مشاكل الجيش ودور مدير مكتب عبدالحكيم قائلاً إذا كانت المسألة كلها معلقة بمشكلات الجيش.. فلماذا كل هذا الضجيج.. ثم إن رأس الحركة.. هو مدير مكتب المشير موضع ثقته (1). وكتب ممدوح دسوقي حول شخصية السراج وسماه الرجل الأول في سوريا قبل الوحدة (2). وتحدث أيضا عن الانقلاب العسكري الذي قاده مدير مكتب المشير ونكتفي بهذا القدر من الحديث لأنّ الموضوع مثيرو والدراسة المفصلة فيها تخرجنا من إطار الرواية إلى ذكر وجهات النظر والآراء المختلفة في هذه القضية ولكننا نشير أن الرواية تشتمل على موقف مصري من هذه القضية ونقترح أن باحثا ما لو حاول المقارنة بين الرواية المصرية والسورية في ضوء قضية الوحدة والانفصال فتكون دراسة مفيدة للطلاب والباحثين الجامعيين.

5. الابتسامة على شفثيه

نشرت هذه الرواية في سنة 1971م وشرح فيها السباعي أحوال القدس قبل نكسة حزيران 1967م. وتكلم عن مشاعر الفلسطينيين الذين شردوا وأجبروا على الترحيل بعد أن قتل وذبح عدد كبير منهم ولم يستطع هؤلاء تدفين أقاربهم ونجوا بجلدهم ويصف الكاتب ما حدث بعد مذبحه دير ياسين على لسان بطل روايته عمّار وقتل فيها أخو عمّار وخالته الحامل وزوج خالته أيضا ويذكر بعد ذلك أباه وهو يحمله على كتفه.. وأمه تحمل مي الصغيرة.. ومازال صراخها يتعالى.. ويسيرون في درب ضيق فوق سفح الجبل.. تاركين وراءهم.. جثثا ملقاة على الطريق.. شيوخا وأطفالا ونساء.. ولم يعد منظر أخيه وخالته غريبا على عينيه فقد امتلأت الطرقات بأمثاله.. وفي الميدان جرّدت النساء من ثيابهن.. وحوهن

(1) ليل له آخر، 2 / 602.

(2) ممدوح محمد دسوقي، أحمد سعيد الإعلامي، الأشهر في الستينات وشهاداته التاريخية، ط/ 2، مكتبة

جزيرة الورد، 2017م، ص/ 58.

فوهات البنادق.. والقهقهات الساخرة.. ورجلهن جثث.. تطؤها النعال (1) وكانت هذه المجزرة في التاسع من ابريل 1948م، ولم يتوقف العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني بعدها بل استمر اليهود بوحشيتهم فكانت مذبحه كفر قاسم هي الأخرى في نهاية أكتوبر سنة 1956م، (قبيل الحرب الثلاثي على مصر) التي زادت الكره والنفور للاسرائيليين وفقد فيها حمزة -أحد مقاتلي المقاومة والده- لو رأيتم كيف كانوا.. يستمتعون بقتل إبي وزملائه في كفر قاسم.. كانوا يتسلون بقتلهم كأهم يصطادون العصافير (2).

وتحدث الكاتب عن تأثير الدول العربية الأجنبية في حالة حرب الجمهورية المتحدة والعرب ضد إسرائيل ولكننا نلاحظ أنه كتب بالتفصيل عن تأييد الهند لموقفها ولكنه تجاهل باكستان تماما حيث نجد اسمها فقط وباكستان وأفغانستان وماليزيا وسنغافورة تقف معنا (3) علماً أن جمهورية باكستان الإسلامية لم تعترف بإسرائيل إلى الآن والجواز الباكستاني هو غير صالح للسفر إلى إسرائيل واشتهر الطيار الباكستاني سيف الله أعظم بعد حرب يونيو 1967م لأنه أسقط أربع طائرات إسرائيلية بمفرده. (4)

وذاق العرب مرارة الهزيمة في هذه الحرب وبدأت حدة الحماس من الإذاعة تخف ولم تعد تعرف أبنا محددة عن القوات العربية.. أين هي.. وما ذا تفعل وأذيعت الأنباء عن تدخل أمريكا بطيرانها.. وضاعت الجولان.. والضفة الغربية.. وسيناء وضاعت معها القوات العربية وانحسر ما تبقى منها غرب القنال.. وشرق النهر.. ووراء الهضبة (5) وحلّل السباعي الحرب بأنها كانت معركة الخسارة قبل بدءها لأن العرب لم يكونوا مستعدين لها ولم يخططوا لها تخطيطاً دقيقاً وقوات الدول العربية

(1) ابتسامة على شفتيه، يوسف السباعي، مكتبة مصر سعيد جودة السحار وشركاه، القاهرة، ص/ 27-28.

(2) المصدر نفسه، ص/ 256.

(3) المصدر نفسه ، ص/ 120.

(4) الطيار الذي انتصر بمفرده على السلاح الجو الإسرائيلي، بتاريخ 2018/8/6م، 7:17 صباحاً،

www.Arabic.rt.com

(5) ابتسامة على شفتيه ، ص/ 125.

لم تكن تملك من الأسلحة التي تكفيها خلال مدّة الحرب والجيش المصري كان مشغولا في اليمن لحماية الثورة وتشاغلت جيوش العراق وسوريا... بطي النظام وراء النظام... وعمل الانقلاب وراء الانقلاب.. والثورة أعقاب الثورة.. والأردن والسعودية تجدان في مصر خطرا أكبر من خطر إسرائيل. (1)

وفي تلك الظروف إلقاء العدو في البحر كان حلم فلسطينيين، يصعب تحقيقه والتفوق الإسرائيلي الجوي هو الذي قرّر مصير الحرب لصالح إسرائيل ونقل السباعي بيان جمال عبدالناصر الرئيس المصري بأنه كان غير مستعد للدخول في المعركة ليس لديه خطة جاهزة لاستعادة فلسطين.. وأنه لن يقبل الدخول في حرب، قبل أن يأخذ عدّتها.. ويحاول بعض الحكام العرب دفعه إلى الحرب قبل أن يستعد لها وبعض الإذاعات العربية تهاجمه لأنه يترك إسرائيل تمر في شرم الشيخ وأنه يقف مستترا وراء قوات الأمم المتحدة. (2)

هذه من الناحية العسكرية ومن الناحية الفكرية كان الصراع قائما بين القوى المختلفة تحاول سيطرتها على المجتمع إن هناك اختلافا جذريا في الصفوف.. بين القوى التقدمية والثورية.. وبين القوى التقليدية والرجعية، (3) على حد تعبير الكاتب ويبدو أن السباعي بنفسه لم يسلم من هذا التطرف الفكري حيث لا نجد في هذه الرواية دورا بارزا للقوات العراقية في حرب حزيران في معركة الكرامة الشهيرة في 1968، بعد نكسة العرب وحيث لانرى ذكرها أكثر من ثلاثة أسطر إحداها عن معاهدة الدفاع المشترك مع الأردن ومصر وفي السطر الثاني أخبر الضابط عبدالكريم زوج أخت عمّار أن القوات العراقية في طريقها للقتال بجانبهم، (4) وفي المعركة الأخيرة بخبر يحيى زميله المقاتل حمزة أنّ في جيبه بقايا باكو البلح العراقي الذي وزعه علينا عباس بالأمس. (5) وكتبت د. محمد جميل الحبال مقالا بعنوان

(1) ابتسامة على شفّته، ص/ 38.

(2) المصدر نفسه، ص/ 69.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه، ص/ 116.

(5) المصدر نفسه، ص/ 315.

(دور الجيش العراقي في حربي حزيران 1967 ورمضان 1973) وشرح فيه دور الجيش العراقي قامت الطائرات الإسرائيلية بقصف أرتال الجيش العراقي وهي تتقدم في الطريق خاصة في منطقة مدينة (المفرق) الأردنية في محاولة لمنع وصول الجيش العراقي إلى ساحة المعركة وبالرغم من ذلك استطاع اللواء الثامن الآلي من الوصول إلى الضفة الغربية ودخول المعركة مباشرة . (1)

وكان الدكتور محمد جميل شارك في الحرب طيباً مع الجيش العراقي وسجل مشاهداته عن معركة الكرامة قائلاً بدأت إسرائيل التوغل في الأراضي الأردنية شرقي نهر الأردن والهجوم على مخيمات فلسطينية ومواقع الفدائيين على حدود الضفة الشرقية فتصدى لها الجيش الأردني بالتعاون مع الفدائيين الفلسطينيين وكانت تساندهم كتيبة من مقاومة الطائرات العراقية التابعة للواء الثامن والتي كان لها دور فعال في إسقاط 5 من طائرات العدو . (2)

ووضع السباعي أوضاع مدينة القدس المحتلة بعد حرب يونيو من النواحي المختلفة وشرح أساليب الإغراء والتهديد الاسرائيلية للسيطرة على المدينة وأهاليها فوجد أن السلطات الإسرائيلية وضعت المناهج الجديدة وأمرت بجمع كتب المناهج الدراسية المتوفرة في المدارس قبل الاحتلال للتغيير الفكري في جيل العرب القادم وشددت المراقبة على كل مدرسة تتساهل في تنفيذها لتتخذ الإجراءات ضد مدير المدرسة والمدرس خالف التعليمات أنت وهي.. إني أوجه إليكما إنذاراً أخيراً.. التعليمات يجب أن تتبع بدقة.. لن نتسامع في هذا مطلقاً.. ولا تضطرونا إلى استعمال العنف معكم . (3) فتركت على أثرها مي -بطلة الرواية- التدريس ففضلت الجلوس في البيت فضحت بوظيفتها وغيّر الإسرائيليون أسماء الأماكن فغيروا اسم نابلس وجعلوها سماريا، ويطلب عقيد الجيش الإسرائيلي من تاجر الأقمشة الشيخ عبدالسلام -والد بطل الرواية- أن يتعاون مع السلطات فيجد أنه يصر على عدم التعاون بعد أن زاره في محله وبيته فيأخذه الجنود مع ابنه عمار

(1) www.alhabbal.info/dr.mjamil/articles/ar17.htm

(2) www.alhabbal.info/dr.mjamil/articles

(3) ابتسامه على شفتيه، ص/ 183.

وبنت خالته مي لغرض التحقيق الناس في العراء.. والمدافع مسلطة عليهم.. وبين آونة وأخرى يساق بعض منهم إلى إحدى العربات حيث تنطلق بهم إلى حيث لا يعلم أحد وقبيل العصر.. سمع دويّ شديد.. ثم توالى الانفجارات وعلا الدخان من وسط البيوت ،⁽¹⁾ فدمر بيت الشيخ عبدالسلام وجرح زوجته وكسرت رجلها لأنها كانت في البيت وأخذ ابنه عمّار للتحقيق لكنه رفض أن يهجر وبدأ يعمر بيته من جديد وهو الذي هاجر من قرية دير ياسين وكان يريد أن يعوض قرار هجرته ببقاءه في القدس ونرى أنه يسمح لابنه الشاب أن يذهب للمقاومة لا أملك أبدا أن أمنعك من الذهاب.. فنهاك مكانك.. وأنت ضريبتني أدفعها لبلدنا.. فخورا.. سعيدا .⁽²⁾

ولم تكن المقاومة منحصرة على الرجال فقط فشاركت مي في إحدى العمليات الفدائية وخلال الحرب تضمد جرحا.. أو تجبركسرا.. أو تعطي جرعة ماء لهالك.. يتوق إلى أن يطفئ قبل الموت ظمأه .⁽³⁾

وتهاجم من على العربتين الإسرائيليتين بقنبلتين وعكس ذلك كان موقف أميرة التي استمرت في التدريس وساعدت أخاه الطبيب وكانت مستعدة للوقوف بجانب الفلسطينيين ولم ترض بالهجرة من أجل الزواج إلى القاهرة فكان خطيبها رؤوف ضابطا في الجيش المصري وأصرّت على البقاء في القدس من أجل الوطن ليست المشكلة ما أفعله في القاهرة.. وإنما المشكلة هي واجبي في القدس.. القدس تحتاج إلى كلّ فرد فينا.. إنهم يدمرون بيوتنا.. وينزعون ملكيتها وهم يشيدون البيوت لليهود حول المدينة العربية ومن أجل هذا يجب أن نبقي جميعا.. وأن نرفض التعاون معهم وأن نقاوم كل محاولاتهم لتحويل القدس العربية العزيزة وتذويها في عاصمتهم .⁽⁴⁾

(1) ابتسامة على شفثيه ، ص/ 209.

(2) المصدر نفسه ص/ 102.

(3) المصدر نفسه، ص/ 126.

(4) المصدر نفسه، ص/ 242.

وجعل السباعي خالدا -الطفل- أمل المستقبل الذي تعلّم حبّ الوطن وكره الإسرائيليين وأصرّ أن يتعلّم استخدام البندقية وعلمه أخوه عمّار وأهداه مسدسه قبل استشهاده، واستقر مسدسه في كف خالد يرفع المقبض ويعمر الساقية بالذخيرة.. ويسير مع يحيى إلى معسكر تدريب الأشبال (1).

وفاطمة -أم عمّار- تضحى بابنها الكبير عمّار وتفقد أختها الحامل وزوجها في مذبحه دير ياسين وترى بنت أختها مي وتحمل مسؤوليتها طول العمر وترسل ابنها الصغير بعد وفاة عمّار ولكنها ترى أن الحياة يجب أن تستمر وإذا كنتم تظنون أن الزواج نوع من الترف يجب أن نستغني عنه في هذا الوقت الكئيب.. فأنتم مخطئون.. لأن الزواج مسؤولية يجب أن نمارسها.. يجب أن نواصل وجودنا فالوطن الفلسطيني.. قوامه الأسرة الفلسطينية.. من الذي سيواصل الكفاح من بعدنا.. إذا لم نتزوج وننجب جيلا أقدر على القتال... وأقدر على استعادة الوطن (2). فالطريق إلى الوطن طويل وهذا ما علمه يحيى لخالد عندما أخذه إلى معسكر التدريب.

ونشعر من خلال قراءة الرواية أن السباعي يدافع عن هزيمة مصر ويحاول أن يبني جسر العلاقات الودية بين الشعبين بأسلوبه الفريد فيجد القارئ أنه ينقل قول جمال عبدالناصر إن مصر ليست مستعدة للحرب وتكلم عن تعاطف الشعب الفلسطيني عن تنحي جمال عبدالناصر عن الحكم وأمسك عمّار بذراع أبيه صائحا، لماذا.. نحن جميعا مسؤولون عما حدث.. كل منا يحمل نصيبه من العبء فلماذا يتنحي هو.. وعم يتنحي.. إنه ليس صاحب منصب.. إنه جزء منا (3).

وكذلك عندما عرفت مي أن خطيب اميرة، بصقت على وجهه فتاة مصرية بعد الهزيمة فقالت لصديقة أميرة عندما ترينه بلغيه سلامي... قولي له إننا نثق

(1) ابتسامة على شفثيه ، ص/ 350.

(2) المصدر نفسه ، ص/ 162.

(3) المصدر نفسه، ص/ 132.

فيهم.. ونعتمد عليهم.. كما كنا نعتمد دائما.. وإني أمسح بصقعة الفتاة القدرة..
بقبلة اعتذار . (1)

ولكن السباعي باختياره الشخصيات المصرية جعل القضية فلسطينية
مصرية فقط حيث شارك الطبيب رشاد مع المقاتلين في هجوم فدائي واستشهد فيه
وهو مصري أيضا وتكمل أميرة الفلسطينية دراستها في القاهرة وخطيبها رؤف
ضابط مصري ويشير إليه علاء الدين وحيد في مقالته المأساة الفلسطينية في رواية
يوسف السباعي لماذا لم يستقطب السباعي أيضا جنسيات عربية أخرى؟ هل يعني
أن مصر وحدها هي التي تضع ثقلها كله؟ نعم هذا صحيح.. على مستوى
الحكومات.. ولكن في مجال المقاومة يختلف الوضع، فهذه حركة شعبية يتوحد فيها
المواطن العربي في كل بلد عربي.. كما تجتذب أيضا الأوربي والأمريكي . (2)

ويفاجئنا الكاتب بذكر الجانب الإسلامي على لسان الشخصيات المختلفة
مما يضيف الجانب العاطفي نحو القضية ويخرجها من قضية الأرض للشخص
العادي إلى قضية المسلم يدافع عن أرضه ويجاهد لاستعادة أولى القبليتين من
الإسرائيليين المحتلين فبدأ بذكر الحديث النبوي الشريف الذي رواه بيهقي عن
عائشة رضي الله عنها إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه . ولكن
السباعي لم يذكر كلمة (تعالى) في الحديث المذكور⁽³⁾ ووصف لنا الكاتب منظر
صلاة الجمعة وخطبة الإمام عندما يذهب إليه عمّار مع والده وصديقه للصلاة
فيه وينقل جزءا من حديث الرسول ﷺ الذي رواه الإمام المسلم رحمه الله (الله أكبر
كبيرا والحمد لله بكرة وأصيلا)⁽⁴⁾ وحزن الشيخ عبدالسلام على احتلال مسجد
الأقصى وأن الأرض.. القدس.. العزيزة بمسجدها الطاهر قد احتلها الأندال..
الطغاة . (5)

(1) ابتسامة على شفتيه ، ص/ 176.

(2) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 193.

(3) المصدر السابق، ص/ 37.

(4) ابتسامة على شفتيه ، ص/ 65.

(5) المصدر نفسه، ص/ 127.

والأمر لا يتوقف على حزنه للأوضاع ولكنه رفض أيضا أن يبيع القماش للضابط الإسرائيلي وأظهر كرهه له عندما لم يطلب له قهوة بناء على طلبه وهو في حانوته ليشرب فنجان القهوة في أحد المقاهي.. ليس لدى وقت للبيع.. سأغلق الحانوت وأذهب للصلاة (1) وبها أوصل رسالته إلى الاحتلال أنه غير مستعد للتعامل مع المحتلين والبلد في حالة الحرب وزوجته فاطمة مؤمنة إيمانا كاملا بربه حيث تشجع اميرة بقولها بل نهايتهم بإذن الله.. إنه لا يقبل الظلم أبدا.. وهم قد ظلمونا.. الله لن يتركهم أبدا بلا عقاب... إنه يمهل ولا يهمل (2) ومي عندما تشارك في عملية فدائية فتقول لعمار ويحيى ربنا ينصرنا.. دعونا نقرأ الفاتحة.. إنها دائما تفتح لي الطريق (3) ويخبر حمزة زملاءه المقاتلين عن حبه لوالدته بعد أن قتل الإسرائيليون والده وكيف ودعته عندما خرج من البيت قرأت لي الفاتحة.. ورقنتي آخر مرة.. إنها نقطة الضعف الوحيدة في حياتي.. وأني أكره أن أخذلها.. بعدم عودتي إليها (4).

فالأم مؤمنة صابرة وكانت مستعدة أن تضحي بابنها الوحيد لأجل الوطن ويودع الشيخ عبدالسلام العجوز ابنه حزينا ويقول أعادك الله بالسلامة.. فمعزتك تجعل الضحية بك شاقة.. حتى في سبيل الوطن (5).

ويستشهد الطبيب المصري رشاد ولكنه ينطق بالشهادتين قبل استشهاده ويسلم روحه ويصلي يحيى وحمزة الفجر ويؤمهما أبو عمّار وعمار جريح ولم ينسى واجبه كمال الطبيب الفلسطيني الذي قام بعلمية لعمّار في بيته خدمة لشعبه ووطنه.

والحياة مستمرة والآمال للمستقبل الزاهر موجودة وتخدم مي قضية الوطن وتهتم بأهالي عمّار وتشرق شمس الحب ويشترى لها عمّار خاتما ليخطبها أخيرا ولم

(1) ابتسامة على شفتيه ، ص / 137.

(2) المصدر نفسه، ص / 163.

(3) المصدر نفسه، ص / 199.

(4) ابتسامة على شفتيه، ص / 251.

(5) المصدر نفسه، ص / 240.

يشك كمال ولكنه لم يتزوج أيضا وينتظر رؤوف أن تعود إليه أميرة وهي تكافح لإستعادة الوطن والسلام حتى تتزوجه ويعلق يحيى آماله بخالد وفي الجيل القادم لتحرير فلسطين من أيدي الصهاينة المعتصبين.

6. العمر لحظة

هذه هي الراوية الأخيرة من رواياته التاريخية التي جمع فيها بين بطولة المصريين على الحدود وبين صمودهم كأفراد المجتمع المصري المحافظ بشكل عام كما أشار إلى أمر مهم وهو أن الجانب الإنساني هو الذي يحدد مصير الشعوب والمجتمعات وأن الشذوذ عن تقاليد المجتمع أمر يحدث في التجمعات الإنسانية وعلى المجتمع أن يتعامل هذا الجانب بحذر ودقة كما أنه ألقى الضوء على الجانب النفسي بأن عدم توافق الإنسان في حياته الشخصي قد يمهد للبطولة التي لا يفكر فيه فرد إذا استقرت أمور حياته.

وتحدث أحداث القصة في نهاية الستينات وبداية 1970م كما أشار إليه السباعي بنفسه في مقدمة الرواية ونرى أنه قدّم قضية جندي مصري مع خلفيته في المجتمع المصري ومشاكله في حياة أسرته وهو بعيد عنها أمام معركة الموت وبالتالي أشار إلى عدم الإهتمام بشخصية الجندي على مستوى قيادة الجيش بطلي حكاية الأمراض النفسية.. والعلاج النفسي.. هذه الأشياء.. لا تباع ولا تشتري عندنا.. عندي هنا إما مريض أو سليم،⁽¹⁾ ويبدو أن الجندي المصري استسلم لمصيره من هذا الجانب حيث نرى أن نعمت بطلة الرواية عندما تسأل صبحي عن مشاكله وعن احتياجاته فهو ينفى تماما عن مشاكله معتقدا أنها مفتشة.. ولكنه سرعان ما يعلم أنها باحثة اجتماعية فيجيب ليس لدينا مشاكل.. لدينا متاعب.⁽²⁾ ونجد السباعي ولأول مرة أنه ينتقد بعض قوانين التجنيد الإجباري واختار شخصية صلاح الذي أعفى عن التجنيد لأنه كان العائل الوحيد لأسرته لأن أباه قد سجن

(1) العمر لحظة، يوسف السباعي، مكتبة مصر، ص/ 143.

(2) المصدر نفسه، ص/ 74.

بتهمة تهريب الحشيش ولكنه جند بعد خروج والده المبكر من السجن لحسن سلوكه وسيرته ولكن الأمر منع العائلة من عيش حياة كريمة حيث مرتب التجنيد لم يكن يكفي للعائلة والأب لم يجد عملا وكان أيضا في حالة نفسية متعبة الذي أدى إلى انتحاره لكي يعود الإبن إلى الأسرة ويدبر لها عيشة الحياة وتخرجها من مذلة الفقر ولم يجد الأب حلا غير خروجه من حياتهم فعاد صلاح إلى العائلة فوجد أن الأم قد تزوجت بعد وفاة أبيه وأن خطيبته تزوجت أيضا وفرت على تعب القلب والرجاء.. الحياة هنا باتت مزعجة.. الجبهة أريح مكان (1).

ولكنهم في حياتهم المهنية لا يترددون لحظة للهجوم على العدو أو مواجهته للدفاع عن أرض الوطن وشرفه حيث نجد أن عبدالعزيز جندي الصاعقة المنهار نفسيا والملح للعودة إلى القاهرة ينسى كل همومه ومشاكله الشخصية حينما يطلب منه قائده عبور الشاطئ للهجوم على العدو جزءا من مخطط حرب الاستنزاف ضد إسرائيل ويجد القارئ قائدهم المقدم محمود -بطل القصة- يسبق جنوده في عبور الشاطئ وهو آخرهم في العودة بعد العملية ويشعرنا السباعي أن الجندي المصري مع ظروفه الخاصة كان مستعدا أن يأمن جنديا إسرائيليا بناء على طلبه ويأخذه أسيرا لكن إسرائيليا خدعه بعد أمنه مما أدى إلى قتل الجندي المصري ومعارك الجبهة تؤثر في نفسية الجنود والضباط فيجد القارئ أن قائد الصاعقة رفض أن يأسر أحدا بعد تلك الحادثة رغم إلحاح القيادة وطلبها منه الذي أدى إلى إبعاده ويبدو أن هزيمة حزيران دخل في قلوب المصريين شعبا وجيشا حيث نرى أن السباعي قدم آراءه عن الحرب في هذه الرواية أيضا ويتحدث بأكثر حرية ويحلل الأحداث أكثر تفصيلا مما فعل في روايته (ابتسامه على شفوية) وفي معركة شدوان جمع بين تضحية القوات البرية والبحرية ومشاركة القوات الجوية بجانبها في تلك المعركة التاريخية حيث يستشهد المقدم حسنى القائد البحري في خليج السويس خلال محاولات إيصاله الامدادات للجيش المقاتل في تلك الجزيرة النائية بعد أن أصابه إحدى الشظايا بهجوم طائرات العدو عادت الطائرات تضرب النش حتى أشرف على

الغرق.. والطائرات تحوم من حولهم.. تضرب اللنش الغارق،⁽¹⁾ ويبدو أن هذا الكره لم يشرب منه جندي مصري فقط ويشاركه كذلك الجندي الإسرائيلي حيث يخالف القوانين الدولية في الحرب ويستمر في ضرب اللنش المصري ومن كان على متنه حتى بعد غرقه أنذال.. المفروض أن يقدموا العون لغرقى القطع البحرية.. القانون الدولي والأخلاق تمنع مهاجمة الغرقى.. ولكنهم جناء.⁽²⁾ والعدو لم يكن جبان فحسب حسب رأى السباعي في أرض المعركة ولكنه كان أكثر جبنا بتدميره مصنع أبوزعبل في 15 شباط 1970م، حيث قتل فيه سبعون عاملا وأصيب تسعة وسبعون شخصا واحترق المصنع بكامله وبذلك حول العدو الحرب من المناطق الحدودية إلى المدن ليزرع ثقة الشعب المصري ويخوفه وقامت إسرائيل بغارة أخرى على مدرسة الأطفال الابتدائية (مدرسة بحر البقر الابتدائية)، استشهد فيها عشرات من طلاب هذه المدرسة وجرح أيضا عدد كبير منهم وعرفت في التاريخ المصري بمذبحة بحر البقر وحدث ذلك في الثامن من نيسان 1970م وأخطأ السباعي في كتابة تاريخ الحادث حيث جعله في السابع عشر من نيسان⁽³⁾ ولكنه أجاد إجادة بالتعبير عن مشاعره نحو الحادث تحول بناء المدرسة.. إلى مقبرة للأطفال الأبرياء.. جلسوا أمام السيورة يتعلمون (زرع) و(حصد) .. وزرع العدو فيهم قنابله المدمرة.. وحصد أرواحهم الطاهرة.⁽⁴⁾ ويهمل السباعي دقة التفصيلات في بعض الأحيان في رواياته حيث يستغرب الباحث أنه ذكر عدد القتلى من حرب يونيو عشرين ألف الرغبة الدفينة في الثار لكرامة جيش وكرامة شعب.. الثار لعشرين ألف قتيل.⁽⁵⁾ ولكنه ذكر عددا يختلف تماما على لسان

(1) العمر لحظة، ص/ 272.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه، ص/ 301.

(4) المصدر نفسه، ص/ 302.

(5) المصدر نفسه، ص/ 155.

محمود في حديثه مع نعمت ماذا تقولين إذن في 15 ألف قتيل؟.. في المعركة المشؤمة التي سميناها بالنكسة (1).

العنصر الإسلامي له اهتمام في هذه الرواية كأن هناك ثمة تغيير في فكر السباعي أو من خلال تجاربه الفنية، عرف أنه أكثر فائدة للتأثير في قراءه ومنها أنه ذكر جريمة حادث الحريق للمسجد الأقصى ثم انتقل (الحوار) إلى جريمة إسرائيل المنكرة بحرق المسجد الأقصى والضجة التي أثارها في العالم كله (2) وفي وصفه لمدينة السويس لا يفوته ذكر مآذن الجوامع التي حطمتها العدو مع تدميره أبراج الكنائس بالإضافة إلى البيوت التي قصفها الإسرائيليون ولم ينسى السباعي ذلك في وصفه لمدينة بورتوفيق أيضا بورتوفيق.. لم تجد بها أثر المدينة.. كانت أطلالا.. بقايا الميناء.. تفتتته بعض الحصر يعلوها جندي يصلي (3) وخلال إحدى الغارات في الصفوف الأمامية تقرأ نعمت القرآن وتدعو الله وتسأله اللطف والغفران ويصف السباعي موقع الجنود المصريين قبل الهجوم على العدو الذي يؤذن فيه المؤذن وتتأثر نعمت بأسلوبه لم يكن الأداء به نعمة المؤذن المحترف.. ولكنه كان قويا عاليا.. واصطف الجنود وراء أحدهم يؤم بهم الصلاة.. وانخت الأجساد.. مست الجباه الأرض في سكينه وخشوع (4) ومن يقارن بين روايته (طريق العودة) و(العمر لحظة) يرى التغيير في موقف السباعي فالقائد في هذه الرواية لا يشرب الخمر قبل مواجهة العدو بل يقرأ الفاتحة وآية الكرسي ومعظم جنوده كانوا يذكرون الله وهم على أبواب موقع العدو وعم إبراهيم يهدئ سعدية بعد استشهاد عبدالعزيز اهدئي يا سعدية.. اهدئي وقولي إنا لله وإنا إليه راجعون (5) ويذهب محمود بدعوة موظف الفنار درويش أفندي للإفطار في شهر رمضان فيجد أن الحاضرين يستمعون إلى تلاوة القرآن من الراديو ويصلي البعض المغرب أيضا بعد الإفطار

(1) العمر لحظة، ص/ 178.

(2) المصدر نفسه، ص/ 38.

(3) المصدر نفسه، ص/ 47.

(4) المصدر نفسه، ص/ 150.

(5) المصدر نفسه، ص/ 204.

ويحتاج الأمر إلى البحث المفصل في هذا الموضوع ولكننا نكتفي بهذا القدر والجدير بالذكر أن نشير إلى أن الحب في هذه الرواية لم يكن إلا أداة أكمل السباعي روايته بها بل كان الحبّ هنا أدى إلى بناء إعادة الأسر فنعمت تختلف في تصورهما بحب ضابط من حب ليلى لإبراهيم في روايته "طريق العودة" فهي تخرج من حياة المقدم محمود لأجل ابنته داليا وتسامح زوجها وتعود إليه وتختلف سامية زوجة محمود أيضا من مديحة زوجة إبراهيم فلا تترك مجالا لبطلة القصة رغم التنافر بين الزوجين وعدم التوافق بينهما في حياتهما الزوجية وتصبر على محافظة بناء الأسرة رغم كل ما قدمت نعمت من اهتمام ورعاية لزوجها بينما كانت مديحة زوجة إبراهيم تحملت اهتمام زوجها بليلى بصبر وسافرت مع ابنتها لرعاية أبيها رغم خطورة الموقف وتركتهما في البيت مع نهي وسافرت وفي هذه الرواية داليا ابنة سامية ومحمود تشعر نعمت أن والديها على وشك الانفصال بسببها فتقدم نعمت الإستقالة على إثرها وتترك وظيفة الجيش وتعود إلى الصحافة، وظيفتها القديمة ويندم عبدالقادر على إهماله لزوجته وراجع نفسه في غيابها فحاول أن يرضيها ولم يئس من محاولاته لإستعادة ثقة زوجته التي كان تزوجها بزواج الحب ونجح في استمرار حياته الزوجية مع نعمت بعد أن كانت مصرة على الانفصال.

الفصل الثاني

روايات يوسف السباعي الاجتماعية

مصطلح الرواية الاجتماعية

الرواية الاجتماعية هي النوع الثاني التي يجرب الكتاب الرومانسيون حظهم فيها بعد الرواية التاريخية كما أشار إليه د. إبراهيم السعافين في كتابه (تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام) فالرواية الاجتماعية تركز على الموضوعات الاجتماعية مثل الزواج والتقاليد والدين والحب المثالي والطلاق وتكوين الأسرة ومسؤولية الفرد وأحلامه الخ من الموضوعات ولكن الرومانسيين يرون هذه الموضوعات من رؤيتهم الخاصة تختلف كثيرا من الأحيان من أسس المجتمع الذي يعيشون فيه و لعل من أهم المشاكل التي تعرض لها هؤلاء الروائيون، وقوف القيود الاجتماعية والدينية والطائفية أمام المحبين كما عالجوا قضية الزواج الذي لا يقوم على الحب. (1)

وورد في موسوعة بريتانیکا عن مصطلح الرواية الاجتماعية بأنها

“Social Problem Novel, also Called Problem novel or social novel, work of fiction in which a Prevailing Social Problem Such as gender, race, or Class Prejudice is dramatized through its effect on the charachtes of a novel”.(2)

ترجمت موسوعة ويكيبيديا هذا التعريف بدون نقل النص الأساسي فورد في ترجمتها عن الرواية الاجتماعية بأنها رواية أدبية خيالية تناقش في قصتها عبر شخصيات الرواية مشاكل اجتماعية سائدة في العصر والثقافة التي كتبت فيها مثل الجنس والدين والعرق والطبقة الاجتماعية والعنصرية وما إلى ذلك. (3)

وقضية الحب والعاطفة والمشاعر الصادقة عند الفرد هي التي تظهر بشدة في الرواية الاجتماعية عند الرومانسيين فالسباعي يتبع الرومانسيين في هذا الاتجاه فلعله جعل د. سعيد علوش أن يعده من كتاب الرواية العاطفية حيث يقول عنها

(1) تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، د. إبراهيم السعافين، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1987، ص/ 218.

(2) [Britannica.com/art/ social-problem-novel](http://Britannica.com/art/social-problem-novel)

(3) [ar.wikipedia.org/wiki/رواية اجتماعية](http://ar.wikipedia.org/wiki/رواية_اجتماعية)

رواية موجهة إلى جمهور المراهقين خاصة، وإلى باقي الجمهور عامة وتغلب سمات الحب الانتقام الغيرة على باقي المكونات ويمثل يوسف السباعي وإحسان عبدالقدوس نموذجي هذه الكتابات.

فنى أن طابع العاطفية تغلب في الروايات الاجتماعية فبظلة (إني راحلة) تحبّ ابن خالتها وهي طالبة المدرسة ولا تختلف عنها أم سامية في روايته (بين الأطلال اذكريني) حيث تحب كاتبا كبيراً وهي طالبة المدرسة وتتزوج موظفاً بأمر عمها وخالتها وهي في سن مراهقة وتترك بيت زوجها وطفلها بسبب حبها للكاتب والأمر نفسه في رواية يوسف السباعي "فديتك يا ليلي" عندما تقع راجية في حب إبراهيم وهو أكبر منها وآلني منه قوله إني كابنته وكرهت أن يرى أني صغيرة وصحت به أنا كبيرة إن عمري ست عشرة سنة⁽¹⁾ ونشأ الحب بين حمدي وصفاء وهما طالبا المدرسة في رواية (نحن لا نزرع الشوك) وهذا الأمر لا يقتصر على رواياته الاجتماعية فقط فرواياته التاريخية تشير إلى هذه الظاهرة أيضا فالعاطفة ظاهرة مشتركة بين النوعين حيث نرى أن السباعي ركّز على القضايا الاجتماعية الأخرى أيضا في رواياته الاجتماعية ففي (أرض النفاق) تكلم عن الفقر والسياسة والنفاق ورجال الدين وشرح لنا ما يدور في الشارع المصري ومراكز الشرطة والمحاكم والمكاتب الحكومية الخ من مظاهر المجتمع وفي روايته (السقامات) تكلم عن حياة المناطق الشعبية في القاهرة وشرح مشاكل سكانها ونقدمنهج التدريس والمعلمين على المستوى المدارس الابتدائية وشرح لنا مراسم الدفن في مصر مما يخلف في بعض الأمور من مراسم دفن الميت في بلدان أخرى فخلاصة القول إنّ ظاهرة الحب ليست هي الظاهرة الوحيدة التي وردت في روايات السباعي ولكنه ركز على الموضوعات الأخرى أيضا وعدد رواياته الاجتماعية تسع روايات وهي:

1. نائب عزرائيل 1947م.

2. أرض النفاق 1949م.

3. إني راحلة 1950م.

(1) فديتك يا ليلي، يوسف السباعي، ص/ 86، درا مصر للطباعة، القاهرة، رقم الإيداع، 5090/87.

4. بين الأطلال اذكريني 1952م.
5. السقامات 1952م.
6. البحث عن جسد 1953م.
7. فديتك يا ليلي 1953م.
8. نحن لانزرع الشوك 1968م.
9. لست وحدك 1970م.

والآن ننتقل إلى تعريف هذه الروايات تعريفا موجزا ونحاول من خلال حديثنا عن أحداثها وشخصياتها أن نذكر بعض مواقف السباعي عن الأمور الاجتماعية فنثبت أنه اهتم بالمجتمع المصري وقدم آراءه من خلال سرد الأحداث عن مشاكل المجتمع وذكر الحلول أيضا من خلال تصوير شخصياته.

1. نائب عزرائيل

نشرت هذه الرواية في سنة 1947م وهي الرواية الأولى للسباعي وتمتاز هذه الرواية بالفكاهة والسخرية معا ويشير الكاتب فيها إلى المشاكل الاجتماعية مثل الفقر والنفاق والتدخل بشؤون حياة الآخرين والسرقة وسوء معاملة الزوجات بأزواجهم ويشرح سذاجة المجتمع المصري وقبوله الشائعات ويشكو من قادة المجتمع بزعمائه السياسيين ورجاله الدينيين وكل من يملك بيده الأمر لتغيير المجتمع وتطوره من إصلاح الأمور واختار شخصية عزرائيل الملك الذي يقبض الأرواح ويذكر أ.د. ذكري بن صالح سب اختيار شخصية عزرائيل إذ يقول وتجدد الإشارة في هذا الصدد إلى اشتراك المعتقد المسيحي واليهودي والإسلامي في الاتفاق على وجود هذه الشخصية الغيبية التي تقوم بفصل الروح عن الجسد منتقلة بها من عالم الأرض السفلى إلى عالم السماء العلوى،⁽¹⁾ وأهدى السباعي هذه الرواية إلى عزرائيل قائلاً إلى سيدنا عزرائيل... الجميل!!... هذا الكتاب يا سيد عزرائيل... أنت بطله... فهو منك وإليك... حاولت فيه بدافع الوفاء لك أن أظهرك للبشر على حقيقتك... أو على ما أظنه... حقيقتك،⁽²⁾ وكما نعلم أن قضية الموت هي التي لازمتها طوال حياته العملية ونعرف في هذه الرواية أنه غير خائف من الموت ونتيجة ذلك لم يكن خائفاً من شخصية عزرائيل من ناحية الرعب ولأنه كان محباً للحياة فكان لا يتمنى الموت فلا يحتاج إلى مساعدته ينتقل إلى العالم الآخر كما أشار بنفسه في مقدمة نائب عزرائيل ويرى أنه من طبيعة البشر أنه يريد العيش أتدري أن الإنسان مهما بلغ من تبرمه بالحياة وكرهه لها... تجده يتعلق بأهدابها،⁽³⁾ ولكن السباعي بعد عودة روحه من السماء إلى الأرض يطلب من عزرائيل أن يعيده إلى السماء عندما وجد أسرته مشغولة عنه بتأمينه لقد كان الشيء الوحيد الذي يسبب لي التعزية في عودتي إلى الحياة... هو ذلك الفرع الذي كنت

(1) مستويات التناص في رواية نائب عزرائيل ليوسف السباعي، أ.د. ذكري بن صالح، مجلة العمدة، ص/

108، 3-2019م

(2) نائب عزرائيل، البحث عن الجسد، يوسف السباعي، مكتبة الإسكندرية، ص/ 3.

(3) المصدر نفسه، ص/ 17.

أتوقع أن يغمر الأهل والأحباب ولكن يخيل لي الآن أن عودتي إلى ستسبب لهم خسارة.. وستسبب لهم فجيعة أهون منها فجيعة وفاي ،⁽¹⁾ وهو يمثل شخصا لم يخف من عزرائيل ولم يتعبه المجتمع بكل فيها من مساوئ وقلة التسهيلات ولكنه أخافه عدم اهتمام أسرته به بعد موته كأنه يرشدنا أن نعيش جزءا من حياتنا لأنفسنا.

كانت ثقافة السباعي الدينية ومعرفته الأدبية عالية في تلك المرحلة رغم أنه لم يتجاوز العقد الثالث من عمره حيث استفاد من مفردات القرآن الكريم واقتبس من أحاديث الرسول ﷺ واستشهد بأبيات شعرية من الأدب القديم استفاد من قصائد شعراء العصر الحديث كما أنه لم ينسى أن يذكر مصدره الأول من المعرفة وهو والده الأديب والمترجم محمد السباعي ونقل أحد أقواله من كتابه (السر) أيضا ولدى يوسف السباعي كمية كبيرة من الأمثال العربية الفصيحة والعامية التي استخدمها بمهارة من خلال أحداث الرواية.

والرواية في بعض الأحيان تخرج من إطارها وتدخل في إطار السيرة الذاتية ليوسف السباعي حيث يحكي لنا السباعي عن جدته وعن حبها له ومدرسته وعن فريقه لكرة القدم ويذكر للقارئ أنه كان كثير الأكل منذ طفولته ويستعيد ذكرياته في الفصول المختلفة من القصة مثل حديثه عن جنينة ناميش في (محمود أفندي الفنط) وفي (وليمة) يتكلم عن فترته التدريبية في المدرسة الحربية وتكلم عن حبه الأول "ملكة" التي ماتت ولم تكن تعلم أنه كان يحبها ويموت فيها ويرى الأستاذ أنور المعداوي في مقاله (نائب عن عزرائيل) أن بعض فصول الرواية رائعة حقا هذا كله لا يمنعني من القول بأن في هذه القصة فصولا هي في غاية ما يصل إليه فنان، هذه الفصول هي: (في الطريق) و(عزرائيل العاشق) و(محمود أفندي الفنط) و(أبو السعد) وعدد من النماذج البشرية استطاعت ريشة السباعي أن تشقها طريقها في زحمة الحياة ،⁽²⁾ وكتب المعداوي عن شخصيات الرواية التي اختارهم السباعي من

(1) نائب عزرائيل ، ص / 131.

(2) الفكر والفن في أدب، يوسف السباعي، ص / 97-98.

عامة الناس واعتبرها رائعة ولكنه نصح السباعي الشاب أيضا أن لايسرع في تقديم أعماله الأدبية وأن يوفر الوقت الكافي لكل قصة يكتبها ولو قدر لهذه القصة أن تعالج في شيء من الأناة والاحشاد وسعة الوقت لكان من الممكن أن تحتل مكانها في الصدارة من هذا اللون القصصي الطريف الذي لا تلمسه كثيرا إلا في القصة الغربية،⁽¹⁾ ويختلف الأستاذ غالي شكري قليلا من هذا الرأي حيث يرى الحق أن يوسف السباعي كان رائدا لهذا الاتجاه الذي لم نعثر له جذور واضحة في أدبنا العربي وإن كان معروفا ومتداولاً بل وتقليديا في الآداب الغربية.⁽²⁾

ويرى غالي شكري أن السبب الأساسي لكتابة مثل هذه الرواية يعود إلى الأوضاع في مصر بعد الحرب العالمية الثانية ونضيف إلى ذلك شخصية الملك والفساد الإداري وتأثيرهما على الفرد المصري وقلة اهتمام أصحاب الأمر في تكوين شخصية الفرد من ناحية توفير الفرص له لتطور اقتصاده ونموه الأخلاقي أدت إلى البطالة والفقر ومحو القيم من المجتمع هنا المقابر قد رصت فيها الأجساد على سطح الأرض لا في باطنها هنا الأحياء الذين يقومون بدور الأموات والموتى الذين يسعون على الأرض هنا قد تجمع كل ما يحاول أولو الأمر محاربتة... ولكنهم يفعلون كل شيء لإحاربتة.⁽³⁾

وقارن السباعي بين عودته إلى جسده في القبر وبين حياته الحرّة كنت على حق في انفعالي وغضبي فقد كان بي شعور القاطن في جادرن ستي (وهي المنطقة الراقية) الذي أعادوه إلى سيدي زينهم أو عشش الترجمان،⁽⁴⁾ والسباعي يؤكد لنا أن الموتى لم يسلموا أيضا من ذلك الانحلال الفكري لعنة الله على أهل الأرض... لقد أخجلوني أمام عزرائيل، حتى الجسد قد سلبوه كفنه الذي تدرته

(1) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 96-97.

(2) الفانتازية الفاجعة من نائب عزرائيل إلى أرض النفاق، القصة العدد الأول تاريخ الإصدار، 15 يناير 1965، ص/ 118.

(3) نائب عزرائيل - البحث عن جسد، ص/ 71.

(4) المصدر نفسه، ص/ 130.

(1) والسخرية عند السباعي أخذت صوراً مختلفة فيسخر تارة من فقر الرجل لقد كان البحث عن الثلاثة مليمات في جيوبك الخاوية أشق من البحث عن الماء في الصحراء القاحلة الجرداء، (2) وتارة أخرى يسخر من مبالغة اهتمام الرجل بشواربه فلا أظني مبالغا إذا ما قلت أن الشارب لا يمكن أن يكون قد نبت في الوجه بل لا بد أن يكون الوجه هو الذي نبت حول الشارب... لأن الرجل لم يكن سوى شارب وحاجبين، (3) وقد يكون اختياره الشوارب رمزا لأنها علامة الرجولة في العالم العربي بشكل خاص وكأنه يشير إلى عدم اهتمام الرجل بأفراد أسرته حتى يوفر لهم سكنا مناسبة وتأتي سخريته بعض الأحيان تعليقا على المشاريع التي يخدع بها رجال الأعمال الشعب المصري أفراد الشعب الذين يتضورون جوعا... قد اكتمل هندامهم بلبس الأخذية... ولم يبق عليهم إلا ارتداء الجوارب... ففكروا في مشروع الجوارب... وجمع التبرعات والاككتابات... ممن ييغون وجه الألقاب، لا وجه الله، (4) ويسخر من الأقدار والتقاليد أيضا فنراه في وصف شخصية محمود أفندي الذي ذهب إليه لإخراج روحه من جسده وأنه أعزب لم يتزوج وربما كان هذا هو المظهر الوحيد الذي يبدو عليه من مظاهر العقل، (5) ويجدر بالإشارة أن السباعي ذكر في الرواية أن الساعة الرابعة كانت موعد قبض روح محمود أفندي ولكنه بعد ذلك يقول وكانت الساعة قد بلغت الرابعة والثلاث ولم يبق على وفاة صاحبنا إلا عشر دقائق وتكلم السباعي عن الحب وتحدث عن الغزل المكشوف وشرح تأثير الحب على الشخصية كذلك واستخدم بعض المصطلحات العسكرية لأجل الفكاهة وفي ختام الرواية ينصح على لسان عزرائيل أن الاهتمام بالإنسانية ومساعدة الفقراء والمحرومين يفيد الروح وهذه الأعمال ترضى سبحانه وتعالى أكثر من أعمالنا الفردية التي نسترض بها ربنا سبحانه وكأنه يستشهد بأحاديث الرسول

(1) نائب عزرائيل - البحث عن جسد، ص/130

(2) المصدر نفسه، ص/76.

(3) المصدر نفسه، ص/79.

(4) المصدر نفسه، ص/85.

(5) المصدر نفسه، ص/102.

٧ إذ قال "الخلق عيال الله، فأحب الخلق إلى الله من أحسن، إلى عياله (1)
وكذلك قول النبي ٧، (خير الناس أنفعهم للناس) وقدّم السباعي آراءه حول
موضوعات مختلفة أيضا نذكرها في الباب الثالث والرابع إن شاء الله في حديثنا عن
آراءه عن المرأة والمجتمع وبعض المواقف الأخرى.

(1) نائب عزرائيل - البحث عن جسد، ص/ 108، 100.

2. أرض النفاق

نشر يوسف السباعي هذه الرواية في سنة 1949م وأهداها إلى نفسه إلى خير من استحق الإهداء، إلى أحب الناس إلى نفسي وأقربهم إلى قلبي إلى يوسف السباعي،⁽¹⁾ وذلك لأنه يرى إن قال غير ذلك فهو من النفاق فأراد أن يفصح عما في صدره حتى يستطيع أن يدعو الآخرين إلى ترك النفاق ليظهر المجتمع على حقيقته وأشار في مقدمة الكتاب إلى سببين جعلاه يهدى كتابه هذا نفسه وأولهما أريد أن أكون أول من يخلع رداء النفاق.. في أرض النفاق.. فأبدو على حقيقيتي.. ثانياً ومغروراً وثانيهما... أني أود أن أكرم نفسي وهي على قيد الحياة.. فلشد ما أخشى ألا يكرمني الناس إلا بعد الوفاة،⁽²⁾ فكان رحمه الله كثير حسن الظن بالشعب الذي عاش بينهم فأكرمه بعد اغتياله كما كان يقول إن الشعب المصري يجب تكريم الموتى ويفضلهم على الأحياء ولكنه كان لا يعلم أن الأدباء لن ينصفوه حتى بعد مماته والجدير بالذكر أنه في حديثه عن الموت في الرواية كان أقرب إلى الذي اختار له القدر يقرأ في مجلة حتى يهاجمه النعاس، ثم يطفئ النور ويغمض عينيه ويموت ولو كان الإنسان يستطيع أن يموت بهذه السهولة... إذا لأقدمت على الموت منذ زمن طويل.. ولأثبت حقا أني رجل شجاع،⁽³⁾ فمات السباعي وهو يقرأ وهاجمه أعداء السلام فتوفي بعد لحظات من الهجوم.

استشهد الكاتب بالآيات والأحاديث النبوية بالإضافة إلى ذكره الأشعار للشعر أمثال المتنبي وأبو العلاء المعري وعمر الخيام وبديع الزمان الهمداني الخ من الشعراء مما يدل على كثرة مطالعته للأدب القديم وذكر الأمثال الفصيحة والعامية أيضا ونقل كذلك بعض الأقوال لكنه لم ينسبها إلى قائلها ويرى الأستاذ عبدالعزيز الدسوقي في مقالة المزاج بين التجربة الوجدانية والتجربة السياسية أن هذه الرواية

(1) أرض النفاق، يوسف السباعي، دار مصر للطباعة القاهرة، ص/ 6.

(2) المصدر نفسه، ص/ 7.

(3) المصدر نفسه، ص/ 28.

تشبه المقامة في الأدب العربي القديم أو على الأقل تسبح في الجو الذي كانت تسبح فيه الروايات الحديثة التي نسجت على منوال المقامة العربية .⁽¹⁾

الآية الأولى التي ذكرها فهي (المال والبنون زينة الحياة الدنيا)⁽²⁾ بعد أن أصاب بداء المروءة وأراد أن يزور قريبا له، كثير العيال كان الرجل المسكين... مصابا بداء.. النسل والذرية وعلّة البنين والبنات ،⁽³⁾ فقدم رأيه مقارنا بين الفقر وتكاثر الأولاد وأصر إلى وجود قانون يُنظم أحوال الشعب المصري إن حرمة التناسل ليست من حق الأفراد بل من حق الأمة... فالأبناء الوطن قبل أن يكونوا أبناء آبائهم ،⁽⁴⁾ والآيات الأخرى التي نقلها السباعي هي من خطبة الجمعة التي سمعها الكاتب في جامع حارة باب الميضة بعد أن لوث مياه النيل بمسحوق الأخلاق.

ويشعر القارئ بوصف الجامع المصلين أن السباعي بنفسه يخاطب أمامهم ويرى من المنبر ما يحدث أمامه بدقة ويتهل في حركات المصلين وقد بدت على وجوههم الطيبة والمسكنة والتذلل وأخذ البعض يركع ويسجد.. والبعض يستمع إلى المقرئ يتلو القرآن وقد أغمضوا عيونهم وأخذوا يهزون رؤوسهم وكأنهم في نشوة⁽⁵⁾ فذكر من مقدمة خطبة الجمعة الآيتين وهما رفع السموات بغير عمد ترونها ، وهي الآية الثانية من سورة الرعد ونقل السباعي قول الخطيب من سورة النحل (وألقى في الأرض) ،⁽⁶⁾ واستدل بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بمناسبة موضوع (الصيام) ومن الأحاديث الشريفة التي ذكرها السباعي الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة⁽⁷⁾ ورد على لسان الخطيب حديثين آخرين في نفس الخطبة وهما عن فضيلة النية في الأعمال والبشرى لمن يتوب عن ذنوبه وذكر كذلك

(1) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 125.

(2) سورة الكهف، الآية: 46.

(3) أرض النفاق، ص/ 139.

(4) المصدر نفسه، ص/ 141

(5) المصدر نفسه، ص/ 216.

(6) سورة النحل، الآية: 15.

(7) المصدر السابق، ص/ 219.

حديث الرسول ﷺ على لسان الشحاذا الذي خدع الكاتب مرّة وعلمه أن لا ينخدع من المظاهر.

- "الظاهر أنك غير مؤمن.
- حاشالله... ماذا دعاك إلى اتهامى بهذه التهمة الباطلة؟
- المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين... وأنت تأبى إلا أن تلدغ من الجحر عشر مرّات.(1)

واستدل السباعى بأقوال الشعراء المختلفين حسب الأوضاع الواردة فى الرواية فاستفاد ببيت وأبى الطيب المتنبي بعد أن أخذ بطل الرواية قليلا من مسحوق الشجاعة فبدأ ينتقد الدوائر الحكومية ويرى أنها تتعمد فى تأخير الإجراءات الروتينىة علما أنّ الموظفين ينالون الرواتب من ضرائب المواطنين إن أكثر مايجز فى النفس هو أن العلة لا علاج لها ولا أمل فى البرء منها لقد قال الشاعر:

لكل داء دواء يستطب به إلاّ الحماقه أعيت من يداويها(2)

وهذه الجرأة المستمدّة من مسحوق الشجاعة جعله يقف أمام بيت حسناء وهي جارته التي قاوم اغراءها بجنبه فاستفاد بقول عمر الخيام لا تضق هما بأمس وغد... فذهب إلى بيتها "وهكذا ازدحمت فى رأسي كل فلسفة الخيام ووجدتني بعد لحظة... أصعد سلم الدار... وأقف أمام الحسناى وجهها لوجه، من يصدق هذا؟

أنا الرجل الفاضل الزاهد... الجبان.. وأجلس وإياها فى حجرة واحدة وقد كان أقصى ما استطيع فعله هو استراق النظر من النافذة!"(3)

نقل السباعى إحدى الأبيات الواردة فى ديوان الحماسة لأبى تمام واستخدمه للسخرية مما كان يجري فى الجامع من خلال الوضوء وانتهينا من الوضوء وسط

(1) أرض النفاق ، ص/ 127.

(2) المصدر نفسه، ص/ 78.

(3) المصدر نفسه، ص/ 99.

عاصفة من التمخط والتنخم والتمتمة والبسملة... وقمنا نتلمس طريقنا ذاكرين
قول الشاعر: قدر لرجلك قبل الخطو موضعها .⁽¹⁾

سخر الكاتب من بعض عادات المصريين وتقاليدهم تحت عناوين مختلفة
فهو المصلح أحيانا أكثر من كونه كاتباً يعرض الحقائق المختلفة ويقدهم حلولها
المناسبة ويحاول إيقاظ الشعب المصري من سباتهم ويلقي الضوء على الفئات من
المجتمع المصري وأساليب استغلالها للشعب المصري لكنه مع ذلك يعترف أنه لم
يستطع أن يكتب كل ما أراد أن يجررها خوفاً من مراقبته فهناك موضوعات، لم
أستطع طرقها، وهناك سطور شطبتها بعد أن كتبتها... ولكن لم يكن من ذلك
بد، على الأقل لكي يمكن للكتاب أن يرى التور⁽²⁾، فهو بذلك يشير إلى المراقبة
الشديدة للسلطات فهذه الرواية عاش الكاتب زمنها ونشعر ذلك من السطور
المذكورة أنه كتبها في زمن محدود الحريات المتاحة للكتابة للأدباء والكتاب.

تبدأ أحداث القصة بمقابلة بطل الرواية مع تاجر الأخلاق فتح محله في
مكان بعيد عن السوق استغرب به البطل فدخل المحل ووجد أنواعاً من الأكياس
تحمل المواد المسحوقة من الصفات الحميدة مثل الشجاعة والتضحية والمروءة الخ
وعندما أراد شراء (الشجاعة) من باب الاستطلاع فأخبره تاجر الأخلاق أن
الكمية لاتباع حسب الوزن التقليدي الرائج إن مقياس البيع هنا بالزمن...
فيمكنك أن تأخذ مقدار شجاعة يوم... أو عشرة... أو إن شئت ما يكفيك
شجاعة مدى العمر⁽³⁾، ثم بلغه أنه لن يستلم المبلغ منه فيؤجله إلى يوم القيامة
فاشترى البطل مقدار الشجاعة لعشرة أيام واستخدمه حسب نصيحة تاجر
الأخلاق فقد شعر بعد ذلك أنه قوي، يستطيع أن يفعل ما يشاء بسبب تلك
القوة التي تسرى في جسده وكان رجلاً مسلماً قبل شرب مسحوق الشجاعة وكان
يبتعد عن المشاكل قدر المستطاع.

(1) أرض النفاق ، ص/ 206.

(2) المصدر نفسه، ص/ 8.

(3) المصدر نفسه، ص/ 17.

وكانت بداية يوم الشجاع بشجار مع حمايه، كانت هوايتها المفضلة أن تضرب الخادمة الصغيرة لأتفه الأسباب وكانت تبحث عن الأسباب لضربها وكان البطل متعودا على صراخ الخادمة ولكنه لم يتحمل ذلك اليوم فأنقذ الصغيرة من الضرب ونزعت الخادمة من بين برائنها... وقلت لها في لهجة صارمة أي أحذرها من أن تمد يدها إلى الخادمة بعد الآن وإلا حدث مالا تحمد عقباه. (1)

وحاولت حماته ضربه بالعصا بعد الشتم لكنه نزعها من يدها وخرج بعد ذلك من الدار تاركا إياها باكية وفي طريقة إلى العمل لم يتحمل الإساءة من سائق الحافلة وشرح ما يفعله السواق في القاهرة والشركة تترك السائقين يتحكمون في عباد الله... فلا يقفون إلاّ عند ما يشاءون. (2) وهذه الشجاعة الجديدة المكتسبة أدت إلى الاشتباك مع السائق ثم وصل إلى مركز الشرطة ولم يستطع الوصول إلى المكتب حيث كانت صفقة ضخمة في انتظاره. شرح لنا الكاتب أحوال الزوج يضرب زوجته وهي تستغيث خارج المركز وعندما ساعد المرأة وأنقذها من الضرب فبدأ الأثنان يضربانه فوجد نفسه في مأزق جديد وعلمه جنود المركز أسلوب التعامل الصحيح فتعلم أن هذا النوع من الشجاعة ومظاهرها لاتفيد البتة، ففكر أن يكون أكثر شجاعة لهدف نبيل ففكر أن يتطوع لقضية فلسطين ويقاوم من أجلها.

حلل السباعي أحداث بداية المقاومة الفلسطينية في هذه الرواية أيضا وكشف عن حقيقة الجامعة العربية ودورها غير الفعال ودعم القيادات العربية حول جزء من الوطن العربي فنقل السباعي قول صاحبه العائد عن أرض المعركة عن حقيقة المعارك معظم المقاتلين هناك عزل بلا سلاح وذخائر وأن المعارك... أشبه بمعركة بين شاة وقصاب... يهودي قد شحذ سكينه وشاة عربية... لاحول لها ولا قوة، (3) فانتقد الزعماء والقادة والأئمة والخطباء الذين يضمّدون جراح الشعب الفلسطيني بكلماتهم فقط.

(1) أرض النفاق ، ص/ 33.

(2) المصدر نفسه، ص/ 36.

(3) المصدر نفسه، ص/ 47.

ذهب بطلنا إلى مقر الجامعة العربية مستعينا بشجاعته ليوقظ قادة العرب
فغير لافتة (الأمانة العامة) للجامعة العربية إلى الخيانة العامة ووجد هناك موكب
الأمين العام بحراسة مشددة فاستغرب من ذلك فأخبره الرجل أنّ حياة الأمين العام
مهتدة من قبل الصهيونيين فزاد استغرابه لأنه، في رأي الكاتب لم يتخذ قرارات
ضد إسرائيل حتى يخاف على حياته، أمسكه الحراس معتقدين أنه صهيوني يحاول
نسف البناء والفتك بقيادة العرب،⁽¹⁾ ونشرت الجرائد أن صهيونيا حاول اغتيال
قادة العرب وأرسل إلى السجن خلّصه من هناك زميل قديم له. وفي اليوم التالي
وجد تغييرا جذريا في معاملته. نحو وظيفته فكان الرجل يواظب في الدوام ولا يتأخر
عنه عادة وإذا اضطرت الظروف للتأخير فكان يلجأ إلى الحيل ولكنه في اليوم الثاني
بعد أخذ مسحوق الشجاعة تعتمد في التأخير ولم يجامل رئيسه ولم يستمع إلى
مشاكله العائلية ولم يلتجئ إلى الحيل الكاذبة معتمدا على شجاعة... ثم شرح سوء
أحوال المكاتب الحكومية وطريقة التعامل مع الملفات فيها واستمر في واجبه البطولي
في المكتب حتى فقد وظيفته في نفس اليوم وفي عودته إلى البيت رأى مظاهرة الطلبة
يهتفون هتافات ثم هاجموا محل رجل كبير السن وسرقوها وضربوا صاحب الحانوت
وعندما ساعد بطلنا صاحب المحل فضربه الطلبة أيضا ووصلت إلى البيت وأنا
ألهث من فرط الإعياء وقد ورمت عيني حتى أحست أنني لا أكاد أبصر شيئا.⁽²⁾
فطلب من أخيه أن يدبر له قليلا من الجبن ليساعده لمقاومة موجة
الشجاعة التي كادت تقتله ظنّ أخوه أنه جنّ، طمأنه ثم أغلق الباب عليه ففرّ
البطل من البيت إلى محل التاجر فرجاه أن يستبدلها بالجبن لأن الشجاعة لا تطاق
فاستبدلها بالمروءة بعد مناقشة طويلة فتغيّرت أحوال المرء من الشجاع إلى صاحب
المروءة فنصححة التاجر بالألا يعد أحدا لأنّ رقة مشاعره تتبدد بعد تسعة أيام.

عرّفنا السباعي بأساليب الخداع المستخدمة مع أصحاب استغلال القلوب
الطيبة في المجتمع المصري وشرح لنا أسباب الفقر وأخبرنا عن أحوال المناطق الشعبية

(1) أرض النفاق، ص/ 56.

(2) المصدر نفسه، ص/ 88.

وركز على أهمية النظافة ومساعدة المحتاجين وحثّ على البحث عن المستحقين الذين لا يمدون أيديهم على أموال الناس ولا يستجدون وأخبرنا عن عالم الاستجداء وشرح لنا فن التسوّل وتحدث عن تدريب المستجدين وخصّص فصلا كاملا بعنوان "في مجمع الشحاذين"، شاهد البطل فيه أنه كيف تربط الركبة والذراع بالجسد حتى يبدو الشحاذ مقطوع الركبة والذراع ورأى امرأة ضريرة شفيت بعد أن أزلت آثار النشا بالماء عن أجفانها توالى علينا العينات المختلفة من جميع أصناف الشحاتين... ذوي العاهات المتقنة الصنع... وسحبني الرجل من يدي إلى حجرة أخرى أنبأني أنها مخصصة لدراسة فن الشحاذة... لأن على كل شحاذ أن يحفظ ما يناسبه من أقوال وأفعال وكانت الحجرة مشغولة ببضعة شحاذين يتلقون محاضرة عن الشحاذة في رمضان ،⁽¹⁾ وأخبر أن للشحاذين ملحنين والمؤلفين، يختارون لهم النص المناسب واللحن الرائع الذي يساعدهم في تأدية الواجب.

وحكى لنا بطل الرواية عن مساعدته لأحد معارفه وأقربائه وكان أول من تذكرت رجلا يمت لنا بصلة قرابة بعيدة... لست أستطيع تحديدها بالضبط... ولكن أغلب الظن أن أباه هو ابن خال إمراة عم إبي كان الرجل المسكين... مصابا بداء... النسل والذرية وعلّة البنين والبنات ،⁽²⁾ فاشترى لهم الفواكه فوضع البائع الفواكه الفاسدة واعطاهم النقود ولكن مروءته الزائدة وفقر العائلة أجبراه أن يمنح أقرابه ملابس فخرج في ملابس امرأة حيث لم يجد في بيتهم ملابس رجالية إضافية فرجع إلى بيته مرتديا قميص النوم الحريري والطربوش ،⁽³⁾ فظن أخوه أنه ازداد جنونا واعتقدت زوجته أنه قضى وقته مع عشيقته ففرّ إلى محلّ التاجر وطلب منه أن يساعده فخيره بين الأنواع الأخرى مثل الشهامة والصدق والوفاء الخ. لكنه لم يوافق ذلك الاقتراح ثم اتفقا أن بقضى بقية المدّة في دُكان التاجر ابق معي بضعة الأيام الباقية... حتى يذهب مفعول المروءة... هذا كل ما أستطيع

(1) أرض النفاق، ص/ 131.

(2) المصدر نفسه، ص/ 139.

(3) المصدر نفسه، ص/ 172.

فعله من أجلك، وهو أن أتحمّل بقاءك معي حتى تعود إلى ماكنت عليه من سوء الخلق. (1)

عرف من التاجر عن سر ذلك الكيس الصغير بأنه يحمل مسحوقا مركز للأخلاق ويكفي ذلك لتغيير المجتمع بأكمله إذ وضع في النهر فسرق ذلك الكيس من المحل ورماه في نهر النيل وكان لذلك أثر كبير على المجتمع المصري.

شرح لنا السباعي الأحداث المختلفة بعد أثر المفعول على الناس وقارن بين حالة الناس قبل شرب الماء وبعده فإيرينا أنّ جميع المشاركين في الجنازة كانوا يمدحون المرحوم وهكذا كانت تسرى الهمسات كلها مدح في مدح وكلها تلصق بالفقيد صفات... لو تجمعت في إنسان لكان نبيا، (2) وكانت امرأته تبكي عليه بكاء ولكنها بعد أن شربت الماء تركت النفاق فكانت امرأة عديمة البال يزوجها المرحوم ولم يهتم أحد بالوزير الذي كان موضع اهتمام الجميع قبل مفعول مسحوق الأخلاق وترك الناس النعش وبدأوا يجهرن عما كان عليه المرحوم من الأخلاق السيئة وأخذ كل منهم يقص كل ما يعلمه عن سيئات الفقيد... ثم بدأوا ينصرفون تباعا وشيئا فشيئا أخذ المكان يخلو حتى لم يبق هناك سوى وصاحبي والنعش المقلبي على الرصيف، (3) وكذلك صورّ لنا السباعي ما حدث في صلاة الجمعة وذكر لنا خطبة الخطيب قبل تأثير الماء عليه وكيف كانت كلمته بعد أن زال النفاق منه يا عباد الله... أيها الأشقياء المنافقون... عشرات السنين وأذانكم من طين وعجين... تخالون أن واجبكم ينتهي عند حد السماع، تماما كما أخال أنا أن واجبي ينتهي عند حد التلاوة، (4) مما أدى إلى طلب الشرطة لإلقاء القبض عليه بتهمة الكفر والإلحاد والمعركة بين المصلين والشرطة لإنقاذ الخطيب.

وصور لنا كذلك الحفلة الانتخابية ومن خلالها شرح الكاتب لنا حقيقة الانتخابات وشخصيات المرشحين وصرف الأموال الهائلة وشراء الأصوات الخ.

(1) أرض النفاق، ص/ 185.

(2) المصدر نفسه، ص/ 24.

(3) المصدر نفسه، ص/ 212-213.

(4) المصدر نفسه، ص/ 225.

أذكر هنا باختصار شديد بما وصف السباعي أحد المرشحين وأخيرا وصل (حتحت باشا) محمولا على الأكتاف وقد علت من حوله الهتافات... رجل كل ما فيه محتمل إلا كلمة (باشا)... لقد كان الرجل أشبه بالخنزير الذكر... أسود كرش... قد علا قفاه سنم كسنم الجمال وبدت عليه أبلغ آيات الغباء (1).

ولم يقف عند هذا الحد بل وصف أحوال الناخبين قبل الأكل وبعده خلال إلقاء كلمات الخطباء وذكر تأثير الماء الملوث ب مسحوق الأخلاق الفاضلة على هؤلاء الخطباء وعلى المرشح حتحت باشا نفسه مما أدى إلى المعركة وبدأت المعركة حامية الوطيس تعالی الصراخ وتطايرت الكراسي في الهواء وانهار السراق على من فيه وخرجت وصاحبي نعدو... هارين من المعركة... فوقفنا نلهث ونجفف عرفنا المتصبب (2).

كان باشا نفسه هو سبب المعركة حيث أعلن تحت تأثير الماء أنه يشتري الأصوات ولن يدفع أكثر من خمسين قرشا لصوت واحد والذي لا يجب هذا المبلغ مقابل صوت فأبوه ملعون وكره الناخبون أسلوبه وغاضبهم ذلك فعبروا عن عدم ارتياحهم.

عرفت الحكومة عن هذه المؤامرة عن طريق إحدى جواسيه فاعتقل بطلنا مع تاجر الدكان ومنعت الحكومة شرب المياه العادية للموظفين ولكن عامة الناس شربوا ماء النيل فضربوا وزيرا في حفلة عقدت لتكريمه وأعلنت الجريدة أيضا عن قتل ما يقرب من ألف وخمسمائة حماة وفرار ما يربو على الخمسة آلاف زوج من زوجاتهم (3).

وأصبحت الصحافة بلا نفاق فبدأ الكتاب يؤلفون الحقائق بدل الكلمات البراقة الخادعة فاعترف الكاتب المخلص الصادق لشعبه أنه يستلم المبلغ وله حسابات في البنوك السرية وكتب الأنباء المختلفة وذكر أحوال مجلس الوزراء ومواقف الوزراء وحقيقة الموضوعات التي تنافس في مجالس الوزراء وشرح أولويات السياسيين

(1) أرض النفاق، ص/ 236.

(2) المصدر نفسه، ص/ 244.

(3) المصدر نفسه، ص/ 252.

انتقل معالي وزير الزراعة يصرح بأنه يريد العود إلى الحكم فوراً... لأنه مشتاق وبه
لوعة (1).

وفي نهاية القصة أطلق سراح البطل وصديقه التاجر حتى يعيش في مجتمع
جديد ويعانون مثل الآخرين وكان سراحهما هو الجزاء لهما.

(1) أرض النفاق ، ص/ 265.

3. إني راحلة

نشر يوسف السباعي هذه الرواية الرومانسية في 1950 وأهداها إلى زوجته السيدة دولت السباعي بقوله إلى أحب من وفي... وأوفى من أحب، إلى الحبيبة الأولى: أم (بيسا) و(اسماعيل)،⁽¹⁾ وذكرت نعم الباز لقاءها الأول مع يوسف السباعي في أكتوبر 1955 في قسم الصحافة بكلية الآداب وهي كانت قد قرأت قصته هذه وبعد بداية الحفل بساعة جاء يوسف السباعي... تسبقه ابتسامته التي تطل من عينيه قبل أن تظهر على شفثيه... إنه هو تماما بطل (إني راحلة)... القصة التي قرأتها أربع مرّات وأنا في السادسة عشرة من عمري... إنه تماما كما تخيلته ولكنه أرق من صوره التي تنشرها الصحف.⁽²⁾

وتشارك الكاتبة ذكريات ذلك الحفل قائلة وكانت إحدى فقرات الحفل سؤالاً موجهاً له، من هي بطلة قصة (إني راحلة) الحقيقية...؟ فحاول الزوغان من الإجابة ولكن إصرار الطلبة وفضول الطالبات جعله يعلن أنها زوجته،⁽³⁾ وأكدت السيدة دولت السباعي في حوارها مع نعم الباز أنها هي بطلة إني راحلة قالت وهي تبتسم في خجل... أنا عايده... بطلة قصة (إني راحلة) فنصف القصة الأولى يصور خطبتنا وعلاقتنا كأولاد عم ولكن عدا بعض التفاصيل الصغيرة فنصفها الأول لي وحياتنا في طورها الأول.. أما نصفها الثاني فهو خاص لوجه التأليف والحبكة القصصية.. يوسف بطل إني راحلة في خطوبتنا،⁽⁴⁾ فهي قصة الزواج والزوجة الحقيقية كما صرّحت بذلك زوجة كاتب هذه القصة في حوارها وأشارت كذلك د. لوتس عبدالكريم في كتابها "عاشوا معي" أن دولت السباعي هي بطلة (إني راحلة) حيث خصصت بعض صفحات الكتاب للحديث عنها وشاركت قراءها ذكرياتها ولقاءاتها مع بطلة هذه الرواية.

(1) إني راحلة، ص/ 5.

(2) زوجاتهم وأنا، ص/ 58-59.

(3) المصدر نفسه، ص/ 58-59.

(4) المصدر نفسه، ص/ 65.

وكتب عميد الأدب العربي د. طه حسين مقالا حول (إني راحلة) وأظهر فيه اعجابة بالقصة بقوله فليكن الحديث إذن عن هذه القصة الضخمة التي كتبها الأستاذ يوسف السباعي وسماها (إني راحلة) وهي قصة ممتعة حقا أخذت في قراءتها فلم أدعها حتى أتممتها ولم أفعل ذلك متكفاله أو صابرا نفسي عليه وإنما القصة هي التي اضطررتني إليه اضطرارا وحملتني على أن أفرغ لها وأترك ما بين يدي من عمل لم يكن تركه يسيرا... وإذا كان هو قد كتب قصته في عشرين يوما فإني قراتها في أربعة أيام لم أجد أثنا قراءتها سأمًا أو شيئًا يشبه السأم وإنما وجدت رغبة وإقبالا وحرصا على أن أفرغ منها بل على أن أنتهي إلى غايتها،⁽¹⁾ وألف السباعي في مقدمة الرواية ما أشار إليه د. طه حسين أنه أكمل هذه الرواية خلال عشرين يوما وكان السباعي قد أخذ الإجازة من العمل في صيف 1949 وسافر إلى الاسكندرية للراحة وصممت على أن أمضى هذه الأسابيع في راحة تامة وبدأت الراحة وأنا مخلوق لم يتعود الراحة فوجدت الحنين إلى الكتابة يعاودني ووجدتها فرصة سانحة أستغلها لكتابة قصة طويلة... وبدأت أتلقى اللوم ممن حولي... وقالوا أني في إجازة ولست في أشغال شاقة... وإن من الجنون أن أكتب عشر ساعات في اليوم ولكني استمررت في الكتابة حتى أصابني الملل وأنهكني الجهد فكرهت الكتابة وكرهت القصة وكرهت أبطالها وكرهت نفسي... وتركت الكتابة وأخذت إلى الراحة... وقلت لنفسي إن كرهني للقصة هو نتيجة الإفراط في الكتابة ومّر يوم دون أن أكتب... ولكني لم أكد أحس ببعض الراحة حتى عاودت الكتابة وأخيرا انتهيت من القصة بعد عشرين يوما،⁽²⁾ وفي مقدمة الطبعة الأولى لهذه الرواية ذكر السباعي آراءه في فن القصة القصيرة والرواية وتكلم عمّا يلاقي من الصعوبة في كتابة بداية القصة القصيرة فإن مجرد بداية القصة هو أشق ما فيها وأني قد أستغرق يوما كاملا في كتابة الصفحة الأولى من القصة... وقد اجلس وأقوم... وأقوم وأجلس وأمسك القلم فترة طويلة... ثم أترك الورق دون أن أكتب شيئا فإذا

(1) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 16-18.

(2) إني راحلة، ص/ 8-9.

ما كتبت الصفحة الأولى ودخلت في صميم القصة اندفع القلم يكتب بلا توقف وملاأت الصفحة تلو الصفحة دون إحساس بأني أفعل شيئاً ولا تصبح المشقة عندئذ في الكتابة بل في التوقف عن الكتابة . (1)

ويرى الأستاذ غالى شكري أن هذه الرواية هي حلقة وصل بين مرحلتي الرومانسية في مصر وربما كانت (إني راحلة)، بالذات، وقد صدرت لأول مرة عام 1950، أقرب إلى أن تكون همزة الوصل بين المرحلة السابقة والمرحلة الجديدة، هي تمت إلى المرحلة السابقة بما تتضمنه من ثورة المؤلف على الفئات العليا من المجتمع البرجوازي ولكنها تتصل بالمرحلة الجديدة من خلال ذلك التخصص الحاد في المشكلة العاطفية أو مأساة الغرام الرومانسي... فالقلة القليلة من أدباءنا هم الذين يرتفعون إلى مصاف الظاهرة الاجتماعية ولقد كان المنغلوطي ظاهرة اجتماعية واضحة في ثلاثينات هذا القرن حيث أبكى عيوننا كثيرة وكذلك أضحى السباعي وعبدالحليم عبدالله وإحسان عبدالقدوس ممن تستهوي كتاباتهم جيلاً كاملاً من الشباب . (2)

وتحدثت الكاتبة لوسي يعقوب عن مثالية الرجل والمرأة في هذه الرواية بقولها وكتب السباعي (إني راحلة)... صورة مثالية للرجل... وصورة مثالية للمرأة هل هي حقيقة؟ هل هي خيال هل هي ما كان يتمناه ويريد في صورة المرأة التي يحب؟ وماذا كان في روايته (إني راحلة)؟ تكررت صورة المرأة كما كانت في أول قصة له إلى الرواية التي بطلتها (امرأة أحبت) صورة كاملة للوفاء النادر الذي يريده في المرأة . (3)

ويرى د. طه حسين أن هذه القصة رائعة تستحق القراءة فليس من اليسير أن تلخص قصة في مثل هذا الطول في مثل هذا الحديث وإنما أشرت إلى سياقها إشارة هي إلى اللحم منها إلى أي شيء آخر وقد ذكرت أن القصة وإنما أخاذا

(1) إني راحلة، ص/7-8.

(2) إني راحلة (بحث)، ص/60.

(3) يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية، ص/59.

مشوقة تبدأ قراءتها فلا تستطيع عنها انصرافا حتى تتمها وهي مع ذلك قد كتبت في لغة عربية فصيحة رائعة على هنات نلقاها هنا وهناك (1).

وشارك الأستاذ غالي شكري تجربة قراءته ب (إني راحلة) ويؤيد رغبة القراء في قراءة أعمال السباعي من الذكور والإناث وهم يمثلون الطبقات الاجتماعية المختلفة ولعله من الشيق أن أوضح هذه النقطة على (الطبيعة) حيث قرأت (إني راحلة) من النسخة الموجودة بدار الكتب فأتيح لي أن أقرأ مع النص الروائي تعليقات القراء والقارئات من جيل الشباب وتواريخ قراءتهم لهذا النص ومستوياتهم العلمية الرسمية وقد لاحظت أن أقدم تاريخ للقراءة سجله صاحبه في الصفحة الأخيرة من الرواية هو عام 1952 وأن أحدث تاريخ هو 1961 (ومعنى ذلك أن الرواية فاتحة لشهية القراء طوال عشر سنوات متواصلة) كما لاحظت أن البيئات العلمية للقراء تختلف من كلية الطب إلى كلية الآداب إلى المدرسة الثانوية وأن القراء جميعهم من الشباب الذكور والإناث، يركزون في تعليقاتهم على نقطة محدودة هي (الأسلوب) ونقطة عامة هي (الموضوع) وهم جميعا يؤكدون تأثرهم البالغ بهذه القصة (2).

والرواية عبارة عن الصراع بين القديم والحديث، بين التقاليد والحرية من جهة وبين الطبقات من جهة أخرى فبطلة القصة مرتبطة بمصريتها وتمسكها باللغة العربية وتحب ابن خالتها ولكن الوالد يبحث لها الزوج من الطبقة الحاكمة وكانت تربيتها على أصول عربية أما زوجها توتو كان يفضل اللغة الفرنسية والموسيقى الغربية وكان يشرب الخمر وكان الرقص عاديا له ولم يكن أبي قد تعود الشرب، على الأقل في البيت ولكنه في هذا اليوم خرج عن مألوف عاداته... وأعد بضع زجاجات من الويسكس احتفاء بالضيف العظيم ودخل أحد الخدم يحمل بضع كؤوس،⁽³⁾ وشرب الباشا (صاحب الدولة)... والباشا (أبي)... ولم أر في هذا عجيبا! ولكن العجب الذي أصابني كان عندما رأيت الشاب والفتاة يشربان

(1) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 19.

(2) إني راحلة (مقال)، ص/ 60.

(3) والصحيح كؤوس...

بمنتهى البساطة... أمام أبيهما وأبي وكان المسألة ليس فيها مدعاة لتهدب أو خجل
وسألني توتو بك: لم لا أشرب؟ (1).

وتوتو بك لا يعرف شيئاً عن الموسيقى الشرقية ولم يسمع لعبد الوهاب ولم
يقرأ لشوقي والمنفلوطي وكان عالماً برمان المنفلوط وليس عنده معرفة عن الكاتب
الاجتماعي مصطفى لطفى المنفلوطي وكان رأيه عن الشعب المصري أزعج الفتاة
أنا أكره كل شئ مصري... هذا الشعب مازال شعباً بدائياً... أمامه قرون حتى
يصبح شيئاً متمدنياً... شعب الفول المدمس والطعمية... أهذه أفكارهم عن
أمتهم؟... أمثل هؤلاء المخنثين من أبناء الكبراء ستبني مصر مجدداً وتقيم
سؤدها... هؤلاء الذين تثير أعصابهم الموسيقى الشرقية... والذين لا يعرفون من
الدنيا إلا آخر رقصة وآخر أغنية (لموريس شفاليه) ولا يهتمون إلا بأحدث (موضة)
للأزياء. (2).

ومع ذلك لم تجد عايذة مفراً من قبول الزواج بتوتوبك فهي مظلومة إذا
كما أشارت لوسي يعقوب إلى ذلك تعذبت بطله (إني راحلة في حياتها... وهي
تنن بمرارة ووطأة عذابها في إرتباطها برجل ليس من بيتها ولا من شكلها ولا من
طينتها وخيالها، يعيش بجوار حبيبها هذه المرأة القوية، الصابرة الصامدة الوفية إلى
النهاية هي التي يريدونها في الحياة وفي القصة، الحقيقة مع الخيال. (3).

ويرى الأستاذ غالي شكري أن الجانب الاجتماعي لثورة المرأة لم يكن موقوفاً
عند السباعي في تلك الفترة من الزمن يجب أن نعترف بأن (عايدة) في (إني
راحلة) هي زميلة (أمينة) في (أنا حرة) لإحسان عبدالقدوس وكلتا زميلتي (نورا)
اللکاتب النرويحي العظيم هنريك ابس، هي نموذج الفتاة الثائرة على أغلال القرون
الوسطى من القيم الاقطاعية والمثل الموغلة في الرجعية، ربما كانت عايذة التي أحببت

(1) إني راحلة، ص/ 146-147.

(2) المصدر نفسه، ص/ 151-152.

(3) يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية، ص/ 60.

واحترقت بنيران حبها ليست تجسيدا فوتوغرافيا للفتاة المصرية ولكنها بلا جدال إحدى الملامح المميزة لثورة الفتاة المصرية على التقاليد . (1)

والقصة لا تخلو من بعض العيوب ذكرها د. طه حسين باختصار حيث يقول وما أخفى على صاحب القصة أي لم أرض عن كثير مما اضطره إليه فنه اضطرارا ولن أذكره له ذاك في إطاله وإنما أشير إليه كما أشرت إلى سائر القصة وهناك أشياء تنكرها كتمزيق الخيط وتمزيق الشعر وتذكير المؤنث وتثنية ما حقه أن يكون جمعا وهناك عيب في القصة يوشك أن يفسدها لولا أنه يقع في آخرها حين تنتهي من قراءتها فالفتاة التي تكتب القصة وهي التي تنبئنا منذ السطر الأول بأنها ستموت بحيث ننتظر موتها كلما دنونا من آخر الكتاب فإذا بلغنا موته رأيناها منكر غريبا ناييا لا يسيغها الفن المتقن . (2)

ونهاية القصة مفطره حقا ونقل الفقرة الأخيرة منها والكوخ قد عفت آثاره فلم يبق منه سوى قائم أسود أشبه بشواهد القبور، يشهد بأنه في هذه البقعة تعانقت روحان ويستطيع الموت أن يفرق بينهما... وعلى مقربة من أكوام الرماد والدخان والبقايا المحترقة شوهدت حقيبة جلدية لم تتناول إليها ألسنة اللهب وقد فتحت وأخذ النسيم يعبث بأوراق كراسة بها هي كل ما تبقى ليروي لنا قصة إني راحلة . (3)

والمنظر يشبه بمنظر الفليم أكثر من شبهه نهاية القصة مثل نهاية قصة (رد قلبي) ويظهر التناقص أيضا في النهاية حيث كانت الفتاة متأكدة بأنها تبعد الحقيقة قبل إحراق الكوخ ساضع الكراسة في حقيبة جلدية وأقذف بها من النافذة ثم أشعل النار في الدار... سأحتضن أحمد حتى نحترق سويا . (4)

(1) إني راحلة، ص/ 63.

(2) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 19-20.

(3) المصدر السابق ، ص/ 439.

(4) المصدر نفسه، ص/ 434.

4. بين الأطلال أذكريني

ألف يوسف السباعي هذه الرواية في سنة 1951م، وأكملها خلال عشرين يوما وكان ذلك في مقدمة هذه الرواية فقد بدأتها في رمضان سنة 1370هـ (1951م) إذ وجدت الصيام يهيئ لي ساعات طويلة متواصلة من الكتاب بلا توقف وهكذا بدأت عملية الحبس يوما من الساعة التاسعة صباحا حتى الخامسة مساء وفي اليوم العشرين كنت قد انتهيت من القصة . (1)

وأهداها إهداء لا يعرف القارئ المراد منه إذ جعله إهداء خاصا لمهيمته المجهولة بعيدة عن عيون قراء إلى المهمة النائبة... أينما كانت... وكيفما كانت.... (2)

وقسمها إلى ثلاثة أجزاء وسمي الجزء الأول ب (سوط على قلب) والجزء الثاني سمي ب (القصة الأخيرة) وسمى السباعي الجزء الثالث والأخير (شمس غاربة)، في الجزء الأول تقع معظم أحداث الرواية في معهد الصحافة بالقاهرة حيث عين فيها كمال عبدالرحيم معيد اللغة الإنجليزية وهو حديث التخرج من إنجلترا وكلف بتدريس اللغة الإنجليزية لأن المسترلي لم يعد من بلده بعد انتهاء الإجازة إنه لم يحضر من إجارته من بلده وقد عينوا بدله مدرسا جديدا... جدع صغير... لا يملأ العين. (3)

والتحقت سامية بمعهد الصحافة بعد الحصول على دبلوم الآداب وكانت قد نجحت بتفوق ولها آمال كبيرة نحو الحياة وكانت رغبتها أن تكمل دراسة الماجستير والدكتوراة وتعمل لحرية المرأة وحقوقها الدراسة العليا التي ستهيئها للدكتوراه وستجعل منها (الدكتورة سامية) رئيسة الحزب النسائي ومحركة المرأة ووزير الشؤون الاجتماعية وربما (لو اختشى الحظ على دمه وتساهل معها) تكون رئيسة

(1) بين الأطلال أذكريني، ص/ 7.

(2) المصدر نفسه، ص/ 5.

(3) المصدر نفسه ، ص/ 26.

وزراء ،⁽¹⁾ وكانت ترفض موضوعي الحب والزواج وتبتعد عنهما وتصر على عدم الزواج كلما سألت أمها أو تحدّثت عن الزواج.

أما كمال فكان يجب أن يتزوج الإنجليزية، أحبها وساعدته كثيرا في الغربية ولكن أباه كان يرفض الفكرة ويعارضها بشدة فاني لا يسرني بعد أن اشتركت في ثورة 1919م لإخراج الانجليز أن أكون على آخر الزمن جدا لأحفاد الانجليز وأن آوى في بيتي امرأة انجليزية.. مهما دار الزمن ،⁽²⁾ وكان الأب يرى أن إحضار زوجة أجنبية إهانة للفتيات المصريات كأن مصر كلها قد عقت فلم تنجب الزوجة التي تنفع لك وتملاً عينيك ،⁽³⁾ فالسباعي يوضح لنا الفرق بين أفكار جيلين من المصريين، الأب الذي نشأ مع فكرة تحرير المجتمع من عبودية الانجليز السياسية والابن الذي لم يعيش تلك البيئة ودرس اللغة الإنجليزية وأحبّ الإنجليزية ودرس في بلادهم.

وكان كمال حائرا في أمره بين إحضار حبيبته الإنجليزية وبين رفض والده الذي يحبه كثيرا ويحترمه وهو الذي ربّاه واهتم به بعد وفاة والدته وهي تضعه وساعدته في تربيته مربيته العجوز الذي كان يعتبرها والدة وكانت تعارض هي الأخرى زواجه بفتاة أجنبية، هذه من جهة ومن جهة أخرى بدأ يهتم بسامية وكان قد كتب الرسالة إلى حبيبته الإنجليزية لتحضر القاهرة حتى يتمّ زواجها بينما زاد اهتمامه أيضا بسامية بعد إرسال الرسالة. انتهى الأمر ولا فائدة من التراجع... إنها قد تكون قادمة في طريقها... ومن الجنون أن يحاول إعادتها وخذلانها ،⁽⁴⁾ ولكنه تسلم رسالتها، تعتذر فيها أن خطبتها قد تمت ولا يمكن لها أن تحضر مصر وعادت العلاقات العائلية إلى مجراها في بيت كمال بعد التوتر مع الوالد خاصة وكذلك مع (الحاجة) مربيته وقرّر في نفس اللحظة أن يتزوج سامية فوافقت على تلك المفاجأة السارة ولا شك أن سؤاله كان مفاجأة شديدة إن هذا هو أقصى

(1) بين الأطلال أذكربني ، ص/ 19.

(2) المصدر نفسه، ص/ 44.

(3) المصدر نفسه، ص/ 43.

(4) المصدر نفسه، ص/ 66.

ما تتمنا وأجمل ما كانت تتلهف على سماعه منه ولكنها لم تتوقع أن يقوله بمثل هذه السرعة، كانت تتوقع أن يسبق مقدمات ومقابلات واستفسارات واختبارات. (1) فأخذ كمال صورتها من الصور ليفاجئ بها الحاجة ولكنه تفاجأ برد الحاجة التي انهارت بعد رؤية الصورة التي ظهرت فيها سامية الطفلة مع أمها فأخبرته الحاجة هذه هي أمك بعينها ولحمها ودمها... إني أعرفها تماما، (2) ولكنه لم يصدقها رغم انزعاجه وارتياحه بعد أن رأى المريية في حالة الانهيار بعد مشاهدة الصورة وفي اللقاء التالي ذكر القصة مع سامية التي نقلتها على سبيل المزاح لوالدتها فلم يختلف تأثير النبا عليها من "الحاجة" حيث عادت أمها تعتصر رأسها في ألم شديد وتهمس لنفسها: لا... لا... لا يمكن أن يكون ذلك صحيحا، (3) فبدأت المأساة الحقيقية حيث نرى أن أم سامية سلمتها بعض الأوراق ثم أخرجت رزمة أوراق مطوية بدا عليها القدم، ثم مدت بها يدها إلى ابنتها وقالت في صوت منخفض: خذي هذه... اقريئها... كان يجب أن تقرئها من قبل... كان يجب أن أقول لك كل شيء... ولكن ظننت أن الحياة يمكن أن تطوي ما مضى، ولم أظن أن الأقدار ستعود مرة أخرى إلى نبش رفات الماضي، (4) وبهذه الخاتمة أكمل السباعي الجزء الأول من هذه الرواية.

والجزء الثاني عبارة عن قصة حب عاشتها أم سامية وهي في الفترة المراهقة من عمرها ولكن الصورة الصحيحة تتضح أمامنا بعد قراءة الجزء الثالث من هذه الرواية حيث تشرح الأم لسامية القصة وتعرفها ببطلتها القصة (وهي أم سامية نفسها) وتعرف سامية أن (كمال) هو ابن أمها ولكنها ليست ابنته إنه ابني ولست ابنتي إن هذه المرأة التي تقولين عنها لا يمكن أن توجد على ظهر الأرض هي أنا... أنا

(1) بين الأطلال أذكريني ، ص / 72.

(2) المصدر نفسه، ص / 82.

(3) المصدر نفسه، ص / 87.

(4) المصدر نفسه.

تلك المخلوقة العجيبة الشاذة... التي أفننت عمرها بين الأطلال، والتي ترملت دون أن تتزوج والتي أنجبت ابنة دون أن تحمل أو تلد. (1)

عرفت سامية أن أمها هي أم كمال وأحبت كاتبها قبل زواجها لكن عمها وخالتها زوجها لمصلحتتهما بعد أن توفي والداها في طفولتها وظلّت تحب الكاتب وكان أبو كمال يعرف عن حبها لكنه صبر عليها ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها لزيارته وهو في المستشفى في غيبوبة بين الحياة والموت وكانت في حالة الصدمة ولكن زوجها لم يتحمل ذلك ورفض أن تزور الكاتب مرّة أخرى فأغضبها ذلك الأمر فتركت البيت من أجله فذهبت إلى المستشفى لتمريضه فظلت تخدمه وهو في غيبوبة حتى مات الكاتب ولم يقبل زوجها أن تعود إليه أو تزور طفلها فرضيت بقضاء القدر فرجعت إلى المستشفى بعد أن قضيت بضعة أيام في بيت صديقتها. زارها والد الكاتب وأنبأها بأن زوجة المرحوم حامل وهو بحاجة ماسة إلى ممرضة تخدمها فذهبت إلى بيت حبيبها الرّاحل تخدم زوجته وماتت زوجته بعد أن ولدت سامية وأصر جدّ سامية أن تبقى معها وتربي سامية لقد واصلنا الحياة سوياً... أنا وأنت وجدّك حتى حانت منية جدّك بعد عام أو بعض عام وبقينا في الحياة وحيدتين أنا وأنت. (2)

زارتهما صديقة أم سامية (التي ساعدتها بعد موت الكاتب) لتخطب سامية لابنه. زميل سامية في المعهد فلما عرفت عن أحوال الأسرة، ذهبت إلى بيت كمال لتخبره عن حقيقة الأوضاع فجاء مع أسرته ليخطب سامية رسمياً. ويستغرب الباحث عند ما يرى موقف كمال من أمه حيث لا نجد شيئاً عن فرحته للقاء والدته بعد طول العمر حيث شرح الأمر قائلاً أقبلت علينا السيدة والدة الأستاذ "أنور" وطلبت مقابلة أبي وذكرته بنفسها وقالت له إنها تزور للمرة الثانية بنفس الرجاء وهو الصفيح والغفران ثم شرحت له جلية الأمر ولم نجد هناك ما نفعل بعد ذلك أفضل من أن ننقل إليكما لننهى المسألة نهائياً. (3)

(1) بين الأطلال اذكيرني، ص/ 275.

(2) المصدر نفسه، ص/ 275.

(3) المصدر نفسه ، ص/ 289.

فالمسألة عنده خطبته لسامية وليست المسألة أيجاد الأم فنراه في ختام الرواية يأخذ سامية معه ليلبسها الخاتم ونسي والدته أما زوجها فكان مترددا لإعادتها إليه فبقيت وحيدة في انتظار ابنتها في بيت حبيبها الرّاحل.

5. السقامات

نشرت هذه الرواية في سنة 1952 وهي السنة التي قدم فيها السباعي الروايتين والمجموعتين القصصيتين بالإضافة إلى تقديم مسرحيته الشهيرة (وراء الستار) وأهدى روايته إلى عمه طه السباعي ويعلل إهداءه بقوله "أهدى كتابي هذا، لا لأنه بفضل اللقب صاحب معالي... أو صاحب سعادة... ولكني أهديه له لأنه -بفضل الله- صاحب نظافة. نظافة في الذهن واليد والقلم واللسان إني أهدى له... رغم أنه سياسي وباشا... و(حمادي).

وفي مقدمة الكتاب تحدّث عن قضية اللغة العربية الفصحى والعامية وأشار إلى الضرر الذي لحقه ككاتب وإبعاد الشباب المصريين عن مؤلفاته بحجة وجود اللغة العامية فيها كانت توشك أن تقرر بعض كتيبي لمدارسها (وزارة المعارف)، لولا أن اللجنة المختصة رأت أن الكتب تحوي بعض عبارات بالعامية تتنافى مع الغرض الذي قررت من أجله الكتب،⁽¹⁾ وستناقش هذه القضية في الباب الرابع في ذكر تحليل رواياته وتقديم آراءه حول الموضوعات المختلفة.

وأما الرواية فقسمها السباعي إلى اثني عشر فصلا وأضاف إليها الخاتمة بعنوان (والصابرين في الباساء) مستعينا بالآية الكريمة والصابرين في البأساء والضراء وحين اليأس.⁽²⁾

وبما اختتم هذه الرواية أيضا وهي الآية نفسها كانت معلقة في مدخل البيت وهي التي شرحها شحاتة لسيد عند ما وجد الصعوبة في قراءتها ولم يعلم شحاتة سر وجود تلك الآية في بيت شوشة ولكن شوشة أخبر ابنه سيد وكشف

(1) السقامات، يوسف السباعي، رقم الإيداع: 2949، مكتبة مصر، القاهرة، ص/ 3.

(2) المصدر نفسه، ص/ 4.

سر وجود الآية عند ما أخبره عن وفاة زوجته آمنة أم سيد وحاولت أنا الصبر والتجلد واستعنت بالصلاة وبالقرآن ووضعت آيات الصبر نصب عيني أقرؤها في كل غدوة وروحة ولكن الصبر كان متعذرا والوجيعه جائمة على القلب تأبى فراقه،⁽¹⁾ وهي الآية رفعها سيد من الأتربة قبل خروج نعش أبيه من بيت الجيران وعندما همّ بالخروج لمح إحدى اللافتات التي كانت معلقة على الحائط... قد وقعت على الأرض بين الأتربة ووقع بصره عليها... وحمل (سيد) اللافتة وطبقها ووضعها في جيب الجاكتة، ثمّ أسرع إلى الخارج، فوجد الموكب على وشك التحرك.⁽²⁾

ولكن الأستاذ كارنيك جورج ميناسيان له رأى آخر كتبه في مقال (السقامات) حيث يقول وتنتهي القصة والابن قد أصبح أبا وتربع على عرش المياه مكان أبيه وقد وضع بالقرب منه لافتة فيها هذه الآية الكريمة... والغريب أن الكتاب يبدأ بهذه الآية وينتهي بها كما أنها تتردد في حوار القصة أربع مرّات تقريبا دون أن يكون بينها وبين القصة صلة ما! لعل المؤلف يريد أن يعزي أبطاله ويمسح على مصائبهم وهم في غير حاجة إلى ذلك فالآية مفروضة فرضا محشوة حشوا فالصلة بعيدة بينها وبين مغزى القصة،⁽³⁾ ويبدو أن الآية أخذت اهتمام النقاد حيث تحتّم فريال كامل مقالها (ولكن السقامات مخلدا في السينما المصرية)،⁽⁴⁾ بهذه الآية الكريمة ولم ينسى كذلك توفيق حنا ذكر الآية الكريمة في حديثه عن هذه الرواية، أبداع يوسف السباعي رواية (السقامات) عام 1951، بعد ثلاثين عاما من وقوع أحداثها في حي الحسينية في القاهرة عام 1921، وتحت عنوان الرواية نقرأ قوله تعالى: (والصابرين..)،⁽⁵⁾ وتحدث الأستاذ عبدالعزيز الدسوقي عن موضوع الرواية وأبطالها في مقاله (المزج بين التجربة الوجدانية والتجربة السياسية)، حيث

(1) السقامات ، ص/ 307.

(2) المصدر نفسه، ص/ 327-328.

(3) السقامات (المقال)، كارنيك جورج، الرسالة، 30 يونيو 1952، ص/ 736.

(4) ولكن السقامات مخلدا في السينما المصرية، فريال كامل، ابداع/ الثامن، 1-8-1995، ص/ 63.

(5) شحاتة افندي بطل (السقامات) رواية يوسف السباعي، توفيق حنا، ابداع العدد العاشر، 1-10-1989، ص/ 47.

يقول وموضوعها تصوير الحياة الشعبية بكل صورها وألوانها ومظاهرها، وهي عصير شعبي رائع، تسجل كثيرا من العادات والتقاليد والمظاهرات المختلفة التي كانت تسود أحياء القاهرة الشعبية في مطلع هذا القرن، وليس فيها أحداث ضخمة ولا أبطال كبار وإنما أبطالها أناس عاديون فقراء يعملون في حي الحسينية عم شوشة، السقا وابنه سيد وزوجته الخادمة التي ماتت في شبابها وأم آمنة جدّة سيد وشحاتة افندي البائس الذي يسير أمام الجنازات يرتدي الحلة السوداء ويحمل القمقم... وغيرهم من الناس الطيبين البسطاء. (1)

بدأ أحداث الرواية في الربع الأول من القرن الماضي و نحن الآن في عام 1921 في أوائل شهر سبتمبر، (2) وتبدأ القصة عندما يفتح ابن السقا فوهة قربته وتسقى شجرة المترحنة في قصر إبراهيم بك جاد وكان أبوه شوشة قد أمره بسقى تلك الشجرة بدون انقطاع فسّر الشجرة وحب والده لها بقى سرا حتى كشف له أبوه في نهاية الرواية فنعرف أن الحب نشأ بين والديه بسبب تلك الشجرة حيث غرست آمنة إحدى خادمت القصر تلك الشجرة بيدها وكانت حريصة عليها وكانت تنصح شوشة. السقا الشاب بالاهتمام لها وإنما أنبأني أنها قد غرستها بيدها وأنها تخشى أن يهملها البستاني فتموت وهي عزيزة عليها حبيبة إلى نفسها.. وضحكت ووعدتها أن أداوم على سقيها يوما بعد يوم، وأن تجعل مسؤوليتها في عنقي مادامت تعتر بها كلّ هذا الاعتزاز، (3) ثم نشأ الحب بينهما وتزوجا وكان (السيد) الصبي ثمرة ذلك الحب وتوفيت آمنة خلال ولادة سيد فبقي شوشة وفيأ لعهد فاهتم بالشجرة وسيد وأم آمنة التي فقدت نورعينها بكثرة البكاء على وفاة ابنتها الشابة وتوفي شوشة ومّرت الأيام والصبي يسير في الحياة... ولم ينس يوما واجبه نحو شئ عزيز... كان يرى فيه... صورة الغائبين ويشم منه عبقيهما... لم ينس يوما سقية... التمرحنة، (4) وبقي (سيد ابن تسع سنوات)

(1) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 127-128.

(2) السقامات، ص/ 11.

(3) المصدر نفسه، ص/ 299.

(4) المصدر نفسه، ص/ 331.

وفيا لأمه وأبيه حيث ترك المدرسة واستلم مفتاح صنبور الماء وبذلك حصل على الوظيفة وجلس على الكرسي الذي تمناه شوشة طول العمر وحققه في نهاية حياته وفي الصباح نظر إليه الرجل في دهشة ثم صحافحه معزيا وأنبأه أنه سيمر في عمل أبيه... وأنه سيجعله خليفة على الحنفية ،⁽¹⁾ وتلك الوظيفة ساعد أم آمنة في إدارة شؤون البيت وظلت أم آمنة مهتمة محبة لسيد حتى توفيت وتزوج سيد ولما كبر ابنه أخذه إلى تلك الشجرة وأضحى السيد رجلا وتزوج وأنجب ولدا وفي كل صباح يحمل صبيه القرية الصغير ليسقى الشجرة العزيزة لتزيد إنبعا وخضرة.. بين قفر يباب كأنها واحة للتذكر والوفاء.. في صحارى النسيان والقطيعة والإهمال.⁽²⁾

(1) السقامات، ص/331

(2) المصدر نفسه، ص/332.

6. البحث عن جسد

نشر يوسف السباعي (البحث عن جسد) في سنة 1953 وهي تكملة حديثه مع عزرائيل في (نائب عزرائيل) ونستطيع أن نقول أنه الجزء الثاني من (نائب عزرائيل) فلعله سبب جمع (نائب عزرائيل) و(البحث عن جسد) في مجلد واحد نشرته مكتبة مصر في القاهرة، واسم الرواية (البحث عن جسد) وليس (البحث عن حب)،⁽¹⁾ كما زعم الأستاذ غالي شكري. وعدّ الأستاذ شكري هاتين الروايتين من أعماله الروائية وكتب الأستاذ عبدالعزيز الدسوقي أنهما قصتان طويلتان،⁽²⁾ في مقالة المزج بين التجربة الوجدانية والتجربة السياسية ، عندما عرّف أعمال يوسف السباعي القصصية ولكن مكتبة مصر نشرتها بعنوان قصص قصيرة وقد تكون مقدمة هذا العمل الأدبي هي سبب التسميات المختلفة حيث يقول السباعي، ولقد جرى الحديث بيننا (بين عزرائيل والسباعي) سهلا غير متكلف ولست أدري أسميه قصة أم مسرحية أم مجرد حوار أخرجت به بعض ما يحول في خاطري ،⁽³⁾ ولكنه اعترف بعد بضعة أسطر أنه حاول أن يضع أفكاره في قصة ونرى بعد قراءتها أنها أشبه بمسرحية وذلك أولا بوجود كثرة الحوار فيها أولا ثم تقسيم السباعي هذا العمل الرائع إلى ثلاثة فصول وقسم الفصل وقسم الفصل الثالث إلى ثلاث مناظر والمسرحيات عادة تشتمل على الفصول والمناظر.

وكان السباعي قد وعد عزرائيل في كتابه الأول (نائب عزرائيل) بأنه في انتظار لقاءه، اما على صفحات كتاب آخر أو في السماء.. ما بي من خشية ولا رهبة فالحياة عندي والموت سواء ،⁽⁴⁾ ونفذ وعده وقابله في كتابه الثاني وكان في انتظار لقاءه على صفحات الكتاب الثالث أو في السماء ولكنه جدّد عهده هذا في مقدمة البحث عن جسد وليس في إهداءها كما كان قد فعل في (نائب عزرائيل)

(1) الفكر والفن في ادب يوسف السباعي، ص/ 338.

(2) المصدر نفسه، ص/ 133-134.

(3) نائب عزرائيل - البحث عن جسد، ص/ 139.

(4) المصدر نفسه، ص/ 5.

لأنه خصص إهداء هذه الرواية إلى جدته أم طه ويقصد ب طه عمه وحموه الأستاذ طه السباعي باشا الذي أهدها روايته الشهيرة (السقامات) فإذا هي أم أبيه وليست أم أمه لأنه لم يكن يجب أم أمه كانت تسمى بأم عطية أيها المضلل لم ذكرت (أم طه ونسيت أم عطية) لم ذكرت جدتي أم أبي ونسيت جدتي أم أمي؟ لم ذكرت مدلتني ونسيت معذبتني... كانت تحمل لي في قلبها رحمها الله... حقدا دفينا (1).

ويستفيد السباعي بالمعرفة الدينية العميقة من خلال الحوار مع عزرائيل وكأنه يتعمد إلى ذلك فسيستخدم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في حوار مع عزرائيل فلنأخذ الجزء التالي من الحوار لإثبات رأينا يالك من ناكر للجميل بالنعمة وأما بنعمة ربك فحدث!

من قال إني لم أحدث بنعمته... وأحمده على مكروهه، لقد حدثت بنعمته فأضاعها الحساد وحمدته على مكروهه فحق على قوله (لئن شكرتم لأزيدنكم) وهكذا زالت النعمة وزاد المكروه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، (2) أمّا الآية (وأما بنعمة... فهي وردت في سورة الضحى، (3) أما قول الله ﷻ: (لئن شكرتم... فهو جزء من الآية، (4) ونقل السباعي قول النبي ﷺ أيضا (لا يلدغ المؤمن... فهو حديث صحيح رواه الإمام البخاري في كتاب الأدب.

فأجابه عزرائيل ذاكر آية الذكر الحكيم أي صعاب ركبتها به... وأي شقاء صادفته فيه... أيها المحظوظ السعيد... المنعم المرفه...؟ حقا، قتل الإنسان ما أكفره (5) فذكر السباعي قول الله ﷻ على لسان عزرائيل وهو (قتل الإنسان...، (6) واستخدم السباعي هذا الأسلوب مراراً في هذه الرواية ففي الحوار التالي ذكر السباعي جزءاً من آية (فجزأوه جهنم خالدا فيها) وردت في سورة النساء، (7) عندما

(1) نائب عزرائيل - البحث عن جسد ، ص / 148.

(2) المصدر نفسه، ص / 145.

(3) سورة الضحى، الآية: 11.

(4) سورة إبراهيم، الآية: 7.

(5) البحث عن جسد، ص / 145.

(6) سورة عبس، الآية: 17.

(7) سورة النساء: 97.

هدّد عزرائيل السباعي بأنه إن لم يقبل قراره فهو يدخل جهنم ظن ما تشاء.. لقد اخترت وانتهى الأمر.. أما أن أكون زعيما وأما أن تتركني أصعد

● إلى جهنم

● جهنم... جهنم

● جهنم خالدا فيها أبدا

● أبدا.. أبدا.. لا يهمني.. أهي حرقه.. أم حرقتان!

وعندما حثّه عزرائيل أن يعود إلى الدنيا وينزل روحه في بطن أمه الجديدة، تتألم بالأم الوضع فقال (أيها الفظ.. القاسي.. إنها أمك.. وبالوالدين إحسانا) واستمر في أسلوبه هذا حتى أنهى هذه الرواية بقول الله تعالى من سورة العلق "هيا بنا نعود يا صاحبي: إن إلى ربك الرجعى".⁽¹⁾

وذكر السباعي قول سيدنا علي η أيضا عندما ناقش عزرائيل موضوع العودة إلى الأرض فقال رأيت أن الحياة لا تستحق العودة... وأن البقاء أحمد؟ ألم يبلغك قول علي كرم الله وجهه: (آه من قلة الزاد وبعد السفر) لقد طوينا الطريق وختمنا السفر.⁽²⁾

والجدير بالذكر أن السباعي كتب هذه الرواية في اللغة الفصحى ولم يستخدم العامية إلا للضرورة القصوى ومن هذه الضرورة استخدام الأمثال العامية وكأن ثقافته تجبره أن يعبر عن مشاعره باللغة العامية المصرية لأن المجتمع المصري هو هدفه الأول ولو استخدم مصطلح الأمة في هذه الرواية وخاصة في حديثه عن الزعيم وصفاته وانتظار الأمة لولادته زعيم ولد لكي يكون زعيما.. صنعته في الحياة هكذا.. خلق لإنقاذ هذه الأمة... إنه ألزم شئ إلى هذا الشعب في هذا الوقت.. إنه الشئ الذي يفقده الشعب.. فلا يجده.⁽³⁾

وفي الفصل الثاني من الرواية يتضح للقارئ أن السباعي يمهد للثورة ويرشد الشعب المصري في معرفة زعيمهم القادم ويذكر بأسلوبه الساخر مقاييس المعرفة

(1) نائب عزرائيل - البحث عن جسد، ص/ 179.

(2) المصدر نفسه، ص/ 259.

(3) المصدر نفسه، ص/ 156.

ومنها أنه يجب أن يكون منهم وقد عاش حياة في أسرة فقيرة وجرب مرارة العيش في جنيتها معدودة وأن يكون رجلا عاديا وأنه قد سجن لأفكاره الثورية التي طبعها في كتاب ويظهر هنا التناقض في شخصية السباعي حيث ألف معظم هذا الكتاب قبل ثورة 1952 ولكنه لم ينشرها حيث أشار إلى ذلك في مقدمة الكتاب كتبت الفصل الأول والثاني قبل 23 يوليو 1952 والفصل الثالث بعد هذا التاريخ ولقد قلت في آخر الفصل الثاني وأنا أكتبه في 20 يوليو أن شيئا لا بد أن يحدث... وبعد ثلاثة أيام حدث الشيء (1).

وأسلوبه الساخر يساعد القارئ في فهم أفكاره الذي أراد أن يوصلها عبر القصة، يسأل السباعي عن جمال الزعيم فيجيبه عزرائيل ستكون عاديا جدا... ستكون على نفس القبح الذي عليه بقية شعبك الكريم (2) ويسخر تارة من الزعيم أنه لم يستطع أن يكمل دراسته ويعترض تارة أخرى على اسم أمه بل على اسمه أيضا فيرفض أن تنزل روحه في جسد زعيم من أسرة فقيرة، غير جميل، لا يرغب في النساء ولا يتمتع بالسلطة ويناضل من أجل شعبه وأمته حتى يخدعه أصحابه فيفضل أن يولد في بيت الملك وفي الفصل الثالث، يقارن السباعي بين حياة الفقر والقصر ويقارن بين حياة الزعيم الفقير المناضل وبين حياة ولي العهد فيخبر عزرائيل السباعي أن ولي العهد، ليس في حياته المشقة والمسؤولية وأن عليه أن يتمتع من الحياة ويأمر الخدام وأن يصبح الملك بعد وفاة الملك ليس عليك لكي تعتلي العرش... إلا أن يموت أبوك... حتى موت أبيك لن يكون لك فيه أي دخل ولن يكون لك به أي اختصاص (3) ويستخدم السباعي أسماء الخادمت الأجنبية مثل اليزابيت ولورا الخ خصصن لخدمة الولي العهد، المولود الجديد وكأنه يشير أن القصر عالم آخر بعيد عن الشعب ومصر.

ويبدو أن السباعي يقصد بالمولود الجديد الملك فاروق لأنه هو الذي استلم الحكم في شبابه بعد موت أبيه وتحدث السباعي عن وفاة الملك في روايته (رد قلبي)

(1) نائب عزرائيل-البحث عن جسد، ص/ 140.

(2) المصدر نفسه، ص/ 211.

(3) المصدر نفسه، ص/ 225.

ووصف كذلك الملك الشاب، آخر ملوك المملكة المصرية وهذا الوصف لا يختلف في هذه الرواية مما وصفه السباعي في الرواية المذكورة ففي (رد قلبي) يصف السباعي جلالة الملك على لسان علي فأبصر (الملك) وقد أحاط به كبار الضابط، وقد بدا وجهه الضخم ورأسه الأصلع ومنظاره على عينيه، وارتدى الحلة العسكرية الكاكية التي حشر فيها جسده السمين.. ولم يستطع على أن يمنع نفسه من المقارنة بين هذه الجثة الضخمة وبين الجسد الرشيق الذي مازال يذكره ممتطيا حصانه في حفلة التتويج ولم يستطع أيضا أن يمنع نفسه من المقارنة بين خلقه الآن وخلقته في ذلك الحين ولا بين ما كان يتمتع به من حب الشعب وما أضحى يلاقه من سخطه وبغضائه (1). وعندما عاد عزرائيل إلى ولي العهد -المولود الجديد- بعد ثلاثين عاما فكان قد أصبح الملك وكان قد قضى فترة في الحكم واستقبله الشعب استقبالا رائعا وعلق فيه آمالهم ثم أغضبهم حتى خرجوا للمظاهرات ضده لست أقصد الملك والسلطان، ولكن أقصد... الشحم واللحم، أقصد الكرش تحت صدرك، والسنام فوق ظهرك، اني ما تصورتك قط على هذا الشكل المنبغج المنتفخ... أين شعرك الذي حلت محله قرعة ملساء وأين قدك الذي تكور؟ لشد ما ذهبت عنك سمات الآدميين لقد صرت أشبه بالفيل الأبيض (2).

واعترف الملك أمام عزرائيل أنه كان يرتكب الآثام والذنوب وكان يلعب القمار ولم يهتم بالشعب المنافق وكان حاشية الملك هم المنافقون أيضا وكانوا يزينون له اعماله ماذا أريد منهم أكثر من أن يجزنوا على أبي أكثر من آبائهم؟ لقد وضعوا اسمي قبل الوطن، وقد يضعونه قبل الله... أتريد أكثر من أنهم بعد كل ما فعلت من فجور جعلوني من أقرباء النبي... تطوع نفر منهم بذلك... ولم يعترض منهم أحد... وقبلوا كل شئ على العين والرأس... علام أستتر إذا وعلام أتخفي... وأنا أدري كل نتائج التخفي والاستتار؟ (3).

(1) رد قلبي، 2 / 643.

(2) نائب عزرائيل - البحث عن جسد، ص / 242.

(3) المصدر نفسه، ص / 251.

وفي نهاية الرواية يموت الملك برصاصة أحد الثوار ويدخل الزعيم عبدالحليم أبو رابية في قصره الذي رفض السباعي أن تنزل روحه في جسده وتعود روح السباعي مع عزرائيل إلى السماء ويسأل السباعي عزرائيل عن الجسد الملكي ولكن الجسد الملكي... أسنتركه هكذا ملقي تحت الأقدام. كله جسد يا صاحبي، ملكي وغير ملكي... إنها أوهام يقى عليها الثرى ويبددها باطن الأرض، هيا بنا (1).

فبذلك يفضل السباعي حياة الزعيم على حياة الملك ويسجل أحداث حياته وذكر الأسباب التي أدت إلى غضب الشعب وموت الملك، فالشعب أصل وليس الملك، كما قال عزرائيل مهلا يا صاحب الجلالة، إذا أخذتك أنت فليس أسهل عليه من أن يصنع غيرك، صنع الملوك سهل وصنع الشعوب مستحيل (2).

(1) نائب عزرائيل - البحث عن جسد، ص/ 258.

(2) المصدر نفسه.

7. فديتك ياليلي

نشرت هذه الرواية في سنة 1953 وهي رواية رومانسية خالصة، لا نعرف من خلال قراءتها عن زمن الرواية حيث لم يشر السباعي إلى حدث سياسي أو تاريخي في تلك الفترة ولم يعرض كذلك القضايا الاجتماعية المختلفة ولكنه ركز على مشكلة الفرد وتحدث عن حبه وكأن الحب وتأثيره على الفرد هو موضوع الرواية فالشخصيات هي إبراهيم الموسيقار وهو زميل د.زكي الذي حاول إنقاذ إبراهيم بمساعدة د. محمود توفيق وإبراهيم المدبولى خادم إبراهيم وراجية هي بطلة الرواية وعبدالرحمن ابن خالتها وجدّها عبدالوهاب الذي يريد أن يزوج راجية بعبدالرحمن وسيّدة خادمة راجية ومربيتها، وليلى أخت إبراهيم وليلى الثانية وهي حبيبة إبراهيم الثانية، تأثر بجمال اسمها وبشخصيتهما فيما بعد وردهما قصير في الرواية ولكنها أشد تأثيراً على إبراهيم قبل أزمته النفسية وعلى راجية حتى بعد عودته إليها وشفاءه حيث تقول لا يا إبراهيم... غيري باق في قرارة نفسك... إنك تحبه وأنا أيضا أحبه... أنك لن تنسى ليلى أختك ولا ليلى الثانية ولن أنساها أنا... فهما انعكاس لنفسك المرفهة الطيبة... وصدى لضميرك احي الخير... لن ننساها أبدا... وعندما ننجب ابنتنا الأولى نسميها (ليلى) حتى تكون أمينتنا الدائمة وهدفنا المشترك وحتى نقول لها كلانا (فديتك ياليلي).⁽¹⁾

وعدّت الكاتبة لوسي يعقوب هذه الرواية ضمن روايات السباعي الرومانسية من خلال مقارنة رواياته الواقعية والرومانسية، نقرأ إنتاج حياته الأدبية فنجدها تميل أحيانا إلى جانب رومانسي قد يكون بعيدا كل البعد عن دراسته وحياته العسكرية أو حياته العملية... اللهم إلا بعض ما يسجله في بعض مؤلفاته حيث تغلب عليه بداياته الرومانسية في الكتابة فنراه يسجل ذلك في عمل قصصي أو روائي... فلنلمح هذه الرومانسية في ثلاث روايات بارزة من رواياته هي (إني

(1) فديتك ياليلي، يوسف السباعي، دار مصر للطباعة، القاهرة، رقم الإيداع، 5090/87، ص/

راحلة) (بين الأطلال) و(فديتك ياليلي).⁽¹⁾ ووجدنا بعد كتابة هذه السطور أن الأستاذ غالي شكري سبقها بكثير في تقديم هذه الفكرة حول الروايات المذكورة حيث أصدر مقاله (إني راحلة بين الفاتنازية الفاجعة والأسطورة الرومانسية) في مجلة القصة في 1965 حيث بدأه بقوله "تقف (إني راحلة) في صف واحد مع (بين الأطلال) (فديتك ياليلي) كمرحلة جديدة في أدب يوسف السباعي وهي المرحلة التي تحدد أكثر فأكثر طبيعة الموقف الفني لهذا الكاتب، على ضوء تكوينه الاجتماعي والثقافي والنفسي من جانب وعلى ضوء التكوين الحضاري للحظة التاريخية في حياة مصر من جانب آخر".⁽²⁾

وكتبت هذه الروايات بفارق رمي قليل حيث نشرت (إني راحلة) في 1950 و(بين الأطلال) في 1952 والرواية الأخيرة (فديتك يا ليلي) في 1953 ويبدو أن بطله واحدة كانت تشغل بال السباعي في تلك الفترة الزمنية لأن بطلات القصة لا يختلفن كثيرا في هذه الروايات، أحببت أم سامية كاتبا كبيرا وهي طالبة المدرسة وأحبت بطله (إني راحلة) وهي طالبة المدرسة كذلك وتخر راجية إبراهيم الموسيقار -الشهير بألحانه- أنا كبيرة إن عمري ست عشرة سنة.⁽³⁾

وتثور أم سامية وتترك زوجها وطفلها لأجل ترميض الكاتب الكبير وتناقش راجية جدّها وتقول له عندما يمنعها من زيارة إبراهيم المريض بعد فك خطوبتها منه لا يهمني الناس يا جدّي، أي أفعل ما أراه صوابا وليقولوا ما يشاءون، إن إبراهيم مصاب وأنا أملك له بعض المعونة فليس من المعقول أن أمنعها عنه لأني أخشى كلام الناس... إنها مسألة إنسانية بحتة... إن الإنسان يجب أن يقدم للمرضى كل ما يملك من معونة... ولم يكن له بهم أدنى صلة.⁽⁴⁾

وهذه هي الحجة التي يلجأ إليه الرومانسيون فنرى أن راجية تمنع أن تطلب المريضة لإبراهيم وتتحمل مسؤولية الرعاية إن جدّي يعرف أي لا أذهب إليه

(1) يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية، ص/ 16-17.

(2) إني راحلة (مقال)، غالي شكري، مجلة القصة، العدد/ 2، تاريخ الإصدار 15 / 2 / 1965، ص/ 56.

(3) فديتك يا ليلي، ص/ 86.

(4) المصدر نفسه، ص/ 217.

للهلز أو للعبث بل لأودي واجبي في إنقاذه... وهو لا شك يكره أن أتخلى عنه في شدته وأتركه في محنته (1).

فجدها هو الذي منعها من زيارته ولم تسمع كلامه وفي نهاية الرواية تظهر راجية ضعيفة بلا مبادئ ويظهر التناقض في شخصيتها حيث لا تترك إبراهيم بعد أن عاد إلى وعيه ولا تنور لكرامتها بأنه كيف قبل أن يحب ليلي بعد حبها الراجية وخطبتها لأن حب ليلي أسمى من حب راجية لإبراهيم فهي التي وقفت ضد عائلتها وخطبته ومنحته لحظات السعادة في خلوتهما بلمس الشعر والتقبيل والعناق ولكنها مع ذلك خسرت إبراهيم ولكن (ليلي) لم تفعل شيئا منها ولكنها ملكت قلب إبراهيم حيث ترك راجية قبل موافقة ليلي له وفك خطبته منها وكانت راجية تعتقد أن الحب أسمى من (حزن وبوس) ونقل ما دار بين سيدة وراجية من الحوار قبل خطبتها لإبراهيم حيث تقول سيدة: أنا لا أفهم شيئا من هذا الذي قلته عن الصحراء والماء والحصى... أنا أعرف الحب، يعني الحب، يعني بالعربي (حزن وبوس)، لا ياسيدة حرام عليك، الحب أسمى من أن يركز في مثل هذه المظاهر المادية إنَّ تلك بعض مظاهره وقد يكون الحب ولا تكون هي (2) فحب ليلي كان أكثر تأثيرا على إبراهيم رغم خلوها من المظاهر المادية.

ويظهر مثل هذا التناقض في كتابة السباعي أيضا حيث يشرح لنا أن سيّدة لا تفهم الحب إلا بمظهرها المادي وكيف يأتي بأفكار على لسان سيدة وهي أكبر من شخصيتها التي رسمها السباعي لنا فلنرى إلى نصيحة سيدة لراجية التي اعتقدتها حكمة من حكمها كلّ الأخطاء تحدث لنا من الأفعال التي نفعلها بلا وعي... ولو كنا في وعينا ما فعلناها، إني أريد منك أن تتعقلي وتتئدي... إن لم يكن من أجل مصلحتك... فعلى الأقل من أجل متعتك... كلما زاد تسترك زادت علاقتك به طولا واستمرارا... فالناس لا يقدرّون الأخطاء بوقوعها ولكن بظهورها...

(1) فديتك ياليلي ، ص/ 268.

(2) المصدر نفسه، ص/ 94.

فاحذري يا حبيبي ما أمكنك... ولا تعبي كأسك مرة واحدة... لأنه كلما بطؤ
الرشف زادت فترة الاستمتاع (1).

ويرسم لنا السباعي شخصية عبدالرحمن - ابن خالة راجية - كأنه مادي ولا
يرغب إلا في المظاهر المادية وليس لديه أدنى فكرة عن حب ولا يفهم في الأدب
وأنة إنسان عملي في حياته رغم صغر سنه كما يظهر في منظر معرض الصور وقبل
ذلك وهو في العربة مع جده وراجية حيث يفضل الحسابات على مرافقة راجية إلى
المعرض ولكننا نراه رجلا آخر يختلف تماما مما رسمه لنا السباعي في حديثه مع راجية
عندما يسألها عن حبها لإبراهيم وهو الذي يعبر عن مشاعره بالشعر ويذكر المثل
الإنجليزي ويؤمن بالله إيماناً قويا " وأن حكمتي في الحياة هي:

إذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه إلى ما تستطيع

أقول لك هذا عن نفسي.. وعند ما أشعر أعتقد أن الذي خلقك لم يعجز
عن خلق سواك أو كما قال المثل الإنجليزي (لم يزل في البحر من السمك أكثر مما
خرج منه) اضحكي الآن... وأريني أسنانك الحلوة... ودعى عنك هذا التمارض
أيتها الماكرة. (2)

قد ينسى السباعي أسماء الشخصيات في رواياته فينظر شخص باسم مرّة
وقد يكون ظهوره بعد ذلك باختلاف نهاية اسمه بداية اسم آخر وعرفنا من خلال
دراستنا للثقافة العربية وبحكم عيشتنا إحدى عواصم الدول العربية أن الأسم الأول
هو اسم الشخص عادة والاسم الثاني لأبيه والثالث بجده والأسماء الثلاثة تظهر في
تسمية (الاسم الكامل) عادة وجدنا في بداية هذه الراوية أن صديق إبراهيم يخبره
أنهما يزوران طبيبا إلى أين نحن ذاهبان؟... إلى الدكتور محمود توفيق (3) ولكنه
حينما يسأل بوابا عن شقة، يمارس فيه محمود توفيق مهنته فيفضل تسمية توفيق

(1) فديتك يا ليلي، ص/ 123.

(2) المصدر نفسه، ص/ 163.

(3) المصدر نفسه، ص/ 19.

بدلاً من محمود ونستغرب أنه يذكر لراجية الشقة رقم 27 الدور الخامس عيادة الدكتور توفيق عبدالله،⁽¹⁾ فحذف اسمه الأول وأضاف إلى اسمه اسم آخر.

أما رومانسية الراوية فتحدث عنها في الباب الثالث عندما نتكلم في الفصل الثاني عن الرومانسية في روايات يوسف السباعي فنقف عند الرومانسية في هذه الراوية ونذكر أنه كيف يرى الحب وكيف يعرفه وكيف يحدث التغير الإيجابي في شخصية المحب وكيف يتألم في الفراق ويسود عيشه وما هي المثالية التي يدعى إليه الرومانسيون كيف يحولون قضية المجتمع إلى مشكلة الفرد وكيف يدافعون عما لا يقبله المجتمع المحافظ ولا تهدأ ثورتهم الفردية إلا بانتصارهم على الجيل السابق، جيل الآباء والأجداد، أفنوا حياتهم لأجل مستقبلهم وتوفير التسهيلات الأساسية لأبناءهم وأحفادهم وكيف يلجأ الرومانسيون إلى أبسط مظاهر الدين كقراءة الفاتحة وتلاوة القرآن ويدعون سبحانه وتعالى ليزيل عنهم الهم ويعيد إليهم حبيبهم بكامل الصحة والشفاء.

8. نحن لا نزرع الشوك

نشرت هذه الراوية في سنة 1968 ولها جزءان وتشتمل على سبعة وأربعين فصلاً يحتوي الجزء الأول على اثنين وعشرين فصلاً والجزء الثاني يشتمل على بقية الفصول، والراوية تتحدث عن حياة الأحياء الشعبية بكل ما فيها من الفقر والكرهية والإنسانية ومعاملة المرأة كسلع والمرأة هي موضوع الراوية فتتلقي فيها بدلال، الزوجة الثانية لجابر تسيء المعاملة مع ابنة زوجها الطفلة وتمارس دلال البغي ورثت عن أمها ويتعب جابر زوج دلال وراء لقمة الحلال ونقابل على صفحاتها أم عباس، تظلم ابنة جابر وهي كانت كلفت بتربيتها بعد وفاة جابر وهناك أسرة الأستاذ محمد السمادوني، أحبت خادماتها ووفرت لها السكن ولم تبخل عليها بتوفر مرتبها الشهري ووقفت معها في مشاكلها وجعلتها إحدى أفرادها حتى دفنت في مقبرتهم وهناك مجموعة من النساء مثل توحيد وكوكب ودلال الخ فتحن بيوت

(1) فديتك ياليلي، ص/ 72.

الدعارة وشغلن فيها واشتغلن بترخيص حكومي وهناك الحب والرومانسية والواقعية في هذه الرواية وغيره النساء تظهر مرارا على صفحات الرواية والحسد يتبع سيدة -بطلة الرواية- طوال حياتها وتفشل مرتين في حياتها الزوجية وتفقد ابنها في حادث مرور ويجدعها زوجها الأول ويتزوج عليها بجلتها ويضربها أهل زوجها وتطلق وتطرد من البيت والزوج الثاني كان أسوأ من الأول، أنفق نقودها في المقامرة والسهرات وظلم سيدة بضرها، كلما رفضت أن تعطيه من مالها ورفض أن يطلقها إلا بمقابل المال وحرمتها من ابنها وكان سببا مباشرا في موت ابنها فهي حصدت في حياتها ما لم تزرع من الشوك ويقول السباعي في مقدمة هذه الرواية المختصرة -لا تزيد على أربعة أسطر قصيرة- هذه القصة... شريحة من حياتنا... حياة الذين لا يزرعون الشوك... ولكنهم يحصدونه،⁽¹⁾ وفي نهاية الرواية نعرف أن سيدة هي فاطمة شيخون التي ذكرها السباعي في إهداء الرواية بأنها طلبت منه أن تدفن في مقابر أسرة السباعي وأهداها هذه الرواية حيث نرى أن سيّدة تطلب من حمدي أن تدفن في مقبرة الأسرة حيث كانت بلا أب وأم أو أخ وأخت ولم يكن لها زوج ولا الابن فلم تكن لعائلتها مقبرة تدفن فيها ودفن ابنها الوحيد في مقبرة الصدقة، أزالتها إدارة التنظيم للتوسيع وكانت تحب أسرة حمدي وعاشت أحلى أيامها معهم فكانت تعتبر نفسها أحد أفراد عائلته.

وحمدي هو يوسف السباعي نفسه كما أشرنا إليه في الباب الأول فهذه الرواية جزء من سيرته الذاتية حيث تحدث فيه عن والده وجدّه ووصف حياته وحياة العائلة بعد وفاة والده وتحدث عن والدته في شخصية السيدة فاطمة، أم حمدي وسميحة وذكر ثباتها أمام تحديات العيش وحبها والحكمتها ولتدبيرها شؤون الحياة ومساعدة الآخرين.

يبدو أن السباعي كتب هذه القصة منذ زمن طويل قبل نشره أو أراد إحياء ذكريات طفولته بالإضافة إلى تقديم قصة سيدة لأنه صور أحياء القاهرة وحياة سكانها ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية ففي الفصل السابع والثلاثين مثلاً نقرأ

(1) نحن لا نزرع الشوك، يوسف السباعي، 1/ 2.

الحوار الذي دار بين عباس وزملاءه المقامرين في بيت وجدان ليلة ولادة جابر - ابن عباس وسيدة- وكانت المصاييح زرقاء والطرقات شبه مظلمة بعد أن تزايد ضرب الألمان للقاهرة وكانت صفارات الإنذار قد أصبحت من الأصوات المألوفة للآذان... وقال عمر المخرج السينمائي: الألمان قد اقتربوا ووصلوا إلى العلمين... هل سمعت عن المظاهرات التي هتفت اليوم لروميل... وفجأة ضربت صفارات الإنذار وصاح صائح اطفوا النور،⁽¹⁾ وكانت سيدة قد قطعت شوطا كبيرا من حياتها إلى تلك اللحظة وولد جابر بعد زواجها الثاني مع عباس وكانت قد خدمت قبلها مدة في البغي بعد فشل زواجها الأول وقبل ذلك بقيت سنوات في بيت حمدي مع أمها وأختها وكانت قد خدمت الأسرة في زمن أبو حمدي أيضا. أما (العلمين) فهي بلدة تبعد مائة كيلومتر غرب مدينة الاسكندرية في مصر وكانت القوات الألمانية وصلت إليها في تموز 1942 وروميل الذي ذكره السباعي هو الجنرال روميل، قائد القوات الألمانية في تلك المعركة الشهيرة. وعاشت سيدة مع ابنتها سبع سنوات بعد ولادته حتى توفي وانتقلت بعدها بفترة إلى بيت حمدي كمرضة أولا ثم تركت الوظيفة بإلحاح حمدي وكوثر وانتقلت إلى بيتها حتى سمعت عن قيام الثورة وخلع الملك وعن حرب السويس... والسد العالي.⁽²⁾

ينتقد السباعي المجتمع المصري الذي انتشرت فيه الدعارة والرشوة فوصف السباعي إحدى طبقات المجتمع في منطقة البغي قائلا كان يوم الجمعة... والحى قد اكتظ بالجنود... الذين خرجوا منهم في فسحة أو تصريح 24 ساعة... والذي زاغ من ثكناته... وانطلقوا يملأون المقاهي والبارات وحجرات البيوت... ووراءهم... دوريات البوليس الحربي... تمسك الهاربين من الثكنات بلا تصاريح... أو الذين يثيرون الشغب.⁽³⁾

(1) نحن لانزع الشوك، 2/ 236-237.

(2) المصدر نفسه، 2/ 776.

(3) المصدر نفسه، ص/ 509.

ووصف منطقة (وش البركة) على لسان حمدي بطل القصة، هذه إذن هي وش البركة التي حدثه عنها أصحابه... والتي يأتي إليها صبحي مع شلة الكرة... كل يوم خميس عقب الماتش... للترفيه عن أنفسهم عند الفوز... وللعزاء وللسلوى... عند الهزيمة، هذه هي وش البركة... التي استقر فيها كابتن الكرة... بعد أن لضم مع إحداهن وفضلها على الدراسة... بعد أن وجدها أريح وأمتع، (1) واستمر عباس في زيارته لبيوت البغي منذ بداية أحداث الرواية إلى أن مات ابنه وطلق زوجته وباع مطبعة أبيه وهذه دلالة، تعلمت المهنة من أمها ومارستها حتى بعد زواجها مع جابر، والد سيدة وفتحت بعد موته بيت الدعارة وشاءت الأقدار أن اشتغلت سيدة في ذلك البيت وتحدثت سيدة عن زبائن ذلك البيت فائلة "وكان الزبائن من نوع جديد... شيئاً آخر غير لعبية الكرة... والجنود... والسمكرية... وصبية البقالين... يتدققون في طوابير... يؤدون مهمتهم في حماسة وعجلة ثم ينصرفون... أناس لهم وزن... يأتون فرادى أو شلل... يطرقون الباب في هدوء... ويدخلون في أدب ويجلسون كالضيوف... وهم يرتدون ثياباً محترمة... بكتاين ذهبية في الصداري... ودبابيس أنيقة في الكرافتات... هؤلاء.. هم العملاء الجدد.. أناس.. محترمون.. لهم وزن.. وكروش.. زوجات، (2) ويسخر السباعي من هؤلاء الزبائن الكرام عندما يخبرنا أن سيدة تطوف ثلاثة أرباع الشوارع في قلب القاهرة لممارسة مهنتها ولكنه أكثر سخرية على لسان سيدة عندما تستلم خمسين جنيهة من أنوار السباك خمسون جنيهها يا سيدة... في ساعتين! مرتب سير محمد... بعد طول الكد في إدارة الترجمة وفي كتابة القصص والروايات.. في بضعة أشهر... تأخذه أنت في ساعتين؟ (3)

(1) نحن لا نزرع الشوك، 1/ 346-347.

(2) المصدر نفسه، 533-534.

(3) المصدر نفسه، / 551.

وإليه يشير الأستاذ يوسف الشاروني بقوله رحلة سيدة جابر في صعودها وهبوطها، تعلن لنا أن الثروة في مجتمعنا يمكن أن يكون لها طريقان: الدعارة طريق النساء والرشوة طريق الرجال. (1)

ونرى أن الشاويش يلقي القبض على عباس في بيت توحيدة بتهمة تزوير دفاتر بونات لزبائنها ولكنه يستلم بنفسه دفاتر بونات رشوة من توحيد ليستخدمها في بيتها بدل النقود وكأنها تقدم جسدها مقابل تسوية معاملتها مع عباس وكأنها تشتري العدل بالأجساد.

وأصبح أنوار السباك، مصلح الحنفيات أنور بك بفضل الرشوة وهو أخبر بذلك سيده في زيارتها الأولى لشقته الفاخرة ومن يومها تعلمت مهنة أكثر حيوية من المقاولات الصحية... مهنة لازمة لكل مهنة... يريد صاحبها أن يربح منها جيداً... مهنة الرشوة... قلت لك إن الرشوة... حرفة... لازمة لكل من يريد أن يشق طريقه إلى الثراء... الحصول على العطاء يحتاج إلى الرشوة... يرسى علينا العطاء بقدرة قادر... قادر على الارتشاء... وتسهيل الصعاب وتذليل العقبات (2).

والأمر لا يقف عند هذا الحد، فعلام يريد الزواج من سيدة لجسدها الفائز ومصاغها الذهبي ويبيع حلتها وبها يتزوج عليها ويفتح لضرتها بيتا وعندما تطلب حقها فيضربها علام وأهل علام ويطلقها زوجها وينتقد السباعي رفض طلب سيدة للطلاق واجبارها أن تسكن مع عباس، فسد في أخلاقه وهو قليل الأدب، يستغل ضعفها ويضربها تنتظر هذا النذل حتى يأتي إليها لكي تعدله الحمام والعشاء... وتمنحه جسدها... ثم تمنحه بعد ذلك... رزق ابنها؟... أهذا معقول؟... لن تفعل... لا بحكم القضاء... ولا بحكم الشرع، هذا القانون الذي يلزمها بذلك... قانون أحرق... استمع القاضي إلى الشهادات... وقرأ المذكرات... وأصدر حكمه

(1) نحن لا نزرع الشوك وأصوها الروائية في أدب يوسف السباعي (مقال)، يوسف الشاروني، المجلة، رقم العدد/160، تاريخ الإصدار، ص/12.

(2) نحن لا نزرع الشوك، 2/547.

ولكنه... لم يات ليعيش معها... لبرى... أي مخلوق... قد حكم لها بأن تعاشره...
بأن تعدله العشاء... وتسخن الحمام... وترقد بجواره. (1)

والمحكمة لم تقف معها حين طلبت الطلاق وحكم عليها بيت الطاعة
وأجبرها أن تترك بيت الست فاطمة وتسكن مع عباس في بيتها حتى اشترت
حريتها مقابل المال وبحكم القانون كانت مجبرة أن تزور مركز الشرطة وتصح
صبيها إليه ليقابل عباس ابنه، إن شاء جاء لزيارة ابنه وإلا بقيت في انتظاره في
ذلك الجو المخيف، لا يكون ملائما مع عمر الصبي الصغير ولم تجد سيدة النقود
معها لشراء حريّة ابنها عندما طلبت منها المحكمة أن ترسل ابنها مع عباس عندما
بلغ سبع سنوات من عمره.

والخير ظهر على يد أم عطوة، أخذت سيدة يوم وفاة أبيها إلى بيتها
وأحبها وظهرت الإنسانية في معاملة الحاج برعى الذي تحمل مسؤولية سيدة بعد
عدم اهتمام أقارب أبيها وشيوع سيرة زوجة أبيها وعائلة حمدي في الرواية هي التي
ساعدت سيدة حتى موتها والطبيب الذي وظفها وعلمها التمريض وأم سيد الخادمة
ساعدتها في تربية ابنها وتدير أمور البيت وآمنة العجوز التي بقيت في بيت عباس
للحفاظ على جابر الصغير.

أما قضية الموت، فهي مكثفة في هذه الرواية حيث تبدأ الرواية بتفاصيل
موت جابر أبو سيدة ويذكر أهل الحي موت أم سيدة لها فسيده لم تعرف الأمومة
في طفولتها ومات أبوها مبكرا ووصف السباعي أيام مرض الأستاذ محمد وتأثير
وفاته على أبيه الحاج عبدالرحيم وعلى ابنه حمدي وابنته سميحة ووصف تأثير الموت
على زوجته الست فاطمة حيث قال عندما توفيت الست فاطمة وسلمت سيدة
والبكاء يخنقها.. ثم جلست في ركن مطرقة محاولة أن تبتلع دموعها، لم يزل السواد
منذ أن مات سي محمد يكسو الأرائك والمقاعد... لم يحتج الأمر إلى سواد جديد،

(1) نحن لا نزرع الشوك، ص/ 683.

فقد قضت فاطمة كل سنيها بعد وفاة سي محمد في سواد... قضتها بمآق لم
تجف.. ودموع لا تفيض (1).

وعرفت سيدة من عباس في بيت توحيدة أن أم عباس ماتت كيف حال
خالتي أم عباس؟ وبمنتهى البساطة رد عباس تعيش أنت وأخذت سيدة بقوله
وضربت على صدرها، (2) وفي بيت دلال قابلت سيدة حمدي وسألت عن العائلة
فاخبرها بأن جدّه قد مات وازدرت سيدة ريقها وقاومت دموعا همت بأن تطفو
من عينيها وقالت في لهجة حزينة: الله يرحمه، كان رجلا أميرا... هذه موت سي
محمد... لست أنسى منظره يوم وفاته... ربنأراحه (3) وفي نفس البيت أخبرها
عباس عن وفاة أبيه وبانه ورث أيضا عن أبيه مطبعته بعد موته ويتأثر أنور بك
بوفاة زوجته العجوز ويعتقد أنه مسؤول إلى حد ما لتعجيل أسباب موتها مما أثر
على حياة سيدة بطريقة غير مباشرة حيث رفض الزواج بها حتى بعد وفاة زوجته
وتنتهي الرواية بموت سيدة في بيت حمدي فالموت والدفن والمقابر تعود إلى حياة
الأحياء نحمل أعضائنا على الأكتاف... لنواربهم في باطن الأرض ومن يدري
ياسيدة... حول من سيكون اللقاء غدا؟!... هنا سيلتقي الجميع... دائما... في
يوم قرب أو بعد (4).

(1) نحن لا نزرع الشوك، 2 / 725.

(2) المصدر نفسه، ص / 497.

(3) المصدر نفسه، ص / 563.

(4) المصدر نفسه، ص / 728.

الباب الثالث: الرومانسية عند يوسف السباعي

الفصل الأول: الرومانسية نشأتها وتطورها

الفصل الثاني: الرومانسية في روايات يوسف

السباعي

الفصل الثالث: المرأة عند يوسف السباعي

الفصل الأول

الرومانسية نشأتها وتطورها

الرومانسية نشأتها وتطورها

مصطلح الرومانسية جزء هام في أطروحتنا فمن الأفضل أن نتحدث عن جذورها ونشأتها ونتعرف على الأفكار البارزة لأصحاب هذا الرأي بالإضافة إلى روادها الغربيين لكننا لا نقوم بتحليل شخصياتهم وتقديمهم دراسة تفصيلية لأننا أكثر اهتماما ببدايات الفكر الرومانسي في مصر وبمعرفة روادها فيها مما يساعدنا في فهم المذهب الرومانسي في الظروف التي نشأت فيها الرومانسية ويكون تركيزنا أن نتعرف على الكتاب الروائيين خاصة لأن دراستنا عن تعريف الشعراء الرومانسيين تخرجنا من إطار بحثنا لأن يوسف السباعي كاتب روائي وقاص والمقصود من كتابة هذه السطور معرفة الفكر الرومانسي في رواية يوسف السباعي ويكون هذا الفصل تمهيدا لما بعده فنقسم هذا الفصل إلى مباحث عدة وهي:

1. تعريف الرومانسية
2. نشأة الرومانسية وروادها
3. الرومانسية وروادها في مصر
4. سمات المذهب الرومانسي

1. الرومانسية

وردت تعريفات مختلفة في مصطلح الرومانسية ويصعب تحديد تعريف معين لها وتقول د. نغم عاصم عثمان "تعد الرومانسية من أكثر المصطلحات التي أثارت جدلا واسعا بين نقاد الأدب ودارسيه في تعريفها بشكل محدد ودقيق وذلك لاتساع المعنى الذي تشير إليه كلمة"⁽¹⁾.

(1) الرومانسية بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية، نغم عاصم عثمان، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية السلسلة: مصطلحات معاصرة، ط: 2019،

ويرى أن فريدريك شليكل "قد كتب حوالي 125 صفحة في تفسير المصطلح لا يبدو عليه قد وصل معنى بعينه، فضلا عن معنى محدد".⁽¹⁾ وذكرت د. نغم في كتابها أن أحد مؤرخي الأدب جمع مائة وخمسين تعريفا لهذا المصطلح وذلك في سنة 1925 لكنها لم تذكر اسم ذلك المؤرخ الأدبي. ويؤيدهما إبراهيم فتحي عندما شرح كلمة الرومانسية في معجمه "لا يمكن أن ينطبق مصطلح الرومانسية بدقة على حالة ذهنية نوعية أو على زاوية نظر معينة أو على تكنيك أدبي محدد.. بحيث أصبح الوصول إلى تعريف جامع لها ضرب من المستحيلات".⁽²⁾ وذلك لا يعني أننا نبتعد عن مسؤوليتنا كباحث ولكن الأمر الواقع هو أن الباحث يشعر الصعوبة في اختيار التعريف المناسب بعد بحث دقيق في المصادر والمراجع المختلفة.

كتب د. سعيد علوش في معجمه ثلاثة تعريفات لشرح المصطلح إذ يقول "1) مذهب أدبي يمثل رد فعل تجاه تعقيدات الكلاسيكية (2) والرومانسية نزوع ذاتي إلى استنطاق ال (أنا).. (3) كما أن (الرومانسية) هي مخاصمة للواقع ومصالحة الأحلام"⁽³⁾ وناقش عبدالرزاق الأصغر القضية وشرح هذا المصطلح ولكنه فضل تعريف غايتان سيكون الفرنسي حيث يقول "أنها مجموعة أذواق متزامنة، وحرية خالقة؛ ولا يهتم أي شيءٍ تخلق لكنه شخصي وأصيل وغير تقليدي يشعرون به في الوقت نفسه. إن الرومانسية فن شعاره: كل شيء مسموح به".⁽⁴⁾

يلخص الأستاذ فايز علي بحثه عن الرومانسية قائلا "تعنى الرومانسية إذن الإبداع الحر وتتميز بالانفعالية والوجدانية العالية فضلا عن النزعة الذاتية".⁽⁵⁾

(1) موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة عبدالواحد لؤلؤة، ط/ 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 1983، 1/ 169.

(2) المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، ط/ 1، التعااضدية العمالية للطباعة والنشر صفاقس تونس، 1986، ص/ 187.

(3) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، ط/ 1، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1985، ص/ 107.

(4) المذاهب الأدبية لدى المغرب، عبدالرزاق الأصغر، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 1999، ص/ 78.

(5) الرمزية والرومانسية في الشعر العرب، فايز علي مكتبة كتب عربية، 2003، ص/ 33.

وورد في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب " وللرومانتيكية معنى متداول عام هو تغليب الحساسية المرهفة والتشكك في الحكمة والعقلانية كما أن لها معنى متهجنا هو الشذوذ وثورة الخيال والعاطفية المفرطة".⁽¹⁾ ويمكننا أن ننقل مزيداً من التعريفات التي دونها الأدباء في كتب الأدب والمعاجم ولكننا نكتفي بهذا القدر من المعرفة في ذكر تعريف مصطلح الرومانسية لأننا نرى أن أفكارها أهم من البحث عن تعريف شامل حول الرومانسية ومعرفة أفكار الرومانيسين هي التي تساعدنا في فهم أسلوب كتابة يوسف السباعي في رواياته وهو الهدف الذي نسعى الوصول إليه.

2. نشأة الرومانسية وروادها

يرى د. سيد حامد النساج أن الرومانسية نشأت بنمو الطبقة البرجوازية في فرنسا وظروف المجتمع الأوربي هي التي مهدت لظهور المذهب الرومانسي "شهد الثلث الأول من القرن التاسع عشر ظهور الطبقة البرجوازية ونموها على نطاق واسع، طبقة جديدة على المجتمع الأوربي.. وبالتالي أخذت الطبقة البرجوازية تعمل على تحطيم كل القيود وتغيير القوانين والعلاقات والقيم وزلزلة المجتمع من أساسه وتبديل معالمه ومن ثم ارتبطت نشأة الاتجاه الرومانسي في الأدب والفن بالثورة الفرنسية ونمو الطبقة البرجوازية الأوربية.. فهي التعبير عن روح الطبقة المتوسطة المجاهدة لتطبيق النظام الفردي على كل وجه من وجوه النشاط الإنساني".⁽²⁾

ويميل سيد حامد النساج إلى الرأي بأن فرنسا هي موطن نشأة الرومانسية وأن روسو هو رائد هذه الفكرة "فالحركة الرومانسية التي بدأها روسو في فرنسا وأينعت عند ((وردز ويرث)) و((بيرون)) و((شيلي)) ((كيتس)) حركة بورجوازية صميمة ثائرة تهدف إلى تحرير ((الأنا من جميع القيود المعروفة وتمجد الذات وتقيس الكون كله لا المجتمع

(1) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، ط / 2، مكتبة لبنان بيروت،

1984، ص / 189.

(2) في الرومانسية والواقعية، دكتور سيد حامد النساج، مكتبة غريب، القاهرة، ص / 10-11.

وحده بمقياس الفرد"⁽¹⁾ ويوافقه صاحب المذاهب الأدبية لدى الغرب من حيث زيادة روسو بقوله "كانت روح الرومانسية تسرى في مؤلفات روسو من قبل أن تولد الرومانسية ويبدو أثر ذلك في كتبه: إيميل: والاعترافات وأحلام المتجول الجديد"⁽²⁾ ولكنه يختلف مع د. سيد حامد النساج عن نشأة الرومانسية ((وأول ما ظهر الاصطلاح في ألمانيا في القرن الثاني عشر ولم يكن ماذا مفهوم واضح الحدود)).⁽³⁾

وذهبت الباحثة نغم عاصم عثمان أن الرومانسية نشأت في إنكلترا "كانت إنكلترا أوّل مكان أصبح فيه المصطلح مألوفاً وواسع الانتشار"⁽⁴⁾ ويرى د. نبيل راغب أن كلمة ((الرومانسية)) فرنسية الأصل ولكن إنجلترا سبقت فرنسا في استخدام أفكار الرومانسية في الأعمال الأدبية "في عام 1776م قام الباحث الفرنسي ليتورنير بإلقاء سلسلة محاضرات عن مسرح شكسبير وترجمة مسرحياته الرومانسية إلى الفرنسية وكان أوّل ناقد يستخدم اصطلاح الرومانسية في النقد الأدبي ويربطه بالشخصيات التي لا تفكر إلاّ في نفسها وحياتها وحربتها وحبها حتى لو أدى الأمر إلى انتهاء هذه الحياة كما حدث في مسرحية ((روميو وجوليت)) - في نهاية القرن الثامن عشر أصبحت الكلمة شائعة لدرجة أن الأكاديمية الفرنسية أو ما يقابل المجمع اللغوي في مصر اعترفت بالكلمة وأدخلتها القاموس"⁽⁵⁾ ويقسم د.نبيل الرومانسية إلى المدارس المختلفة وبدأ حديثه بالمدرسة الإنجليزية وفضلها على المدرسة الفرنسية بل ذكر المدرسة الفرنسية بعد المدرسة الألمانية مما يؤكد أن إنجلترا هي أقدم من ألمانية وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا في تقديم الأعمال الأدبية الرومانسية ومن خلال قراءة تعريف المدرسة الألمانية نعرف أن الرومانسية الألمانية مستمدة من إنجلترا "وتميزت ألمانية بظاهرة أدبية غريبة لم تنفرد بها أية دولة أوروبية

(1) في الرومانسية والواقعية، 10/11

(2) المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص/ 83.

(3) المصدر نفسه، ص/ 77.

(4) الرومانسية بحث في المصطلح، ص/ 17.

(5) المذهب الأدبية، نبيل راغب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص/ 24-25.

أخرى فلم يحدث صراع بين الرومانسية الوافدة من إنجلترا والكلاسيكية الراسخة في ألمانيا⁽¹⁾ ولكنه يعترف أن روسو هو رائد المدرسة الفرنسية بلا منازع ويمدح أسلوبه بقوله "يعد جان جاك روسو رائد الرومانسية الفرنسية دون منازع وربما يوجد من سبقه من الكتاب الفرنسيين الذين نادوا ببعض الآراء التي وردت في كتاباته فيما بعد ولكن أسلوبه المتسق في التفكير وطريقة حياته ومناخ عصره كل هذه العوامل اتحدت لكي تمنح لأعماله نفوذا لا يبارى وتأثيرا لا يمكن للكتاب الذين أتوا من بعده أن يهربوا منه لدرجة أنه يمكننا القول بأن انجازات شاتو بريان ومدام دي ستال في عالم الأدب لم تكن بكافية حتى تمنح الدفعة القوية التي تؤثر في مجرى التراث الأدبي وتشكل حركة جديدة"⁽²⁾ وورد في (موسوعة المصطلح النقدي) ما يؤيد رأى د.نبيل من حيث ريادة إنجلترا "في هذا الوقت جرى استيراد الكلمة إلى فرنسا وقد جرت محاولات لوضعها بصيغة فرنسية معادلة مثل (رومانيك) (ببتوريسك) قبل اتخاذ (رومانتيك) على أنها كلمة إنكليزية مستعارة ولأنها (كلمة إنكليزية) فقد استعملها لوتورنور مترجم شكسبير وأوشن"⁽³⁾

ولكنه عند ذكر المدارس الرومانسية فضل مدرسة الألمان على المدرسة الإنجليزية ووصف المدرسة الفرنسية بأنها أخيرة في الترتيب الزمني. أمّا مدرسة الألمان فقسمها إلى جيلين "ينقسم الرومانسيون إلى جيلين متميزين هما (الرومانسيون المبكرون) و(الرومانسيون المتأخرون) الذين يدعون أحيانا (الرومانسيون الشباب) والجيل الأول يشكل أول جماعة رومانسية أوروبية يبدأ تاريخها من 1797 حتى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر وكان مركزها لمدة قصيرة مدينة برلين ثم مدينة بينا الجامعية الصغيرة حيث اتخذت اسمها البديل (رومانسية بينا) ويبدأ الطور الثاني في حدود 1810-20

(1) المذاهب الأدبية، ص/ 29.

(2) المصدر نفسه، ص/ 30

(3) موسوعة المصطلح النقدي، ص/ 177.

تحت اسم (رومانسية هايدلبرگ) رغم أن القليل من أعضائها كانوا يجتمعون في مدينة هايدلبرگ، بينما كان الآخرون في ميونخ وفيينا".⁽¹⁾

وذكر د. نجيب نشاوي أن مدام دي ستيل هي التي نقلت المذهب الرومانسي عن ألمانيا⁽²⁾ وتتفق الباحثة نغم عاصم عثمان بذلك حيث تقول: الألماني ويلهم شليجل (Aw-Schegel) أول من بدأ بمعارضة الرومانسية بالكلاسيكية على أنها اتجاه جديد في الأدب.. وتأثرت به مدام دي ستال فدعت إلى الرومانسية في فرنسا⁽³⁾ فنفهم من البحث في هذا الموضوع أن الرومانسية بدأت في إنجلترا وانتقلت إلى ألمانيا ثم نقلت إلى فرنسا ويأتي بعد ذلك دور المذهب الرومانسي الإيطالي وكانت مدرسة اسبانيا فلرومانسية مدرسة الأخيرة من حيث نشأتها في أوروبا.

3. الرومانسية وروادها في مصر

تأثر الشعراء والأدباء العرب بالمذهب الرومانسي في بداية القرن العشرين وكان ذلك نتيجة تشابه الظروف التي أدت بولادة الرومانسية في الغرب ومهد الاتصال بين الشرق والغرب بسبب البعثات العلمية والهجرة إلى المهجر الشمالي وترجمة الآداب الغربية إلى العربية وتمصيرها في نشأة الرومانسية في مصر وأدت الرابطة القلمية دورها الفعال لنقل الأفكار وتأثر شعراء مدرستي الديوان وأبولو بالرومانسية وتأثر الشعراء المصريون بالمدرسة الانكليزية للرومانسية كما ذكر د. نسيب نشاوي في دراسة حيث يقول "وبهذه المدرسة تأثر الشاعر العربي خليل مطران وجبران الذي شغف بالشاعر والفنان وليام بليك ومنها أخذ المازني كثيرا من نظرياته النقدية إنه كان يقتبس من شعرائها بعض العبارات حتى إنه اعترف بسرقة بعض أبيات لشلي وبيرون أما عبدالرحمن شكري فقد حاكى معاني وردزورث وكولردج وشيلي وبيرون وكتيس وشغف الشاعر عمر أبو ريشة

(1) موسوعة المصطلح النقدي، ص/ 219-220.

(2) مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، د. نسيب نشاوي، ص/ 161.

(3) الرومانسية بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية، ص/ 19.

بالشعر الرومانسي الانكليزي فكان من أبرز الشعراء المعاصرين الذين مثلوا الاتجاه الابداعي في العالم العربي". (1)

ونعرف أن خليل مطران لقب بشاعر القطران لأنه لبناني الأصل ولكنه عاش معظم حياته في مصر وجبران خليل جبران من رواد أدب المهجر وعبدالرحمن شكري أحد الشعراء المصريين الثلاثة التي تكونت بهم مدرسة الديوان.

ونجد الأفكار المتشابهة عند الدكتور محمد أحمد ربيع حيث يقول "أما الرومانسية في الأدب العربي فقد تأثر بها كثير من الأدباء وكثير من المدارس الأدبية الفنية أمثال: مدرسة أبولو ومدرسة خليل مطران التجديدية وبعض أدباء مدرسة الرابطة القلمية في المهجر الأمريكي الشمالي وجماعة الديوان التي غلب تأثرها بالرومانسية الإنجليزية". (2) ويرى الأستاذ غالي شكري في مقاله عن إحدى روايات يوسف السباعي بأن التراجم لعبت دورها الأساسي في معرفتنا بالرومانسية والأخذ منها "أما نحن في مصر فقد كان تاريخنا مع الرومانسية مختلفا.. أقصد أن ((زينب)) وترجمات المنفلوطي بتصرف وترجمات مجلة ((الجامعة)) في أوائل القرن وترجمات جيل الرواد لبعض الشعراء الانجليز هي كل تراثنا من الرومانسية ومعنى ذلك أن الرومانسية لسيت امتدادا حتميا أو طبيعيا لتراثنا الفكري والأدبي والفني وإنما هي ((تلبية)) لمناخنا الحضاري المتأزم بين القيم القديمة والعلاقات الاجتماعية الجديدة لهذا كانت الرومانسية في أدبنا الحديث مستوردة وأصيلة في آن واحد هي مستوردة بلا شك بواسطة الترجمة المباشرة عن الإنجليزية والفرنسية والترجمة غير المباشرة التي عرفناها عن طريق المنفلوطي والتأثر التقريبي المباشر عن طريق هيكل الذي كتب زينب أثناء وجوده بفرنسا". (3)

(1) مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص/ 160.

(2) في تاريخ الأدب العربي الحديث، د. محمد أحمد ربيع، ط/ 1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1990، ص/ 95.

(3) إني راحلة، بين الفانتازيا الفاجعة والأسطورة الرومانسية، ص/ 57.

ويوافقه د. سيد حامد النساج بقوله "هذا الإتجاه كان قد صادف هوى في النفوس في أول القرن، وطوال العشرينات وهو ماعبر عن نفسه في مقتبسات المنفلوطي الدامعة ((لبول وفرجيني)) و((ماجدولين)) وفي ترجمات أحمد حسن الزيات لرواية جوته (آلام فترت) و(بحيرة) لا مارتين وفي تعريب محمد عوض محمد الجزء الأول من (فاوست) لجوته".⁽¹⁾

ويرى الأستاذ غالي الشكري في مقاله أن السباعي له دور مهم في نشر هذه الرومانسية عبر أعماله الثرية حيث يقول "والعنوان الفرعي أقصد به التفرقة بين الأدب الرومانسي الأوروبي وبين الرومانسية التي عرفها الأدب المصري الحديث من هيكل إلى يوسف السباعي مروراً بترجمات المنفلوطي".⁽²⁾

ويقدم لنا د. سيد حامد النساج قائمة من الأدباء الأوائل النشر المصري الرومانسي من خلال حديثه عن إحدى سمات الرومانسيين وهي اهتمام بالماضي حيث يقول "ولا يقف طغيان الاتجاه الرومانسي عند حد الشعراء وحده وإنما يتمثل بشكل أو آخر فيما ظهر عند بعض الكتاب من اهتمام بالماضي وعودتهم إلى التاريخ القديم واستلهاهم إياه - ويدل على هذا من بعض الوجوه ما نلاحظه عند ((حبيب جاماتي)) في قصصه التاريخية التي دأب على تقديمها تحت عنوان ((تاريخ ما أهمله التاريخ)) وما تبدي لدى كل من ((محمد فريد أبو حديد)) و((إبراهيم رمزي)) و((علي الجارم)) و((محمد سعيد العريان)) من شغفهم بالتاريخ وانشغالهم به، مبتعدين في الزمان والمكان.. وتظهر كتابات الدكتور طه حسين والدكتور محمد حسين هيكل عن محمد γ في هذه الفترة أيضا".⁽³⁾

وتعتبر فترة الثلاثينات من القرن الماضي فترة ازدهار الرومانسية في النثر حيث زاد اقبال الكتاب عليها ونشر د. طه حسين ((الأيام)) ونشرت أعمال توفيق الحكيم

(1) في الرومانسية والواقعية، ص/ 60.

(2) إني راحلة، بين الفانتازيا الفاجعة والأسطورة الرومانسية، ص/ 56.

(3) المصدر السابق، 63.

الرومانسية أمثال ((عصفور من الشرق)) وقدّم عباس محمود العقاد روايته الشهيرة ((سارة)) بالإضافة إلى خدماته في مجال الشعر الرومانسي قبل ذلك بشكل تأسيس مدرسة الديوان.

ألقي د. سيد حامد النساج الضوء حول أسلوب كتابة الرومانسيين المصريين فأضافة أسماء بعض الكتاب إلى القائمة حيث يقول ((وثمة قاسم مشترك أعظم عند معظم كتاب القصة والرواية الرومانسية في مصر، أنهم جهدوا في أن يجعلوا أسلوبهم مشرقا ولغتهم موسيقية.. ونلمح ذلك عند الرومانسيين جميعا مع اختلاف في درجة الاهتمام والانفعال بالأسلوب كغاية عند يوسف جوهر ويوسف حلمي ومحمد أمين حسونة وحبيب توفيق وشعبان فهمي وإبراهيم ناجي وصلاح ذهني ومحمد أحمد شكري وعبدالعزیز عمر ساسي وحلمي مرارد ويوسف السباعي وحسن فتحي خليل ونقلًا يوسف وغيرهم" (1).

ومن خلال قراءة المقال (محمد عبدالحليم عبدالله.. الأدب الإنساني في أصدق صوره) عرفنا عن اتجاهه الأدبي حيث جعله الكاتب من ضمن الأدباء الرومانسيين "وأصبح اتجاهه الأدبي يقف على قدم المساواة مع هذا التيار الذي كان يتزعمه المنفلوطي ومحمود كامل المحامي في فن القصة والرواية وهو التيار الرومانسي الذي ارتبط بأعمال العديد من كتاب هذا اللون من الإبداع" (2).

ونكتفي بهذا الحديث عن رواد الرومانسية في مصر وخاصة في مجال الرواية ليستفيد الباحثون الآخرون في البحث عن الموضوعات الجديدة في مجال الرومانسية وننتقل إلى سمات الرومانسية وخصائصها وبذلك نكمل حديثنا عن المذهب الرومانسي الذي شغل الأدباء العرب في القرن الماضي.

(1) في الرومانسية والواقعية ، ص / 67

(2) محمد عبدالحليم عبدالله.. الأدب الإنساني في أصدق صور (مقال): رصد، الأحد 2010/10/17،

الأدب الإنساني/ www.ainnews.net

4. سمات المذهب الرومانسي

كما عرفنا أن المذهب الرومانسي ظهر بعد الكلاسيكية والأدب الرومانسي ثورة على الكلاسيكية وأنه أدب الطبقة البرجوازية فلا بدّ من سمات تختلف من المذهب الأدبي الذي سبقه وهذه بعض سمات المذاهب الرومانسي.

الثورة على المجتمع والتقاليد

الرومانسية تثور على المجتمع ولا تهتم بقيود ويكون بالتالي اهتمامها هو الفرد ونزعاته يتحدث د. محمد أحمد ربيع عن هذه الفكرة بقوله "الرومانسية دعوة إلى الإبداع والتجديد فهي ثورة على الكلاسيكية وقيودها"⁽¹⁾ فهي إذا أدب الفرد والتعبير عن النفس "ومن ثم كان الأدب الرومانسي أدبا ذاتيا فرديا لأن الكاتب يعبر فيه عن شخصيته وفرديته وذاتيته بحرية ولأن مادته مستقاة من فكرة الكاتب الشخصية عن الحياة فليس غريبا بعدئذ أن نجد الرومانسيين يطلقون العنان لإحساسهم الفردي وأن يكونوا ذاتيين في قصصهم أي يصفون أنفسهم على لسان أبطالهم فيما يقصون بحيث تظهر في وصفهم لجوانبهم النفسية عناصر ذاتيتهم ظهورا واضحا لا لبس فيه فهم يصفون ذات أنفسهم في أبطالهم حتى جاءت قصصهم صورة لذواتهم هم في الدرجة الأولى".⁽²⁾

وتعلق الباحثة نغم عاصم عثمان حول علاقة الفرد الرومانسي بالمجتمع الذي يعيش فيه في حديثها بعنوان (الرومانسية وحال الإنسان في المجتمع) حيث تقول "وكان سخط الرومانسيين عاما على مجتمعاتهم ولذا ترفعوا عن الاندماج في الشعب وتعالوا عن الاشتراك في شؤونه إلا نائرين وهذا مصدر كبرياء ينتقمون بها من مجتمعاتهم وبها

(1) في تاريخ الأدب العربي الحديث، ص/ 95.

(2) في الرومانسية والواقعية، ص/ 15.

تكتب حياتهم نوعا من جلال الغموض ومن أرسطراطية – التفكير ومن مهابة العبقرية لدى معظم الناس". (1)

ويرى الأستاذ نبيل راغب أن الذاتية أو الفردية من أهم خصائص الرومانسية وأما من ناحية التعبير "فالرومانسية تنادى بتحطيم القواعد والتقاليد القديمة والتركيز على التلقائية والغنائية والتعبير عن الأحلام والكوابيس والغموض وتحويل الأدب إلى شعلة هادية للأجيال القادمة وليس مجرد تقليد القوالب القديمة". (2)

العاطفة

العاطفة أو الحب أساس الرومانسية فالرومانسية يخضع لمشاعر الحب ولأنه يثور على المجتمع ففرديته تجبر به أن يفرض مقاييسه للحب لا يقبله المجتمع فيرى أن المجتمع يظلمه ولا يهتم به "تنحصر مقومات الذاتية في اعتدادها بالعاطفة وإيمانها بحقوق القلب فالشعور بالحب والقلب كان موضع امتداح واحتفال الرومانسيين يمثل ما امتدح العقل في الفترة الكلاسيكية.. والأدب الرومانسي إذا تحدث عن الحب لا يتكلم عن الحب الذي يحسه سائر الناس وتلك العاطفة العامة التي يعرفها القلب الإنساني العادي بل إنه يعبر عن الحب كما يفهمه هو نفسه بتمايزو تفرد لأنه لا يحب كسائر الناس فهو إما محب على طريقة أفلاطون كحب بول لفرجينى عند برناردان دي سان بيير أو محب حبا عنيفا مدمرا يدفعه إلى الانتحار كحب فرترلجريت عند جوته أو محب امرأة لم يرها إطلاقا وإنما أعجبت رسائلها كما فعل شيللي في نشيده ((إلى الجمال العقلي))." (3)

وعندما لا يقبل المجتمع تلك الحساسية المفرطة فيشعر الرومانسي بالقلق ومشاعر الحزن تسيطر عليه مما يؤدي إلى الفشل بالحياة المهنية أو الزوجية فيفكر الرومانسي في الانتحار "وتتجلى الذاتية الرومانسية في عدم الرضا بالحياة في عصرهم وفي القلق أمام

(1) الرومانسية بحث في المصطلح، وتاريخه ومذاهبه الفكرية، ص/ 54-55.

(2) المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العنيفة، ص/ 27.

(3) في الرومانسية والواقعية، ص/ 22-23.

عالمهم وما يعجب به من أحداث وفي الحزن الغالب على أنفسهم في كلّ حال دون أن يجدوا له سببا وهذه الحال ناشئة من عدم توازن القوى النفسية عند هؤلاء إذ طغي الشعور عليهم بذات أنفسهم – طغيانا دفعهم إلى النعمة على كل ما هو موجود والتطلع إلى مالا يستطيعون تحديده خاصة في عالم السياسة والخلق والأدب ولا بدّ أن يصدر هذا الاضطراب النفسي من عصر تزلزلت فيه الأسس الاجتماعية وضعفت فيه سيطرة العقائد الدينية كما أتت بها الأديان السماوية ووهن سلطان العقل لتنطلق الحساسية والشعور دون عناء"⁽¹⁾ هكذا شرحت الباحثة نغم عاصم عثمان العاطفة عند الرومانسيين ويرى صاحب (في تاريخ الأدب العربي الحديث) أن "الأدب الرومانسي بشكل عام والشعر بشكل خاص أدب عاطفي... ولذا يكثر فيه الشكوى والحزن والألم والحزن والحمران"⁽²⁾ وشرح الأستاذ عبدالرزاق الأصغر كيفية الرومانسيين بقوله "غلبة الكآبة ومشاعر الحزن والصراع النفسي الدرامي وشيوع نغمات البكاء واليأس والانفصام عن المجتمع والشعور بمشاشة الحياة ودنو شبح الموت لكنه الموت الحنون المخلص لا الموت المخيف"⁽³⁾

الاهتمام الزائد بالخيال

الرومانسي يهتم بالخيال لأنه يوفر له الأجواء البعيدة عن الواقع المر فيخلق لنفسه بيئة تناسب أفكاره فهذا الهروب يساعده أن يعيش مع أفكاره التي لم يقبله المجتمع بعيدا عن الناس في الأجواء الملائمة له وشرح د. محمد أحمد ربيع اهتمام الرومانسيين بقوله "الأدب الرومانسي يهتم اهتماما كبيرا بالخيال أكثر من اهتمامه بالعقل ولذلك فموضوعه الشعر الغنائي أكثر من القصص والمسرح".⁽⁴⁾

(1) الرومانسية بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية، ص/ 57-58.

(2) في تاريخ الأدب العربي الحديث، ص/ 95.

(3) المذهب الأدبية لدى الغرب، ص/ 91.

(4) المصدر السابق، ص/ 95.

وتلقي الباحثة نغم عاصم عثمان الضوء قائلة "لقد أدى انطواء الرومانسي على نفسه وطغيان شعوره وعاطفته إلى أن يضيق ذرعا بعالم الحقيقة فأطلق العنان لخياله ليعوض بها ما فقدته في عالم الناس من حوله فقد وجد هذا الانطلاق إشباعاً لآماله اللامحدودة فصار عالم خياله أحب إليه من عالم الحقيقة المحدود".⁽¹⁾

ويرى د. نسيب نشاوي أن الرومانسية "تقديم الخيال على العقل وتفضيله على التحليل النقدي والهرب من الواقع والالتجاء إلى الحلم وطلب الاعتناق والرحيل عبر المكان بريادة البلدان البعيدة أو عبر الزمان بالارتداد إلى القرون الغابرة".⁽²⁾

وخصّص الأستاذ محمد غنيمي هلال فصلاً لخيال الرومانتيكي في الباب الثاني من كتابه (الرومانتيكية) ومن خلال قراءتنا لهذا الفصل اكتشفنا أن الباحثة نغم عاصم عثمان نقلت رأي الأستاذ محمد غنيمي هلال في كتابها عن الخيال ولم تذكر اسم صاحب الرأي ولم تشر إلى كتابه أيضاً فالرأي الذي نقلناه قبل قليل لا يختلف من رأي الأستاذ محمد غنيمي هلال حيث بدأ بقوله "كانت نتيجة طبيعية لانطواء الرومانتيكي على نفسه..."⁽³⁾ فغيرت الباحثة الكلمات (كانت نتيجة طبيعية لانطواء) إلى (لقد أدى انطواء) ونقلت بقية الرأي باسمها ونكتفي بالإشارة إلى أن الباحثة سرقت رأي د. محمد غنيمي هلال بسنة وفاة الدكتور حيث توفي في سنة 1968. وكان كتابه هذا نشر في 1956 بينما ولدت الباحثة نغم عاصم عثمان في سنة 1981.

ويشرح صاحب (في الرومانسية والواقعية) سبب لجوء الرومانسيين إلى الخيال والأحلام بقوله "والحقيقة أن اللجوء للأحلام عند الرومانسيين سببه الرئيسي يمكن في كونهم يحصرون أنفسهم في الداخل منذ البداية العالم الداخلي عندهم بداية ونهاية وسيلة وغاية وهذا يجعل الكاتب منهم يلجأ بالضرورة إلى قوقعته ينسج فيها الأحلام التي تحقق

(1) الرومانسية بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية، ص/ 63.

(2) مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص/ 157.

(3) الرومانتيكي، د. محمد غنيمي هلال، مكتبة نضرة مصر، 1957، ص/ 64.

له ((البعد)) عن الخارج، أي عالم الواقع ويظل هكذا منطويا على نفسه مستغرقا في التفكير في ((ذاته)) ليس غير".⁽¹⁾

الطبيعة

تأثر الرومانسيون بالطبيعة وجمالها وورد هذا التأثير في أعمالهم الشعرية والنثرية "ولا ريب أن الطبيعة عند بعض الرومانسيين تمثل دورا خطيرا في حياة الإنسان الرومانسي على المستويين الفكري والفني فهي من ناحية ملاذ الإنسان المفجوع في الحضارة الصناعية لأنها تجسد له بكاراة الأرض العذراء وبراءة الطفولة بما يشتملان عليه من حرية لم يعرفها سوى إنسان الغابة ولقد عرفت الطبيعة كتابات فكرية مباشرة احتضنتها وعانقتها وقدستها كما نرى عند ((روسو)) و((ثورو))"⁽²⁾ ويرى د. محمد مندور أن الاهتمام بالطبيعة قد يعود إلى حالتهم النفسية "واستمع بعضهم إلى نداء الطبيعة تدعوهم إلى صدرها الرحيم فمنهم من خف إليها يلتمس في جمال زينتها سلوى عن آلامه.. حزن عميق يصرف الشعراء إلى مناظر الطبيعة بل وإلى أنقاض الماضي"⁽³⁾ وخصص د. محمد غنيمي هلال فصلا في كتابه (الطبيعة في أدب الرومانتيكيين) وشرح تأثير الطبيعة على الرومانسيين بأنواعها المختلفة مثل الغابة والليل وفصل الخريف والعواصف والأنهار الخ وكما ذكرنا أن الرومانسية ثورة على الكلاسيكية فهي كذلك في اختيار الأماكن لأن الكلاسيكيين كانوا يحبون المدن والمجتمعات "وقل من كان يصف منهم الريف أو يضيق بالمدينة وحتى هؤلاء سرعان ما كانوا يعودون إلى المدن إذا ضاقوا بها بعض الوقت وهذا فارق جوهرى بينهم بين الرومانتيكيين فقد كان هؤلاء منطوين على ذات أنفسهم ضائقين ذرعا بما تضطرب به المجتمعات من حولهم فولعوا بترك المدن إلى الطبيعة وكانت تروقهم الوحدة بين أخضائها ليخلوا إلى ذات أنفسهم ورائد

(1) في الرومانسية والواقعية، ص/ 19.

(2) المصدر نفسه، ص/ 24.

(3) الأدب ومذاهبه، د. محمد مندور مؤسسة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص/ 66.

الرومانتيكيين جميعا في هذا الشعور هو جان جاك روسو، عاشق الطبيعة وداعيتها
الأول".⁽¹⁾

الدجوء إلى الماضي وتمجيده

أحب الكتاب الرومانسيون أن يختاروا الموضوعات والشخصيات من القرون
الماضية وكانت الرواية التاريخية هي مجالهم المفضل وشرح د. سيد النساج هذه الفكرة
بقوله "واتجه بعض الرومانسيين إلى التاريخ فاستمدوا منه موضوعات قصصهم وقد أشرنا
إلى أن لجوءهم للماضي حقق لديهم رغبة عارمة في ((البعد)) مكانيا وزمانيا عن الواقع
والهروب من مشكلاته وقضاياه والأناس الذين يتفاعلون فيه يكاد ((ولتر سكوت)) أن
يكون رائد ((القصة التاريخية)) كجنس أدبي جديد"⁽²⁾ ويرى د. محمد غنيمي أن
الرومانتيكيين هم أصحاب الفضل في هذا النوع "وللرومانتيكيين الفضل في خلق نوع
جديد من القصص لم ينسجوا فيه على منوال سابق هو ((القصص التاريخية)) ويعد
ولتر سكوت رائد هذا الجنس الأدبي الجديد وقد سن لمن بعده أصولا ظلت هي المتبعة
دون تغير كبير في مختلف الآداب الأوربية. فكان يختار أبطاله من الماضي البعيد وخاصة
من أبطال العصور الوسطى ويجعل للشخصيات التاريخية المكان الثاني في قصة لئلا
يتقيد بحقائق التاريخ ثم يخلق شخصيات أخرى يمثل كل منها طبقة أو اتجاهها في العصر
التاريخي الذي يصفه"⁽³⁾ والفكرة نفسها وردت في الكتاب (في الرومانسية والواقعية)
مع تعبير بسيط في كلمات د. محمد غنيمي هلال مما يجعلنا أن نصل إلى النتيجة أن د.
سيد حامد النساج استفاد من الكتاب (الرومانتيكية) من خلال كتابته لكتابه (في
الرومانسية والواقعية).

(1) الرومانتيكية، ص/ 152.

(2) في الرومانسية والواقعية، ص/ 26.

(3) المصدر السابق، ص/ 191-190.

ولعل هذه العودة إلى الماضي وتمجيده كان سببا غير مباشر عند الرومانسيين العرب من تمسكهم بالشعور الوطني وتمجيد أبطال الحروب، وكما ذكرنا في الفصل الأول (من الباب الثاني) أن الأدباء العرب اهتموا بهذا المجال اهتماما خاصا ويرى د. عبدالبديع عبدالله أن جورجى زيدان كان من رواد هذا الاتجاه في الرواية العربية حيث اختار موضوعات رواياته من العصور المختلفة فكتب عن أبي مسلم الخرساني أحد دعاة العباسيين وقائد ثورتهم وألف عن العباسية أخت هارون الرشيد واختار عبدالرحمن الناصر من العصر الأندلسي والحروب الصليبية كانت إحدى موضوعات رواياته وهذه الموضوعات تدل على اهتمامه بالماضي هذه هي بعض الخصائص، نجدتها في مصادرنا عن المذهب الرومانسي خاصة وفي كتب أدب الحديث عامة وذكر عبدالرزاق الأصغر في كتابه (المذهب الأدبية لدى الغرب) إحدى عشرة سمة للمذهب الرومانسي، لا مجال لذكر الجميع ولكن هناك سمة وجدت في كتابين آخرين فنذكرها أيضا.

المرأة

سمى عبدالرزاق الأصغر هذه السمة ب(المرأة اللغز) في كتابه حيث يقول "اتجه أدباء الرومانسية صوب المرأة فأعطوها منزلتها وأعادوا إليها اعتبارها الاجتماعي ولكن روحهم الشاعرية اختلفت في النظر إليها فبينما وجد فيها بعضهم الحبيبة المعبودة والملهمة الملاك الذي هبط من السماء، رأى فيها آخرون تجسيدا للشرور الشيطانية ومجلبة للشقاء والألم وشاهد فيها آخرون كلا الوجهين المتناقضين وعلى العموم هي عندهم القدر الذي لا فكاك منه". (1)

ويرى د. محمد عنيمي هلال أن المرأة احتلت مكانا رفيعا في الأدب الرومانسي "لم تظهر بمثله من قبل فقد أدى السمو بالعواطف والصدق فيها إلى نوع تقديس المرأة

(1) المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص/ 90-91.

والإشادة بها والخضوع لسلطانها ولم يكن خضوعهم آية خنوع وضعف بل كان مصدره صدق العاطفة".⁽¹⁾

ولكنه لا ينكر أن بعض الرومانسيين يرون فيها عكس الفئة الأولى ونقلت نغم عاصم عثمان رأى د. محمد غنيمي هلال في كتابها عن امرأة واهتمام الرومانسيين بها ولكنها لم تذكر اسم المؤلف أو الكتاب.

وخصصنا الفصل الثالث من هذا الباب للحدِيث عن المرأة عند يوسف السباعي حتى نستطيع أن نفهم هذه الفكرة لدى كاتبنا ونفهم من خلال ذلك تأثير الرومانسية على شخصية السباعي الكاتب ونكتفي بهذا القدر من البحث في الرومانسية وكتبنا عن نشأة الرومانسية وذكرنا مواطن نشأتها واكتفينا بذكر أسماء روادها الأوربيين والعرب خوفا من إطلالة البحث ولكننا تكلمنا بالتفصيل عن سمات المذهب الرومانسي لأنها تساعدنا حقا في البحث عن الرومانسية في روايات يوسف السباعي وهو موضوع الفصل القادم نركز فيه على الرومانسية في الأدب الروائي عند كاتبنا في ضوء هذه السمات التي تميزت به الأدب الرومانسي.

(1) الرومانتيكية، ص/ 170.

الباب الثالث

الفصل الثاني: الرومانسية في روايات يوسف السباعي

امتاز يوسف السباعي بأعماله الرومانسية بين قراءة فالرومانسية جزء مهم في أعماله الروائية يبيث أفكاره من خلالها ((ويعتقد "أو يؤمن القراء بأن مذهب يوسف السباعي في الأدب هو مذهب الرومانسية ولكننا إذا ما تحاورنا في كل الاتجاهات الفكرية التي خاض فيها قلمه وفي أحداث الواقع بجانب أحداث الخيال ممزوجا مزجا معطرا بالرومانسية.. في صورة مثالية"))⁽¹⁾.

ونفهم من خلال قراءة مقال (من الفانتازيا إلى الأسطورة إلى الحافة الحرجة) للأستاذ غالي شكري أن أدب يوسف السباعي مرّ بمراحل مختلفة حسب الظروف التي واجهها السباعي حيث يقول "ففي عام 1950 أصدر يوسف السباعي قصة الطويلة ((إني راحلة)) وكانت اعلانا حاسما بأن الفنان هجر الفانتازيا الفاجعة إلى شكل جديد من أشكال المأساة.. المأساة الرومانسية"⁽²⁾ وألفت لوتس عبدالكريم "يوسف السباعي- فارس الرومانسية" وعبرت فيه عن آراءها عن أدب يوسف السباعي وفي مقدمة ذلك الكتاب أشار الأستاذ مرسي سعد الدين بأن السباعي ليس كاتب الرومانسية فحسب وترى لوسي يعقوب بأن أعمال السباعي تحمل سمات مذهبي الرومانسي والواقعي "من الظلم البين للراحل الشهيد يوسف السباعي، تحديد حياته وإنتاجه الضخم في الأدب أو الفكر أو الصحافة أو الثقافة تحت مسمى واحد هو (فارس الرومانسية).. سيرة السباعي الشخصية وحياته الأدبية تجمع بين الأمرين معا الرومانسية والواقعية لأنه إذا اقتصرنا الحياتان معا الشخصية والأدبية على معنى واحد هو الواقعية فأين يمكن وضع ما تمثله الرومانسية؟ وإذا اقتصرنا التسمية على الرومانسية وحدها فأين يمكن وضع ما تمثله الواقعية"⁽³⁾؟

وحدد الأستاذ غالي شكري بعض روايات السباعي التي تمثل المرحلة الرومانسية بقوله "تقف ((إني راحلة)) في صف واحد مع ((بين الأطلال)) و((فديتك يا ليلي))

(1) يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية، ص/ 27.

(2) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 277.

(3) المصدر السابق، ص/ 15.

كمرحلة جديدة في أدب يوسف السباعي وهي مرحلة التي تحدد أكثر فأكثر طبيعة الموقف الفني لهذا الكاتب.. ففي هذه المرحلة نشهد غياب التعميمات والمطلقات ورحيل الجو الفاتنازي.. ونستقبل في نفس الوقت ميلاد السمات الجديدة لهذه المرحلة التي أضع لها عنوانا فرعيا هو ((الأسطورة الرومانسية))⁽¹⁾ ويبدو أن الأستاذ يوسف الشاروني يتفق ما قاله غالي شكري في مقاله عن المرحلة الرومانسية المذكورة لأن الأستاذ يوسف الشاروني نقل في مقاله (يوسف السباعي في مرآة النقد) رأى الكاتب غالي شكري عن مراحل الكتابة عند يوسف السباعي "أما غالي شكري فهو يتابع - بطريقة أخرى مراحل يوسف الأدبية فأولى مراحلها هي ما يطلق عليه اسم (الفانتازيا)... ثم يقف عند روايات (إني راحلة) و(بين الأطلال) و(فديتك يا ليلي) باعتبارها تمثل مرحلة (الأسطورة الرومانسية).. أما في (السقامات) فإن غالي شكري يرى أن يوسف السباعي يعود فيها ليبحث عن منفذ يفرج به همومه الاجتماعية التي خنقها الأسطورة الرومانسية".⁽²⁾

فمرحلة الرومانسية إحدى المراحل الثلاث في حياة يوسف السباعي الأدبية وترى لوسي يعقوب أنّ الروايات الرومانسية الخالصة لا تزيد على الروايات الثلاث حيث تقول "هذا إلى جانب ثلاثيته الرومانسية كما رأينا في (إني راحلة) و(بين الأطلال) و(فديتك يا ليلي) والتي فيها جميعا جسد كل معاني الرومانسية والمثالية التي تعبر عن عالم رحب فسيح هو عالم الوجدان واللاشعور لدى الكاتب"⁽³⁾ والمراد ب(بين الأطلال) كتاب السباعي (بين الأطلال اذكريني) ووجدنا لهذه الرواية اسمين (بين الأطلال) و(وبين الأطلال اذكريني) والنسخة التي اعتمدنا عليها في تعريف هذه الرواية (في الباب الثاني) هي باسم (بين الأطلال اذكريني) ويبدو أن لوسي يعقوب مصرة على تحديد الروايات الرومانسية من أعمال السباعي حيث ذكرت مرّة أخرى من خلال مقارنتها للواقعية

(1) الفكر والفن في الأدب يوسف السباعي، ص/ 277-278.

(2) الروايات الثلاثة، ص/ 213-215.

(3) يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية، ص/ 19.

والرومانسية في أدب السباعي "إذا نظرنا إلى حياته في الكتابة نظرة واحدة فإننا نلمح الجانب الرومانسي والواقعي معا فلا يمكن إغفال جانب على حساب آخر فنلمح هذه الرومانسية في ثلاث روايات بارزة من رواياته وهي (إني راحلة) (بين الأطلال) (فديتك ياليلي) في الوقت الذي نلمح فيه الجانب الواقعي في بقية إبداعاته الروائية والقصصية بشكل واضح".⁽¹⁾ ورغم هذا الإصرار نجد أنها تسجل (جفت الدموع) أيضا من ضمن الروايات الرومانسية "وكما تدخل رواياته (إني راحلة) "وجفت الدموع وغيرها في مدخل الذهب الرومانسي الواقعي فإن رواياته التي تعتبر مذهبا واقعيا خالصا هي (أرض النفاق) (السقامات).!!"⁽²⁾ ويضيف د.عبدالبديع عبدالله رواية (رد قلبي) للسباعي في هذه القائمة وذلك من خلال حديثه حول نشأة الرواية الرومانسية في مصر حيث يقول "وظهر كذلك من تيار الرومانسية تيار الرواية العاطفية فقد وجد الروائيون العرب في بعض ألوان الحياة المعاصرة موضوعا صالحا للرواية كقصص الحب في الريف في خلفية الطبيعة والتناقض الاجتماعي بين طبقتي الأغنياء والفقراء وما ينشأ منها عن اختلاف النظرة إلى البشر فظهرت روايات ((محمد عبدالحليم عبدالله)) مثل ((لقيطة)) و((شجرة اللبلاب)) و((غصن الزيتون)) و((شمس الخريف)) و((بعد الغروب)) وروايات ((يوسف السباعي)) مثل ((إني راحلة)) ((بين الأطلال)) ((فديتك ياليلي)) ((رد قلبي)) وغيرها من الروايات".⁽³⁾

وعلقت لوسي يعقوب على رواية السباعي (رد قلبي) بعنوان (رد قلبي: صراع ووفاء) ولكنها تضعها تحت تسمية جديدة وهي (مذهب الوفاء) رغم تعليقها حول المواقف بقولها "أما في تصوير قلم السباعي للحب الذي قام ونشأ بين اثنين متفاوتي الطبقات بين (علي) ابن الجنائني و(إنجي) ابنة الباشا فإننا نرى كيف كان التأثير قويا جبارا.. وكيف تمكن الحب الخارق الذي يجمع بين القلوب من أن يثبت وجوده وبزوال

(1) يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية، ص/ 17.

(2) المصدر نفسه ، ص/ 66.

(3) الرواية الآن دراسة في الرواية العربية المعاصرة، ص/ 9.

الفوارق الاجتماعية والطبقية أمكن في النهاية لهذا الحب أن ينتصر وأيضا لقلم يوسف السباعي.. ذلك القلم الوفي.. أن ينتصر هو أيضا في النهاية"⁽¹⁾ ولعلنا نميل إلى رأى د. عبدالبديع عبدالله وذلك لسببين.

أولا: التقارب الزمني بين الروايات الثلاث المذكورة وبين رواية (رد قلبي) التي طبعت في 1954م وذلك يدل على التقارب الفكري وثانيا قضية الصراع بين طبقتي الغنية والفقيرة في المجتمع المصري في هذه الروايات وإليه أشار د.عبدالبديع بقوله "والشخصية الرومانسية عند السباعي تنزع إلى أن تكون إيجابية وتنتصر على محنتها ففي (رد قلبي) كانت المشكلة التي واجهت البطل ((علي)) الذي ينحدر من أسرة مصرية فقيرة هي عجزه عن الوصول إلى الفتاة التي أحبها وهي ((أنجي)) ابنة النبيل التي تنحدر من سلالة ثرية متزفعه بحكم أنها تنتمي إلى الأسرة الحاكمة بشكل ما من أشكال الإثراء"⁽²⁾ فلذلك نركز على البحث عن سمات الرومانسية في الروايات المذكورة في هذا الفصل وذلك لا يمنع من تقديم بعض الأمثلة من الروايات الأخرى إذا شابهت الأحداث أو وجدت السمات فيها حسب المواقف الواردة في الروايات الأخرى لأن الروايات المذكورة تمثل الرومانسية الخالصة عند يوسف السباعي.

وإذا تعمقنا في فترة نشر هذه الروايات فنجد التقارب الزمني بينهما لأنها نشرت ما بين 1950-1953 حيث نشرت (إني راحلة) في 1950 وكانت الطبعة الأولى ل (بين الأطلال اذكريني) في 1952 والرواية الأخيرة (فديتك ياليلي) طبعت في سنة 1953. وكان من نصيب (رد قلبي) أن تكون بين أيدي القراء في سنة 1954 وسيكون منهجنا في البحث عن رومانسية السباعي من خلال هذه الروايات أننا نبحت عن رومانسيته حسب ترتيب سمات الرومانسية المذكورة في الفصل الأول من هذا الباب ولا نبحت بترتيب الروايات أي أننا لا نبحت عن تلك السمات في كل المجموعات

(1) يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية، ص/ 29-30.

(2) الرواية الآن دراسة في الرواية العربية المعاصرة، ص/ 19-20.

على حدتها بل تشمل هذه الروايات تحت عنوان السمات ونراجع كل من هذه الروايات عند ذكرها في بحثنا هذا.

ويبدو أن بعض هذه الروايات لاقت اهتماما خاصا من قبل الأدباء والنقاد كما ذكرنا (في تعريف هذه الروايات) في الباب الثاني أن عميد الأدب العربي د. طه حسين قدّم آراءه القيمة عن خمسة أعمال أدبية ليوسف السباعي ومنها (إني راحلة) و(رد قلبي) وجمع الأستاذ غالي شكري هذه المقالات في كتابه (الفكر والفن في أدب يوسف السباعي)، وعثرنا على مقال للدكتور جمال الدين الرمادي تحدّث فيه عن إحدى هذه الأعمال (إني راحلة) حيث يقول "لست أدري لماذا كانت قصة (إني راحلة) للأستاذ يوسف السباعي من أحب القصص إلى نفسي ومن أعمقها أثرا في قلبي ولست أدري لماذا كنت أقبل على قراءتها مرّة ومرّة ولا أكاد أنتهى من قراءتها تمرّ الأيام أو الشهور وإذا بي أدعو إلى قراءتها من جديد - وإذا بها تحدث في نفسي ما كانت تحدثه من متاع فكري لذيد ولذة روحية خالصة وتترك في قلبي ما كانت تتركه من تعلق بها وإكبار لها وإعجاب بكتابها.. والواقع أن قصص يوسف السباعي جلها إن لم تكن كلها من الذخائر الثمينة في القصة العربية الحديثة.. ولا بدّ لمؤرخ الأدب العربي الحديث أن يقف وقفة قد تطول وقد تقصر عند إنتاجه الأدبي الذي ينهمر في بعض الأحيان كالمنظر المدرار أو الغيث الهتون فيصيب الأرض بكثير من الرخاء والخصب والنعمة".⁽¹⁾

ولا يكتفي الرمادي بهذا القدر من التعليق بل يعد (إني راحلة) من أروع الفصوص "وقصة يوسف السباعي التي نقدمها في هذا الفصل من أروع ما كتب يوسف السباعي بل من أروع ما كتب قصص في القصص العربي الحديث".⁽²⁾

وتعجب لوسي يعقوب بأسلوب السباعي في روايته (بين الأطلال) وعبرّت به بقولها "فإننا نراه (السباعي) وقد شكل وجسم صورة للوفاء النادر في المرأة التي تحب في روايته (بين الأطلال) ونرى كيف أن (منى).. وقد ضحت بشبابها وحياتها وزوجها

(1) من أعلام الأدب المعاصر، ص/ 168.

(2) المصدر نفسه.

وبيتها لتعيش في بيت حبيبها الذي ودع الحياة.. لترعى ابنته.. وتعيش وفية
لذكره..!!⁽¹⁾والآن نبحث عن سمات الرومانسية عند يوسف السباعي ونعتمد في ذلك
على ترتيب السمات التي ذكرناها في الفصل الأول من هذا الباب تحت عنوان (سمات
المذهب الرومانسي).

الثورة على المجتمع والتقاليد

الرومانسيون يهتمون بالفرد وميوله الفردية وعند ما يجدون أن المجتمع لا يقبل
تلك الأفكار فيقفون مع الفرد ضد المجتمع وأصوله وتقاليد وفي (إني راحلة) تثور عايدة
على والدها الذي حاول تربيتها تربية حسنة بعد أن خانت زوجته فوضع آماله في ابنته
"نشأت في كنف أبي.. أب صارم قد لدغ من جحر الهوى.. فأقسم ألا يدغ مرة ثانية
وركز كل جهده لينشئني على طبيعته الجامدة وتفكيره العملي المادي ويقتل في نفسي
كل ميل للعاطفة أو الرقة أو الخيال"⁽²⁾ فالأب الذي يحاول أن يجنبه نفسه من إعادة
ذل العار بعد ترك زوجته مع عشيقها فتراه ابنته بأنه مادي التفكير لأن مشاعر زوجته
نحو عشيقها سببت له العار وبذلك تحمل مسؤولية تربية ابنته، تركته زوجته وفضلت
حياة جديدة على حياة الأسرة فهي بذلك تهدم بناء الأسرة وتهرب من المسؤولية ولكنها
بطلة في رأي عايدة- المرأة التي اختارت طريقها بهواها هي البطلة عند عايدة ولكن
الرجل الذي ربّاها واهتم بها وبدراستها أصبح مادي التفكير، تعتقد عايدة أنه قتل في
نفسها الرقة والعاطفة- فالفرد أهم إذا من بناء الأسرة والمحافظة عليها وأم عايدة لا
تختلف في تفكيرها من أم سامية في (بين الأطلال اذكريني) حيث تركت زوجها وطفلها
لأجل تمرير كاتب مريض في المستشفى بعد أن تزوجت ورزقت بنعمة طفل وحبيبها
الكاتب هو الذي رفض الزواج بها أمّا الذي أحبها وتزوج ووفر لها نعمة الاستقرار فهو
الظالم فالفرد إذا هو الأصل وأم سامية تثور على المجتمع وترفض العيش مع الزواج لأنه

(1) يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية، ص/ 26.

(2) إني راحلة، ص/ 26.

لا يسمح لزوجته أن تقوم بتمريض عيشقها المريض- فأني مجتمع يسمح بذلك وأني زوج يقبل مثل هذه الخيانة وبأي حق تفعل المرأة ذلك والعامل المشترك أن (عايدة) تربيها- جدته بمساعدة والدها وتربي مربية (كمال) ابن أم سامية بمساعدة زوج أم سامية كما قال لها زوجها عند معاداة من زيارتها له في المستشفى "إنك تنسين نفسك.. تنسين أنك متزوجة.. فأني وضع تزويره؟ وما علاقتك به حتى تزويره وهو رجل متزوج.. أتزويره كعشيقة؟ ولم تكن حالتها تسمح كثيرا بالمناقشة أو بالرد.. ولم تكن غيرها أقواله بل إنها كانت لا تكاد تفهمها واستمر هو في ثورته قائلا:- يجب أن تفهمي أني لن أسمح لك بهذا العبث لقد صبرت عليك كثيرا.. هذا الشرود والوجوم.. الذي أنت فيه.. شيء لا يحتمل ومع ذلك احتملته.. لن أسمح لك بأن تجعليني مضغة في الأفواه وأضحوكة بين الناس"⁽¹⁾ ولكن إجابة زوجته حير الزوج في أمرها وهي تنور على الأصول والحياة الأسرية حيث تخاطب زوجها بقولها "خير لك أن تتصرف من الآن.. فأني سأذهب إليه غدا وكلّ يوم وسأبقي بجواره حتى يبلّ أو ينتهي.. أعلم هذا جيدا وافعل كما ما يبدو لك.. مجنونة أو غير مجنونة.. من الغد.. سأقوم بتمريضه.. إني لن أفعل نحوك ما يمكن أن يسمى خيانة إن ضميري ستريح.. لأن كل ما سأفعله هو الآن أمرض مريضا على فراش الموت.. مريضا لا يحس بشيء مما حوله ولا يحس حتى بي.. فإذا كان ذلك يفزحك ويسبب لك مثل هذه الثورة والانفعال.. فتفعل ما تشاء ولكن لن يثني عن عزمي شيء"⁽²⁾ وكأن الخيانة هي خيانة الجسد فحسب وحتى هذه الخيانة الجسدية لم تهتم بها عايدة يوم زفافها بعد عقد الزواج وهي في بيت أبيها حيث سمحت لأحمد أفندي عبدالسلام أن يقبلها حتى تجعل وداعها وداعا يليق بنهاية الحب "لقد أبيت عليه يدي.. ومنحته شفتي.. ما على من بأس ولا حرج.. قبلة أخيرة.. هي زاد العمر كلّه. أليس من حق الصائم أن يتزود لصيامه حتى يستطيع أن يصلب عوده ويقوم أوده؟ قبله واحدة وبعدها الزهد الدائم.. والصوم الأبدي والتقت شفتانا في لهفة

(1) بين الأطلال اذكريني، ص/ 230.

(2) المصدر نفسه، ص/ 230-231.

عنيفة وشوق مستعر وتمنيت أن تظل شفتانا ملتصقين حتى آخر العمر وأن يجمد فمي على فمه.. فلا ينزع أحدهما عن الآخر أبدا.. من يصدق أني أجرؤ على ذلك في يوم زفاني؟ ليحدث ما يحدث.. إني ما ندمت على القبلة قط.. فقد كانت القبلة أمتع عندي من يوم الزفاف.. وما بعد الزفاف"⁽¹⁾ فأين الفتاة المسلمة من عايده في هذا المنظر وهي التي تصلي قبل لقاء أحمد بأبيها "أمرك يا أحمد.. ربنا يوفقك. إني أحس بقلق شديد لقد صليت لله ألا يخذلنا وقرأت الفاتحة مائة مرة"⁽²⁾ وهي التي لجأت إلى الصلاة في انتظار المعجزة بعد أن أخبر الوالد أنها ستخطب غدا "ورفعت عيني المبللتين بالدمع إلى السماء وسألتها الرحمة! وخطر لي خاطر أحست منه بشيء من التشجيع والعزاء ونهضت إلى الحمام فتوضأت ثم أغلقت حجرتي وبدأت الصلاة وأخذت أركع وأسجد وذهني شارذ ونفسي واهنة ودعوت الله أن يهب لي معجزة تنقذني مما أنا فيه"⁽³⁾ وكأن الصلاة يستعان بها في اللحظات القاسية فقط "وملأت صدري بنسيم الليل الرطب عله يطف حارتي ويهدىء من تائرتي ثم عدت إلى الصلاة أستعين بها على إطفاء حرقتي وتخفيف لوعتي وأقطع بها الليل الطويل"⁽⁴⁾ ويبدو أن هذه الفكرة لازمت الكاتب في تلك الفترة من العمر حيث لا تختلف (راجية) من عايده في (فديتك يا ليلي) حيث تقرأ (راجية) الفاتحة عندما يزور إبراهيم جدّها ليخطبها "وجلست على حافة الفراش وقد تضاعفت أشجائي وفقدت كل رغبة في الكفاح والتحدي والنضال ووجدتني برغمي أقرأ الفاتحة وكل ما وعيته من القرآن وأدعو الله أن يحقق كل أمني ولا يخيب رجائي"⁽⁵⁾ ونجد نفس الأفكار عند (أم سامية) قبل وفاة الشاعر حيث تذكرت أمر الصلاة "وطاف بذهنها كيف قال لها ذات يوم: إنها مسلمة وكيف حاولت بعد ذلك

(1) إني راحلة، ص/ 279-280.

(2) المصدر نفسه، ص/ 206.

(3) المصدر نفسه، ص/ 228.

(4) المصدر نفسه، ص/ 244.

(5) فديتك يا ليلي، ص/ 144.

أن تكون مسلمة وكيف تعلمت الوضوء والصلاة وقراءة القرآن ولقد نسيت كل ذلك بعد زواجها.. لقد جعلها اليأس تكفر بكل شيء ترى لم لا تعاود صلاتها الآن وتجرب أن تلجأ إلى الله عسى أن يعيده لها وأحست من تفكيرها بسكينة كبرى وبدت لها في الظلمة بارقة أمل ولم تفتأ حتى قامت إلى الحوض الأبيض الصغير فتوضأت.. ثم افترشت منشفة على الأرض.. وأخذت في الصلاة⁽¹⁾ ولكن ذلك لا يخفف من تمرد أم سامية على المجتمع حيث ترفض العودة إلى زوجها وهو لم يطلقها بعد ولا تعود إلى أهلها بعد وفاة الشاعر " ولم تك تعرف إلى أين تذهب؟ وماذا تفعل؟ وهي شريفة منبوذة.. لقد تركت بيتها وزوجها وابنها وهي لا تندم على ما فعلت ولا تفكر قط في العودة إليهم وهي كذلك لا تستطيع العودة إلى أقاربها فهم لا شك قد لعنوها وتبرءوا منها واعتبروها مجلبة للعار"⁽²⁾ والغريب أنها مع ذلك تصر أنها على حق وغير نادمة على فعلتها ويستغرب القارئ عند قراءة قولها لصديقتها، أرادت الصلح بين أم سامية وزوجها "كان يجب عليك ألا تذهبي.. على أية حال.. الحمد لله أن خذلك هو.. لأنه لو رضي عودتي.. لخذلتك أنا ورفضت العودة"⁽³⁾.

لم تواجه عايذة والدها بعد أن رفض الزواج بأحمد ولكنها استعانت بجدها وفرغت غضبها وثورتها للتقاليد بسخريتها بمظاهر الزواج ((وأخيرا انتهت الإجراءات الوهمية التي أجرها الشيخ المعمم الذي لقبوه بالمأذون ووجدت نفسي في غمضة عين قد صرت زوجة أية سخرية هذه؟ لقد جلست أنظر إليه وهو منهمك في الكتابة ثم تتم كلاما لم أسمعته وأخذت أردد معه أقوالا كأني ببغاء وأنا شاردة الذهن أصوب النظر في لفافة عمامته.. "هذه الإجراءات التي تبدو كأنها ((عقد إيجار)) أو ((صفقة شراء)) يقام لها من الوزن والاعتبار ما لا يقام لكل ما أملك من مشاعر نحو أحمد؟ أتفاهم

(1) بين الأطلال اذكيرني، ص/ 241.

(2) المصدر نفسه، ص/ 244.

(3) المصدر نفسه، ص/ 248.

الأرواح وامتزاج الأنفس والقلوب، لا يحلل الصلوات التي أحلها ذلك الشيخ المعمم بكتابات وقراءاته؟" (1)

وكان رد راجية على رفض جدها بزواج إبراهيم أقوى حيث صرخت بوجه جدها واحتجت على قراره بقولها "أنا لست مخطوبة.. ولا يمكن أن أخطب برغم أنفى.. أنا لست جارية في سوق عبيدك تمنحني لمن تشاء.. وتمنعي عمن تشاء.. إن لي رأيا في مصيري... بل إن رأيي هو الأول... أنا لست مجنونة ولا صغيرة.. حتى تتصرف في غير إرادتي.. وتختار لي ما تشتهي أنا التي ستتزوج ولست أنت" (2) وترفض أنجي فكرة الزواج بعد رفض والدها لزواجها مع علي وتستمر في ثورتها على تقاليد المجتمع الأرستقراطي ولا تقيم وزنا أن عليا ابن جنائني وتظل تحبه ولا توافق على مغادرة مصر ويسافر أبوها وحده وترضى بمغادرة القصر مع علي والعيش بدون أخيها "بل سأبقى إلى جوارك.. إني أحبك وأحب هذه الأرض وأحب مصر كلها.. وخير لي أن أموت معك على هذه الأرض.. من أن أحيا معه في أبراج القصر" (3) ويختلف التمرد عند كريمة الراقصة الشهيرة في (رد قلبي) حيث تمنح نفسها لعللي وتقوم بكل ما يرضيه وتتجنب زبائنها بل تسافر من أجله إلى وحدته في ساحة الحرب دون علمه لأنها لاتطاق الابتعاد عنه "أنا لم أفعل إلا كل ما يرضيك فعله.. لأني أحب فعله بلا تكلف ولا مشقة ولا توقع لمقابل.. لا أطلب منك شيئا أبدا.. إلا بعض الاهتمام.. مجرد أن أشعر أنك تحس بي.. أهذا شىء كثير؟" (4) وهذا التمرد أخذ شكل الخيانة الجسدية في (طريق العودة) بعد خروج مديحة ومراد من البيت حيث بقيت نهي مع إبراهيم وليلى "وبلا وعي منها هي الأخرى.. والعينان مغمضتان.. والروح هائمة.. والفؤاد ذائب.. والقلب خافق.. أخذت يدها تتحس وجهه في رفق وتؤدة.. كما تتحس الأم الضريرة ملامح

(1) إني راحلة، ص/ 271.

(2) فديتك يا ليلي، ص/ 151.

(3) رد قلبي، 2/ 754.

(4) المصدر نفسه، ص/ 574.

ولدها بعد طول غيبة.. مست شفثيه.. وطرف أنفه.. وذقنه.. وعينيه.. ثم استقرت على شفثيه مرة أخرى.. لتضغظهما برفق حنون ملؤه الشوق والوجد والحب.. وفتحت عينها ورمقته في رضاء وطمأنينة⁽¹⁾ وصور السباعي أن ليلي راضية ومطمئنة وهي تقبل إبراهيم وهي علاقة سرية بينهما وكان رغبة فرد أهم من المحافظة على الكيان الأسرى وهما يتبادلان الحب في غياب أزواجهما واستمر حب ليلي لإبراهيم حتى بعد استشهاده فهي تترك زوجها في المستشفى وتكذب عليه أنها ستذهب إلى بيتها لمدة ساعة وتعود ولكننا نراها ذاهبة إلى قبر إبراهيم "ووقفت العربة أخيراً.. ليس أمام البيت.. ولكن أمام مقابر الشهداء في الغفير.. وقادها الحارس إلى مقبرة أنيقة وسط المقابر الرخامية الجديدة المنتشرة في أنحاء الفناء لتدرف عليها دموعها خفية في ظلمات الليل"⁽²⁾ ومثل هذا التمرد الفكري يوجد في (إني راحلة) حيث لم تقبل عايدة تسلل يد محمود شكري ووضعا على يدها بعد خروج زوجها مع زوجة محمود شكري وخروجها من النادي ولكنها في الوقت نفسه تقبل مشاهدة دور أحمد وهو يقفز السدود بحصانه وتتأثر كثيرا بعد سقوط حصان أحمد وهو يركبه "ودار الاثنان واختلط الراكب بالجواد حتى بدا كأنهما قد أصبحا قطعة واحدة وانطلقت منى صرخة مدوية.. وانطلقت بلا قصد ولا إرادة.. فقد أحست كأن يدا قاسية تعتصر قلبي.. وكأني أنا الذي أدور على الأرض مع الجواد.. ثم أبصرت المرثيات تختلط في ناظري.. والأرض تتمايل وتتأرجح ولم أحس بشيء لقد صرخت وسقطت معشياً علي!"⁽³⁾ فإذا هي قضية الوفاء النسبية وتعود إلى رغبة الفرد وليس إلى المبادئ ونراها تتمرد عايدة على الزواج وعلى أسرتها لأنها كانت ترى أن أحمد هو زوجها وليس تھاني بك "إنّ أحمد هو زوجي الحقيقي.. هو زوج روحي وتوأم نفسي.. لقد عقد المآذون زواجي على ((تھاني)) عقدا بين الأجساد.. أما عقد القلوب والأرواح فقد كان بيني وبين أحمد من قبل ذلك بزمن طويل إذا خانني زوجي..

(1) طريق العودة، ص/ 212.

(2) المصدر نفسه، ص/ 302.

(3) إني راحلة، ص/ 312.

فليذهب إلى الجحيم- إن أحمد وحده هو الذي يملك على حقا.. فيجب أن أرعى هذا الحق يجب أن أصون نفسي وروحي عن الاندفاع في الخطيئة"⁽¹⁾ فمحاولة الابتعاد عن الخطيئة تكمن في حبها لأحمد (وهو متزوج) وليس سببه الدين والتقاليد الاجتماعية وكيف يمكن لزوجة أن ترتبط جسديا بزوجها ولكن روحها تطلب شخصا آخر.

ولما وجدت عايذة فرصة لم تكن مختلفة من زوجها في التصرف حيث لم تعد إلى دارها ولا إلى دار أبيها ولكنها فضلت الهروب مع أحمد ومارست ما كانت وجدت عليه زوجها وما طلب منها زوج طمطم "ورفعني بين يديه وضمني إلى صدره وسار وهو يضع شفتيه على شغتي وأنفه على أنفي وهمس قائل - واحد شاييل روحه.. والثاني تعبان ليه؟! "⁽²⁾ ولكن الأمر لم يتوقف عندهما عند هذا الحد "وأخذ كل منا يرنو إلى وجه الآخر وأصابعه ما زالت على شفتي أقبليها حيناً وأضغط عليها بأسناني حيناً آخر.. وكنت أحس أن المسألة تحتاج إلى شيء من الشجاعة وما أظنها كانت تنقصني فلقد همست في صوت حالم وأنا أرفع الغطاء وأفسح له مكانا بجواري:- تعال... دعنا نتشارك الغطاء.. دعنا نتشارك في كل شيء: النوم والصحو والحياة والممات - أخشى أن أتهم بالإباحية والزندقة إذ أنا تحدثت بشيء عن ليلتنا الأولى.. ليلة تشاركنا في الفراش والغطاء... ومزجنا الروح بالروح والجسد بالجسد".⁽³⁾ فهي لا تختلف في تمردها من زوجها الذي خانها في بيتها - وتتكرر هذه الصورة في روايات السباعي ففي روايته (العمر لحظة) تتكرر هذه الصورة وبقوتها حيث تزوجت أم صلاح بعبدالرحيم أفندي كاتب المحامي بعد علاقة مريبة دامت لسنوات بعد دخول أبي صلاح في السجن وتركته خطيبته وتزوجت زميلها وهذا نوع آخر من التمرد والجفاء وعدم الثقة ولكن سعدية ولكن تفاجئنا في هذه الرواية حيث تُحافظ على علاقة غير شرعية بينها وبين عبدالعزيز الذي استشهد في الجبهة فأنجبت ابنتها وأصبحت أرملة ولم يعقد عقد الزواج بينهما

(1) إني راحلة، ص/ 342.

(2) المصدر نفسه، ص/ 392.

(3) المصدر نفسه، ص/ 403-407.

والأغرب من ذلك " وعرف عم إبراهيم بكل ما حدث واعترف المحي كله بأنه زوجي ..
وبأن الوالد ابنه وضمت سعدية الرضيع إلى صدرها وتمتت:- سيكون رجلا كأبيه"⁽¹⁾
وكان المجتمع وافق على هذه العلاقة ولا مانع لدى الحكومة لهذا الشذوذ الفكري حيث
قدّمت الحكومة لها وساما واستلمته كأرملة الشهيد عبدالعزيز- "وأبصرت سعدية..
تضم إلى صدرها رضيعا.. تقدمت مع عم إبراهيم البقال.. قال العجوز يقدمها:- أرملة
الشهيد وتقدمت بجسدها المنتصب وعينيها الواسعتين تمسك الرضيع بيد وتتسلم الوسام
باليد الأخرى"⁽²⁾ والثورة على المجتمع تأخذ أشكالا ولكن هذا النوع من التمرد يظهر
بكل وضوح عند السباعي ونركز على الجانب النسائي فيه لكونه أكثر خطورة على
المجتمع من جهة ولأنهن أقل جرأة في المجتمعات المحافظة وخاصة المجتمعات العربية وخيانة
دلال لزوجها جابر في (نحن لا نزرع الشوك) إحدى جوانب انحلال المجتمع والفساد فيه
"وقبل أن ترفع يدها لتطرق الباب.. سمعت حركة.. صوت اهتزاز فراش.. لا شك أن
دلال موجودة وأنها تتقلب على الفراش ولكن الصوت كان منتظما كذلك الذي تسمعه
في الليل عندما يغلق باب الحجرة دونها وأرهفت السمع.. أجل.. أجل.. إنها تميزه
جيدا.. تلك الاهتزازات المنتظمة ولكن.. أبها غير موجود.. وهذا الصوت لا تحدته
دلال وحدها.. وعلا صوت دلال يتسأل مبوحا متحشرجا"⁽³⁾ وهناك أمثلة أخرى
من هذا النوع في روايات كاتبنا ولكننا خوفا من إطالة البحث في هذا الجانب ننتقل
إلى جانب آخر حول نفس الموضوع وهو أن الثورة (التي أعلنتها الفتيات والسيدات في
روايات السباعي) لم تكن مقصورة على المرأة بل شاركه الرجل أيضا وقدمنا الأمثلة للمرأة
المصرية لأن المرأة تكمن غضبها ولا تتمرد بسهولة على التقاليد والمجتمع.

ويمثل (علي) هذا الجانب في (رد قلبي) حيث لا يهتم إلا بنفسه وكان سببا
لإهانة والده من قبل الأمير وطرده أسرته من بيتهم لإصراره على حب أنجي والزواج بها

(1) العمر لحظة، ص/ 308.

(2) المصدر نفسه، ص/ 307.

(3) نحن لا نزرع الشوك، ص/ 49.

"أريد أن يضع أبي في مستشفى المجاذيب لأنه طلب يد ابنته لي؟!.. لا داعي لكل هذا يا إدريس أفندي.. دع الأمر، سأديره بما يرضى الأمير.. سأرحل بأبي عن الدار.. سرحل جميعا ولن تروا وجهنا بعد اليوم".⁽¹⁾ وأمره في الحب غريب، يدعى بأنه يجب أنجي ولكن ذلك لا يمنعه من النوم مع كريمة وهي تحبه وتحاول أن ترضيه ولكنه يراها محطة من محطاته يستريح فيها ويعيد نشاطه بعد النوم معها "لقد تبدد كل ما بنفسه في تلك اللحظة.. عدا إحساس جنسي فائر.. وهو يشعر بخلوته مع أنتي ويفكر فيما هو مقدم على فعله معها.. واستداد إليها فإذا بما تقف عارية إلا من قميص شفاف، لا يكاد يخفى شيئا عن تفاصيلها.. وهمست وهي ترقد بجواره وتضفط شفثيه بشفتيها بعنف.. وفي آخر الليلة كان يرقد قريبا راضيا، وقد أغم نفسه الشعور بالثقة والسعادة والسيطرة.. بعد أن أشبع الجسد المسترخي بجواره إشباعا كاملا.. وأرضاه إرضاء تاما".⁽²⁾

فأين حب علي لأنجي هنا وهو ينام مع كريمة ويشبع رغباته الجسدية وتكرر مثل هذه اللقاءات بينهما فيبدو أن عليا يستغل امرأة تحبه وكيف يكون الحب خالصا بأنه يمنح جسده لكريمة ولكنه يبخل عليها بكلمة حب "قل إنك تحبني.. قلها رغم أنك لا تعنيها.. فإني أحس من سماعها عزاء كبيرا وصمت ((علي برهة)).. فقالت ((كريمة)) في لهجة ملؤها الأسى:- حتى مجرد كلمة تبخل عليّ بما قلها وأقسم لك أنني لن أحاسبك عليها".⁽³⁾ يبدو أن عليا يثور على الحب وليس على مجتمعه ولا يختلف أخوه ((حسين)) منه حيث ينام مع ((أم ريتا)) وابنتها ((ريتانا)) فهو لا يقيم وزنا ما يقوله المجتمع وحتى ما يفعله الآخرون في مثل هذه العلاقات "ليلة أنامها معها في الأسبوع محل زوجها المرحوم ((بترو)) الذي كان يعمل بحارا.. إنها سمينة بعض الشيء ولكنها في الفراش معقولة وابنتها ((ريتانا)) لا بأس بها أيضا، إنها تبدو صغيرة ولكنها

(1) رد قلبي، 2/ 486.

(2) المصدر نفسه، ص/ 558.

(3) المصدر نفسه، ص/ 579.

ممتعة".⁽¹⁾ ويعلم ((حسين)) أن كريمة تحب أخاه ((علي)) ولكنه ينام معها أيضا ولم يكن ((علي)) واثقا بقرار زواجه مع كريمة وعندما تأخر عن موعد لقاءه ب كريمة بسبب حريق القاهرة، أراحه ذلك لأنهما كانا على موعد للخروج لعقد الزواج ذلك اليوم "وغادر المكتب متجها إلى كتيبة سليمان وقد تملكه -رغم قلقة على كريمة- إحساس خفي بالراحة تسرى في أعماله كأن اليد التي توشك أن تدفع به إلى الهاوية قد خففت عنه قبضتها إلى حين.. أو كأن الجرف الذي وضع عليه حافة قد تباعد قليلا".⁽²⁾

وفي "نادية" يغادر مدحت مصر لأجل نادية وإنقاذها من الانتحار المحتمل ولكنه ينسى واجبه الوطني والبلاد في حالة الحرب وهو الطبيب الماهر الذي يحتاج إليه شعبه ونعرف ذلك من خلال حديثه مع صديقه جاد الله "إن ذهابك إلى المطار لن يجديك نفعا أنت تعرف أن الحالة مضطربة وقد نجد الخطوط الجوية توقفت.. فدعنا نسأل لتأكد من موعد الطائرة.. اللهم إلا إذا كنت تريد الإقامة بالمطار.. أنت تعرف أنه لا بد من الحصول لك على إجازة وتصريح بالسفر، إنك لم تعد الآن مدنيا".⁽³⁾ فيفضل دكتور مدحت نفسه وحبه على حبه لبلاده وشعبه فهو خير مثال لاهتمام الشخص بنفسه ونجده كذلك عندما سمع نبأ وفاة نادية فلم يشارك حزن أمها ولم يسأل لقاءها وكأن حزنه أكبر من حزن والدتها وكأن همه هي نادية ولا يهتم بها أو بأسرتها من قريب ولا بعيد ويقبل إبراهيم فسخ الخطوبة في (فديتك يا ليلي) من أجل ليلي وترك (راجية) وهي أجبرت جدّها على خطبتها بإبراهيم نتيجة حب قوي بينهما وكان جدّها قد رفض الأمر في البداية "وكنت على استعداد لأن أفعل من أجل ليلي المسكينة كل شيء.. كنت على استعداد لأن أفنديها بروحي وبأعزما أملك ولكن التضحية بروحي لم تكن تغني عنها شيئا ولذلك لم يبق أمامي.. إلا أعز ما أملك.. أعني راجية".⁽⁴⁾

(1) رد قلبي، 2 / 507.

(2) المصدر نفسه، ص / 646.

(3) نادية، 2 / 625.

(4) فديتك يا ليلي، ص / 262.

وفي (إني راحلة) تتكرر صورة الرجل الذي يفضل رغباته على مشاعر الآخرين وأولهم عاشق (أم عايذة) تسبب في تفكيك الكيان الأسري وقرار "أبي عايذة" لزواج عايذة بتهاني بك يدل على رغبته في المنصب ومحاوله تقربه إلى مراكز القوة "إننا لم نكن نلحظ قط بمثل هذا النسب ولا أظننا نطمع في أفضل منه بل ما أظن أن هناك أفضل منه، طيبة أصل وعراقة محتد ومال وجاه وسلطان وشباب نضر ومستقبل مزدهر.. إن ((تهاني بك)) أمامه مستقبل حافل، أمامه الالتحاق بالسلك السياسي وأمامه الحياة النيابية والمناصب الوزارية.. غدا يسلك طريق أبيه فالمناصب العليا شبه وراثية و((زكي باشا)) يحتفل أن يعود إلى الحكم في أول انقلاب يحدث فإن الصحف تجمع على أنه رجل الساعة"⁽¹⁾ وتهاني بك يفضل رغباته الجنسية على علاقة الزواج ب ((عايذة)) حيث لم يحاول أن يتفاهم مع زوجته حين وجدت ((طمطم)) في غرفة نومها مع زوجها "لقد كنت أريد أن أثار لكرامتي.. كنت أريد أن أمزق جسده إربا ومضت برهة صمت.. وكلانا يحدق في الآخر.. وبذلت جهدي لكي أتمالك وأسيطر على أعصابي وكنت أول من تكلم عندما صاح صوتها من الداخل يناديه مرّة ثانية.. فقد قلت له في مرارة وسخرية:- إنها تناديك.. اذهب إليها حتى لا تقلق وأدرت له ظهري وخرجت من الباب في سكون وأغلقت خلفي وهبطت الدرج واحتوتني حلقة الليل"⁽²⁾.

وشخصية "محمود بك" نموذج آخر لرجل لا يهتم بالزواج ولا يثور لأن زوجته في بيت ((تهاني بك)) وتمارس علاقتها في سرير عايذة وكأن شرفه لا يهمه ولا يرغب في الذهاب إلى ((تهاني بك)) بعد معرفة النبأ "إنه لم يثرو لم يغضب على شرفه المحصيص ولا اندفع هائجا لينتقم من الخائن والخائنة.. بل كل ما فعله هو أن جلس يؤنّبني ويحملني مسؤولية ما حدث.. لأنني لم أستجب لمغازلته فأكون البادئة بالخيانة.. كأن كل ما حدث

(1) إني راحلة، ص / 220.

(2) فديتك يا ليلي، ص / 330-331.

كان أمرا لا يعيبه إلا أنه لم يكن نفعاً متبادلاً لم يسؤه أن تقضي زوجته ليلة مع رجل في فراش ولكن ساءة أن ضاعت عليه فرصة مثلها".⁽¹⁾

وأحمد ابن خالة عايذة يستغل حالتها النفسية "كفى بعدا وحرمانا.. كفى استعباد للشرف والتقاليد والقيود الزوجية.. لن أترك أحمد مهما حدث ليذهبوا جميعا - كما قال- إلى الجحيم.. الزوج والأب والخلق كلهم ولتطبق السماء على الأرض فما عاد يضيرني شيء مادمت معه"⁽²⁾ فبعد الفشل في حياته الزوجية ووفاة زوجته وابنته وجد فيها حبه القديم ولكنه لم يساعد في عودتها إلى بيت الوالد ولم يحاول المحافظة على زواجها ولكنه ضلّلها عن طريق الصواب ولم يهتم بكرامة ابنة خالته فأخذها بسيارته إلى الاسكندرية فما الفرق بينه وبين محمود شكري وأين كانت شجاعته وهي في بيت أبيها قبل الزواج "ودون أن ينبس ببنت شفة فتح بابها وأجلسني.. ثم اتخذ مجلسه أمام عجلة القيادة.. وفي لمح البصر.. انطلقت العربة تنهب بنا الأرض نهباً... - إلى أين؟! - إلى أقصى الأرض، إلى القمر وإلى المريخ.. لا تسألني عن شيء.. ألا يكفي أن نكون معا"⁽³⁾

العاطفة

العاطفة أو الحب سمة رئيسية عند الرومانسيين وهو ما يمتاز به أعمالهم ويظهر ذلك في شخصيات أدباءهم وفي أفكارهم بصورة واضحة فالحب شعور لا ينكره أحد وهو من مشاعر الإنسان يدور حوله حياته وهو الذي يدفع عجلة حياتنا إلى الأمام ولكن الرومانسيين لهم فلسفة خاصة في الحب وهو الحب بلا قيود لايبالون فيه بالقيم الاجتماعية ولا يهتمون بمشاعر الآخرين كأن الحب على حساب مشاعر الآخرين والحب له أنواع ثلاثة في أعمال يوسف السباعي.

(1) فديتك يا ليلي ، ص/ 336.

(2) المصدر نفسه، ص/ 365.

(3) إني راحلة، ص/ 366.

النوع الأول هو ما يكون فيه الاتصال الجنسي وإشباع الرغبات جزء كبير منه وهو ما أشار إليه السباعي في روايته (فديتك يا ليلي) على لسان سيدة خادمة راجية بعد أن سمعت أفكار راجية "أنا لا أفهم شيئاً من هذا الذي قلته عن الصحراء والماء والحصى.. أنا أعرف الحب، يعني الحب، يعني بالعربي ((حضن وبوس))" (1) وهذا ما فعله علي حين أحبته كريمة وهو الحب من جهة واحدة - كريمة الراقصة والممثلة مستعدة أن تعيش حياتها لأجل علي بعيدة عن الأضواء والمراقص ولكن عليا لك يكن هدفه غير جسد كريمة "وكان يشده إلى ((كريمة)) حبها المفرط وخضوعها التام.. وقدرتها على إشباع غزيرة الرجل فيه إشباعاً عجبياً ناتجاً عن مهارتها كامرأة مجربة واندفاعها وحساسيتها كامرأة عاشقة حتى أضحي لا يصد رغباتها فيه - إذا ما ثارت في نفسه - مقاومة من إرادة ولا مانع من خشية أو تفكير" (2)

ويلزم هذا النوع من الحب عادة الهروب من المسؤولية وتكون الضحية هي المرأة في هذه الحالة فعلى يتغنى بحب أنجي وينام مع كريمة وهي تسأله بعد أن غادرت القاهرة وسافرت مئات الأميال من أجله وعاشت معه في خيمته وأشبعت رغباته الأيام "قل إنك تحبني.. قلها رغم أنك لا تعنيها.. فإني أحس من سماعها عزاء كبيراً وصمت علي برهة.. فقالت ((كريمة)) في لهجة ملؤها الأسى: - حتى مجرد كلمة تبخل علي بها قلها وأقسم لك أني لن أحاسبك عليها". (3)

وقلماً يتحمل الرجل مسؤولية عند السباعي في مثل هذه القصص فعندما يئس علي من أنجي عرض الزواج على كريمة وعندما لم يستطع الوصول إليها بسبب الحريق والثورة "وقد تملكه - رغم قلقه على كريمة - إحساس خفي بالراحة تسرى في أعماله كأن

(1) فديتك يا ليلي، ص/ 94.

(2) رد قلبي، 2/ 565.

(3) المصدر نفسه، ص/ 579.

اليدين التي توشك أن تدفع به إلى الهاوية قد خففت عنه قبضتها إلى حين.. أو كأن الجرف الذي وضع عليه حافة قدمه قد تباعد قليلاً".⁽¹⁾

والأمر لا يختلف في (إني راحلة) حيث استعدت بطلاة القصة أن تهرب مع ابن خالتها بعد خيانة زوجها لها وتمتع وتقضي أجمل لحظات حياتها في حضن ابن خالتها حيث تقول "ورفعت رأسي أخيراً ونهض (أحمد) عن ساقني فجلس بجواري ثم حملني بين يديه وأجلسني على ساقه كأي طفلة غريبة.. وأحاط جسدي بذراعيه ثم أطبق شفتيه على شفتي.. وضغط عليهما ضغطاً شديداً حتى تلاصقت أسنانتنا.. حملني بين يديه وسار بي إلى حجرتي ووضعني على الفراش ثم حمل الأغطية فأخذ يدثرنني بها كما فعل بالأمس.. فلقد همست في صوت حالم وأنا أرفع الغطاء وأفسح له مكاناً بجواري:- تعال.. دعنا نتشارك الغطاء.. دعنا نتشارك في كل شيء: النوم والصحو والحياة والممات"⁽²⁾ ولم ينتظر أحمد حتى تطلق ابنة خالته من زوجها ويقدم لزوجها ولكنه انتهز فرصة لحظات ضعفها وحالة صدمتها ليشبع بها والأمر لا يتوقف عند هذا الحديث حيث تدعى عايدة أن النوم مع أحمد ليس فسقاً والفسق ما فعلته مع زوجها بعد عقد الزواج بينهما "ذلك العقد التافه هو الذي كان ينقصني، لكي يجعل مني في نظركم امرأة شريفة، ويجعل مما تسمونه فسقاً عملاً مشروعاً تأتونه حين ترغبون - إلى الجحيم.. أنتم وعقودكم وتقاليديكم- هذه سخافات لم أعد أقيم لها وزناً"⁽³⁾ فهذه هي الأفكار التي يُخالفها المجتمع المحافظ والتقليدي لأنها تنزل أساس المجتمع العائلي ويتعاطف القارئ معها لظروفها ولكن أفكارها في يوم زواجها لم تكن تختلف كثيراً وهي تخون زوجها مع أحمد يوم زواجها "لقد أبيت عليه يدي.. ومنحته شفتي ما على من بأس ولا حرج.. قبلة أخيرة.. هي زاد العمر كله.. أليس من حق الصائم أن يتزود لصيامه حتى يستطيع أن يصلب عوده ويقوم أوده؟ قبلة واحدة وبعدها الزهد الدائم.. والصوم الأبدي! والتقت

(1) رد قلبي، ص/ 646.

(2) إني راحلة، ص/ 404.

(3) المصدر نفسه، ص/ 408.

شفتانا في لهفة عنيفة وشوق مستعر وتمنيت أن تظل سفتانا ملتصقتين حتى آخر العمر وأن يجمد فمي على فمه.. فلا ينزع أحدهما عن الآخر أبدا.. من يصدق أنني أجرؤ على ذلك في يوم زفاني؟"⁽¹⁾ وفي جفت الدموع يقضي سامي وقتا ممتعا في لبنان مع هدى الممثلة الشهيرة بعيدا عن أنظار الشعب السوري وهو يمثل شباب الثورة وهو رمز قيادتهم أيضا فالليلة الأولى لا تختلف في جوهرها في لبنان من ليلة أحمد وعائدة في مصر إلا في بعض المظاهر البسيطة "مرت الليلة الأولى ((بسامي وهدى)) وهما يستمتعان بما سماه سامي ((حرية الأحياء)).. واسترخي الاثنان على الأريكة المنخفضة أمام المدفأة، متعانقين.. كأوثق ما يكون العناق.. وأحر مل تكون اللففة.. وأشد ما يكون الارتباط والحب.. وأهدأ ما تكون السكنينة والطمأنينة"⁽²⁾. ولم تكن هي الليلة الأولى في حياتهما فقد قضى ليال عدة قبلها في شقتها في دمشق " وفي ثوان كان سامي قد تسلل إلى جوارها تحت الغطاء وضمها إليه في رفق فأحس بدفء جسدها وليونته ووضع شفتيه على شفتيها فأحس بهما تتحركان في قلبه رقيقة"⁽³⁾ ولكن القائد الشاب لم يكن مطمئنا من هذه العلاقة وكان مترددا بين الاستمرار والهروب من حب هدى "في الصباح.. على فراش امرأة.. لا يمكن أن يقر مجتمعه أي نوع من أنواع الروابط بينهما -شرعيا كان ام غير شرعي.. لم يكن ما يربطهما سوى شعور مجرد بالحب.. ولم يكن واحد منهما يحتاج من الآخر غير الحب"⁽⁴⁾ وبطلة القصة كانت متأكدة أن هذه النوع من الحب لن يستمر طويلا ولا يتحول إلى علاقة زوجية وتحمل مسؤوليات عائلية واعلان زواجهما فكانت حريصة أن تستمع أوقاتها مع سامي "إنها فرصة العمر.. فدعني أستمتع بها كاملة..

(1) إني راحلة ، ص/ 279-280.

(2) جفت الدموع، 2 / 378.

(3) المصدر نفسه، 1 / 154.

(4) المصدر نفسه، 1 / 162.

دعني أحملك.. وأطعمك.. وأريحك، دعني أنسى أن أحدا سينزعك مني مرة ثانية..
دعني أتصرف كأني أعيش معك أبدا"⁽¹⁾

والنوع الثاني من الحب عند السباعي هو أن العلاقة بين الحبيين يستمر لمدة أطول ويحمل نوعا من القداسة والعبارة العذبة ويتذوقان مرارة الفراق أحيانا ويتلذذان بأجمل لحظات الوصل ولكن العلاقة الجسدية في هذا النوع لا يتعدى القبلات والمعانقة أي العلاقة الجسدية تكون جزءا من الحب ولكنها لن تكون هدفا كما ذكرت راجية حبيبة إبراهيم في رواية (فديتك يا ليلي) وهي تتكلم مع خادمتها عن العلاقة الجسدية بين الأحباء "لا يا سيدة حرام عليك، الحب أسمى من أن يركز في مثل هذه المظاهر المادية إن تلك بعض مظاهره وقد يكون الحب ولا تكون هي"⁽²⁾ ومظاهر هذا الحب نجد عند إبراهيم وراجية خلال فترة الخطوبة "وأحست بأنفاس حارة تلمح وجهي وشعرت بشفتين تمسان شعري ثم تطوفان بخفة في وجهي ماسة جيبني وعيني وأنفي وخدي وعنقي وذقني وأحست بالرحلة قد طالت وشفتي قد زادتهما الظمأ.. ولم يستطيعا الانتظار حتى تصل إليهما الشفتان الأخريان.. فتعجلت اللقاء.. واختصرت الطريق ووثبت إليهما.. واستقرت شفتاي عليهما في ظمأ ونهم ومددت زراعي فضممته إلى".⁽³⁾ وفي هذا النوع من الحب يتحمل أحد العاشقين مسؤولية كاملة ويضحى فتكون نهاية الحب نهاية رومانسية، ييثر رسالة التفاؤل والتضحية من أجل الحبيب وهو ما حدث في قصة راجية وإبراهيم حيث ساعدته راجية في معالجته بعد أن فسخ الخطوبة ومرض حتى عاجله الطبيب والحوار التالي بين الطبيب وراجية يدل على عمق الحب بينهما بعد أن انتهى مشروع الخطبة بينهما:

- "سأفعل من أجله كل ما أستطيع
- رغم أن شفاءه قد لا يكون ذا نفع لديك.. أعني، أن...

(1) جفت الدموع ، 2 / 368.

(2) فديتك يا ليلي، ص / 94.

(3) المصدر نفسه، ص / 187.

• أفهم جيدا ما تعني وأنا أريد معاونته من أجل نفسه، لا من أجل نفسي" (1)

وضحت أم سامية بحياتها في (بين الأطلال اذكريني) لأجل حبيبها الكاتب وتركت أسرتها لأجل تمريره في المستشفى وبعد ذلك عاشت في بيته لرعاية زوجته الحامل وبقيت مع ابنته وأبيه بطلب والده لرعاية سامية "كانت المحتويات رسائل قديمة وصورة باهتة وفتاتا من الشكولاته وهشيما من زهور البنسفع كانت بقاياها.. أو أطلاله كانت تلك هي كل ما بقي لها من سلوان في الأرض.. وفي السماء -إن عزاء اليائسين من الحياة هو أمل في لقاء في السماء أما هي.. فلن يكون لها حق اللقاء.. حتى في السماء- إن زوجته قد سبقتها هناك إلى اللقاء ياللعمر الضائع سدى.. الذهاب هباء!" (2)

وكانت أنجي أكثر حفا من أم سامية حيث قاومت أسرتها لتزويجها غير علي وانتظرت سنوات عدّة وكانت أكثر إخلاصا من علي حيث حافظت على شرفها ولم تلوثه في انتظار علي أما هو فلم يتزوج وانتظرها طوال السنوات ولكن ذلك لم يمنعه من قيام العلاقة الجسدية مع كريمة واستغلال حبها له وكانت كريمة لا تفهم هذا النوع من الانتظار وكانت لا تعترف بقيمة الرسائل والكلمات والانتظار وأمل اللقاء "وماذا أجدها حبه؟! وماذا أجدهه مشاعره؟! سوى الضلالة والهيام في بيداء من اليأس والحрман وهو بعد هذا يمديده.. ليستجدي أملا وفي ألفاظ ضائعة.. وأوراق زائلة.. بلا حرارة جسد ولا لهيب شفاه ولادفء صدر، تمنحه ما تسميه مزيدا من أمل أو مزيدا من سراب". (3)

(1) فديتك ياليلي، ص/ 78.

(2) بين الأطلال اذكريني، ص/ 291.

(3) رد قلبي، 2/ 546.

وهذا الأمل أو سراب من الانتظار منح فرصة اللقاء والزواج لأنجي وعلي بعد ثورة 1952 فتزوجا فالنهاية سعيدة لهما عكس نهاية أم سامية فهي التي لم تملكه ولكن ملكت كل ما كان يحبه حبيبها.

والنوع الثالث من الحب عند السباعي هو الحب الذي يخلو من المظاهر المادية وهي العلاقة الروحية بين الحبيين ويكون هذا النوع هو الحب المثالي عند السباعي وهو أقوى أنواع الحب عند السباعي وأكثر تأثيرا في نفوس العاشقين وفي (رد قلبي) أحبت بهية ابن خالتها حسين واستمرت في حبه سنوات طوال وهو حب الطرف الواحد، تخدمه وتغسل ملابسه وتكويها وتساعد في أمور كثيرة وتفضله على أخيه علي عندما تقارن بينهما "إنها كانت تفضله كما هو.. بنزقه وخفته وطيشه وأنا نيته.. كانت تفضله بلا تفكير.. وإذا فكّرت.. فهو بعدم أفضاله أيضا.. مفضل عندها.. كانت ترتب له كتبه وتغسل له ملابس الكرة.. وكانت تتباعد له بعض الحاجات من المحطة ومن السوق وكان يحتاج إليها في معاونته على الكذب عندما يريد خداع أمه أو أبيه كان أقرب إليها.. لأنه كان أكثر إحساسا بها.. كان ينهرها.. ويسترضيها.. ويعاقبها ويكافئها.. وأحيانا عندما تصيبه نزبة حمق يضربها كانت ترى فيه.. بشرا قريبا حبيبا"⁽¹⁾ وهو الحب العذري، يتعد عن ملامسة اليد وتقبيل الشفتين والمعانقة الحارة ودفء الجسد بالجسد بل يركز على الاهتمام ويكون أساسه الاحترام والرعاية وهذا لا يعني برودة المشاعر بل تحولت المشاعر إلى نوع آخر من الحب وهذا ما كانت تتمناه بهية أي الزواج - "وهمست ((بهية)) لنفسها وهي تنظر إليه في حب منطوفى جوانبها: - والله ليس هناك خير منك.. حتى ولا علي.. بكل ما فيه خير"⁽²⁾ فكان حبه لحسين حب صامت، حب طرف واحد، لم تقبل أن تتزوج غيره ولم تصارحه بحبها، انتظرت حتى يشعر بحبها رغم الأمل القليل - فظلت بهية على تلك الحال حتى شعر حسين بذلك قبل سفره مع الملك في المنفى "وألحت على ذهنه صورة ((بهية)).. في حبه الصامت له، الحب العميق القوي

(1) رد قلبي، 1/ 89.

(2) المصدر نفسه، ص/ 130.

المثابر، الذي لا يجد من تدفقه، إنكار أو إهمال، أو هجر، أو بعد وأحس لأول مرة بلهفة عليها وهو الذي لم يطف ذكرها برأسه مرة واحدة وبدت له في تلك اللحظة.. كأنها جزء منه، لم يفكر فيه ولم يشعر بوجوده إلا وهو يوشك أن يفقده" (1) فاعترف يحبه لها في رسالة لأخيه علي قبل مغادرة البلاد "أتسخر بها مني كثيرا.. إذا ما قلت لك.. إني.. إني.. أحب ((بهيّة))؟ أجل يا ((علي)).. ما أحست بها في حياتي كما أحس الآن وأنا أوشك أن أرحل إلى غير رجعة- إنها كانت تنتظري دائما.. بلا أمل في شيء.. وأغلب ظني أنها ستظلّ تنتظري.. كما تعودت أن تنتظر.. قل لها إن انتظارها هذه المرة.. لن يكون بلا أمل.. لأني إذا عدت فسأعود لها- أرها رسالتي.. وقبل لي أمي" (2)

علقت بهيّة آملها ببضعة كلمات وجدتها في تلك الرسالة كأن الحب لم يكن يحتاج إلى الجلوس في مكان آمن ملى بالورود والأشجار بل كانت بهيّة في غير حاجة أن يغازلها حسين قبل الاعتراف بحبه لها "وأنا ذكرتك في كل حركة وهسمة ونومة ويقظة.. لم يداخلي اليأس من عودتك قط.. كنت أتخيلك وراء كل طرقة الباب.. لقد ملأتني رسالتك بالأمل الجميل ووجدت في قولك أنك تحبني.. عزاء عن كل شيء" (3) فوجدت بهيّة حبها بعد سنوات الانتظار لكنها لم تشك وبعودة حسين استقبلته بهيّة "وأحس وهو يضم ((بهيّة)) إلى صدره ويمسح عبراتها الهامية بشفتيه.. بسكينة المستقر بعد طول لهث وضلالة وهيام.. وهتف بها وهو يقبل عينيها.."⁽⁴⁾ ولعله المشهد الوحيد في هذه القصة قبلها حسين قبل الزواج.

وأحبّ إبراهيم ليلى بعد خطوبته لراجية وأثرت فيه شخصية ليلى بلقاء عابر فقط "لقد بدأ النضال.. وبدأت الموازنة.. وكان على أن استوضح النفس ما خفي من

(1) رد قلبي، 2/ 703.

(2) المصدر نفسه، ص/ 707-708.

(3) المصدر نفسه، 2/ 716-717.

(4) المصدر نفسه، ص/ 716.

أمرها وأسئلتها ما مرادها؟ ورحت أوكد لِنفسي أني أحب راجية أحبها أكثر مما أحب أي شيء في هذه الحياة.. بل أكثر من الحياة نفسها وأن أرض حينا أثبت من أن تهزها هزة يسيرة طارئة وأن شجرته أصلب من أن تعصف بها نسمة خفيفة عابرة"⁽¹⁾ ولكنه في الصباح اليوم التالي ذهب لمقابلة ليلي ومناجاة راجية لم تستطع أن تمنعه من زيارة ليلي واستمرت اللقاءات حتى بلغ الأمر بفسخ الخطوبة مع راجية لأجل ليلي "كان على أن أفنديها بأي ثمن.. ولو كان ذلك الثمن راجية.. بكل ما بيننا من موثيق وعهود وكل ما يجمعنا من سعادة وهناء"⁽²⁾ وحب كمال لسامية لم ينتظر المواعيد الغرامية لطلب الزواج في (بين الأطلال اذكريني) وهو الحب الخالص يبحث عن تَوَام الروح حتى يتزوجها ولم تتردد سامية أيضا "إنّ هذا هو أقصى ما تتمناه وأجمل ما كانت تتلهم على سماعه منه ولكنها لم تتوقع أنه يقوله بمثل هذه السرعة والسهولة، كانت تتوقع أن يسبقه مقدمات ومقابلات واستفسارات واختبارات"⁽³⁾

حب الخالص ملأ نفس سامية غبطة وسرورا حيث كانت مستعدة لإلغاء جميع مشاريعها من أجل كمال والحوار التالي بين سامية وأمها خير دليل على ذلك
"ومثلك العليا؟ وخططك الهائلة؟ ومشروعاتك الكبرى؟ والدكتوراه؟ والحزب النسائي؟ وحقوق المرأة؟ والبرلمان والوزارة؟

- كل هذه ما عادت تساوي قلامة ظفر. لقد أمرني أن أكف عن الدراسة، فليبت صاغرة"⁽⁴⁾ فالزواج والاستقرار الشخصي والنفسي هما غاية الحب، تبحث كل فتاة عنهما فسامية كانت أكثر حننا من عايدة حيث لم يوافق أبوها للزواج مع أحمد ولم يكن زواجها التقليدي ناجحا والزواج كان هدف الحب بين حمدي وسهير في (ليل له آخر) وهو الهدف الذي يشترك فيه حب حسان ونادية في الرواية المذكورة ويشير يوسف

(1) فديتك ياليلي، ص/ 245-246.

(2) المصدر نفسه.

(3) بين الأطلال اذكريني، ص/ 72.

(4) المصدر نفسه، ص/ 78.

السباعي إلى هذا الأمر بقوله "إنّ المرأة إذا أحبّت.. فهي تفضل مسح حذاء زوجها على رئاسة الوزراء"⁽¹⁾ وأخبر عم أم سامية خلال الحديث عن خطيتها "إنّ أمل كل فتاة هو الزواج من رجل يصلح لها"⁽²⁾ وهي التي كانت تجتنب موضوع الزواج، ليس نفورا منه بل كانت ترى أن الزواج بشخص آخر يخرجها من عالمها (الوهمي) يسوده حب رجل لا ينوي الزواج بها "فقد كانت تعلم جيدا أنه لا أمل لها في المخلوق الذي اختارته ليحتل قلبها من بين جميع البشر.. فهو نفسه متزوج.. ومتعلق بزوجته كزوجة وما حاول قط أن يهبها معها أي أمل في زواج"⁽³⁾ ولا نميل إلى فكرة ذكرها السباعي على لسان حبيب أم سامية بأن الحبيبة شيء والزوجة شيء آخر ولا يمكن للحبيبة أن تكون زوجة ولا للزوجة أن تكون حبيبة لأن هذه الفكرة لا يقبلها المجتمع الشرقي أو الإسلامي وخاصة بعد جواز الزواج الثاني عند المسلمين -قد تكون هذه الأفكار فرار من تحمل المسؤولية وقد يطبق في المجتمع الذي لا يسمح بالزواج الثاني ولكننا نلاحظ أن المجتمعات الغربية تعتبرها خيانة زوجية أيضا وتولد مشاعر الحزن والغضب في وجود مثل هذه الأفكار لأن المجتمع لا يقبل مثل هذه الأفكار التي تنزل أساس المجتمع وتهدم الحياة العائلية وتحالف تقاليد وتكون ضد عقيدة بنى عليه ذلك المجتمع الشرقي خاصة وهذا ما يجعل الرومانسيون يلجأون إلى الوحدة واليأس من المجتمع وكرههم لأفراد الأسرة هما يؤدي إلى التفكير في الموت أو محاولة الانتحار كما قامت به عايدة في روايته (إني راحلة) وهناك أمثلة كثيرة عن هذا الموضوع لكننا نكتفي بهذا القدر من الحديث ونتنقل إلى السمة الثالثة عند الرومانسيين.

(1) بين الأطلال اذكريني، ص/ 64.

(2) المصدر نفسه، ص/ 208.

(3) المصدر نفسه، ص/ 211.

الاهتمام الزائد بالخيال

كان الخيال يأسر السباعي في حياته العملية وفي أعماله الروائية حيث نرى أنه كان ينعزل ذهنيا من الاجتماعات أحيانا ويستمر في خياله وكان يحدث ذلك إذا اضطرب للجلوس في مكان مالموقت أطول وقد تكون ذلك في المؤتمرات الدولية خلال الخطبات الرنانة والمحاضرات الطويلة والرحلات ذات مسافة بعيدة ويشرح لنا السباعي ذلك في كتابه (طائر بن المحيطين) وهو يشرح حالته لدليله المصرة على توفير المعلومات "إني لن أفهم أي شيء ، لأن الدروس الطويلة المفروضة على ذهني تجعله يشرد ويسرح إنه لا ينصت إلا إلى ما يريد أن يعرف ولا يلتقط إلا ردا على استفسارا يحتاج إليه"⁽¹⁾ وكان هذا الشرود محبوبا عنده لأنه يخرج الإنسان من الواقع ويوفر له مشقة الهروب جسديا وذكر السباعي شرود الأديب توفيق الحكيم بعنوان "البرقية الأخيرة" حيث كان الحكيم يفعل ذلك في المحكمة أيضا "وكان يذكر توفيق الحكيم في جلسته في جلسة المحكمة عندما كان يعمل كوكيل نيابة وكيف كان يشرد بذهنه فلا يعي شيئا مما يقال حوله.. ولكن توفيق الحكيم كان في واد والمحكمة في واد آخر ولم يعرف كيف يمكن أن يرد وهو لا يعرف فيم يهاجمه المحامي؟ وكانت ورطة لم ينقذه منها سوى القاضي الذي يعرف أن توفيق الحكيم يشرد في المحكمة ولا يعرف شيئا مما يدو فيها وحسد (السباعي) توفيق الحكيم على شجاعته في الشرود في المحكمة"⁽²⁾

وكتب يوسف السباعي بعنوان (ذهن ينبش في طائرة) وذكر بنفسه أن ذهنه كان يتعد عن الواقع ويستمر في التفكير حيث فكر أنه إذا مات نتيجة تفجير الطائرة فكيف يكون نبأ مقتله والوفد المرافق له في الجرائد وكيف وقع على من يحبونه "ويكتب هو على رأس القائمة ومعه بقية المشاهير الذين يجلسون الآن بجواره دون أن يدورا شيئا عن المصير الذي دبره لهم ذهنه السخيف"⁽³⁾ ولأن السباعي كان رومانسيا في مزاجه

(1) طائر بين المحيطين، ص/ 256.

(2) المصدر نفسه، ص/ 85-86.

(3) بين الأطلال اذكريني، ص/ 9.

فكانت هذه العادة تلازمه حيث تحدث عن نفسه بصيغة الغائب قائلاً "وفيما مضى كان يعيش أيام المؤتمرات بأعصاب مشدودة.. وذهنه يحاول أن يبعد عن هذا وذاك يشرّد بعيدا في أشياء لا يمكن أن يكون لها علاقة بالمؤتمر"⁽¹⁾ وفعل ذلك في مدينة (طشقند) في حفل رسمي، شارك فيه بصفة السكرتير العام لمنظمة التضامن "وقال محافظ المدينة أشياء لم أسمعها لأني كنت قد سرحت فيما يمكن أن أقوله"⁽²⁾ ويصف السباعي حالة عاشق أم سامية بعد أن انتهت العلاقة بينهما "فقد كنت عاشقا مهجورا..! ذاهب اللب.. شارد الدهن، محرق القلب.. وانطويت على نفسي وكتمت السهم في كبدي ولم أكن أملك غير ذلك.. لقد حاولت التعزي بالصالحات السابقات.. ولكني وجدت لقائي بهن لم يغير حالي.. كنت أجلس معهن صامتا شاردا.."⁽³⁾ والرومانسيون في فراقهم يلجأون إلى الصمت والحزن واليأس ويكون ذلك اليأس نتيجة قراراتهم يلومون القدر عليه "وهكذا أخذت أرزخ تحت أحزان الهجر وآلام الإذلال.. وبدأت أقبح في الدار.. في شرود وصمت وحزن"⁽⁴⁾ وكانت أم سامية لا تختلف تفكير عن عاشقها بعد زواجها مع موظف في السلك السياسي حيث لجأت إلى رسائلها القديمة ولم تعتبرها خيانة "كانت تجد حياتها فارغة خاوية لا يملؤها سوى شيء واحد.. هو مجموعة رسائله التي احتفظت بها في صندوق وكانت تستعيد قراءتها كلما زاد بها الحنين أو عاودها الشوق"⁽⁵⁾ وهذا الاهتمام الزائد بالخيال يجعل الرومانسيين يحتلقون الأحداث والوقائع حسب رغبتهم وكانت أم سامية تتخيل حببها قبل النوم وكانت تحضن فراشا تعبيرا عن حضنها له وكانت تقبل يدها لأنه قد قبلها وتستمر في خيالها بعيدا عن الواقع المر في

(1) بين الأطلال اذكريني، ص/ 76.

(2) المصدر نفسه، ص/ 161.

(3) المصدر نفسه، ص/ 171.

(4) المصدر نفسه، ص/ 172.

(5) المصدر نفسه، ص/ 215.

مجتمع لا يقر علاقتهما غير زواج والعشيق متزوج لا يرغب في الزواج معها وهي في فترة مراهقة من عمرها ملئية بالمشاعر فتحن لزيارته ولقاءاته.

وتلجأ عايده إلى الخيال بعد اللقاء بين ابن خالتها أحمد - جاء ليخطبها - وبين والدها وتخيّل أن أباه قد وافق ولكنه يؤجل الأمر وفي المساء يسألها رأيها وتخيّل أنه يبدأ بمقدمات "وأخذت أصور لنفسي بعد ذلك.. كل ما سيقوله كلمة كلمة.. وحرفا حرفا.. وكلما سيسألني عنه.. وأجيبه به ثم يعرج بعد ذلك إلى الموضوع مباشرة فيخبرني أن ((أحمد)) قد طلب منه يدى.."⁽¹⁾ وتستمر في تفكيرها وأنها كيف تطأ راسها وترتّبك وتتلعثم ثم تقول له أنه أدري بها عن مصلحتها وتستمر في أحلامها "واعجبا! أية فنانة ماهرة كنت إذ ذاك وأنا أجلس على فراشي وأصور لنفسي كل تلك التفاصيل والدقائق أرسّمها حسبما ما أشتهى فأنال بها أمّنتي وأنتهى منها إلى أني أصبعت فعلا خطيبة أحمد وأفقت من أوهامي راضية.. مغتبطة.. تماما كأن ما صورته قد حدث"⁽²⁾ فلم إلى تنتبه كلام جدتها وهي أسيرة أحلامها عندما أخبرتها جدتها أن عليها أن تقبل الواقع وترضى بما كتب لها والأهتمام الزائد بالخيال أنساها الواقع ولكن أباه خيب أمالها عندما أخبرها بأنه وافق على زوجها بابن زكي باشا فخرجت من عالم أحلامها وذوقت مرارة الواقع "وقد كنت أشبه بإنسان رفعوه إلى هام السحب ثم تركوه يهوى إلى قرارة الأرض فتتأثر حطاما - لقد كنت في حالة لا تساعدني حتى على الألم.. كنت مشدوهة مذهولة أحس كأني واقعة تحت تأثير كابوس مخيف وأن ما حولي ليس من الواقع في شيء"⁽³⁾ وهذا يؤدي إلى اللجوء في الماضي حيث كانت تجلس عايده في شرفة بيتها وتذكر الأيام واللحظات السعيدة التي قضت مع أحمد ولأنّ أمر زواجها بأحمد قد استحال فكانت تتصور في تلك الجلسات أنه أتى على حصانه في ليلة زفافها حاملا معه المسدس فيخطفها "وهو يقترب مني باسماء.. فيرفعني بين ذراعيه.. ويخرج بي

(1) إني راحلة، ص/ 211.

(2) المصدر نفسه، ص/ 211-212.

(3) المصدر نفسه، ص/ 220.

من وسط الضجيج والأنوار إلى هدوء الليل وظلمته فيركب جواده وبضعني أمامه.. وينطلق.. وأمكث متهيبية في أحصانه وهو ثابت على جواده يسابق به الريح"⁽¹⁾ وهذه بعض أمثله الخيال من حياة السباعي ومن حياة أبطال قصصه ما تدل أنّ الرومانسيين يعتمدون على الخيال في حالة الحزن واليأس وفي ساعات عدم وصولهم إلى الهدف فيخلقون لأنفسهم بيئة يتصرفون فيها كما يشأون وهو الهروب في الواقع من الأوضاع التعيسة يواجهونها في حياتهم العادية.

الطبيعة

الشخصية الرومانسية تعشق الطبيعة لأنها أقرب إلى أفكار الرومانسيين فالأشجار والاختضار والجبال والمياه والأنهار والبحار تلعب دورا مهما في كتابات الرومانسيين فالصحراء يدل على الفراغ الأوسع وشاطئ البحر يأسر قلب الكاتب والهدوء، يبحث عنه الرومانسي في مكان بعيد عن الناس والسباعي يشارك الرومانسيين هذه السمة حيث نراه في كتابه (طائر بين المحيطين) يفضل السكن قرب الشاطئ في وينبا "وعلا صوت الأمواج ترتطم بالشاطئ والريح تصفر صفيرا خفيفا مبوحا وبدا المكان موحشا بكل ما فيه وما حوله ولم بيد أثر للحياة حول المكان"⁽²⁾ والسباعي له مهارة خاصة في وصف الطبيعة وعندما أراد أن يذهب إلى شاليه المظلة على المحيط مع صديقه الجزائري فوصف الطريق وصفا يشتاقي إليها القارئ "وانطلقت السيارة في الظلمة بين أشجار جوز الهند والغابات المتكاثفة ولم تلبث أمواج المحيط أن بدت على ضوء العربة وبدت على الشاطئ مجموعة الكبائن الخشبية وقد تناثرت وسط أشجار جوز الهند المتكاثفة على الشاطئ"⁽³⁾

(1) إني راحلة، ص/ 253-254.

(2) طائر بين المحيطين، ص/ 52.

(3) المصدر نفسه.

وكان الشاطيء يملأ جسد إبراهيم قوة ونشاطا في (فديتك يا ليلي) حيث كان متعودا للسير هناك "والشاطيء على طوله لا يكاد يطرقه أحد سوى وكنت أشعر أن هذه الزرقة الحباشة والصفرة المترامية قد باتت كلها ملكا لي وأني أتزه في أملاكي الخاصة"⁽¹⁾ وهناك على الشاطيء فقد أخته ليلي وأحب ليلي الأخرى وتأثرت حياته بلقاءها وهي انتحرت على شاطيء البحر والشاطيء تصاحبه السحب والرياح والرمال ولا يستطيع أن يتخلى الكاتب عنها خلال حديثه عن الشاطيء وكذلك السباعي وصف ابتسامه ليلي مع وصف البحر حيث يقول "وعلت شفيتها ابتسامه باهتة ورفعت عينها إلى الأفق البعيد حيث تلاصقت السحب بالأمواج وأخذت شهيقا طويلا"⁽²⁾ ويصف جمال ليلي بقوله "كنت أجلس على الرمال أمام الساحرة الرقيقة الشقراء.. بلا انتظار معونة من الريح أو إذن منها"⁽³⁾ لأن بداية اللقاء بينهما كان بسبب الرياح التي أطارت منديلا لفت به ليلي رأسها "وانطلق المنديل يعدو والريح تطارده فوق الرمال وبغير إرادة مني وجدتني أقفز الحاجز وأعدو في الرمال أسابق الريح وراء المنديل المنطلق"⁽⁴⁾

ورواية ((حذار من الشفقة)) لستيفن زفيج التي ذكرها السباعي في هذه الرواية كانت تقرؤها ليلي على شاطيء البحر والبحر جزء من روايات يوسف السباعي حيث نجد أن بعض أحداث (رد قلبي) وقعت في شاطيء البحر أيضا حيث كانت أنجي تذهب مع أسرتها إلى الإسكندرية في الصيف وذهب علي لمقابلتها وخرجا إلى البحر للسباحة "نحن مجانين والبحر مجنون وكل ما حولنا جنون في جنون وأقبلت موجة أخرى أعلى من الأولى وأشد عنفا.. وقبل أن ينتبها إليها لطمتهما لكمة ألقت بهما على الشاطيء وانحسرت الموجة وخلفتها على الرمال وقد علاهما الزبد وعلقت بهما الحشائش"⁽⁵⁾

(1) فديتك يا ليلي، ص / 241.

(2) المصدر نفسه، ص / 257.

(3) المصدر نفسه، ص / 246.

(4) المصدر نفسه، ص / 242.

(5) رد قلبي، 2 / 407.

ويأخذ أحمد حبيبته عايدة إلى سيدي بشر في الاسكندرية ليقضيا بعض الأيام في كابينة صديقه ووصف السباعي جلستهما هناك بقوله "ودلفنا إلى الشرفة الزجاجية المطلة على البحر وجلسنا متلاصقين على أريكة من القش وقد أسندت رأسي على صدره.. وكان هدير البحر يصل إلى آذاننا خافتا كأنه منبعث من مكان ناء وغورسحيق.. والزجاج قد تندى بقطرات الماء وبدت السحب من ورائه متقطعة تخفى بين طياتها القمر حيناً وتظهره حيناً.. وبدا القمر كأنه يعدو وراء السحب.. وهي ثابتة لا تتحرك"⁽¹⁾ وكانت نهاية الأحداث لهذه الرواية قرب البحر أيضاً حيث توفي أحمد هناك وانتحرت عايدة ويصف السباعي منظر الكوخ بعد الحريق وبعد موتهما قائلاً "ولاح ضوء الفجر.. على سكون سائد وصمت مخيم.. كأن الطبيعة قد انتهت من مأماتها وعادت من جنازتها متعبة منهكة.. فلا موج ولا نوء، ولا رياح هوج.. بل الكل مخلد إلى الهدوء"⁽²⁾.

وفي "طريق العودة" كان بيت إبراهيم "يقع على ربوة رملية تطل على الشاطئ بعيداً عن المنطقة العسكرية"⁽³⁾ ويبدو أن السباعي عاشق للطبيعة ولا يدع فرصة حتى يرسم للقارئ هذه المناظر الخلابة فهو يصف شروق الشمس من نافذة ذلك البيت، ترقيتها نهي -الفتاة الفلسطينية- "ففي أقصى اليمين بدت الربوة وقد حافتيها صفان من النخيل.. ومن بين صفي النخيل.. ومن وراء الربوة.. بدأ القرص الأرجواني الصافي الملتهب يبدو رويداً.. رويداً"⁽⁴⁾ وتنتهي هذه الرواية ونهى جالسة على قبر إبراهيم "وفي مكان آخر.. بعيداً عن هذا المكان جلست مخلوقة أخرى.. نحيلة عجفاء.. على قبر آخر.. لنفس الشهيد أقل فخامة وأكثر تواضعاً على شاطئ البحر في العريش بين صفي النخيل.. جلست نهي على الربوة التي تشرق من خلفها الشمس.. والتي يمتد وراءها طريق العودة وعلى الربوة.. وضعت نهي حجراً.. وعليه خوزة نفس الخوزة.. التي سلمتها

(1) إني راحلة، ص/ 406.

(2) المصدر نفسه، ص/ 439.

(3) طريق العودة، ص/ 28.

(4) المصدر نفسه، ص/ 53.

له عند ما خرج إلى المعركة"⁽¹⁾ فالوصف ليس وصفا فقط وإنما جمع فيه هدف الرواية بقوله يمتد وراءها طريق العودة وكأن الطريق إلى فلسطين طريق التضحية وهي أحبته، استشهاد لكنها لم تستطع أن تعود إلى بيتها لأن استشهاد الفرد وتضحيته لا يجر فلسطين فالبحر موجود في هذا المنظر الأخير من هذه الرواية أيضا.

ليس البحر وحده هو الذي يأسره ولكنه يحب النهر أيضا وخاصة "النيل" ففي روايته (نحن لا نزرع الشوك) يأخذ (علام) سيدة للنزهة في النيل "انزلق القارب على صفحة النيل وعلام يضرب الماء بمجدافيه.. وسيدة ممسكة بخشبة الدفة في اهتمام وحذر.. وهبت نسمة رقيقة تعادلت برودتها مع دفء أشعة الشمس المنحدرة نحو الغروب"⁽²⁾ فكما ذكر شاطئ البحر وشروق الشمس معا فجمع هنا بين مياه النيل والقارب وضربات المجدا فين والهدوء ورذاذ الماء المتناثر نتيجة ضربات المجداف بل يفتخر بنهر النيل مع الأنهار الأخرى ففي روايته (ليل له آخر) يقارن بين (النيل) ونهر (بردى) الذي يجري في سوريا ولكنه في نفس الوقت يعترف بأن (جبل المقطم) المصري أقل طولاً وجمالا من (جبل قاسيون) السوري والحوار التالي بين حسان ونادية خير دليل على ذلك "وقال حسان مازحا وهو يتلفت حوله مشيرا إلى المقطم:- أتعثرون المقطم جبلا؟ ونظرت نادية إلى النيل العريض المنسبط في الوادي أسفل الجبل وقالت ضاحكة وهي تقارن بينه وبين بردى:- أو تعثرون بردى نورا؟ وضحكنا جميعا وقال ((حسان)):- سنعتبر مقطمكم جبلا وتعثرون بردانا نورا"⁽³⁾ والبحيرة في سويسرا تلعب دورا هاما في النهاية السعيدة لروايته نادية حيث هرب دكتور مدحت حبيبته نادية عن طريقها بعد أن أغلقت فرنسا حدودها للمصريين بسبب الحرب والسباعي يصف لنا البحيرة والليل والبرودة معا حيث يقول "ووصل الاثنان (جمال ومدحت) إلى ساحة البحيرة وكانت الظلمة قد سادت وصقيع الليل وبرودة البحيرة تلسع الوجوه والأطراف وبدا القارب

(1) طريق العودة، ص/ 302.

(2) نحن لا نزرع الشوك، 2 / 396.

(3) ليل له آخر، 1 / 233.

تحت الأشجار.. وأخذ القارب يشق طريقة في سكون الليل وسط البحيرة⁽¹⁾ فالسباعي عاشق للطبيعة فليست المياه والرياح والرمل تجذبه إليها ولكن الأشجار والجبال والثلوج هي التي تجبره أن يجعلها جزءاً من رواياته وشجرة السنديان قرب المحطة لها تأثير في نفس نادية "ووقفت ((نادية)) وسط حجرتها.. المطلة على المحطة وبدا لها سقف المحطة المنحدر.. وجزء من الرصيف وسور المحطة الممتد بجواره القضبان وفوق كل هذا امتدت سندياته ضخمة تهدلت بعض أغصانها فحجبت جزءاً من بناء المحطة واستقامت بقية الأغصان لتحجب جزءاً من السماء والسحب.. وسرى حفيف بين الأغصان.. خيل إليها أنه نفس الحفيف.. كأنما تهمس به الأوراق هناك لتردده الأغصان هنا"⁽²⁾ وفي روايته (ليل له آخر) شجرة الجوز في بيت سهير حيث وصفها السباعي "وأبصرت المياه تندفق مندفعة في العدير الذي أقيمت عليه العريشة أسفل شجرة الجواز الضخمة العشيقة بأوراقها الخضراء المتكاثفة"⁽³⁾ وفي نفس الرواية يجمع السباعي جمال دمشق وبيروت على لسان سهير وهي على متن الطائرة حيث تقول "واتجهت الطائرة إلى بيروت وتركت الجبال الصفر المحاطة بالمزارع المترامية في الوديان حول مجاري المياه وأخذت الخضرة تكسو السفوح والقمم وسرعان بدأ السهل الأخضر الذي ينبسط حتى جبال لبنان التي قممها الثلوج البيض تتلاحق على وجهها هنا وهناك"⁽⁴⁾ وموضوع الوصف عند السباعي طويل، يحتاج إلى دراسة خاصة، يصعب ذكر وصف الطبيعة بأنواعها المختلفة التي جعلها السباعي جزءاً في رواياته فننقل مثلاً كيف يرى منظر الثلج في طريق بيروت من دمشق "وأخذ الطريق يتصاعد بين السفوح البيض.. وبدأت الجبال على جانبيه كأنما قد سكب عليها الحليب.. بيضاء ناعمة بلا صخور ولا حصى ولا جروف فقد لفها الثلج بوشاح منبسط ممدود أخفى من وجه الأرض كل ما به من

(1) نادية، 2 / 650-651.

(2) المصدر نفسه، 1 / 272.

(3) ليل له آخر، 1 / 21.

(4) المصدر نفسه، ص/ 226-227.

ندوب.. وبدت الأشجار على سفح الجبل وقد كلل الثلج هاماتها.. كأنما كللت بالزهر الأبيض"⁽¹⁾ وكانت تجربة سهير مختلفة في لندن مع الثلوج من تجربة سامي وهدى وهما في طريقهما بالسيارة إلى بيروت حيث استقبلها البرد والضباب والريح والمطر عند وصولها هناك بعد تعب السفر الطويل لغرض العلاج وأخيرا نذكر وصف السباعي لليل في (رد قلبي) وبطل القصة (علي) في ميدان الحرب، في إحدى الواحات في الحرب العالمية الثانية وهو بعيد عن الأهل والحبيبة في الصحراء منذ فترة طويلة "وغادر ((علي)) حجرته وقد أحس بحنين شديد إلى الليل الساكن الفسيح بنجومه الرانية وأشجاره الهامسه.. وسار في الحدائق المتكاثفة وسط النخيل وأشجار الزيتون وأحس بمشاعره ترفه وأحاسيه ترق.. حتى كاد الطيف الحبيب يتجسد.. وانتهى به السير إلى العين.. وقد أحاط بها الحوض المستدير.. واجتمع على مقربة منها بعض الأهالي وجلس على حافتها.. ينصت إلى ((ناي)) انبعث في سكون الليل هادئا عميقا وأحس من الصوت المنبعث.. والنسمة السارية.. والخزير الجاري.. كأن روحه قد غمرت في ماء طهور.. أزال عنها كل أدرانها"⁽²⁾

والحديث عن الطبيعة عند السباعي طويل يحتاج إلى بحث مفصل حتى يحيط هذا الجانب في أعماله القصصية والروائية ونكتفي بهذا القدر خوفا من إطالة الموضوع في هذه السمة وننتقل إلى سمة (اللجوء إلى الماضي وتمجيده) لأن الرومانسيين اهتموا بها اهتماما لأسباب مختلفة.

(1) جفت الدموع، 2 / 315.

(2) رد قلبي، ج/ 2، ص/ 580-581.

اللاجوء إلى الماضي وتمجيده

يميل الرومانسيون إلى الماضي ويؤرخونه ويمجدونه وقد تكلمنا في هذا الموضوع في تعريفنا للرواية التاريخية عند يوسف السباعي وحاول السباعي ككاتب رومانسي أن يؤدي واجبه نحو الوطن والأمة فنجد أنه ألف سبع روايات في هذا الجانب وكلها تتحدث عن القرن العشرين أي أنه لم يختز موضوعات رواياته من القرن الذي عاشه فهو ولد بعد الحرب العالمية الأولى وعاش زمن احتلال الانجليز وشاهد عهد الملكين الأخيرين من ملوك أسرة محمد على باشا والحروب الإسرائيلية العربية كانت من موضوعاته أيضا حيث يقول في حوار صحفي مجيبا عن هدف من تقديم رواياته التاريخية "الظروف حملتني مسؤولية أن أعيش في تجربة هي تجربة العمر والقدر جعلني قادرا على التعبير عن هذه التجربة إذا لم أعبر عن هذه التجربة اعتبر أنني تخيلت عن مسؤوليتي"⁽¹⁾ نرى أن السباعي قد أدى واجبه نحو الوطن والقومية العربية ككاتب رومانسي ولكنه في الوقت نفسه تأثر بطابع آخر وهو تأثره ولاجوءه إلى الماضي كشخصية ونتحدث عن السباعي ورواياته من هذا المنطلق أيضا ولكننا نبدأ بقضايا فلسطينية في ضوء اللجوء إلى الماضي ففي رحلة جبلية قرب حدود سورية يذكر السائق سهير (الأسطى على) بأن بيته قريب من هناك الذي احتله الاسرائيليون "سمعت صوتا يهدر في حماسة:- وتلك هي قريتي.. هناك.. وراء ذلك المنحدر في أقصى اليسار وصمت ((الأسطى علي)) برهة يلتقط أنفاسه.. وتهدج صوته.. والتفت إليه فوجدته.. يقف بشعره الأشعث الأشيب.. وقد اشرب ببصره إلى الأفق حيث بدت وسط الضباب الخفيف بضع قباب وأبنية بيض في أقصى المزارع التي امتدت أمامنا.. -وراء هذه القباب توجد السوق.. والطريق المؤدي إلى بيتي.. وأمامه شجرة الزيتون العجوز.. موطن أبي وأمي ومرتع صباي"⁽²⁾ فأخرجنا السباعي من جو التنزه وجعل بلجوء (الأسطى على) إلى

(1) الروايات الثلاثة، ص/ 190.

(2) ليل له آخر، 1/ 298.

ماضيه يشعر الآخريين بمسؤوليتهم نحو الأرض المحتلة ولا تختلف (نهي) الفتاة الفلسطينية المهاجرة إلى مصر وهي تمسك السكن لتخرج من البيت لقتل اليهود الإسرائيليين لأنها تذكرت ما فعلوا بأسرتها عندما هاجموا أسرتها في فلسطين "لم تجلس نهي وأجابت متوسلة والدموع تخنقها: - لا أستطيع أن أجلس.. عندما جلسنا أول مرة.. دخلوا علينا وذبحونا.. لا يجب أن ننتظر حتى يصلوا إلينا.. لا يجب أن نجلس لنصطلي أمام المدفأة.. وهم يدقون أبوابنا.."⁽¹⁾ فهي بلجوءها إلى الماضي استمدت قوة وأجبرت الضابط إبراهيم أن يواجه العدو بدلا من انتظار أوامر القيادة والجلوس في جلسة غرامية في البيت مع زوجة الضابط مراد وفي (ابتسامه على شفعية) ينقل لنا السباعي صور القدس القديمة قبل سقوطها بيد الإسرائيليين ثم ينقل لنا معاناة الأسر، بأفرادها تحملوها من أجل الأرض المقدسة "وضاعت الجولان.. والضفة الغربية.. وسيناء وضاعت معها القوات العربية.. وبعد أيام سوداء كأنها الكابوس.. أو الحلم الثقيل، أيام من الضجيج والدوى والصرخ والسهر والحيرة والجزع والتوتر، وجد الشيخ عبدالسلام نفسه يقف بباب داره.. وقد بدا كل ما حوله كأنه خرائب وأطلال وصوت جنازير الدبابات الإسرائيلية يقطع الطرقات.. وصيحات الجنود الإسرائيليين تتعالى هنا وهناك وجنث تترامى على الأرصفة.. وبقايا دبابات محترقة في جوانب الطرقات.. ارتدت قوات العرب.. تحت حمم الطائرات والمدافع والدبابات"⁽²⁾ فهو يمجّد مقاومتهم ب (جنث تترامى على الأرصفة) ويلجأ إلى ذكر الأيام كانت جولان وال الضفة الغربية وسيناء للعرب ويصور السباعي شجاعة الطفل يطلب من أبيه أن يسمح له "والله يا أبي أستطيع أن أحارب.. أستطيع أن أضربهم بحجر.. أو حتى أعضهم وضمه الرجل قائلا:- سيأتي يوم يابني.. ولعلكم تستطيعون ما لم نستطعه نحن.. اصبر"⁽³⁾ ولا يتزوج عمار ويهب حياته للمقاومة بعد عودته من السجن ولا تسافر (أميرة) للزواج إلى مصر "أذهب وأترك البلد في هذه

(1) طريق العودة، ص/ 268.

(2) ابتسامه على شفعية، ص/ 125.

(3) المصدر نفسه، ص/ 127.

الظروف.. أترك أهلي في هذا البلاء"⁽¹⁾ فالتضحيات مستمرة لأجل فلسطين وهذا على سبيل المثال أمّا على الصعيد الشخصي فلجوءه إلى حبّ والده وشخصيته حيث استمر في ذكره في روايته (نحن لا نزرع الشوك) وحينه إلى طفولته حيث كتب عن جنينة ناميش في قصص مختلفة وكان عاشقا للحياة العسكرية نجد تفاصيلها في روايات مختلفة ففي روايته (رد قلبي) ذكر التدريب العسكري ونظام المدرسة العسكرية والوصول إلى الوحدات العسكرية والمهام العسكرية الأخرى ولكنه في روايته (إني راحلة) جعل أحمد الضابط العسكري بطلا لروايته وحكى بعض التفاصيل من الحياة العسكرية وفي كتاب سيرته الذاتية (من حياتي) تكلم عن الحياة العسكرية أيضا فمثلا في قصته (غراب على الشجرة) تحدث بأنه كيف تعلم العجل في الكلية وهي الطبوغرافيا الخ ويبدو أنه كان يستمد قوته من ماضيه واللجوء إلى الماضي قد يكون بسبب اليأس الذي يصيبنا أو قد يكون الحزن هو الذي يجبرنا أن نستلذ بأحداث من الماضي حتى ننسى مرارة الواقع الذي لا مفر منه مثل أم سامية التي تزوجت بشاب من سلك سياسي وسافرت معه إلى الخارج لكنها لم تستطع أن تنسى حبتها لحبيبها الكاتب فكانت تستعين برسائل الحبيب في المنفى - وفي روايته (رد قلبي) سافر (علي) إلى الاسكندرية "وأحس ((علي)) بنسمات الإسكندرية الرطبة تفتح وجهه وتحمل إليه أعذب ذكرياته.. وقد تتابعت على ذهنه صور اللقاء الأول في سان استفانو.. ولطمة الموجة في المعمورة وندت عنه زفرة حارة حملها حرارة جوفه"⁽²⁾ وفي (إني راحلة) كانت الساقية المهجورة موضع لقاء الحبيين فكلّما ضاق (أحمد) عن حياته عاد إلى الساقية "وأجاب وهو يجلسني بجواره في مجلسنا القديم:- كيف أتيت أنت؟ هذه هي المعجزة! أما مجيئي أنا فليس من المعجزات في شئ.. فليست هذه هي المرة الأولى التي آتى إلى هنا.. طالما جئت وحدى.. وقضيت الساعات في الوحشة والظلمة والسكون"⁽³⁾

(1) ابتسامة على شفثيه، ص/ 163.

(2) رد قلبي، 2 / 505.

(3) إني راحلة، ص/ 358.

ونكتفي بهذا، ذكر سمات الرومانسية في أعمال يوسف السباعي وحاولنا أن نلقي الضوء ونستشهد بنصوص أدبية من روايات السباعي لنؤكد أن السمات التي عرفناها في الفصل الأول من هذا الباب متوفرة في أعماله الأدبية والسمة الأخيرة التي ركز عليها الرومانسيون فخصصنا لها فصلا أخيرا من هذا الباب وننتقل بذلك إلى الفصل الثالث والأخير من هذا الباب حتى نرى كيف كانت المرأة عند السباعي بأدوارها المختلفة وكيف وصفها في أعمار مختلفة وكيف وصفها في أعمار مختلفة من العمر وكيف شرح خفايا أفكارها وكيف كان بارعا في تصوير مشاعرها ومشاكلها حتى تفهم أحوال المرأة المصرية والعربية في نهاية النصف الأول من القرن العشرين وما التطور الذي حصل لشخصيتها من خلال الحروب وما هي التضحيات التي قدمتها خلال العقد السادس والسابع من القرن الماضي لأجل أسرتها ووطنها وكيف شاركت في بناء الوطن وتقدمه.

الباب الثالث

الفصل الثالث: المرأة عند يوسف السباعي

صور يوسف السباعي المرأة المصرية والعربية والأجنبية في أعماله الأدبية واهتم اهتماما خاصا لتقديم آراءها وفي إبراز شخصيتها وتكلم عن مشاكلها في بيئة مصرية وحاول أن يكتب حول ما يدور في أذهان الفتيات والسيدات وهن يعاملن الرجال وكتب عن مشاركتها في بناء الوطن واستمرار المقاومة ضد أعداء الوطن وألف قصص وفاءها وشاركها همومها وأفراحها وصورها وهي تتحمل مرارة الحياة وفراق الحبيب والبعد عن الوطن ويظهر اهتمام السباعي للمرأة من حيث أعماله الأدبية حيث خصص مجموعته القصصية "اثنتا عشر امرأة" ومجموعته الأخرى "ست نساء وستة رجال" ومسرحيته الشهيرة "جمعية قتل الزوجات" بالإضافة إلى مسرحيته الأولى "أم رتيبة وهذا الاهتمام استمر في اختيار أسماء رواياته كذلك ومنها نادية و"فديتك ياليلي" و"رد قلبي" و"إني راحلة" و"لست وحدك" الخ من الأسماء تدل على اهتمام يوسف السباعي من هذه الناحية.

أما من حيث الإهداء فأهدى أعماله الأدبية إلى السيدات أياضاً منها والدته وزوجته والمغنية المصرية المعروفة أم كلثوم الخ من الشخصيات تأثر بهن في حياته ونقل السباعي رأى د. بنت الشاطي عن مشاركته للكتابة عن المرأة في مقدمة مجموعته القصصية "ست نساء وستة رجال" حيث يقول:

"وثمة شئ آخر شجعتني على الكتابة عن النساء.. وهو أن الدكتورة ابنة الشاطي نفسها.. كتبت إلى رسالة خاصة بعد أن قرأت (إني راحلة) تقول: إنها كانت تنتقد فيما سبق كتابتي عن النساء وإفراطي في الكتابة.. ولكن بعد قراءتها لهذا الكتاب وجدت أنني أستطيع أن أكتب عنهن كما أشاء وأن أفرط في الكتابة كما أشاء".⁽¹⁾

فالحديث عن المرأة عند السباعي موضوع طويل ويحتاج إلى دراسة مستقلة قد تكون عنوان رسالة ماجستير أو أطروحة الدكتوراه فخصصنا أربع روايات اجتماعية ليوسف السباعي حتى نستطيع أن نشرح بعض شخصياته النسائية لأن الرواية

(1) ست نساء وستة رجال، ص/ 3.

الاجتماعية توفر عادة المجال الأوسع للكاتب عن وصف شخصياته وتحليل أفكارها والحديث عن خبايا صدورها فهذه الروايات هي:

1. أرض النفاق
2. بين الأطلال اذكريني
3. السقامات
4. نحن لا نزرع الشوك

1. المرأة في (أرض النفاق)

تجسدت صورة المرأة في هذه الرواية بشخصيات خمسة وهي: الخادمة، والحماة، والزوجة، والعشيقة، والشحاذة

سخر السباعي من المجتمع المصري في حديثه عن الخادمة التي كانت تشتغل في بيت البطل وكانت تضرب كل يوم وربط ضرب الخادمة بسلوك الحماة وإساءتها نحو الخادمة ويتحدث السباعي عن صراخ الخادمة الصغيرة قائلاً "فكان أول ما صدم أذني، صوت صراخ الخادمة ولم يكن صوت الصّراخ بالشئ الغريب الواقع في أذني فقد ألفتته من طول ما سمعته فقد كنت أسمعه بمعدل مرّة في كل نصف ساعة"،⁽¹⁾ وهذا ما يدل على أن الخادمة مظلومة وضربها كان أمراً تعود البطل على مشاهدته ومنع المجتمع من مثل هذه الإساءة يحتاج إلى الشجاعة غير العادية كما فعل ذلك بطل الرواية تحت تأثير مفعول الشجاعة.

أما الحماة فصوّرها الكاتب تصويراً يرثى لها حيث ذكرها أكثر من مرّة ولكنها في كلّ مرة تظهر بصورة سلبية، ظهرت الحماة في الرواية وهي تضرب الخادمة "ضمن الأعمال الجليلة التي تؤديها حماتي، بشغف وإخلاص وإتقان في حياتها الملائي بجلائل

(1) أرض النفاق، ص/ 32.

الأعمال هو ضرب هذه الخادمة الصغيرة"،⁽¹⁾ وصوّر نفسيّتها أن ضرب الخادمة يخرجها من الكبت وهذا الظلم يريحها نفسيا وإن لم تجد مخرجا لأخراج غضبها لأصاب ذلك أفراد العائلة فإذا هي شخصية مريضة "إنّ السيدة عصبية متوترة النفس سريعة الغضب والانفعال أو قل إنها تحب الغضب والانفعال فهي تبحث عن كل ما يثيرها ويحلقها ويغضبها وتتجنب كل ما يبعث في نفسها الهدوء والسكينة وتأتي أن تريح نفسها".⁽²⁾ عندما منعها البطل فتركت الخادمة وشتتت زوج ابنتها ولعنت أباه حتى أرادت ضربه ورفعت العصا لتلقيه درسا حتى لا يتدخل في أمرها مرة أخرى وكان الرجل الذي تحمل إساءتها طوال السنوات كان بحاجة إلى شجاعة غير عادية ليحسم أمره مع حماته والشجاعة العادية لم تستطع أن تجربه على ما قام من منع الحماة ومقاومتها وذكرها مرة أخرى وهو عائد في قميص نسائي إلى البيت بعد أن أهدى ملابسه للطلاب الجامعي الفقير فوقفت حماته ضده فزاد الأمر تعقيدا ويبدو أن كرهه للحماة لم يقف عند هذا الحد وكأنه يشير أن مصر كلها تعاني من (ظاهرة الحماة) لأنه نقل الأنباء الواردة في الجريدة بعد أن زال النفاق من قلوب الشعب بعد أن شربوا الماء ومنها نبأ "قتل ما يقرب من ألف وخمسمائة حماة"،⁽³⁾ كأن الشعب كله كان في حالة النفاق تجاه شخصية الحماة ويستمر في سخريته حيث يحكي لنا قصة موت حماة علي أفندي الذي رماها من الطابق الرابع وماتت ويأسف أنه يسكن في الطابق الأول.

"أنت زعلان على حماة علي أفندي؟ لا.. أنا زعلان لأني ساكن في الدور الأول"،⁽⁴⁾ أما الزوجة فهي ظهرت في الرواية تمثل طبقات المجتمع فهناك امرأة في مركز الشرطة تشتكي زوجها يضربها منذ سبعة أيام ولا يتوفر لها ولأولادها أبسط الحاجات ولكن الشرطة ترسلها مع زوجها ولا تدقق في الأمر فيضربها زوجها على سلم المركز

(1) أرض النفاق، ص/32

(2) المصدر نفسه، ص/32-33.

(3) المصدر نفسه، ص/252.

(4) المصدر نفسه، ص/247.

وعندما يتدخل بطلنا ويحاول إنقاذها من ظلم زوجها "وحدث الأمر الطبيعي الذي تعرفونه كلكم والذي يحدث دائما في مثل هذه الظروف... فلقد كف الرجل عن ضرب امرأته وكفّت المرأة عن الاستغاثة وإنهال الاثنان على بالضرب".⁽¹⁾

فهي المرأة المظلومة والظالمة في آن واحد- اختارت طريق القانون لاسترداد حقوقها ولكنها في الوقت نفسه لم تتحمل إهانة زوجها الذي يهينها كل يوم ويضربها ويتركها وأولادها بلا طعام ونقود والمرأة الثانية التي تكلم عنها السباعي هي امرأة في الملابس الريفية تشارك زميلها في عملية خداع الناس "امرأة ريفية تدلى ثوبها الأسود فغطي الأرض من حولها.. ولفت رأسها بشال أسود... وكان منظرها يؤكد للناظر أنهما قدأتيا من الريف"،⁽²⁾

لم يحدد السباعي علاقة الرجل والمرأة ولكنها مشاركة في جريمة مع زوجها كما يبدو من وصفها والزوجة الثالثة هي زوجة أحد أقاربه من بعيد، زوجة رضيت بكثرة الأطفال وفقر الزوج وتهتم كل الإهتمام لإرسال أطفالها إلى المدارس وتفني نفسها في تربيتهم.

والزوجة الرابعة هي زوجة بطل الرواية التي غضبت من تصرف زوجها وظنت أنه عاد إلى البيت في ملابس عشيقته "وقد تطاير من عينها شرر مخيف... وبدأت كأنه قد ركبها مائة عفريت.. أو كأنها عاصفة على وشك الهبوب... أو حيوان مفترس سيتحفز للانقضاض علي... ورأيته تضغط على أسنانها وقد زوت ما بين حاجبيها ونظرت اليّ نظرة مفترسة ملؤها السخرية والاثام".⁽³⁾

فهي الزوجة الوفية لزوجها وتغضب للحفاظ على كيان أسرتها، وتدفع يد زوجها الذي تقدم لتهدئها بحكم غيرتها ولكنها تنفجر بالبكاء على ذلك الوضع.

(1) أرض النفاق، ص/ 43.

(2) المصدر نفسه، ص/ 150.

(3) المصدر نفسه، ص/ 173-174.

وفي حديثه عن الحزن ووضع الحد للحزن يرى الكاتب أن الناس يجب أن يقاوموا
ازدياد الحزن مهما يكون نوع الحزن وأسبابه وإلا لا تطاق الحياة فذكر قصة امرأة ماتت
زوجها وأطفالها في حادث سيارة ولكنها بعد فترة قصيرة كانت مستعدة للزواج الثاني
"المرأة التي كنت أخشى عليها من الموت حزنا.. لم تمت ولم تجن.. بل هي توشك أن
تلف!"⁽¹⁾

تكلم السباعي بعنوان (في جنازة) عن النفاق الذي يظهره المجتمع بمناسبة وفاة
الرجل حتى لا تسلم منه زوجة الميت فكان يعرف عن زوجة المرحوم أنها سليطة اللسان
كانت سبب انزعاج المرحوم امرأة تميل إلى الشر والأذى ولكنه رآها تبكي على زوجها
وتصرخ في فراقه ولكنها بعد مازال عنها النفاق، ظهرت كما كان يصفها زوجها وكان
اهتمامها بالخروف المذبوح أكثر من اهتمامها بالزوج الراحل فوصفته بأقبح الأوصاف
ودعت عليه بالجهنم ودعت على الخطابة التي خطبتها له وزال النفاق من النساء
الأخريات أيضا فتحدثن في أمور شتى غير الموت والميت، وكأن لا صلة لهن به بعد أن
كشفت نفاق الأرملة.

وتكلم كذلك عن معاملة الحكومة بالأرامل وركز على أن الحكومة لا تنظر في
قضاياهن بأنهن أرامل الموظفين، الحكوميين بل تفرق بينهن حسب درجات الموظفين
فقدان بين زوجتي الموظفين أحدهما ابراهيم عبدالواحد وتطلب زوجته زهرة عبدالحميد
"تنازل الحكومة عن نصيبها في معاش زوجها الراحل لأن كل ما سيبقي لها من المعاش
هو أربعة جنيهاً".⁽²⁾

ولكن الحكومة لم توافق على تنازل عن حصتها وهو جنيهان حتى لا تكون عبئا
على ميزانية الدولة بينما وافقت الدولة على صرف مبلغ "ألفين من الجنيهاً لأرملة
المرحوم فلان باشا!!!"⁽³⁾ وكشف عن أسرار المكاتب الحكومية فكتب عن أرملة توفي

(1) أرض النفاق، ص/ 192.

(2) المصدر نفسه، ص/ 78.

(3) المصدر نفسه، ص/ 79.

زوجها قبل سنة ونصف ولم تستلم حقها القانوني لأنها لم تكتب "اسم المأذون الذي عقد قرآن الأرملة المذكورة على زوجها المرحوم منذ ثلاثين عاما على الأقل، أي والله هذا هو السبب". (1)

أما العشيقه فوصفها بأسلوب يجمع بين ذكر الجنس وأسلحة العساكر، كأنه ينظر إليها نظرة عسكري "جارتني التي أعلنتها على حربا شعواء.. ونصبت لي من عينيها مدفعى برن... سريعي الطلقات.. لا اكاد أقف في النافذة حتى ينهال على وابل من النظرات شديدة الفنك محكمة التصويب لا ترضى بغير القلب هدفها.. أما شفتها فقد جعلت لي منهما قاذفات للهب.. أما صدرها فقد ركبت به قنابلها الشديدة الانفجار... قبلتين قد رفعت عنهما طابة الأمان... فهما عرضة للانفجار في أي لحظة لا باللمس... بل بمجرد النظر". (2)

واستمر في وصف جسدها ودفاعه أمام هجومها المسلح وكان ضميره هو الذي كان صدّ عن تلك الشجاعة وأوقفه عن التقدم ولكن كان ذلك في الزمان الشجاعة العادية لكنه بعد أن شرب من مسحوق الشجاعة ودّع الجبن فوصل إلى غرفتها "قد جمعني وإياها حجرة واحدة... ولم يكن الشيطان ثالثنا لأنه كان أحدنا". (3)

وفي حديث الكاتب عن زيارة البطل لمجمع الشحاذين، يعرفنا ببعض الشخصيات ومنها امرأة عجوز كانت تدير ذلك المجمع تدعى نودق "الحاجة نودق (بفتح الدال) رئيسة المجمع... وشيخة الشحاذين"، (4) وعرفنا بامرأة كانت تمثل دور ضريبة بمساعدة الطفل الذي كان يقودها وأشار كذلك إلى خيانة امرأة قتلها زوجها ثم جن ولكنه لم يقدم تفاصيل القصة من خلال هذه الرواية.

(1) أرض النفاق، ص/ 81.

(2) المصدر نفسه، ص/ 94-95.

(3) المصدر نفسه، ص/ 100.

(4) المصدر نفسه، ص/ 129.

2. المرأة في (بين الأطلال اذكريني)

كتب السباعي عن المرأة بأسلوبه الجذاب فلا نبالغ إذا قلنا إنها هي التي تلعب

الأدوار الرئيسية في الرواية فأدوارها في الرواية هي:

أ. الأم

ب. الخالة

ج. بنات العم

د. الابنة

هـ. المريية

و. الخادمة

ز. الممرضة

ح. الصديقة

ط. الحبيبة

ك. الزوجة

وهذه الشخصيات كثيرة فنتحدث عن بعضها فقط

أ. الأم

هذه الرواية تدور حول شخصية الأم وهي التي تؤثر في أحداثها تأثيراً مباشراً

ففي بداية القصة هي أم تقليدية جرّبت الحياة بكل مظاهرها فتتصح ابنتها الشابة سامية

بالزواج وتخبرها أن الشهادات لا تساعد كثيراً في تدبير أمور البيت "أنت لست في

حاجة إلى كل هذه الشهادات.. إن مصيرك إلى الزواج كمصير أي فتاة ولن تكون

الدكتورة التي ستتعين نفسك في الحصول عليها بذات أثر كبير".⁽¹⁾

(1) بين الأطلال اذكريني، ص/ 13.

وهي تخاف كل امرأة على صحة ابنتها وتهتم بها أكثر من اهتمامها بدراستها وتسمع منها ما يدور في الجامعة كأنها صديقتها الحميمة فعرفت عن مدرستها الجديد قبل معرفتها بأنه تقدم إلى خطبتها ويريد الزواج بها وهي الأم التي تقلق على تأخر ابنتها فوجد أن سامية تخبر حبيبها بأن تأخرها يقلق أمها فعندما رجعت إلى البيت "فأبصرت أمها تنتظر في الشقة، ولم تكذبصرها حتى هتفت بها: سامية! لم هذا التأخير؟ كان يجب أن تخبريني أنك ستتأخرين حتى توفي على هذا القلق وتلك الوسوس"،⁽¹⁾ وتراقب تصرفات ابنتها بهدوء وحذر وتلاحظها بدقة فنرى أن سامية عندما أخبرت أمها بأن سوف تتزوج وتصبح لها الأطفال "وقع قولها في مسامع أمها موقعا غريبا فما تعودت منها التحدث بتلك اللهجة، بل كانت لا تكاد أمها تحدثها عن الزواج حتى تصدها".⁽²⁾

ولكنها تفاجئنا في الجزء الثالث من الرواية عندما تخبر ابنتها سامية أن حبيبها كمال ابنها وهي ولدته وعاشت مع والده ولكنها تركتهما بعد أن عرفت من صديقتها بأن حبيبها في المستشفى في غيبوبة يصارع الموت فذهبت لزيارته وتركت ابنتها مع خادمتها في البيت فلما أرادت صديقتها أن تستأذن زوجها قبل الخروج فقالت إني أكره زوجي.. وابني.. أكره الناس كلهم"⁽³⁾ علام الكره وهو الذي تزوجها رغم معرفته بأنها عاشت تجربة عاطفية قبل الزواج وساعدها في نسيان ذلك وهي التي أنجبت الطفل ولم يرغمها أحد فأين الأمومة، فالأم الشابة تختلف تماما من أم عرفناها في بداية القصة وتغلب عليها العاطفة فتذهب لزيارته في المستشفى وعندما أراد زوجها أن يمنعها بعد عودتها حتى لا تتكرر الزيارة فثارت فتركت بيتها وزوجها وتنازلت عن ابنها لتقوم بتمريض الكاتب، لم يعدها بالزواج وكان صرحها قبل زواجها بأنه لا يستطيع أن يتزوجها لأنه متزوج وله زوجة مريضة.

(1) بين الأطلال اذكيرني، ص/ 75.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه، ص/ 224.

فبذلك يترك لنا السباعي مجالاً للتفكير فهل يمكن أن يكون شعور الحب أقوى من شعور الأمومة فالقصة ترشدنا بأنها لم تحاول العودة إلى ابنها وإرضاء زوجها وكانت غير راضية من محاولة صديقتها التي زارت زوجها (بدون علمها) والتي باتت محاولة فاشلة فأخبرت سامية "لقد ساءني منها فيما مضى أن ذهبت إليه ترجوه الغفران"،⁽¹⁾ وتخبر أم سامية ابنتها عن رؤيتها وشوقها إلى لقاء ابنها "إني لم أر ابني الحقيقي منذ تركته فلقد تعاونت ظروف أبيه وقسوته على حرمانه منه... ولست أظني أشعر بشوق كبير إلى رؤيته... ولا بجنين إلى لقاءه، إني إذا أحببته الآن.. فسأحبه كزوج ابنتي"،⁽²⁾ فالغريب أن تحب ابنها لأنه يكون زوج سامية وهي ليست ابنته بل ابنة حبيبها الراحل من زوجته المريضة وهي التي ربتها فأم سامية ترى "إنها مسألة عشرة لا أكثر ولا أقل... إني لم ألدك... ومع ذلك لا أطيق عن فرقتك صبراً... وإني ولدته، ومع ذلك فإني واثقة أننا لو التقينا ولم أعرف أنه ابني ولم يعرف أي أمه... لمر أحدنا بالآخر مرّ الكرام".⁽³⁾

ب. الخالة

وشخصية الخالة في هذه الرواية شخصية سلبية ومزعجة ومريضة وشخصيتها معقدة تختلف عما تعودنا عليه في مجتمعنا لأنها تعتبر الأم في غياب الأم ولكن خالة أم سامية "امرأة قد خلقت جافة بطبعها عبوساً متشائمة، نفورا مستوحشة وقد زادتها ظروف حياتها تبرماً وضيقاً وجفافاً فهي لم تنجب بنين لزواج يحب البنين ويميل إلى البهجة والطرب والمجتمعات وهي شديدة القلق على نفسها دائمة الخوف من أن يفلت منها زوجها كثيرة الشكوك في الناس".⁽⁴⁾

فراها أنها أرسلت ابنة اختها إلى القسم الداخلي لمدرستها حتى تبعدها عن زوجها ولكنها كانت تدفع أجور المدرسة وتحمل مصاريفها فهي شديدة من جهة

(1) بين الأطلال اذكريني، ص/ 286.

(2) المصدر نفسه، ص/ 276.

(3) المصدر نفسه، ص/ 276.

(4) المصدر نفسه، ص/ 189.

ولكنها كريمة أيضا، نقل الكاتب رأى أم سامية عن خالتها ولكنه لم يقدم لنا ما كانت تتصوره خالتها من خلال معاملتها لها.

أتمت أم سامية خالتها بأنها أرغمتها على الزواج "كانت تدرك أنهم يتوقون كلهم إلى زواجها... والتخلص منها في أقرب وقت كانت خالتها تريد أن تتلخص من عبء مصروفاتها... وكان عمها وزوجته يجدان فيها عقبة كأداء في سبيل زواج ابنتيهما".⁽¹⁾

وإذا حللنا شخصية أم سامية فلا نصدق قولها لأنها هي التي تركت زوجها وابنتها بعد الزواج، هل كانت تستطيع الهروب من البيت مع عشيقها من اليت والإجابة أنها كانت لا تملك القرار النهائي لأن الكاتب لم يكن مستعدا ليتزوجها فلم تكن تملك إلا الموافقة لوضعها الاجتماعي آنذاك.

أما ضرب خالتها لها فكأن الكاتب صور شخصية حماة بطل (أرض النفاق) مرة أخرى وهي الصورة لا تختلف كثيرا في الشكل والمضمون حيث ذكرنا سابقا أنها كانت تضرب خادمته وفي هذه الرواية بطلة الرواية في سن خادمة (أرض النفاق) ويصف السباعي نفسية الخالة "كانت المرأة تجعل من الصبية مخرجا لكل همومها ومتنفسا لغضبها على حياتها القلقة اليائسة... لقد باتت تتوقع من المرأة كل ضروب الأذى وكل أنواع الشرور".⁽²⁾

ولكننا لا نرى في الرواية أن أم سامية راسلت خالتها وهي في الخارج مع زوجها أو زارت خالتها بحق القرابة بعد عودتها كأنها ابتعدت عمدا لأنها وجدت ملجأ لها ومكانا مريحا وزوجا تهتم بها كل الاهتمام ويتحمل مصاريف نفقاتها فلم تلتفت إلى أقاربها وخاصة خالتها وزوج خالتها التي امتدحته مقارنة بينهما وهما اهتما بها وتحملا مسؤوليتها بعد وفاة والدتها "إنها ذاهبة إلى بيت خالتها (زينب) فقد أنبأها زوج خالتها

(1) بين الأطلال اذكريني، ص/ 208-209.

(2) المصدر نفسه، ص/ 191.

(أحمد بك) أنها ستنزل في بيتهم وهي تحب (أحمد بك) فهو رجل طيب ودود حنون
حلو الحديث، لطيف المعشر". (1)

ووصف السباعي منظر لقاء الخالة بابنة أختها "وقفت بجوارها هيّابة وجلة،
ومدّت السيّدة ذراعيها فضمتها إليها وأغرقت وجهها بالدموع والقبل... لقد هزتها
الصدمة... وأبكاهها منظر الطفلة اليتيمة الوحيدة". (2)

لم تحاول أم سامية إعادة العلاقات إلى مجراها بعد زواجها ولم تذهب إليهما بعد
أن تركت بيت زوجها ولم ترجع إلى الخالة بعد وفاة الكاتب حيث كانت لا تملك من
أمرها شيئاً "ولم تك تعرف إلى أين تذهب؟ وماذا تفعل؟؟ وهي شريفة منبوذة... لقد
تركت بيتها وزوجها وابنها وهي لاتندم على ما فعلت ولا تفكر قط في العودة إليهم
وهي كذلك لاتستطيع العودة إلى أقاربها فهم لا شك قد لعنوها وتبرءوا منها واعتبروها
مجلبة للعار". (3)

فهي التي شكّت في نيات أقاربها ولكنها لم تذهب إليهم فالكاتب ألف هذه
الرواية وهو يعلو أهمية الفرد ويركز على إشباع رغبات الفرد على حساب المجتمع فقدم
لنا صورة أم سامية كأنها كانت مظلومة والمجتمع هو الذي ظلمها وكأنّ الأقارب لاحق
لهم في تصرفات ابنتهم.

ج. الابنة

ظهرت (سامية) في هذه الرواية، تمثل الشخصيات المختلفة فهي ابنة أم سامية،
لم تلدها وابنة الكاتب توفي قبل ولادتها وهي ابنة غريمة أم سامية ماتت بعد ولادة سامية
وهي حفيدة جد رجا حبيبة ابنه ليربي حفيدته بعد وفاة والديها.

(1) بين الأطلال اذكيرني، ص/ 187.

(2) المصدر نفسه، ص/ 188.

(3) المصدر نفسه، ص/ 244.

أما مواقف الحب في الرواية بين الابنة والأم فهي بين سامية وأم سامية، من حيث العائلة فهي لا تعلم إلا ما علمتها أم سامية لأن والدها توفي قبل ولادتها أما أمها وجدها فتوفيا وهي لم تبلغ السنة الأولى من عمرها "لقد واصلنا الحياة سويا... أنا وأنت وجدك حتى حانت منية جدك بعد عام أو بعض عام وبقينا في الحياة وحيدتين أنا وأنت" (1)

وهي الابنة التي تشارك أمها أحاسيسها وتناقشها في مستقبلها ولا تخفى عنها ما يدور في بالها وحياتها العلمية "لا تخشى عليّ... ستسمعين عني في الغد... سأجعلك أما لأول وزيرة في مصر إن لي أهدافا كبيرة.. سأحرر المرأة وأعطيها حقوقها". (2)

ونراها تغيب عن المحاضرات بسبب مرض والدتها فتبقى معها في البيت "أمها كانت أعز عليها من كل شيء ولم يكن هناك سبب -أيا كان- يجعلها تترك أمها في مرضها". (3)

وهي قريبة جدا إلى قلب أمها وفي حديثها مع أم سامية تقول لها "أنا وأنت مخلوق واحد وأقسم لك لو رأيته لأحبيته كما أحببته أنا ولوافقتني على الزواج منه". (4)

وهي تحبها كثيرا "إنك لدى خير من الدنيا بأسرها... إني أستطيع أن أجد زوجا آخر ولكني لا أستطيع أن أجد أما أخرى"، (5) وهي التي منعت أمها من زيارة أهل كمال حتى لا تهان كرامة أمها وكانت مستعدة أن تتخلى عن حبها لتكسب أمها "إنك أمني ولا أحتمل قط أن تقفي من أي حدّ موقف الرجاء والسؤال... حتى ولو كان من أجل مستقبلي". (6)

(1) بين الأطلال اذكريني، ص/ 275.

(2) المصدر نفسه، ص/ 13.

(3) المصدر نفسه، ص/ 49.

(4) المصدر نفسه، ص/ 78.

(5) المصدر نفسه، ص/ 277-280.

(6) المصدر نفسه، ص/ 280.

فهي الابنة لأمها وهي ليست أمها بل مربيتها ولكنها وقفت بجانب أمها في الأوقات الصعبة ولم تلمها على ماضيها ولا تخلت عنها بعد معرفتها بماضيها.

المرأة في (السقامات)

ظهرت (آمنة) في هذه الرواية حبيبة وزوجة فهي كانت خادمة في قصر إبراهيم بك جاد الكريم وصفها السباعي على لسان شوشة "كانت صبوحة مشرقة الوجه دائمة البسمة وكان إشراقها سريع الانعكاس في نفسي وبسمتها سريعة التردد بين جوانحي... فكنت لا أكاد أراها حتى تشرق مني النفس ويضحك القلب وتصفق الروح"،⁽¹⁾ وعندما كان شوشة يخبر ابنهما عن آمنة فوصفها بقوله "ذلك الجسد القوي والوجه النضير والثغر الباسم والعينان الضاحكتان المتلافتان..."⁽²⁾، فأبطال القصة بسطاء من الطبقة الفقيرة فشوشة -الحبيب- سقا كان يرى حبيته في المطبخ عندما يذهب لملا الأواني فيه أو يراها وهي تنزل لتطمئن على الشجرة التي غرستها بيدها والحبيبة، خادمة في البيت وتعب عن حبها الصامت عندما تقتصد من الطعام ويسعد بها أن يشاركها حبيبها في الطعام أو تدبر أمور حياتها بالحكمة من راتبها الضئيل تشتري لشوشة منديلا الخ فلاهتمام كثير والحب عميق والتعبير بسيط ويظهر الحب عندما مرض شوشة ولم يستطع أن يوصل الماء في بيوت الناس فلم تتحمل آمنة فراقها فذهبت إلى غرفتها التي كان يسكنها فيها وحيدا بلا أسرة، "وقبل الضحا سمعت طرقا على الباب فأمرت الطارق بصوت خافت بالدخول وإذا بي أفاجأ بآمنة تفتح الباب ببطء وحذر وتناديني في تردد وخشية وذهلت وأجبتها بقدر ما أستطيع من جهد كانت آخر من أنتظر دخوله... أما أن تترك هي عملها وتحضر إلى في البيت... فكان أمرا بعيدا عن تصوري"،⁽³⁾ فقدمت به الحليب وبعض البرتقالات وعالجته بخرقه ووضعتها على جبينه بعد أن

(1) السقامات، ص/ 300.

(2) المصدر نفسه، ص/ 298.

(3) المصدر نفسه، ص/ 301.

غمست الخرقه في طبق من الخلّ فلا نجد زيارة الطبيب والمستشفى ولا هناك وجود العيادة والأدوية ولم ينته الأمر هنا فجمع السباعي الفقر والحاجة والحب معا عندما اخبرها شوشة أنه لا يمكن للناس أن يستغنوا عن الحياة في اليوم الثاني وهو لا يستطيع أن يستعني عن النقود رغم مرضه فليس لديه الخيار إما الحياة مع المرض أو الموت بجوع فالكاتب هنا يجمع بين الحب والإشفاق والمشاعر وعدم التوفيق ولكن الحب يصنع المعجزات فأخبرته أن المياه ستصل إلى الناس وأن نقوده لن تنقطع عنه وخرجت هي لابسة السطيح حاملة القربة وشاهد حي الحسينية يومذاك لأول مرّة ولآخر مرّة فتاة تحمل القربة وتسير مثقلة بها... ولتجيب على الزبائن بان شوشة مريض وأنها تقوم بالسقية بدله حتى يبل"،⁽¹⁾ فأمنة ثارت على المجتمع وأعلنت بحبها له وفقدت وظيفتها أيضا لم تفكر بمستقبلها وعملها ولم تخبر شوشة أيضا عما حدث معها فلما علم شوشة ذهب إلى بيتها وطلب يدها من أمها "ولم تشرق شمس صباح اليوم التالي إلا وثلاثتنا أنا وآمنة وأمها قد ضمنا ذلك البيت الذي نسكن فيه في درب القط".⁽²⁾

أما آمنة الزوجة فمألت حياة شوشة بالحب وخفت عنه عبء الحياة وأشعرت زوجها بالراحة والاستقرار وتفانت في خدمة زوجها وكأنّ السباعي يرى فيها زوجة مثالية حيث كانت صابرة "كانت نموذجا للتضحية والوفاء والبعد عن الأنانية، كانت أقدر الناس على تبديد الهموم وطرد الأحزان وتسهيل الحياة وتخطي عقباتها، ما رأيتها قط شاكية ولا متبرمة... يملأ نفسها دواما الرضا والقناعة"،⁽³⁾ لم تحمل آمنة من زوجها في أول الأمر فبدأت زيارتها للأطباء وقبور الأولياء والمشايخ الخ من مظاهر الاهتمام بالموضوع، فأمنة هنا لا تختلف في تفكيرها من زوجة في المجتمع الباكستاني في هذا الجانب العاطفي وإن كان زوجها راضيا عنها.

(1) السقامات، ص/ 302.

(2) المصدر نفسه، ص/ 303.

(3) المصدر نفسه، ص/ 303-304.

تظهر عقدة الموت بعد ذلك عند السباعي فتموت آمنة بعد أن حملت وولدت (سيد) كأن تضحية الزوجة لا تكتمل عند السباعي إلا بموتها عند الولادة حيث وجدنا في روايته (بين الأطلال اذكريني) أن زوجة الكاتب الكبير تحمل رغم منع الأطباء عنه لإسعاد زوجها وتستمر في تحمل آلام الحمل وهو توفي دون أن يعلم أنها حامل وتخاطر بحياتها وتموت حتى يولد الوليد حيث لم يرزقا بطفل أو طفلة قبل وفاته فأمينة حبيبة رائعة وزوجة وفية مخلصه لزوجها، أحبها إلى آخر لحظة حياته ولم يتزوج بعدها واهتم بابنهما وبحماته أم آمنة وفاء بزوجته واستمرارا لحبه لها.

أما آمنة في دورها (الأم) فاقتصر دورها في فترة حمل (سيد) فقط فرحت كثيرا بوجوده في داخلها "ولا أظن أن هناك مخلوقا أصاب قدرا من السعادة كما أصابت هي في فترة حملك لقد كانت تشعر أنها تحمل أمينة عزيزة وحلما جميلا"،⁽¹⁾ ولكن أم آمنة دورها الرئيسي في صورة الأم حيث تربيّ ابنتها آمنة وتزوجها ولا تعترض على زواجها من شوشة وتقبل قضاء الله في ابنتها الشابة والحزن قد أثر فيها تأثيرا "ولقد حاولت جهودها التجلد والتحمل من أجلي وأجلك ولكن الحزن والدموع المناسبة في الليل الطويل، أفقدها البصر ولكن لم يفقدها الجلد والتحمل والبصر على رعايتنا، أنا وأنت، أو بقايا ابنتها الراحلة".⁽²⁾

فهي الجدة التي لعبت دور الأم مرّة أخرى في حياتها حيث أنست (سيد) دور الأم ولم يشعر الصبي يوما بأنه بلا أم فهي التي تغسل ملابسه وتوظفه للمدرسة وتعده الفطور وتحكي له قصصا قبل النوم وتشاركه الطفولة داخل البيت والحزن قائم في داخلها لا يرحل فهي تخاف عليه إن لم يخرج للعب مع زملاءه وتخاف أكثر إن تأخر في العودة ففي اليوم الذي سقط السقف على شوشة كانت قد خرجت إلى الباب لتنادي أحد زملاء سيّد لأنه تأخر بالعودة من مسقط زمزم وهي ظلّت مع سيد بعد وفاة والديه وتربيته وتشجعه نحو الحياة وكانت تفضل أن يأكل أكثر وتفرح إذا أعطته من حصتها

(1) السقامات، ص/ 305.

(2) المصدر نفسه، ص/ 307.

فكانت حريصة على إطعامه وكانت تقول إنه إذا أكل سيّد طعاما فهو الذي يسرّها أكثر مما تسرها أكلها ذلك الطعام بنفسها "وكانت العجوز صادقة في قولها مخرصة... فما أشبعها شيء كاللقمة التي يأكلها حفيدها... كانت تشعر في نفسها أنّها لو أصيبت بمجاعة في قفرة فليس أسهل عليها من أن تقطع جسدها قطعة قطعة كي تطعمه له". (1)

وأمّ علي هي الأم الثانية التي ظهرت في الرواية وهي جارة أم آمنة وكانت تهتم بها كل الاهتمام وهي أم الابن والابنة فكانت تعرف وتفهم حزن أم آمنة فلما عرفت أنّها لم تصعد للمشاركة في أفراحها "واندفعت أم العروس هابطة إلى أسفل وبعد هنيهة كانت تعود ساحبة العجوز الضريرة من يدها مفسحة لها الطريق بين المدعوات... وهي تغرقها بمظاهر الترحيب والتكريم". (2) وتساعد أم علي وتشجع ابنتها زكية لتساعد أم آمنة في أمور البيت وتجلسان بين حين وآخر معها لتؤنسا وحدتها.

و(ززم) هي المرأة التي خصص لها السباعي فصلا (الفصل الثاني) من هذه الرواية وسماها (في قبضة ززم) وصفها ومسمطها والأكلات التي تقدّم الصورة التي وردت في هذه الرواية.

"ولاحت لعينيه لافثة، فوق حانوت على ناصية الدرب كتب عليها (مسمط الحاجة ززم) وأسفلها كتب (ادخلوها بسلام آمنين)، وأسفل اللافتة استقرت (الحاجة ززم) على دكة خشبية في مدخل الحانوت وعلى سيمائها ما يناقض الآية المكتوبة على اللافتة، أو ما يشعر بفرط حاجة الداخل إليها، لم يكن يبدو على (الحاجة ززم) ما يوحي بسلام ولا أمن.. كانت امرأة شر بكل ما في معنى الكلمة" (3) ووصف جسدها وسخر به بقوله "تهدلت من حولها كتل اللحم المحيطة بها... وقد بدت طيات فوق طيات، كل طية تستقر متبدلة فوق الطية التي أسفلها وهي في جلستها على هرم..

(1) السقامات، ص/ 93-94.

(2) المصدر نفسه، ص/ 262.

(3) المصدر نفسه، ص/ 31-32.

وعلى قمة الهرم تستقر الرقبة والرأس، وفوق ذلك كله تبدو (الأمطة) الحمراء تعصب الرأس، وكأنها علم أحمر ينذر بالخطر الكامن أسفله"،⁽¹⁾ واختصرنا في ذكر وصف جسدها حتى لا نطيل بالموضوع، مدح الأستاذ عبدالعزيز الدسوقي وصف السباعي لحاجة زمزم زنقل بعض الأسطر منه في مقاله ثم أضاف قائلاً "هذه الصورة الدقيقة الحية التي يعجز الرسام عن نقلها بهذه الدقة والحيوية تدلنا على مدى ما يتمتع به يوسف السباعي من طاقة كبيرة في الوصف وعين لاقطة تلمح أدق الجزئيات، وريشة فنية صناع، تلون وتزخرف وتنمق..."⁽²⁾ وشبه السباعي زمزم بأنها في الدرب مثل الحجاج في الكوفة وكانت لسائها الطويل سلاحها ضد كل جميلة لأنها كانت تهتم كثيرا بجمالها الزائل ووزنها الزائد ما يقرب من مائة وخمسين كيلو وتركها زوجها بل ترك الحي وفرّ خارجه وتزوج بامرأة أخرى، بائعة الفول وكانت مستعدة دائما للشجار حيث وضعت بجانبها كوم حجارة لتضرب بها كل كلب يقرب من مسمطها أو تضرب بها من بعض صبيان الحيّ إذا حاولوا معاكستها فلذا سماها سيّد شيخة المعلمات وفتوة الحسينية (حي الحسينية). والحجارة كانت سلاحها الخفيف "وقبضت على السلاح الثقيل... سلاح الزبائن العصاة، الذين يساومون في الدفع أو يماطلون فيه وهو (شومة ثقيلة... تفرع بها (الدكة) بين آن وآخر على سبيل الإنذار والتحذير"،⁽³⁾ وتغير معظم عمال المسمط لأنها كانت شديدة في معاملتها فهي كانت تدعى أن شوشة ابنها وسيد حفيدها ولكنها كانت كاذبة في قولها وكان شوشة يعلم حقيقتها وكان يكرهها "لقد كانت تقول إنها أمه وأنه ابنها... لأنها كانت تعلم أن الابن لا يعطى أمه المياح بالثمن ولكن (شوشة) لم يندع بالعطف الظاهر وأصر على التباعد عنها وحرّم على ابنه أن يأخذ منها مليما واحدا"،⁽⁴⁾ وكان رأى شوشة فيها رأيا صائبا حيث نجد في نهاية الرواية أن شوشة المريض

(1) السقامات، ص/ 32

(2) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 129.

(3) السقامات، ص/ 36.

(4) المصدر نفسه، ص/ 35.

بلا نقود وليس لديه ما يشتري به للأكل والدواء فأرسل ابنه إلى زمزم "وسار الصمت برهة ثم قال الأب في صوت ضعيف، أناليه ريال عند الحاجة زمزم بقية حساب قديم، أوصل خده منها وروح اشترى اللي انتوعا وزينها... وإذا ما رضينش قول لها أن أبوياعيان ومحتاجينه، عشان نجيب بيه دوأ"،⁽¹⁾ وعندما ذهب سيد إليها فلم تقبل أن تعطي ريالا من حساب قديم وعندما أصر الابن ألا يعود إلى البيت إلا بريال فدفعته في صدره فسقط سيد على الأرض وضربه عاملها (جاد) أيضا فكأن الرحمة كانت بعيدة عنها كل البعد وكان شوشة يعرف سر مجاملتها ولكن الغريب أن السباعي لم يكمل قصتها حيث خصص لها فصلا كاملا ولكنها لم تظهر في الرواية بعد ذلك إلا في نهايتها ولا يعرف القارئ عن نهايتها وعلق الأستاذ كارنيك جورج على شخصية زمزم وأسلوب السباعي في مقاله حيث يقول "لقد اهتم المؤلف برسم شخصية (الحاجة زمزم) اهتماما كبيرا حتى جاء رسمه بليغا رائعا مثيرا، فحسبنا أن لها أثرا كبيرا في القصة أو أنها هي البطلة الأولى فيها، ولكننا وجدناها تختفي تماما عن مسرح القصة ثم تعود قبيل النهاية، عودة قصيرة، محيب آمال القارئ وهي مع ذلك عودة مفتعلة... كان الأوفق للكاتب ألا يكلف نفسه إعادة الحاجة زمزم وأن يجعل له حياة أخرى لإبعاد الابن من أبيه كما ينهدم البيت وهو عنه بعيد".⁽²⁾

المرأة في (نحن لا نزرع الشوك)

وتمتاز المرأة في هذه الرواية بغيرتها الفطرية وخوفها على هدم كيان بيتها وأسرقتها بالإضافة إلى أدوارها المختلفة التي أدتها في هذه الرواية فأم عباس خافت على بيتها عندما كبرت سيدة "أم عباس... الأنثى الوحيدة في بيت الحاج يرمى... كانت تكره أن تنبت إلى جوارها أنثى حقيقية... من هذا الجسد الأعجف الذي يبدو وكان الأيام

(1) السقامات، ص/ 317.

(2) الرسالة، ص/ 736.

قد فرغت له لتجعل منه... شيئاً مثيراً ولم تكن أم عباس لتعرف بالضبط ما أصبحت عليه سيدة حتى أبصرتها ذات يوم مجردة من هذه الهلاهيل التي تسترها... ووقعت أمامها... امرأة... لامرأة في الحمام"⁽¹⁾ أصرت أم عباس أن تخلع سيده ملابسها وتغسلها مع الملابس الأخرى وكان البيت لا يوجد فيه غيرها فعندما خلعت ملابسها فعرفت أم عباس عن الخطورة التي تكمنها سيدة تحت ملابسها "ولقد شعرت كما عبرت ببساطة أنها مصيبة... مصيبة أن توجد في البيت... امرأة... وعباس موجود... إنها لا تعرف ماذا يمكن أن يفعله عباس... إن لم يكن قد فعله... قد تصبح يوماً لتجد البنت حاملاً"⁽²⁾ فهي أحست لكونها أم عباس أنه يناها ولم تكن مخطئة في تحكيمها حيث كان عباس قد نالها قبل ذلك بقرش فوق السقف وحملت منه كزوجة شرعية بعد أن مارست البغاء بعد فشل زواجها الأول وبعد أن مكثت مدة زوجة غير شرعية أو عشيقة لأنور بك في شقته.

امرأة خافت على ابنها الوحيد ولكن تفكيرها أوصلها إلى أبعد من ذلك فبدأت تشك في زوجها أيضاً "هل يمكن أن تروق للحاج برعي؟.. إنه رجل جاد.. ومصلي.. وتقي.. ولكنها.. تعرف أنه له.. اختفاءات معينة.. لا تدري أين يذهب خلالها.. كل الرجال عيونهم فارغة... وهي تعرف أن زوجها يستملح.. إنه يكون أكثر مرحاً عندما تزورهم جارهم تحية يبدو لسانه أكثر ذلاقة ونكته أكثر حضوراً"⁽³⁾.

ولكنها في نهاية المطاف وجدت خطورة لعباس وعندما لم تعد إلى البيت لم تبحث عنها عائلة برعي رغم حاجتها إليها ولم يحاول العثور عليها الرجل التقي المستقيم الذي وعد أبا سيدة بأنه يربعاها ولما قابل عباس سيدة بعد مدة أخبرها أن أم عباس

(1) نحن لا نزرع الشوك، 1/ 114-115.

(2) المصدر نفسه، ص/ 119-120.

(3) المصدر نفسه، ص/ 120.

"قالت إن عينك فتحت.. ولم تعد منك فائدة وانتهى الأمر؟ حاول أبي أن يبلغ البوليس... ولكن أمي نهته..."(1)

وأحبت سيدة حمدي وهي خادمة في بيتها وكان يحزنها اهتمام حمدي لصفاء جارتها وصديقة أخته سميحة وبقيت على هذا الأمر حتى زارت صفاء العائلة بعد الزواج بسنين، عندما كبر ابنها وتخرج في معهد الصحافة "وانسحبت سيدة من الصالة إلى المطبخ ووقفت ترقب القادمة... السيدة السمينة التي وخط الشيب رأسها، هذه هي صفاء... وجلست صفاء.. فملأت الكرسي.. أخذ حمدي يرمقها... يبحث فيها عن طيف طالما أرقه"،(2) وعندما سمعت سيدة نبأ زواج كوثر بحمدي فكانت مشاعرها متضاربة "وعادت في المساء إلى بيتها... وبقلبها خليط من الحزن والرضا".(3)

والمعلمة توحيدة تخاف من سيدة على صديقها "عرفت أن أبو زيد هو رفيق المعلمة توحيدة.. وأن عمله هو الجلوس نهارا على المقهي أسفل البيت الذي فتحت توحيدة له لكي يصبح معلما.. على أن يمارس عمله الحقيقي ليلا مع المعلمة والمعلمة تصرف عليه كل ما يدخل لها... ولا ترفض له طلبا ما دام لا يلعب بذيله".(4)

وأبو زيد كانت عيونه فارغة وكان يبحث عن فرصة يستفيد فيه من اللحم الجديد، حديث الدخول في المهنة ووشت زميلاتها في المهنة إلى توحيدة بسبب حسدهن لسيدة على المال وكثرة زبائنها، كانت نكسب منهم تلك القروش وحاول أبو زيد مرة أن يقترب من سيدة فعرفت توحيدة فلما وصلت "فوجدت أبو زيد يحتضن سيدة وهي تحاول الخلاص منه فهتفت ساخرة ماشاء الله.. فرصة يا معلم".(5) فأخرجت سيدة من بيتها ومن الشغل في بيتها رغم اعتراف حبيبها أبو زيد أنه هو المسؤول عما حدث فلما

(1) نحن لا نزرع الشوك ، ص/ 228.

(2) المصدر نفسه، 2 / 783-784.

(3) المصدر نفسه، ص/ 726.

(4) المصدر نفسه، ص/ 493.

(5) المصدر نفسه، ص/ 518.

سأل توحيدة بأنها هل تغار من سيده "واحتارت توحيدة.. ماذا تقول.. هل تقول إنها تخشى على نفسها منها"،⁽¹⁾ وشفعت سيده زميلتها عديلة في بيت دلال عندما أرادت أن ينام حمدي معها تلك الليلة ففقدت سيده سيطرتها على نفسها ولم ترض دلال أن تستقر سيده مع أنور بك وهو زبونها القديم ولما زارت سيده في شقة أنور فحسدتها أكثر ولما خرجت من عندها خابرت زوجة أنور بك أن زوجها تزوج عليها "وشكا أنور إلى سيده... أن بيته انقلب إلى جحيم وأن أم عبده تكاد تجن... وهي تسمع يوما... إشاعة جوازه..."⁽²⁾

(1) نحن لا نزرع الشوك، ص/ 519.

(2) المصدر نفسه، ص/ 857.

الباب الرابع: دراسة فنية لإنتاجه الروائي الرومانسي

الفصل الأول:

الدراسة التحليلية لإنتاجه الروائي الرومانسي

الفصل الثاني:

الدراسة النقدية لإنتاجه الروائي الرومانسي

الفصل الأول:

الدراسة التحليلية لإنتاجه الروائي الرومانسي

وفي هذا الفصل نحاول أن نقدم دراسة تطبيقية لأعماله الأدبية فنحلل رواياته دراسة تحليلية في ضوء تطبيق عناصر الرواية ونتكلم كذلك عن ميزات رواياته التاريخية والاجتماعية بالإضافة إلى الحديث عن المآخذ عليه ما قدمه من أعمال خلال رحلة كتابته.

فتركز في هذا الفصل على المباحث الآتية:

المبحث الأول- عناصر الرواية عند يوسف السباعي

المبحث الثاني- ميزات أعماله الروائية

المبحث الثالث- المآخذ على كتابته

المبحث الأول: عناصر الرواية عند يوسف السباعي

وفي هذا المبحث نعرف كل عنصر من عناصر الرواية باختصار شديد ليساعدنا في تطبيق دراسة العناصر عند يوسف السباعي والعناصر هي:

أ. الفكرة

ب. الحدث

ج. السرد

د. الشخصية

هـ. البيئة

أ. الفكرة

الفكرة هي أساس الرواية لأنها هدف الكاتب، يريد أن يوصله إلى شعبه أو إلى فئة معينة من قراءه وولادة القصة عملية عسيرة يجب أن تنضج الفكرة في ذهن الكاتب قبل أن ترى النور على الصفحات بشكل السطور ويشير الأستاذ عبد الحميد جودة إلى أهمية الفكرة في كتابة الرواية في ضوء تجاربه الشخصية حيث يقول "فلكل قصة مدة حمل لا بد أن تعيشها في عقل المؤلف قبل أن ترى النور حتى إذا تم تكوينها ألت تريد الخروج وأن القصة التي تستوفي مدة الحمل تخرج سليمة واضحة الملامح نابضة بالحياة، أما التي تخرج قبل استيفاء مدة حملها فإنها

تخرج عادة جثة هامدة لا حياة فيها"⁽¹⁾ فالكاتب يعيش حياته اليومية مع وجود نمو القصة داخله ويختار لها الشخصيات ويؤخر أحداثها أو يقدمها حسب النمو الفكري ويعترف كاتبنا الأستاذ يوسف السباعي بذلك في مقدمة روايته الشهيرة (رد قلبي) حيث يقول إنه كتب تلك الرواية خلال سنة تقريبا وإن لم يتفرغ لمدة سنة كاملة لكتابتها بسبب مسؤولياته المختلفة ومع ذلك ورغم عدم تفرغي لها طول العام ورغم ما تحلل كتابتها من مختلف المشاغل فإني أستطيع أن أجزم أنني لم أنقطع عن التفكير فيها لحظة واحدة.. وأنها ألحت على ذهني إلحاحا.. دفعها إلى أن تشاركني حياتي.. ودفعني إلى أن أشاركها حياتها.. وملائي إحساسا مفرطا بأبطالها.. حتى باتت تربطني بهم صلات الأدميين وبت أشعر لهم بالحب والبغضاء والإعجاب والرتاء وأحزن لأحزانهم وأفرح لأفراحهم"⁽²⁾

وكان يعيش السباعي مع شخصيات روايته وخاصة ((أنجي)) "وهكذا استطاعت المخلوقة الوهمية أن تتغلب على كل المخلوقات الحيّة وأن تلح على مشاعري حتى تخرج بنفسها من نطاق أوراقني إلى نطاق حياتي"⁽³⁾ وفي بعض الأحيان ينتظر الكاتب الظروف الملائمة حتى يخرج ما بداخله بصورة العمل الأدبي وقد يطول الانتظار لها ويبدو أن ثورة الضابط هي التي وفرت له الفرصة حتى يقدم لقراءه صورة الطبقة الملكية الحاكمة آنذاك والفساد الإداري الذي كان يسود الدوائر المختلفة من المجتمع المصري قبل نهاية العهد الملكي ويصعب القول أنه لم يفكر في هذا الموضوع قبل سنة 1954 لأنه حسب قوله "أنني خلال العام الذي كتبت فيه القصة.. كنت أرى كتابتها أهم ما في حياتي.. وأن كل عمل يجب أن يتضاءل إلى جوارها حتى أنتهى منها وأنني لم أكن أخشى في أوقات المرض أو التفكير في الموت إلا أن أموت قبل إتمامها لقد كنت أخشى عليها أولا ثم على زوجتي وأمي وأولادي"⁽⁴⁾ ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يجعلها فكرة بعيدة عن أعماله اليومية

(1) القصة من خلال تجاربي الذاتية، د. عبد الحميد جودة السحار، دار مصر للطباعة القاهرة، ص/9.

(2) رد قلبي، 1/7.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه، 7-8.

حيث كان يكتب في تلك الفترة للسينما أيضا ونهاية هذه الرواية نهاية مضطربة في رأى د. طه حسين "أما الملاحظة الثانية فتتصل بآخر القصة الذي هو جدير بفيلم من أفلام السينما كما نعرف الأفلام السينمائية في مصر فهذه الأحداث الكثيرة العنيفة التي يتبع بعضها بعضا في سرعة خاطفة وهذا الدم الذي يسفك وهذا العاشق الذي يجرح في قدمه والرصاص الذي ينطلق بحساب أو بغير حساب كل هذا يهبط بالقصة من منزلة رفيعة إلى منزلة لا أحبها لكاتب مجيد كالأستاذ السباعي"⁽¹⁾ وشرح عميد الأدب العربي نوع تأثيره من أحداث سينمائية خلال كتابة نهاية هذه الرواية وأشار د. طه حسين إلى أمر هام آخر وهو محافظة الكاتب على أفكاره من خلال كتابة العمل الأدبي وعليه أن لا يخلط بين عمل وآخر "ولو راقب الكاتب نفسه أولا وقلمه ثانيا لأهدى إلى قرائه قصة من خير ما يهدى إلى القراء في هذه الأيام"⁽²⁾ وكتب السباعي (إني راحلة) - إحدى رواياته الرومانسية- خلال عشرين يوم حيث كان يكتب لمدة عشرة ساعات يوميا⁽³⁾ وهو في إجازة صيفية في مدينة الاسكندرية وكأن فكرته عن الرواية قد اكتملت وتلح الخروج فالسباعي يصرح بأفكاره من خلال أحداث الرواية وقد يكون تقديمه باستخدام بعض المظاهر فلنأخذ قضية فلسطين مثلا فهو في (طريق العودة) في سنة 1956 يرى قضية فلسطين قضية عربية خالصة، يشرب الضابط الخمر قبل خروجهم لإعادة التربة 86 "لقد لطش ثلاث زجاجات بيرة في الأسبوع الماضي.. لا بد أن أعمل له مجلس التحقيق.. سأوقفه.. ولكن ليس وقته.. بعد المعركة إن شاء الله.. المهم الآن.. أن نشرع للتحرك.. لا نريد أن نضيع لحظة واحدة.. وفتح الزجاجاة وأخذ منها جرعة.. ومصمص شفثيه قائلا لنفسه:- قليل من الخمر يصلح المعده"⁽⁴⁾ فالكاتب الشاب في نهاية العقد الثالث من حياته يرى إلى الأمر نظرة تختلف ما كتبه بعد ذلك ويحمل مراد بطل الرواية "مصحفا صغيرا.. متآكل

(1) الفكر والفن في أدب السباعي، ص/ 40.

(2) المصدر نفسه، ص/ 41.

(3) إني راحلة، ص/ 8.

(4) طريق العودة، ص/ 117.

الغلاف"⁽¹⁾ كان موضوعاً تحت كوم من الروايات الجيبية وقبل (مراد) الصحيفة بعد شرب الخمر ودس القرآن في حبيبه ويسأل الباحث إذا كانت هي الفكرة المتعمدة عنده أم زلات الشباب ولكنه في (ابتسامه على شفثيه) في 1971 يختار شخصية من أسرة الشيخ عبدالسلام المحافظة من داخل فلسطين، يصلون ويقاومون ويرون أن القضية ستطول إلى الأجيال القادمة هل هو تحول فكري عند السباعي حيث تقرأ الفاتحة.. قبل بدء عملية الهجوم

"رنا ينصرنا.. دعونا تقرأ الفاتحة.. إنها دائماً تفتح لي الطريق"⁽²⁾

وهذا على سبيل المثال وهناك أمثلة أخرى ويحتاج هذا الموضوع إلى الحديث الطويل قد يكون عنوانه (التطور الفكري في قضية فلسطين عند يوسف السباعي) -وفي مقدمة كتابه (بين الأطلال اذكريني) تحدث السباعي عن إلحاح الفكرة بالخروج بعد النضوج "فأنا عندنا أبدأ الكتابة أصبح كالمحكوم عليه بالكتابة مع الأشغال الشاقة.. فأنا آخذ نفسي بغير رفق ولا هوادة ولا راحة.. بل أحبس نفسي في حجرة.. وأظل أكتب وأكتب بلا توقف.. كأني أخشى أن تفرمني القصة ويدخلني إحساس بأني لو لم أكتب القصة في نفس واحد وكتبتها على فترات أعطى نفسي في خلالها الراحة الكافية لخرجت القصة غير متماسكة ولا متناسقة.. بل مرقعة مهلهلة"⁽³⁾ فكتب السباعي الرواية الرومانسية المذكورة في شهر رمضان حيث كان يتواصل الكتابة لمدة ثماني ساعات وهو صائم فأكملها خلال ثلاثة أسابيع.

الحدث

الحدث أو الحادثة جزء هام من عناصر الرواية إذ ترتبط بها العناصر الأخرى ويراد بالحدث "مجموعة الأفعال والوقائع مرتبة ترتيباً سببياً وهي المحور الأساسي الذي

(1) طريق العودة، ص/ 118.

(2) ابتسامه على شفثيه، ص/ 199.

(3) بين الأطلال اذكريني، ص/ 7.

ترتبط به باقي عناصر القصة ارتباطا وثيقا كإرتباط الخيوط معا في نسيج بشكل قطعة قماش⁽¹⁾ ويرى الأستاذ شكري عزيز الماضي بأن "أحداث الرواية لها طابع فني خاص وتشكيل أو بناء متميز فهي ليست أحداثا متجاوزة متراكمة دون أية علاقة أو منطق بحكم علاقاتها ببعضها كما أنها ليست أخباراً تقريرية يغلب عليها طابع السرد المباشر ولا شك أن ترتيب الأحداث ووصياغتها وفق بناء ما يعني أنها مرتبطة بالزمان.. (لأنها تنمو وتتطور) وبالمكان (لأنها لا تدور في الفراغ) وتتحرك من خلالها -أو تتحرك بها الشخصيات وكل هذا يؤدي إلى نمو المواقف وتغييرها وسيرها باتجاه يفضي بالضرورة إلى نهاية منطقية معقولة مبررة فنيا"⁽²⁾ وأحداث الرواية تتجسد من خلال بداية الرواية ووسطها ونهايتها فالبداية أمر معقد للرواية لأسباب عديدة والسباعي كان يجد أحيانا الصعوبة الكبيرة لكتابة بداية الرواية ويقول السباعي عن بداية روايته الرومانسية (إني راحلة) في مقدمة تلك الرواية "ومضت بضعة أيام وأنا أحاول البداية حتى نجحت فيها.. واندفعت بعد ذلك في الكتابة أعيش وفي جو القصة وأرتع بين أبطالها"⁽³⁾ ويشرح شكري عزيز الماضي مشكلة الكتاب في بداية القصة بقوله "لكن البداية تشكل تحديا للكاتب فمن أين يبدأ؟ لا شك أنه يختار نقطة محددة يبدأ منها يراها هامة لكن البداية يجب أن تتوافر على التشويق والجاذبية والجاذبية وإلا فإنك ستشعر بالسأم والملل منذ الصفحات الأولى وقد لا تتابع القراءة ولتشويقك كقارئ وجذبك يجب أن تتوافر البداية على عنصري الأهمية والغموض"⁽⁴⁾ فلنأخذ مثلاً بداية (إني راحلة) عند السباعي حيث تبدأ الرواية بقول امرأة (نعرف فيما بعد أنها (عايدة) بطلة القصة) أنها على وشك المغادرة "ما أسهل الرحيل.. خطوة واحدة أخطوها فأمزق هذا

(1) مدخل إلى تحليل النص الأدبي، د.عبدالقادر وحسين لافي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان 1993، ص/ 124.

(2) فنون النشر العربي الحديث، شكري عزيز الماضي، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة 2008، ص/ 27.

(3) إني راحلة، ص/ 8.

(4) فنون النشر العربي الحديث، 2/ 27-28.

الخيوط الوهمي الذي علقت به حياتنا.. وأنطلق هاربة إلى حيث تتناولون على
بألسنتكم، تاركة لكم جيفة تتلقى لعناتكم نيابة عني"⁽¹⁾

فالقارئ ينتبه ويتشوق إلى معرفة وصول الأحداث بهذه الكلمات ويركز
على الصفحات القادمة لمعرفة ما حدث لها وكيف وصلت إلى حد من أضحت
في غنى عن الحياة بعد أن فقدت الأمل فيها وبكل من حولها.

وفي بداية (فديتك ياليلي) يبحث القارئ عن مكان في الصحراء مع الرجل
يريد الوصول إليه لأن حياته معلقة بذلك "ضباب كثيف في أخدود من الرومال..
كان يحاول دائما أن يشق طريقة فيه وساقاه يحس بهما متشاقلتان كأنهما قد شدتا
إلى الأرض بأثقال تجعل السير وثيدا عسيرا.. ورغم كل ذلك فقد كان يجاهد في
التقدم جهاد المستميت.... غير عابئ بثقل قدميه أو بلين الرمال"⁽²⁾ ويخرج
السباعي من هذا الأسلوب ويحل محلة التشويق حيث بدأ السوريون "18 نوفمبر
1958 مطار المزة.. يهدر كأنه البحر التلاطم.. والأرض لا تكاد تبين.. فالحشود
المتراصة قد سدّت الطرق المؤدية إلى المطار.. وجماهير المستقبلين قد تكدّست فوق
أسطح المباني المحيطة به.. والرءوس مرفوعة.. والعيون متطلعة إلى السماء..
والنظرات ملؤها اللهفة والفرحة.. والأمل.. والجماهير المتزاحمة لا تعبأ بمطر، ولا
بريح ولا ببرد.. فالمشاعر التي تجيش في النفوس أقوى من كل ما حولها من عصف
ريح أولسعة برد"⁽³⁾ فالسباعي ينبه قراءه بأن هناك حدث جليل قادم وبكلماته
(الحشود المتراصة).. و(البحر المتلاطم) إلخ يجعل قراءه يفكرون عمّا يقدمه الكاتب
في الصفحات القادمة من تلك الرواية التاريخية تتحدث عن الوحدة بين مصر
وسوريا. وهذا ما ذهب إليه الأديب الكبير سيد قطب عند ما كتب عن طرق
تقديم الأحداث في رواية ما حيث يقول "هناك طرق شتى للعرض، فبعض
القصاصين يوقظنا بعنف منذ اللحظة الأولى لأنه يبدأ قصته بانفعال حار أو حركة
عنيفة أو مشهد صاحب وبعضهم يبدأ حديثه هونا وبأشياء عادية جدا ولا يكاد

(1) إني راحلة، ص/ 19.

(2) فديتك ياليلي، ص/ 7.

(3) جفت الدموع، 1/ 9.

يشعرنا بأن هناك شيئاً ذا بال وقع أو سيقع شيئاً فشيئاً يزحم إحساسنا بالمشاعر ويملاً خيالنا بالصور ويطلع في حسنا الموقف كله كأننا عشناه"⁽¹⁾ وهذا ما ذهب إليه السباعي كما قدمنا الأمثلة من روايته (إني راحلة) و(جفت الدموع) بالإضافة إلى (فديتك باليلي) ولكن هناك بعض الروايات بدايتها (عادية جداً) كما أشار إليه سيد قطب ومنها (ابتسامه على شفثية) حيث تبدأ الرواية في إحدى أسواق مدينة القدس في محل الأقمشة عندما يحاول الشيخ عبدالسلام بيع الأقمشة لسيدة كادت تخرج من المحل بعد أن أخبرها (عمار) ابن الشيخ عبدالسلام أن الباستة نفدت فالحوار عادي جداً يحدث في أي سوق من الأسواق والأمر كذلك طبعي أن يحاول صاحب المحل أن يبيع أشياء أخرى لعدم وجود الشيء المطلوب لزيائنه فلا غرابة ولا عنف ولا منظر التشويق ويبدو للقارئ أن (عمار) المتبرم لا يرغب في مهنة أبيه ولا يريد أن يتعلم أساليب الحوار لبيع الأقمشة ولكن السباعي يتدرج بالقصة فنعرف أنها مقدمات تعريف العائلة الفلسطينية التي تكون له الدور البارز فيما بعد خلال حرب 1967 وسيكون ابنها (عمار) أحد الفدائيين البارزين و(مي) ابنة خالته ستكون في صفوف القتالين وتنتهي الرواية بعد استشهاد عمار حيث أرسل الخاتم ل (مي) ومسدسه لأخيه الصغير خالد لتستمر جهوده من أجل تحرير الوطن "واستقر مسدسه في كف خالد يرفع المقبض ويعمر الساقية بالذخيرة.. ويسير مع يحيى إلى معسكر تدريب الأشبال ويستمتع إلى همسة في أذنية—" المعركة طويلة يا خالد.. معركة.. أرض.. وحق.. إذ نحن لم نستعده.. فأنتم من بعدنا.. وأولادنا من بعدكم.. كل شيء يمكن أن يهون مع الزمن إلا الأرض.. والوطن"⁽²⁾ وبداية (نادية)

بداية عادية حيث يرينا السباعي غرفة النوم لأختين في شهر رمضان وهما ابنتا لأستاذ جامعي وتحدثان عن الذهاب إلى النادي ولكن الرواية تاريخية

(1) النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، ط/ 8، دار الشرق القاهرة، سنة 2003، ص/ 89.

(2) ابتسامه على شفثية، ص/ 350.

تتحدث فيما بعد عن تأميم القناة والحرب الثلاثي ما بين مصر وإسرائيل وانجلترا وفرنسا.

ونلخص ونقول إن السباعي كان بمعرفة تامة بطرق استخدام الأحداث من حيث بداياته فاستخدم بمهارة عنصر الحدث في رواياته.

ج. السرد

السرد هو الجزء الذي يقدم لنا الفكرة والأحداث والشخصيات فالسرد هو الأهم لأن الأحداث تحتاج إلى التعبير والأفكار تعبر موقف الكاتب عبر الكلمات والشخصيات بحاجة أن تعرف وتخرج من عالم غيب إلى الوجود كما قال صاحب الأدب وفنونه "السرد هو نقل حادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية"⁽¹⁾ ويرى شكري عزيز الماضي أن الرواية تبرز من خلال السرد وله أساليب مختلفة "والأساليب السردية متعددة، متنوعة يعبر عنها أحيانا في كتب النقد بالتقنيات السردية والأشكال السردية وجماليات السرد وهي تسميات متعددة لمسمى واحد"⁽²⁾ ومن هذه الأساليب تقديم الرواية بشكل الضمير ((أنا)) وهو ما يسمى السرد الذاتي أيضا فلنأخذ (إني راحلة) وهي قصة (عايدة) التي كتبها قبل انتحارها وتبدأ الرواية "إني قد عزمت على الرحيل وماذا يدعوني إلى البقاء في دنياكم تلك، بعد أن أضحيت في غنى عنها وعن كل ما بها"⁽³⁾ ويرى الأستاذ شكري عزيز الماضي أن هذه التقنية الحديثة تساعد الكاتب لأنه يختفي تماما "إذ باستطاعة الشخصية الروائية هنا أن تسرد لنا أحلامها وخواطرها دون اعتراض من قبلنا أو من قبل القراء"⁽⁴⁾ ويشرح السباعي بهذا الأسلوب ما يدور في خواطر عايدة كفتاة بصيغة المتكلم ونعرف على لسان عايدة أن الفتاة كيف تفكر وكيف تتصرف الزوجة والحبيبة ولا نشعر أن هناك شخصا آخر يحلل شخصيتها.

(1) الأدب وفنونه، ص/ 138.

(2) فنون النثر للعربي الحديث، 2/ 42.

(3) إني راحلة، ص/ 19.

(4) فنون النثر العربي الحديث، ص/ 46.

وفي (أرض النفاق) يستخدم السباعي نفس الأسلوب ولكنها تختلف تماما من حيث الموضوع لأنها قصة اجتماعية والشخصية بصيغة (أنا) رجل متزوج يسكن مع زوجته وحماته وأهدى السباعي هذه الرواية إلى نفسه وتبدأ الرواية ب "أدهشتني اللافثة.. كما لا شك أنها تبعث الدهشة في نفس كل من يراها غيري.. فما رأيت من قبل تاجر أخلاق وما سمعت قط أن الأخلاق تباع بالجملة ولا بالقطاعي"⁽¹⁾ لأنها مشاعر صادقة من كاتب الرواية فنشعر أن الأحداث تقع مع السباعي نفسه فهو يحلل نفسيات الطبقات المختلفة من المجتمع المصري فهو مصري أيضا فهذه التقنية في مثل هذه الروايات رائعة وتساعد القراء في معرفة حياة القاهرة خاصة. ويبدو أن السباعي فضل هذا الأسلوب في السرد في نهاية الأربعينات واستمر كذلك في أعماله الروائية في العقد الخامس من القرن الماضي لأنه استخدم نفس الأسلوب في (نائب عزرائيل) المنشورة في 1947 حيث أهدى روايته إلى ملك الموت عزرائيل وخاطبه في مقدمة الرواية ونعلم أن عقدة الموت استمرت مع السباعي طوال حياته فهذه رحلته مع عزرائيل وحديثه معه كأنها خواطره، أراد أن يكشف عن أفكاره عن عزرائيل ويخاطبه أيضا بقوله "وما كان بي من خشية منك ولا حاجة إليك.. فما أنا بمتعلق بالحياة حتى أخشاك.. وما أنا بكارهها حتى أحتاج إلى معونتك"⁽²⁾ وتبدأ الرواية بضمير المتكلمين بدلا من ضمير المتكلم "كنا نندافع بالمناكب ونتزاحم بالأيدي"⁽³⁾ ولكنه بعد ذلك يستخدم ضمير المتكلم "وسمعت اسمي يفوه به المنادي"⁽⁴⁾ والأمر يستمر بصيغة المتكلم (المفرد) بعد ذلك في الرواية ولأنه اختار شخصيات روايته من منطقته، عاش فيه طفولته وفترة مراهقته فكان الجدير بأن يستخدم هذا الأسلوب لأنها تشابه سيرته الذاتية.

ويعود السباعي في 1953 بالجزء الثاني من روايته إن صح التعبير لأنه اللقاء الثاني مع عزرائيل كما وعده في الكتاب الأول ويستمر الحديث مع عزرائيل

(1) أرض النفاق، ص/ 9.

(2) نائب عزرائيل، ص/ 3.

(3) المصدر نفسه، ص/ 7.

(4) المصدر نفسه.

حيث تبدأ الرواية بالحوار مع عزرائيل وهناك نوع آخر من السرد من حيث استخدام الضمائر يستخدم فيه الكاتب ضمائر مختلفة أي يكون السرد على صيغ مختلفة "وهو ما يولد حيوية في السرد لأن كل راو يأتي بتفاصيل جديدة ووجهة نظر جديدة" (1) حيث استخدم السباعي الأسلوب القديم فالرواية بصيغة الضمير الغائب في الجزء الأول الذي سماه (سوط على قلب) وفيه حديث عن الحب بين (سامية) و(كمال) وتبدأ الرواية ب "أطالت (سامية) الوقوف أمام المرأة.. وأخذت تفحص نفسها جيدا". (2) ولكننا عندما ننتقل في الجزء الثاني (القصة الأخيرة) فالضمير يتغير فيكون الحديث في ضمير المتكلم "وأخيرا أجلس لأكتب قصتك أو كما اتفقنا على تسميتها... أجلس في الفراش... وأطلق النفس حارا طويلا" (3) وتكرر هذا الأسلوب في روايته التاريخية "جفت الدموع" حيث كانت بدايته بمنظر في مطار مزة في مدينة دمشق عند استقبال الوفد الرسمي المصري رفيع المستوى ولكن السرد في صيغة الغائب كأن الكاتب أحد المشاهدين يرى تلك المناظر بعينه ويصف للقارئ ولكن السباعي غير الأسلوب في الفصل الثاني بعد بضعة صفحات حيث بدأت قصة الحب على لسان (هدى) وهي تكتب له قصة لقاءهما الأول "يا أعز الناس.. أكتب إليك.. لأنبئك قبل كل شيء بأنك مازلت، وستظل دائما أعز الناس.. أعز من أمي.. ومن إخوتي ومن كل مخلوق ربطتني به صلة على هذه الأرض" (4) ولكنه سرعان ما يعود فيحوله إلى صيغة الغائب مرة أخرى.

وفي الرواية التاريخية الأخرى (ليل له آخر) تبدأ أحداث القصة بصيغة أنا "لمن أكتب.. ولماذا أكتب؟" (5) ولكن (سهير) تغيب بعض الأحيان من القصة فيتحول الأسلوب إلى صيغة الغائب فكأنها تشاهد ما يحدث صامتة فلنأخذ مثال (أبو سلمى) وهو يشرح للشباب تاريخ الانقلابات في سوريا في الفصل (قوة

(1) فنون النثر الحديث، 2 / 43.

(2) بين الأطلال اذكريني، ص / 10.

(3) المصدر نفسه، ص / 90.

(4) جفت الدموع، ص / 24.

(5) ليل له آخر، ص / 6

مجهولة) ولو حاول السباعي أن يجعله تلك المعلومات بشكل الحوار لكن (سهير) لا وجود لها في ذلك وكأن شخصا آخر يكتب القصة واستخدم السباعي أسلوب جمع المتكلم أيضا في هذه الرواية حيث استخدم الكلمات الدالة على ذلك مثل بدأنا، وصلنا، فراقنا الخ من الكلمات.

وأما السرد المباشر فهو نوع تقليدي، يقدم فيه الكاتب الرواية بضمير الغائب ولكنه لا يتدخل في وقوع الأحداث "والرواي أو السارد الذي يسرد بضمير الغائب يعرف كل شيء عن الشخصية بل يعرف ما يدور في باطنها من هواجس وانفعالات وأحلام"⁽¹⁾ ففي رواياته الاجتماعية مثلا (السقامات) خير مثال لذلك فهو يشاهد ما يدور في الحارة وفي المدرسة ويذكر علاقة الود بين الجيران الخ من الأمور ويعرف ما يدور من انفعالات في ذهن شوشة ويذكر كرهه للحاجة، صاحبة المطعم ويصف العرس والموت وحب شوشة للشجرة ولكن الشاهد غائب في الرواية. وكذلك في روايته (نحن لا نزرع الشوك) يشرح الأحداث ويعلل الشخصيات ولكنه غير موجود ونستطيع أن نقول بأنه مزج بين أساليب مختلفة لتقديم السرد وهناك قضية أخرى وهي قضية استخدام اللغة الفصحى والعامية في النصوص الروائية وتقف عندها بالتفصيل في نهاية هذا الفصل في حديثنا عن المآخذ على أعماله الروائية ونقدم رأيه وآراء الآخرين حول هذا الموضوع.

هـ. الشخصية

الشخصية الروائية تنقسم إلى قسمين وهما

1. الشخصية الثابتة

2. الشخصية النامية

أما من حيث الأداء فيمكن تقسيم الشخصيات إلى الشخصيات الثانوية والشخصيات الرئيسية فلنتحدث أولا عن الشخصية الروائية الثابتة.

(1) فنون النثر العربي الحديث، 2/ 42-43.

الشخصية الثابتة

الشخصية الثابتة أو البسيطة أو المسطحة هي تسميات للحديث عن هذا النوع وقد تسمى الشخصية الجاهزة أو جامدة أيضا ولكن التسميات كلها ذات دلالة واحدة فلنأخذ شخصية (توتو) في رواية (إني راحلة) "للسباعي فهو نموذج للشخصية الثابتة ونعلم أن على الكاتب أن يقدم شخصية من شخصياته بالأبعاد المختلفة وأشار صاحب فنون النثر العربي 2 بأنها أربع أبعاد وهي البعد المادي والبعد الاجتماعي والبعد الأيديولوجي والبعد النفسي ويقصد بالبعد المادي "البعد الجسمي والملايح والقسمات والهئية العامة. أي طول الشخصية ولونها وزيتها وملايح وجهها وحركة العينين.. الخ ولا شك أن البعد المادي للشخصية يتضمن دلالات اجتماعية أو اقتصادية أو نفسية وأحيانا سياسية"⁽¹⁾ فالسباعي وصف (توتو) ابن صاحب الدولة على لسان عايدة وهو يدخل فيلاها للغداء مع والده وأخته (سوسو) حيث يقول "وبجواره أبي يتسم محيا وعلى يمينه شاب متأنق أصفر الشعر، وأبيض البشرة، متورد الوجنتين، أحمر الشفتين، أميل إلى السمنة.."⁽²⁾ أمّا البعد الاجتماعي فيراد به "انتماء الشخصية إلى فئة أو طبقة اجتماعية أو انتماؤها إلى الريف / المدينة/ أو الأحياء الشعبية في المدينة أو الأحياء الثرية.. فالانتماء الاجتماعي للشخصية الروائية ينعكس على هيئتها وحركاتها ولغتها وسلوكها وطموحها"⁽³⁾

أظهر السباعي البعد الاجتماعي بمهارة في هذه الرواية ومنها شرب (توتوبك) وأختها الخمر أمام والدها فذلك يدل على انتماءهم إلى الطبقة الرفيعة من المجتمع لأنه خروج عن المألوف لأن والده كان لا يشرب الخمر أمام العائلة وسألني توتوبك لم لا أشرب؟ وأحسست أن أبي تملكه الحرج وأنه يتمنى لو كنت قابعة في غرفتي دون أن أختلط بهذين الأرسقراطيين"⁽⁴⁾ أمّا اللغة فبدأ توتوبك

(1) فنون النثر العربي الحديث، 2 / 33.

(2) إني راحلة، ص/ 145.

(3) المصدر السابق، ص/ 34.

(4) المصدر السابق، ص/ 147.

يسألها الأسئلة التعريفية باللغة الفرنسية وكان يتكلم أيضا مع أخته (سوسو) في اللغة الفرنسية "وكانت المناقشة بيننا تجري طريقة عجيبة فهو يتكلم بالفرنسية وأنا أجيب بالعربية.. ووجدته يردد قولي بلهجة أشبه بلهجة الأفرنج عندما ينطقون العربية"⁽¹⁾ وكانت ثقافته العربية محدودة ومعرفته عن المجتمع المصري بأدبائه وشعراءه قليل جدا وكان أبوه قد حكم مصر وينوي أن يعود إلى الحكم مرة أخرى وابنه لا يعرف الأديب الكبير مصطفى لطفى المنفلوطي بل له معرفة في رمان المنفلوط فقط والموسيقى الشرقية تتوتر أعصابه ولا يعرف أمير الشعراء أحمد شوقي وأحداث الرواية في العقد الرابع من القرن الماضي الذي توفي فيه الشاعر الكبير أحمد شوقي.

أما البعد الأيديولوجي فيظهر من كره (توتوبك) للمجتمع المصري بقوله "أنا أكره كل شئ مصري.. هذا الشعب مازال شعبا بدائيا.. أمامه قرون حتى يصبح شعبا متمدنيا.. شعب الفول المدمس والطعمية"⁽²⁾ وهو الذي علم (عايدة) الرقص بعد الزواج حيث كان يرى أن تعلم الرقص أمر لا بد منه وعلمها شرب الخمر حيث كان من ضرورات الطبقة التي ينتمي إليها "وقد أفهمني زوجي أن من الحطة والمعرة والجهل أن أرفض الشراب.. وأني لا بد أن أعود شرب كأس أو كأسين حتى لا أخجله بين رفاقه وزملائه"⁽³⁾.

وذكر الأستاذ شكري عزيز الماضي بأن البعد الرابع هو البعد النفسي للشخصية فنرى أن (توتوبك) كان يشعر بالنقص في شخصيته وبمألاً فراغه بمال أبيه ونفوذه السياسي حيث يصرف أموال أبيه في حفلات الرقص والنوادي ويستلم المرتب الشهري المحترم كرئيس إحدى الشركات وهو لا يواظب عمله ولا يجيده أيضا ويخون زوجته ولا يراه عيبا فهو يمثل الطبقة المنحرفة من الشعب، بعيدة كل البعد عن التقاليد والعقيدة والثقافة من ذلك المجتمع.

و(توتوبك) شخصية ثابتة لأنه لم يغير سلوكه نحو الحياة قبل الزواج أو بعده ولم تؤثر عليه مسؤولية جديدة ولم يهتم حتى بخروج زوجته من بيته بعد أن علمت

(1) إني راحلة، ص/ 149.

(2) المصدر نفسه، ص/ 151.

(3) المصدر نفسه، ص/ 284.

عن خيانتة ولم يحاول أن يستوقفها ويسترضها كأن الأمر كان لا يعنيه من قريب أو بعيد.

الشخصية النامية

الشخصية النامية لها تسميات مختلفة ومنها الشخصية المدورة والشخصية المتطورة الخ من التسميات ويرى الأستاذ شكري عزيز الماضي أن "الشخصية النامية هي الشخصية التي تنبي خطوة خطوة وتتكشف بالتدريج وتتفاعل مع الأحداث وتتطور بتطورها وهذا التفاعل قد يكون ظاهراً أو خفياً وسميت ((نامية)) لأنها تنمو وتتغير و((مدورة)) لأنها تدور فتراها من جوانبها"⁽¹⁾ فلنأخذ شخصية (أحمد) في الرواية (إني راحلة) فهي شخصية نامية توفي والده وهو في المهد كما وصف السباعي ذلك فكافحت الأم لتربية الابن الوحيد فترى (أحمد) في ظل أمه واجتهد ليجد له الطريق فنجح لأنه التحق بالكلية الحربية بعد الثانوية رغم ظروفه العائلية على لسان (عايدة) ابنة خالته "فما استطاع كفاح أمه في تربية إلا أن يهيئ له حياة متواضعة لا يكاد يحصل منها إلا على الضرورات القصوى كالطعام والتعليم.. أما ماعدا ذلك من كماليات العيش الذي كنا نرتع فيه فقد حرم عليه"⁽²⁾ أمّا من حيث البعد المادي فقد وصفه السباعي وهو في بدلة الكلية الرسمية وهو يقابل (عايدة) بعد سنوات فوصفته عايدة في مذكراتها بقولها "وقد وقف أمامي في حلة رسمية أنيقة كشف عن اعتدال قوام، ورشاقة قد، وقد أحاط الحزام الجلدي العريض بوسطه فأظهر ضيق خصره واتساع صدره وبدت البدلة لامعة الأزرار محمكة على جسده كأنها قطعة منه.. ولاح لي وجهه وقد لوحته الشمس فحولت بياضه إلى سمرة حمراء واستقام طربوشه على جبينه وافتثرغره عن ابتسامه أبدت أسنانه بيبضاء منظومة"⁽³⁾

(1) فنون النثر العربي الحديث، 2/ 35.

(2) إني راحلة، ص/ 36.

(3) المصدر نفسه، ص/ 39.

فوجدت (عايدة) شابا مختلفا أمامها حيث كانت تعتقد في الماضي أنه متكبر ويتحداها ولكنها وجدته شابا لطيفا تحدث معها بلطف والتدريب العسكري أثرت على شخصيته ايجابيا وحولت كذلك لون بشرته وذلك يدل على كفاحه في التدريب لأن التدريب القاسي تحت أشعة الشمس يحول اللون وضيق الخصر دليل رشاقتة فكانت المفاجأة سارة ومقنعة فالمفاجأة المقنعة هي معيار ((فورستر)) للشخصية النامية كما ذكر شكري عزيز الماضي في كتابه وهناك التحول في اختيار وظيفته حيث كان يقرض الشعر ويرسم ولكنه لم يدخل كلية الآداب أو كلية الفنون ففضل أن يلتحق بالكلية العسكرية "هذه أشياء لا يحسن التخصص فيها.. فهي لا تؤكل عيشا.. إني لا أستطيع أن أرتزق من الشعر أو من الرسم ولكني أستطيع أن أمتع بهما كهواية"⁽¹⁾ فهو شاب تعلم من حياته وهذا من حيث البعد الاجتماعي يجعله شخصية، يعرف مجتمعه وعليه أن يتحمل مسؤوليته نحو والدته ولا يملك من الأموال فيفكر بطريقة عملية يجعله مؤهلا في المجتمع الذي ينتمي إليه فهو رجل مصري تقليدي يوافق على زواجه بفتاة اختارتها أمه بعد ولادته لأن أمها صديقة لأمه ولكنه في الوقت نفسه يرى أن الحب يمكن أن يغير رأيه "هذه عروس بالإكراه.. فقد اتفقت أمي وأمها منذ ثمانية عشر عاما.. -أي منذ ولدت- أنها ستصبح زوجتي"⁽²⁾ فهو رجل يحترم تقاليد المجتمع حيث طلب يدها من أبيها ولكنه بعد أن رفض أبوها زواجها معه ابتعد عنها وتزوج (ابتسام) -الفتاة التي اختارتها أمه له- فنفهم من ذلك أنه رجل عملي، يفهم الفرق بين ما يتمناه المرء وبين الحقيقة الموجودة أمامه -فهو تزوج (ابتسام) بعد أن فقد حبه كما اختار الكلية العسكرية وترك حبه لقرض الشعر والرسم ولكن مرارة الحياة جعلته شخص آخر حيث وصفته (عايدة) بعد زواجه بابتسام "وبدالي من لهجته للمرة الأولى أنه ينوه بعبء حياته.. وأنه لم يعد ذلك الإنسان الممتلئ بالأمال.. الشديد الثقة بالحياة والمستقبل"⁽³⁾ فهو شخصية نامية تتأثر بالأحداث ايجابيا وسلبيا وتأثر بوفاة زوجته

(1) إني راحلة، ص/ 44.

(2) المصدر نفسه، ص/ 80.

(3) المصدر نفسه، ص/ 309.

وابنته "كانت الولادة عسيرة.. احتاجت إلى إجراء عملية جراحية.. أودت بالأم والجنين"⁽¹⁾ فيظهر بعد ذلك شخصية سلبية وتتغير أفكاره وايدولوجيته فلا يرجع ابنة خالته الملدوغة بخيانة زوجها إلى أهلها ولكنه يذهب معها إلى الاسكندرية حيث يقضيان هناك بعض الوقت ويعيشان بأجمل لحظات الحب (وهذا نوع آخر من الخيانة حيث تقوم (عايدة) بالخيانة مع أحمد) ويموت (أحمد) هناك وتنتحر (عايدة) بعد ذلك.

و. البيئة

مصطلح البيئة يشتمل على المكان والزمان ونجد بعض الأحيان المصطلح المكان والزمان بدلا من البيئة ولكن تسمية المصطلح لا تغيير دور المكان والزمان في القصة القصيرة والرواية حيث يؤديان دورا مساعدا للأحداث فتحدث عن كل منها على حدة عند يوسف السباعي.

المكان عند يوسف السباعي

يهتم السباعي بالمكان اهتماما خاصا ويستخدمه في تحليل أفكار شخصياته وما يدور في نفوسهم فلأنه كتب عن الجانب التاريخي للقضايا المصرية والعربية فنجد أحيانا أنه يستخدم مكانا واحدا، لفرين مختلفين فالبحر مثلا في (رد قلبي) مكان لقاء الرومانسيين عندما يقابل (علي) و(أنجي) في الاسكندرية أو عندما يسافر (أحمد) مع (عايدة) إلى الاسكندرية فالبحر عبارة عن مكان الرومانسية ولكنه يخبرنا في (العمر لحظة) أن البحر يمكن أن يكون مكانا يرقص فيه الموت حولنا والدم يسيل والخطر حولنا حيث نجد مجموعة من القوات الخاصة تعبر الحدود إلى الشاطئ الآخر "كانت هناك أجساد تنساب إلى الماء.. تتوالى في هدوء وصمت.. وفي أماكن متفرقة من الشاطئ تنزلق كما تنزلق التماسيح.. بثقة

(1) إبي راحلة، ص/ 359.

وقوة.. وبغير ضجيج ولا رشاش.. تشد السلاح والذخيرة إلى ظهورها في غطاء واق من الماء.. وتسبح تحت الماء في دفعات قوية هادئة نحو الشاطئ الآخر". (1)

والموت أحيانا لا يكون على شاطئ البحر نفسه بل في البحر نفسه فيتحول البحر من مكان هادئ إلى المجزرة عندما هاجمت الطائرات الإسرائيلية على اللنش المصري داخل البحر "عادت الطائرات تضرب اللنش حتى أشرف على الغرق ونقدت ذخيرة مدافعه.. وقفز حسنى إلى الماء.. مع ما بقي من الرجال" (2) هذا على سبيل المثال فالأمثلة كثيرة من هذا النوع وكتب الباحث السيد رضا العشماوي محمد رسالة بعنوان "رؤية المكان في روايات ((يوسف السباعي)) دراسة فنية تطبيقية لنبل شهادة الماجستير في مصر فتحدث عن الأماكن عند يوسف السباعي ودلالاتها في رواياته فتحدث عن المكان بتفاصيله ولكننا نرى أن الموضوع أكبر من أن يوضع في بحث واحد فنقترح أن يحدد الباحثون المكان عند السباعي في رواية واحدة حتى تكون الدراسة أعمق في هذا الموضوع وهناك جانب آخر نريد أن نشير إليه وهو الجانب العسكري عند يوسف السباعي حيث يمكن للباحثين أن يبحثوا بعنوان (المكان العسكري عند يوسف السباعي) لأن المكان العسكري يدل على نفسية شخصيات رواياته العسكرية ويكشف عما يدور في أذهان أبطاله فالمدرسة الحربية أو الكلية الحربية تختلف تماما من كليات الجامعات الحكومية أو الأهلية وغرفة الضابط العسكري داخل الثكنات تختلف في التعبير عن الحرية من غرفة أخرى في منطقة سكنية و(نادي الضابط) في (رد قلبي) يختلف تعبيرا من النادي في (إني راحلة) الذي يتواجهه (توتوبك) و(عايدة) أو من النادي الذي كان يلعب فيه الطبيب مدحت وتراقبه نادبة حتى المستشفى العسكري يختلف كمكان من المستشفى المدني لأنه يخلو من جرحي المناوشات الحدودية والمعارك الخاصة والعمليات السرية فالوضع يختلف والمكان واحد.

(1) العمر لحظة، ص/ 151.

(2) المصدر نفسه، ص/ 272.

استخدم يوسف السباعي الصحراء والحديقة والواحة والقصر والبيت والمستشفى ومحطة القطار والسفينة وبيوت الدعارة ومكتب الصحافة والمدرسة والمطعم وعيادة الطبيب والمطبعة والمزرعة وقاعات المؤتمرات والأزقة الشعبية ومقر القيادة وثكنات الجيش ونقاط التفتيش والقصر والجبال والسوق الخ من الأماكن كأدوات مساعدة لرواياته التاريخية والاجتماعية.

الزمان عند يوسف السباعي

استخدم السباعي الأوقات المختلفة في رواياته فلنبدأ بمنظر شروق الشمس حيث وصف السباعي "وجد نهي لا تزال في وقفها كالمثال وكان الضوء قد أخذ في الانتشار وطلّاع الشروق الأرجوانية قد بدت من بعيد على حافة الأفق.." (1) فهو استخدم الزمان والمكان لوصف (إبراهيم) - الضابط العسكري - الذي استيقظ مبكراً قبل شروق الشمس لأنه رأى نهي عند عودته من الحمام بعد الاغتسال والحلاقة فوصفه لشروق الشمس مع يقظه مبكرة للضابط المصري يشير إلى الانضباط بأسلوب غير مباشر ونرى المنظر نفسه في (رد قلبي) في طريق عودة "علي" إلى القاهرة بعد سفر طويل طوال الليل "ومرة أخرى انطلقت العربات تطوي الحصى والرمال والأرض الواسعة الفارغة.. ورويدا ورويدا أخذ الضوء ينتشر وتساعد قرص الشمس من وراء الأفق بضوئه الأحمر اللين شاقا طريقه إلى كبد السماء.. وزادت سرعة العربات وتغافل الضابط الثلاثة عن عداد السرعة كأنهم لا يرونه". (2)

فشروق الشمس هنا تعبر عن أمل وصول الضابط إلى القاهرة بعد سكنهم.. بعيدا عن الأهل والأحباء للأشهر وسافروا طوال الليل حتى يصلوا مبكرين وفي هذه الرواية ذكر السباعي وقت الفجر في يوم الجمعة "وفي فجر يوم الجمعة وصوت المؤذن ينطلق من المئذنة مؤذنا بالصلاة تسلل الرجل من الدار يتوكأ على

(1) طريق العودة، ص/ 53.

(2) رد قلبي، ص/ 470.

عصاه.. وطالت صلواته حتى أرسلت الشمس سهامها الدامية تتسلل من نوافذ المساجد هابطة إلى أرضه".⁽¹⁾

ويستخدم السباعي أحيانا إشراقة الشمس للتشبيه ففي (طريق العودة) يشبه أبتسامه ليلي بإشراقة الشمس "وابتسم إبراهيم.. فابتسمت.. وبدت الابتسامه بين دموع عينيها كأنها إشراقة الشمس المفاجئة بين قطرات المطر.. أو كأنها ضحكة الطفل الباكي.."⁽²⁾ وأمثلة الزمان كثيرة في روايات يوسف السباعي فننتقل إلى غروب الشمس بعد شروقها ففي روايته (العمر لحظة) يصف السباعي منظر غروب الشمس و(نعمت) بطلة الرواية في طريقها إلى السفارة الفرنسية مع زوجها "وانطلقت بهما العربة في شارع الجبلية إلى كوبري الجلاء كانت الشمس قد انحدرت وراء الأفق وأعصان البانسيانس قد تشابكت وظللت الطريق وتناثرت الزهور الحمراء على الرصيف وغطت أرض الطريق"⁽³⁾ ويشاهد (محمود) -بطل القصة- منظر غروب الشمس في في جزيرة نائية في شهر رمضان "ووقف بباب الكوخ يرقب الشمس تنحدر نحو الأفق الغربي واشتدت هبات الريح.. وعلا الموج يلطم صخور الشاطئ المرجانية.. وبدت مرتفعات الجزيرة تتكسر على قممها أشعة الغروب الحمراء لتلقى بالظلال السوداء على الجانب الآخر"⁽⁴⁾ فالمكان والزمان يؤثران معا في نفس القارئ من خلال قراءة السطور المذكورة لأنهما يستخدمان للتأثير في الأذهان والقلوب. وقدما الأمثلة من الروايات المختلفة حول شروق الشمس وغروبها وتأثيرهما على شخصيات رواياته فنقتح إلى دراسة مستقلة حول الزمان في روايات يوسف السباعي لأننا لم نجد من بحث عن عنصر الزمان في روايات يوسف السباعي فيكون البحث مفيدا الطلاب العلم والأدب حتى يكونوا على علم بأن السباعي كيف استخدم هذا العنصر للتأثير في ذهن القارئ.

(1) رد قلبي، ص/ 481.

(2) المصدر نفسه، ص/ 263.

(3) العمر لحظة، ص/ 36.

(4) المصدر نفسه، ص/ 236.

المبحث الثاني: ميزات أعمال يوسف السباعي الروائية

يتميز يوسف السباعي بأعماله الروائية ولقيت أعماله الروائية قبولا واسعا في مصر والبلدان العربية ومن خلال دراستنا لرواياته التاريخية والاجتماعية، عرفنا أن هناك ما يميز كتابته وأسلوبه في تقديم آراءه وأفكاره عبر أعماله الروائية ولنلخص ذلك تحت المحاور التالية.

أ. الثقافة الدينية

ب. معرفة الأدب العربي القديم والحديث

ج. دقة المشاهدة

د. الملاح الوطنية

هـ. قضية فلسطين

و. قضية المرأة

أ. الثقافة الدينية

كان يوسف السباعي معرفة واسعة للثقافة الإسلامية ومن خلال كتابتنا وجمعنا المعلومات عن حياته لم نصل إلى مصادر ثقافيه الدينية غير أن الأستاذ يوسف الشاروني ذكر في كتابه (الروائيون الثلاثة) بأنه حفظ القرآن الكريم لكنه لم يبين أسماء أساتذته وتفصيل حفظه للقرآن الكريم ولكن الباحث حين يقرأ رواياته يجد الآيات القرآنية فيها مما يدل على اهتمامه بالقرآن الكريم أو نعرف على الأقل بأن ثقافته ومعرفته الدينية ليست سطحية وفي روايته (طريق العودة) يتحدث إبراهيم مع مراد ويعرف رأيه عن الزواج وإرضاء الزوجة إذا أخطأ الزواج في حقها فلم يقتنع إبراهيم بقول مراد "ولم يعجب هذا الكلام إبراهيم.. ولم يعلق عليه.. وهز كتفيه كأنما يقول "(لكم دينكم ولي دين).."⁽¹⁾ وهي الآية السادسة والأخيرة من سورة (الكافرون) وفي روايته الشهيرة (السقامات) ذكر آيات مختلفة من الذكر الحكيم

(1) طريق العودة، ص/ 22.

ومنها " ولاحت لعينيه لافته، فوق حانوت على ناصية الدرب كتب عليها ((مسمط
الحاجة زمزم)) وأسفلها كتب ((ادخلوها بسلام آمنين))⁽¹⁾ وهي الآية السادس
والأربعون من سورة الحجر ويصف السباعي بيت شوشة علق على جدرانها بعض
لافتات تحوى بعض الآيات القرآنية⁽²⁾ وذكر الآيتين من سورة البقرة وهما "ولبنلونكم
بشيء.. راجعون"⁽³⁾ وأنهى السباعي هذه الرواية بقول الله β ورد في سورة البقرة
"والصابرين في البأساء.. المتقون"⁽⁴⁾

وفي هذه الرواية انتقد السباعي أسلوب تحفيظ القرآن في المدارس حيث
يحاول (سيد) أن يحفظ بدون معرفة المعاني ولما يسأله (شحاته) عن معنى (عبس
وتولى) فلا يعرف سيد ويشكو أسلوب معلمه بقوله "بيخيلنا نحفض كده من غير
سؤال. خذنا جزء عم كله.. من غير ما حنا فاهمين ولا كلمة واهو كلام بنقوله
عمالين زي البغبغانات"⁽⁵⁾ ويذكر السباعي الأحاديث النبوية في رواياته أيضا ففي
روايته (ابتسامه على شفعية) يتحدث عن مهارة التجارة وحث الشيخ عبدالسلام
ابنه عليها حيث يقول عمار في نفسه عن والده "وهو من وجهة نظره على حق..
وإيمانه بالحديث الشريف الذي لا يفتأ يردده.. (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا
يتقنه).."⁽⁶⁾ وفي أرض النفاق ذكر الأحاديث النبوية أيضا ومنها ما ورد عن الصيام
فينقل السباعي خطبة الجمعة يذكر فيها "وصدق رسول الله γ حيث قال: ((الصيام
والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة..))"⁽⁷⁾ وهناك مظاهر أخرى تدل على حرصه
على الثقافة الإسلامية ومنها مواقف الشخصيات في روايته (العمر لحظة) فنجد
أنه يصف منظر الأذان والصلاة على الشاطئ والجنود أمام العدو، ينتظرهم على
الجانب الآخر من الشاطئ "وانطلق صوت المؤذن يؤذن لصلاة الظهر من المصلى

(1) السقامات، ص/ 31.

(2) المصدر نفسه، ص/ 86.

(3) سورة البقرة، الآية: 155-156.

(4) سورة البقرة، الآية: 177.

(5) السقامات، ص/ 197.

(6) ابتسامه على شفعية، ص/ 37.

(7) أرض النفاق، ص/ 219.

المفروشة بالحصير بجوار الميناء.. لم يكن الأداء به نعمة المؤذن المحترف.. ولكنه كان قويا عاليا.. واصطف الجنود وراء أحدهم يؤم بهم الصلاة.. وانحنت الأجساد.. مست الحياة الأرض في سكينه وخشوع"⁽¹⁾ ويقرأ محمود الفاتحة وآية الكرسي قبل الهجوم على الإسرائيليين وتنكمش (نعمت) عند الهجوم الإسرائيلي "في أقرب محباً.. لتقرأ القرآن.. وتسال الله اللطف والغفران"⁽²⁾ ويستمع الجميع إلى تلاوة القرآن قبل الإفطار في جزيرة نائية وهم في شهر رمضان "واختتم المقرأ قراءته.. وارتفع صوت المذيع يقول نحن الآن في انتظار مدفع الإفطار.. ثم دوى المدفع.."⁽³⁾ وهذه بعض الأمثلة من رواياته ونقترح أن تكون دراسة مستقلة بعنوان (الفكر الإسلامي في روايات يوسف السباعي) لأننا لم نعر على دراسة حول شخصية من هذا الجانب ولو وجدنا بعض الإهمال في أعماله الروائية من خلال ممارسة التقاليد الإسلامية يستغرب منه القارئ فنادية في روايته (نادية) تصوم في شهر رمضان ولكنها لا تعترض أن تذبح لها (ماري) الدجاجتين وهي لا تعرف عن شعائر الإسلام عن الدفن والجنائز وهي تصلي الصلاة لأختها بلا وضوء ولا تعرف جهة القبلة وتصلي الصلاة ركعتين لا وجود لها للميت الخ.

ب. معرفة الأدب العربي القديم والحديث

ومن خلال قراءتنا لروايات يوسف السباعي وجدنا أنه تأثر بالشعر العباسي والحديث خاصة بالإضافة إلى معرفته العميقة للأمثال العربية الفصيحة والأمثال المصرية الشعبية ولديه مهارة خاصة في استخدامها واستخدامه للغة العامية من خلال الحوار بين شخصيات رواياته يسهل له عملية إدخال هذه الأمثال في نصوص رواياته والأمر الثالث الذي وجدناه هو ذكر بعض الشخصيات الأدبية من خلال أحداث رواياته أو في كتاب رحلاته.

(1) العمر لحظة، ص/ 150.

(2) المصدر نفسه، ص/ 52.

(3) المصدر نفسه، ص/ 238.

فنبداً من تأثره بالشعر واستخدامه في أعماله وفي روايته (أرض النفاق) ينتقد السباعي الدوائر الحكومية ويستشهد بشعر المتنبي (لكل داء دواء يستطب به) حيث يقول "ولكنني أعتقد أن الشاعر لو عاش في زمننا هذا الاستبدل بالحماقة الحكومة وقال: ((إلا الحكومة أعيت من يداويها))"⁽¹⁾ وفي (طريق العودة) يصف السباعي حالة الضابط إبراهيم بقول قيس بن الملوح - شاعر لعصر الأموي

بربك هل ضمت إليك ليلي
قبيل الصبح أو قبلت فاها

ويحس إبراهيم.. أن الخافق في صدره.. أحقق مجنون"⁽²⁾ لم ينسب السباعي الشعر إلى قائله ولكننا عثرنا عليه بموقع الديوان من ضمن أبيات الشاعر المذكور⁽³⁾ وفي (جفت الدموع) استحان السباعي بشعر أمير الشعراء أحمد شوقي يشرح حالة سامي العاطفية حيث يقول: "عن نفسي انا.. أحس بالرغبة الدائمة في أن تؤكدني موقعي عندك.. وأن تحدثيني دائماً عنه. أحس في كل لحظة بأني أكاد أهتف:

موقعي عندك لا أعلمه
آه لو تعلم عندي موقعك"⁽⁴⁾

والأمثال معرفتها عند السباعي تجرّه أن يستخدمها وهو يكثر استخدامها وفي روايته أرض النفاق، استخدم خمسة عشر مثلاً وفي طريق العودة كذلك يكثر من الأمثال ويضيف إليها بعض الأغاني الشعبية أيضاً وفي (ابتسامه على شفثية) تمازح (عايدة) أخاها (عمار) إذ تقول "القرد في عين أمه غزال.. ونهرتها الأم قاتلة، قرد في عينك وعين أبيك"⁽⁵⁾، والمثل العربي يقول ((القرد في عين أمه غزال)) وفي إني راحلة ذكر السباعي ما يقارب عشرة أمثال مما يدل على تعمقه الثقافي من ناحية الأدب ومن الأمثال التي جاءت في تلك الرواية ذكرها السباعي على لسان (عايدة) بعد زواجها ب (توتوبك) ومحاولاتها أن تصبغ بصبغتهم "وهل أستطيع أن

(1) أرض النفاق، ص / 78.

(2) طريق العودة، ص / 18.

(3) aldiwan.net/peom25760.htm

(4) جفت الدموع، 2 / 421.

(5) ابتسامه على شفثية، ص / 18.

أنكر أني قد صبغت بصبغتهم المدللة التافهة؟ ألم يقل المثل (من جاور الحداد كوى بناره)، "ومن عاشر القوم أربعين يوماً صار منهم"؟⁽¹⁾

أما الشخصيات الأدبية التي ذكرت في أعماله فمنهم طه حسين وتوفيق الحكيم وإبراهيم عبدالقادر المازني الخ وتحدث عن طه حسين في أكثر من كتاب روائي ففي روايته (نادية) يقول ((واتخذت نادية مجلسها على أحد المقاعد المرصوفة خارج الملعب وقد أمسكت بيدها كتاب ((الأيام لطفه حسين))⁽²⁾ ويخبر حسان ابنة خالته في (ليل له آخر) أن "قصة ((دموع النادمة)).. منشورة جنباً إلى جنب مع مقال طه حسين وتوفيق الحكيم"⁽³⁾ وهي قصة حسان نشرت في مجلة الرسالة الجديدة ويتحدث حسان مع سهير ويخبرها أن الكتاب والشعراء يشاركون في مؤتمر دمشق وتساءله سهير عن طه حسين "وطه حسين- المفروض أن يأتي.. ولكنه لم يصل بعد.. على أية حال إذا لم يحضر الليلة.. سأخذك إلى بلودان لترىه.. فالمفروض أن يلقي هناك محاضرة"⁽⁴⁾ وأخبر حسان عن أسماء المشاركين بالإضافة إلى طه حسين وهم "ميخائيل نعيمة وسهيل إدريس ونازك الملائكة وأمينة السعيد ورامي وإحسان عبدالقدوس وعبدالحليم عبدالله ويوسف إدريس وأنيس منصور"⁽⁵⁾ وفي مقدمة (إني راحلة) تحدث السباعي عن لقاءه مع الكاتب الكبير الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني ونقل رأيه عن القصة أيضاً وحاولنا أن نتحدث عن الشخصيات الأدبية فقط وخاصة من له علاقة بالكتابة أو نظم الشعر ولم نتحدث عن الشخصيات السياسية وعلى رأسهم جمال عبدالناصر حيث نجد خطبه ومواقفه جزءاً من رواياته لأنه يخرجنا من التأثير الأدبي وهو هدفنا ونأمل أن يكتب الباحثون عن التأثير السياسي لجمال عبدالناصر في روايات السباعي ولكنه موضوع يصعب الحديث عنه تحت هذا العنوان.

(1) إني راحلة، ص/ 290-291.

(2) نادية، 1/ 20.

(3) ليل له آخر، 1/ 17.

(4) المصدر نفسه، ص/ 199.

(5) المصدر نفسه.

ج. دقة المشاهدة

يمتاز يوسف السباعي بدقة مشاهدته وتنوع موضوعاته من المجتمع المصري فيختار شخصياته من الطبقات المختلفة ويشرح ما يدور في أذهانهم فهو يتحدث عن الأطفال وهم في مدارسهم الحكومية ويعبر عن مشاعرهم ورغباتهم البسيطة في الأكل والشرب ويختار كذلك طلاب الجامعة بل أساتذة الجامعة أيضا ليقدم مواقفهم نحو القضايا الشخصية ففي (السقامات) يتكلم السباعي عن (سيد) ومدرسته وزملاءه وظروف عائلته الاقتصادية والاجتماعية ولكنه في (نادية) يتكلم عن الأستاذ فاضل، خريج جامعة جرينوبل في فرنسا، ظلم في عملية التطهير في الدوائر الحكومية بعد انقلاب عسكري في 1952 وأختار (سيدة) الفتاة الفقيرة، مات أبوها وأجبرت أن تتحمل المشاكل النفسية والجسدية من أجل لقمة العيش ولكنه اختار كذلك (عايدة) ولدت في القصر و(انجي) ابنة أحد الأمراء فالسباعي له دقة المشاهدة عن الكوخ والقصر وفي (أرض النفاق) يكشف الستار عن الطبقات المختلفة من المجتمع والأمر لا يقتصر على المجتمع المصري حيث نعرف من خلال (ليل له آخر) تركيبة المجتمع السوري وآراءهم عن الوحدة السورية المصرية ويشير إلى العقول المدبرة لانفصال الوحدة بين سوريا ومصر وفي (جفت الدموع) يرينا جانبا آخر من المجتمع السوري الأحزاب السياسية وقيادتها وحياة ممثلي المسرح والسينما الخ وفي (ابتسامة على شفوية) يقدم لنا الشخصيات من داخل المجتمع الفلسطيني، يصعب فهم أحوالهم ومشاكلهم تحت الاحتلال الإسرائيلي وتضحياتهم وأسباب تضحياتهم ومواقع القتال وتساعدته خبرته في الجيش من خلال رسم مواقع القتال ولكن حرب المجموعات تختلف من حرب الجيش النظامي أيضا كما يشرح لنا في (طريق العودة) والسباعي الضابط العسكري السابق لا يتردد من رسم المشاكل جنود الجيش المصري الاجتماعية والنفسية كما فعل في (العمر لحظة) وكذلك تحدث عن السياسة في مجال الصحافة وألقى الضوء على حياة الموظفين في مكاتب الجرائد ونرى ذلك في (لست وحدك) وكذلك في (العمر لحظة) ومن ينكر أنه صور الأطباء والمستشفيات أحسن تصويرا واختار شخصية د.مدحت في

(نادية) وهو طبيب ماهر واختار أم سامية كمرضة في المستشفى وتحدث عن عيادة الأطباء في روايته (نحن لا نزرع الشوك) بل رسم لنا عيادة الطبيب في (ليل له آخر) حيث نلاحظ دقة مشاهدته في معاملة الأطباء لمرضاهم في عياداتهم وكذلك نلاحظ الفرق بين المستشفى المصري والبريطاني وقد ساعد الكاتب زيارته إلى انكلترا لمعالجة ابنه ليصور لنا الأماكن هناك وفي (السقامات) صور لنا حياة الطبقة الفقيرة في حي شعبي بضيق أزقته ومطاعمه غير النظيفة وتعاون سكانه بينهم وصور لنا فن الاستجداء في (أرض النفاق) وفي (نحن لا نزرع الشوك) اختار الشخصيات من منطقة البغى حيث يخبرنا ما يدور في المنطقة من بيع الأجساد ويلقي الضوء على أفكارهم ومعاملتهم مع زبائنهم فالحياة تجري بالجميع ولكن الكاتب يصور الجميع وهذا أمر صعب، يحتاج إلى دقة المشاهدة والقراءة الواسعة لفهم ما يجري في حياة الطبقات المختلفة.

د. الملامح الوطنية

يحب السباعي أرض مصر بشواطئها وصحراءها ومدنها وقراها فيفتخر بوطنيته ويهتم بكل ما لها علاقة بأرض مصر فشخصياته مستعدة للتضحية من أجل الوطن كما وجدنا في رواياته التاريخية ولكننا لا نقصد هنا بعض المظاهر البسيطة والمواقف المؤقتة ولكننا نريد أن نركز على الجوانب الأخرى مثل حب نادية لوطنه فهي فتاة تعيش في فرنسا ولكنها قبلت أن تعود إلى مصر وتبقى على أرضها ومثل حب أنجي لوطنها حيث سافر أبوها وترك البلاد بعد الثورة في (رد قلبي) لكنها ظلت متمسكة بأرض مصر وفضلت أن تعيش هناك ولا ننسى طيبة العائلة المصرية في (ليل له آخر) وهي تقف مع أسرة سورية في مشكلة المعالجة لابنة سورية سهير وهي مصر (حمدي) في (نحن لا نزرع الشوك) حيث ساعد (سيدة) الخادمة وفتح لها أبواب بيته وسمح لها أن تدفن في مقبرة أقاربه وأسرته وهو يقف مع مواقف وطنه في قضية تأمين النفط وخلال وحدة مصر وسوريا وهو يجب أن يكشف لنا اهتمامه لنهر النيل وشواطئ الاسكندرية وهو يشرح لنا الدور القيادي المصري نحو

قضية فلسطين وهو ينتقد أيضاً السياسة المصرية أحياناً والدوائر الحكومية الخ في (أرض النفاق).

والباحث من خلال قراءة رواياته يجد الأشياء الكثيرة مثل اهتمامه بالأطعمة المصرية وتقارن (عايدة) بين ذوقها المصري وذوق (توتوبك) الفرنسي وقد ذكرنا أن زوجته السيدة دولت السباعي ذكرت في لقاء صحفي بأن (أحمد) في روايته (إني راحلة) هو يوسف السباعي نفسه وتغضب (عايدة) من توتوبك لأنه يسخر من الشعب المصري "أمامه قرون حتى يصبح شعباً متمدنياً.. شعب الفول المدمس والطعمية"⁽¹⁾، ويشرب الجميع (قمر الدين) بعد دوي المدفع في الإفطار في جزيرة نائية في (العمر لحظة) وفي (أرض النفاق) تبدأ الرواية بتناول الطعام "وقد انتهت من تناول وجبة دسمة شهية.. عمادها: الأرنب والملوخية.. وأركانها ورق العنب المحشو وطبق من الدمعة.. وحواشيها كمية لا بأس بها من سلطة الطحينة والخيار المخلل وخاتمتها شقة مثلجة من بطيخة ((شليان بلاك)) أصلي"⁽²⁾.

وليس الطعام فحسب فهو يحب الغناء المصري ويشهد بشعر أمير الشعراء أحمد شوقي الخ من الشعراء ويذكر أسماء الكتاب والمؤلفين الكبار من بلاده وهذا الموضوع يحتاج إلى دراسة مستقلة بعنوان (الملاحم الوطنية في روايات يوسف السباعي).

هـ. قضية المرأة

يمتاز السباعي بتصوير المرأة المصرية والعربية في رواياته ومن خلال قراءتنا لأعماله الأدبية تعرفنا إلى الشخصيات المختلفة ويكشف لنا السباعي كيفية تفكير المرأة حول المواقف المختلفة ففي (نحن لا نزرع الشوك) أم حمدي ربة البيت، تحافظ على بيتها وتوفر النقود للمستقبل وتهتم بأطفالها وأصدقاء أولادها وتزوج خادمتها وتشترى لها الذهب ولكننا نرى في نفس الرواية أن (أم عباس) تخاف على ابنها

(1) إني راحلة، ص/ 151.

(2) أرض النفاق، ص/ 9-10.

ولا تستطيع أن تربيها تربية حسنة لأنها ابنها الوحيد فتدللها وتقف معه ونجد كذلك في هذه الرواية أم علام، وهي مستعدة أن تخرب الحياة الزوجية لابنها حتى فعلت ذلك وأخرجت (سيدة) من بيتها بعد الضرب فالأم ظالمة هنا والأم الآخر هي (سيدة) نفسها تحاول بكل الطرق أن تربي ابنها وترضى زوجها وتعمل ممرضة في المستشفى وتحاول إبعاد ابنها من والده لا يهتم به ويريد أن يستغل أمومتها حتى يكسب المال وهناك أم آخر وهي أم (دلال) التي كانت تشتغل البغى وجعلت ابنتها تعمل أيضا "وأصبحنا نذهب إليها في البيت.. وكانت دلال قد كبرت وفتحت.. وبدأت تدخل في الكار" (1) فهذا نوع آخر من الأم وتزوجت (دلال) ب(جابر) - والد سيدة بعد وفاة زوجته الأولى ولكنها كانت تمارس المهنة خفية عن أنظار زوجها وتظلم (سيدة) وتضربها ولم تهتم بها بعد وفاة والدها أي زوج (دلال) "فقد انطلقت دلال من البيت بعد وفاة جابر لحال سبيلها ولم يكن هناك مكان لسيدة في هذا السبيل.. ولا حاجة لها بها" (2) ولكنها لم تكتف بذلك بل وفرت لها المكان لتواصل البغى بعد أن كبرت وطلقت وشاءت الأقدار أن تدخل (سيدة) في تلك المهنة بعد أن فقدت كل ثقة بالعالم ولم تجد ملجأ، تلتجئ إليه وهذا على سبيل المثال وصور لنا السباعي المرأة كأخت وزوجة وخالة وعمة وجدّة وجارة وحببية وموظفة وصحفية ومربية وخادمة ومغنية وراقصة وممثلة وطالبة ومدرسة ومناضلة الخ من الشخصيات فهو حاول أن يوصل ما يدور في أعماقها إلى القراء فصور كفاحها ومشاركتها في بناء الوطن ولكنه صور خيانتها أيضا فقدم السباعي عالم المرأة لقراءه بكل حيويته وتناقضاته فهو صور وفاءها لزوجها ووطنها وحبها لوالدها ومحافظتها على أسرتها ولكنه ألقى الضوء أيضا على تركها أولادها لمحبتها فالموضوع يحتاج إلى وقفة تأملية بعنوان (المرأة عند يوسف السباعي).

(1) نحن لا نزرع الشوك، 1/ 28.

(2) المصدر نفسه، 1/ 27.

ي. قضية فلسطين

قضية فلسطين من أهم القضايا التي شغلت يوسف السباعي طوال حياته ويمتاز بتقديم فلسطين إلى الأجيال القادمة وله أسلوب خاص في عرض الأحداث حيث تتضح القضية بصورة واضحة وفي (أرض النفاق) (1949) يصور مأساة فلسطينية بقوله "لقد سمعت من صاحب لي عائد من فلسطين.. أنه ليس مع أهلها سلاح يحمل وأن معظم المقاتلين هناك عزل بلا سلاح ولا ذخائر وأن المعارك التي بدأت في أول الأمر ليس بها شئ مما نعرفه عن المعارك الحربية هي أشبه بمعركة بين شاة وقصاب.. قصاب يهودي قد شحذ سكينه، وشاة عربية... لا حول لها ولا قوة"،⁽¹⁾ وفي (طريق العودة) يشكو السباعي على لسان مراد بعد هزيمته واستشهاد زملاءه "لا أعرف لماذا تركتموهم يطردونكم من دياركم.. لماذا لم تطردوهم أنتم.. وتريحونا.. كان يجب ألا تتركوا بيوتكم أو تموتوا فيها"⁽²⁾ ولكنه خصص روايته (ابتسامه على شفثيه) حيث يصور لنا المقاومة الشعبية التي كان يشكو منها وكتب السباعي عن مذبحه ديرياسين "ونحض عمار ينقل أقدامه الصغيرة العارية وسط الدماء.. وأشياء كثيرة حمراء تتدلى من بطن خالته.. وأخوه قد تقوس جسده وغطت الدماء وجهه.. وأمه راقدة.. وقد فغرت فاهها وأسبلت عينيها.. والصغيرة تجبو وسط الدماء.. وقد تلوثت ثيابها وكفاها ووجهها.. تسعى فزعة إلى أمها التي أفرغ الهمج جوفها"⁽³⁾ ويشرح السباعي ما حدث من القتل والتدمير في (الصلت) على لسان يحيى بقوله "في الصلت.. وفي كل القرى المحيطة.. ضرب الناس العزل.. الشيوخ والنساء والأطفال.. معركة غير متكافئة.. بين فلاحين.. لا يملكون غير الفئوس وبين قوات اليهود المسلحة.. دبابات ومدافع.. وقذائف طائرات... ومات معظمنا.. مع من مات أهالي البلدة.."⁽⁴⁾.

(1) أرض النفاق، ص/ 47.

(2) طريق العودة، ص/ 164.

(3) ابتسامه على شفثيه، ص/ 26-27.

(4) المصدر نفسه، ص/ 80-81.

وذكرها في الروايات الأخرى ولكن مصريته تجبره أن يجعل الحكام المصريون المسؤول الأول لحل قضية فلسطين ويعتقد أن المصريين هم الذين رفعوا قضية فلسطين فقط ويشكو من العرب والأمر الواقع أن الدول العربية الأخرى شاركت بجيوشها وقدمت التضحيات لأجل تحرير فلسطين ونظمت المقاومة وفتحت حدودها لإخوتها الفلسطينيين، ولكن السباعي يرى حكومات الدول الأخرى بنظرة حكام مصر ويصفي حساباته من خلال تقديم القضية أيضا "تشاغلنا جيوش العراق وسوريا بطى النظام وراء النظام"⁽¹⁾. وفي هذه الرواية تنعكس مشاركة المرأة الفلسطينية في المقاومة ويؤمننا السباعي بأن المقاومة مستمرة رغم سقوط مدينة القدس بأيدي اليهود ورغم الهزيمة حيث "ضاعت الجولان.. والضفة الغربية.. وسيناء"⁽²⁾ وبقي مخلصا للقضية الفلسطينية حتى استشهد بأيدي الفلسطينيين في 1978 بعد أن زار إسرائيل مع رئيس الجمهورية المصري أنور السادات آنذاك.

(1) ابتسامة على شفتيه، ص/ 38.

(2) المصدر نفسه، ص/ 125.

المبحث الثالث: المآخذ على كتابة يوسف السباعي

وذكرنا في المبحث السابق عما يمتاز به أدب يوسف السباعي وككل كاتب وأديب هناك بعض العيوب التي أشار إليها الأدباء في أدب يوسف السباعي ومنهم د. طه حسين والأستاذ أنور المعداوي ود. بنت الشاطئ ومحمد فريد أبو حديد الخ من الشخصيات الأدبية المعروفة وهناك بعض الملاحظات كباحث يجب ذكرها حول كتابة السباعي الروائية فنركز على النقاط التالية في هذا المبحث:

1. استخدام اللغة العامية
2. الأخطاء اللغوية
3. الاستشهاد بالأبيات دون ذكر اسم الشاعر
4. التركيز الزائد على الجنس
5. استخدام الكلمات الأجنبية
6. التناقض في المعلومات وقتها

استخدام اللغة العامية

يكثر السباعي استخدام اللغة العامية في بعض رواياته فلنأخذ (السقامات) مثلا حيث يتكلم (سيد) في اللغة العامية في الرواية و(شحاتة) وشوشة لا يختلفان عنه أيضا والحاجة (زمزم) كانت تنطق بالعامية أيضا بل الحق أن حوار معظم الشخصيات كان في اللهجة المحلية وتحدث د. طه حسين عن (رد قلبي) إحدى روايات السباعي وأشار إلى هذا الأمر حيث يقول "فقد خيل إلى أخذت في قراءة القصة أن الكاتب قد عاد إلى الحق ورجع إلى الصواب وآمن باللغة العربية الفصحى وإعرابها ولكنني لم أكد أمضى في قراءة القصة مائتى صفحة حتى راعني ما فيها من استخفاف بالفصحى وزادراء للإعراب وإعراض عن أيسر أولياته وتورط في فنون من الهجن لا تخطر لكاتب ولا لقارئ على بال... فأطلق نفسه على سجيتها وكتب غير حافل بخطأ أو صواب.. لأنه لا يهتم للإعراب ويريد أن يشارك الناس

في الإعراض عنه والازدراء له ولكني أؤكد له ناصحا أن هذا الإهمال يشين قصته
حقا ويسيء إليها في غير استحقاق منها لهذه الاساءة"⁽¹⁾.

وذهب د. سيد بن حسين العفاني حيث اتهم السباعي بأنه لا يجيد العربية
ولا يقصد إهماله حيث يقول "قد كان يوسف السباعي لا يجيد الكتابة بالعربية إلا
بصعوبة شديدة ويفضل العامية ويتحدى في وقاحة شديدة ويسخر من الفصحى
ومن سلامة الكتابة على أصول اللغة وقد هوجمت قصص يوسف السباعي
(وخاصة قصة إني راحلة) لأنها عامية اللغة"⁽²⁾، وفي مقدمة (السقامات) كتب
السباعي بأنه قابل الأستاذ احمد "كبير مفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف فانبأني
أن الوزارة كانت توشك أن تقرر بعض كتيبي لمدارسها لولا أن اللجنة المختصة رأت
أن الكتب تحوي بعض عبارات بالعامية تتنافى مع الغرض الذي قررت من أجله
الكتب"⁽³⁾.

وللسباعي آراءه الخاصة في قضية الكتابة في اللغة العامية وليس من الضروري
أن نوافقها ولكننا لا نميل إلى رأى بأنه كان لا يجيد الكتابة في اللغة الفصحى
وأعماله الكثيرة في مجال القصة القصيرة والرواية والمسرحية وأدب الرحلة وأدب
السيرة الذاتية خير دليل على ذلك أما إهماله اللغة الفصحى وخاصة من خلال
الحوار بين الشخصيات فهذا أمر آخر أما السخرية التي أشار إليها د. سيد حسين
قد تكون ناتجة عن الانزعاج الذي أصابه بإسقاط كتبه لأجل غرض تعليمي حيث
يقول السباعي "إني أكتب للعامية أكثر مما أكتب للخاصة من الفصحاء والبلغاء..
وأن هؤلاء العامة في أشد الحاجة إلى زاد من الأدب الذي يفهمونه.. والكتابة التي
يسينغونها.. أكثر من أولئك الخاصة الذين لديهم تراث من الفصاحة والبلاغة بفيض
عن حاجتهم"⁽⁴⁾، وكتب السباعي في مقدمة (السقامات) بأنه حاول أن يكتب

(1) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 40.

(2) أعلام وأفزام في ميزان الإسلام، د. سيد بن حسين العفاني، ج/ 1، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع،
جدة، ص/ 557.

(3) السقامات، ص/ 4.

(4) المصدر نفسه، ص/ 5.

باللغة الفصحى فقط " فلم أكد أبداً هذه القصة حتى ذكرت وزارة المعارف ومطالبها التي تترفع عن اللغة العامية وعزمت أن أقيم سياجا منيعا يحول دون تسرب الألفاظ العامية التي تأبى إلا أن تفرض نفسها فرضا في سياق الحديث.. ولكني لم أكتب بضع صفحات.. حتى وجدت أبطال القصة ينطقون على الرغم مني في الحديث باللغة العامية"⁽¹⁾

الأخطاء اللغوية والمطبعة

أشار الأديب محمد فريد أبو حديد في مقاله (سوط الكاتب والمجتمع) بأنه لا يوافق السباعي في نظريته عن اللغة "إنني أخالفك في بعض آراءك في اللغة وقواعدها وقد استهت بها ولك أن تقول ما تشاء ولكني أراك تغالط نفسك.."⁽²⁾، وكتبت د. بنت الشاطئ مقالا حول روايته (أرض النفاق) والمقال سمي أيضا (أرض النفاق) حيث تقدم لنا الدكتورة تجربتها الأولى مع كتابات السباعي "وكان يهون على أن أفرط في كتب يوسف السباعي لرأى لي فيه صديني عن كل ما يكتب، فلقد سبق أن ألقيت نظرة عابرة على كتابين له ظهرا في سنة 1947 فصدمني كثرة أخطائه اللغوية واللغة هي أداة التعبير وهي كذلك مادة تخصصي ومن ثم فهي موضع اعتزازي".⁽³⁾

ولعلها تقصد (أطياف) مجموعة القصص القصيرة و(نائب عزرائيل) روايته الأولى لأنهما نشرتا في 1947، يمعننا منهجنا "أن نبحت عن الأخطاء اللغوية في (أطياف) لأنها مجموعة قصصية ولكننا نشير إلى بعض الأخطاء النحوية في (نائب عزرائيل) ومنها قوله مخاطبا لعزرائيل "إنك لم تنادي اسمي، بل ناديت اسما يشبهه"⁽⁴⁾ والصحيح (لم تناد) بحذف حرف العلة ويخطئ السباعي في القواعد

(1) السقامات، ص/ 4.

(2) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 60.

(3) المصدر نفسه، ص/ 74.

(4) نائب عزرائيل، ص/ 8.

البيسطة حيث يقول "كنت متأكد أن الرجل لم يعد له سلطان"⁽¹⁾ ويجب أن يكون (متأكدا) لأنه خبر كان وكذلك الأمر مع استخدام لا الناهية "اسمع يا سيدي.. خفف عن نفسك... ولا تضيق بي هما"⁽²⁾ والصواب (لا تضق) وهذه بعض الأخطاء اللغوية بالإضافة إلى الأخطاء الأخرى قد تكون هي المطبعية فنضعها في الجدول الآتي:

الرقم	الجملة	الخطأ	الصواب	الصفحة
1.	ذلك الطابور الطويل الذي يشق طريقه ال الداخل	ال	إلى	7
2.	نادى الاسم مرة ثالثة مصراع على به من تحريف	مصراع	مصرا	7
3.	ولم يجب غيري الذي قد ييكون صاحب الاسم	ييكون	يكون	7
4.	ولا أظن أن هناك م يبعث على الدهشة أو الشك	م	ما	9
5.	وعاودنا الهبوط رأيته يلتفتالى	يلتفتالى	يلتفت إلى	22
6.	وأصبح كأن لم لم يكن	لم لم يكن	لم يكن	41
7.	فأخرجت من الحقيقة ورقة بيضاء كبيرة	الحقيقة	الحقيقية	76
8.	لأنني توقعت أن تكون عملية..	لأنني توقعت	لأنني توقعت	83
9.	ويتجه إلى فراشة في سكون	فراشة	فراشه	89
10.	يدخل الحجرة ويجد الآخر راقد	راقد	راقدا	

ومن أسباب ورود هذه الأخطاء كثرة أشغاله أولا فهو أحيانا يكتب القصة ولا يعيد النظر فيها كما فعل من خلال كتابة (إني راحلة) حيث يعترف بأنه كتبها خلال عشرين يوما "فلقد تركتها بعد كتابتها فلم أقرأها إلا مرة واحدة في بروفات

(1) نائب عزرائيل، ص / 11.

(2) المصدر نفسه، ص / 29.

التصحيح قبل الطبع"⁽¹⁾ المؤلف مسؤول عن أفكاره وتقديمها بدون الأخطاء اللغوية إلى قارئه ولكنه قليل الاهتمام ولا يتحمل المسؤولية.

بل يهين أدباء عصره ويسخر من اهتمامهم باللغة العربية الفصحى "بقيت كلمة أحب أن أوردتها في هذا التقديم.. وهي دهشتي من ذلك الانزعاج الشديد الذي يصيب البعض عندما يصطدمون. على حد قولهم - هنا وهناك ببعض الأغلاط اللغوية وإني أوافقهم على أن هذه الأخطاء على قلتها أشبه بالأتربة التي قد تؤثر تأثيرا ظاهريا على بھجة الكتاب.. ولكن أعتقد أن مهمة الإزالة هذه توكل دائما إلى المصححين.. وأن الكتاب يمر قبل الظهور على ما لا يقل عن أربعة من ذوي العمام والتمائم.. فان بقيت به بعد ذلك أتربة فهو تقصير من مزيلي الأتربة اللغوية أو كناسي اللغة".⁽²⁾

الاستشهاد بالأبيات دون ذكر الشاعر

يستشهد يوسف السباعي في أعماله الأدبية بالأبيات من العصور الأدبية المختلفة ولكنه في كثير من الأحيان لا يشير إلى قائلها والقارئ العادي لا يعرف صحة هذه الأبيات أولا ولا يتعرف أيضا إلى الشعراء الذين نظموا تلك القصائد ونستشهد بذلك من (أرض النفاق) إحدى رواياته الاجتماعية وفي الجدول الآتي نذكر بدايات الأبيات فقط مع ذكر الصفحة التي وردت فيها تلك الأبيات

الرقم	البيت	الصفحة	اسم الشاعر
1.	أنل قدمي ظهر الأرض إني..	39	غير معلوم
2.	لكل داء دواء يستطب..	78	غير معلوم
3.	مررت على الفضيلة...	96-95	غير معلوم
4.	وانهب من اللذات..	99	غير معلوم
5.	لا تضق هما بأمس..	99	الخيام
6.	أديم الأرض من هذه..	114	أبوالعلاء

(1) إني راحلة، ص/ 9.

(2) أغنيات، الشيخ زعرب، ص/ 115-116.

7.	قدر لرجلك قبل الخطو..	216	غير معلوم
8.	إذا لم يكن في..	218	غير معلوم
9.	وإني وإن كنت..	251	غير معلوم

وهذا على سبيل المثال ونرى أنه على الباحثين أن يختاروا رسالة الماجستير أو أطروحة الدكتوراة بعنوان (الشعر الفصيح في روايات يوسف السباعي) ووجدنا كثرة ذكر الأبيات في قصصه القصيرة أيضا فيمكن أن يبحث أيضا بعنوان (الشعر في قصص يوسف السباعي القصيرة).

التركيز الزائد على الجنس

يهتم السباعي اهتماما كبيرا إلى قضايا الشباب العاطفية ويركز على فئة عمرية معينة وهي بين المراهقة وبداية الشباب وفي (إني راحلة) تحب (عايدة) ابن خالتها وهي طالبة المدرسة وفي (نادية) أحبت نادية دكتور مدحت وهي في المدرسة وحب أختها (منى) لا يختلف لعصام وهما توأمان وأحبت أم سامية الكاتب وهي طالبة في المدرسة وأحبت (سامية) في (بين الأطلال اذكريني) وهي طالبة جامعية. يعبر السباعي عن ميول هؤلاء الشباب ورغبتهم إلى الجنس وزياراتهم إلى دور البغى فوصف المناطق المحددة لها في القاهرة وأظهر ضعف المجتمع في رواياته ويصور لقاءات الأحياء العاطفية من القبلات والحضن والنوم معا ويصف الحبيبات وصفا جسديا بذكر امتلاء أردا فهن وبروز صدورهن الخ من الصفات، يرغب الشباب إلى قراءتها ويتهمه الكاتب أنور الجندي في كتابه (الصحافة والأقلام المسمومة) بعنوان (الدعوة إلى إعادة البغاء) حيث يقول "طالب يوسف السباعي وأنيس المنصور بالعودة إلى الدعارة العلنية بدعوى أن ذلك يقضي على القلق الذي يساور الشباب في المجتمعات ولو كانوا صادقين مخلصين في النصح لطالبوا بأسلوب من التربية الدينية والخلقية فهذا وحده هو الأسلوب الذي يؤدي إلى إنقاذ هذه

الأجيال أما هذه الدعوة المسمومة فإنها لا تحقق إلا مزيداً من الفساد"⁽¹⁾، ويوافقه د. عبدالقدوس، وهو رئيس التحرير لمجلة الأدب الإسلامي حيث ألقى محاضرة في نادي أبها بعنوان (موقف الأدب الإسلامي من الجنس في الرواية المعاصرة) إذ يقول "إن العصر الحديث شهد انتكاسة للأدب العربي بالركض وراء الجنس كأمثال يوسف السباعي وإحسان عبدالقدوس والتي تصور معظم رواياتهما المجتمع المذهلي أو مجتمع الصالونات المختلطة وتعتمد على إثارة الغرائز الجنسية أو مداعبتها لدى المراهقين"⁽²⁾ ويرى الكاتب أنور الجندي أن الصحافة المصرية مسؤولة عما قدمت للمجتمع بتركيزها الزائد على المرأة وضللت المجتمع باسم الفن حيث اهتمت بالمرأة وهي في مجال السينما والمرقص والمرأة المغنية والمرأة الراقصة كانتا موضع اهتمام الصحافة "ويهدف هذا كله إلى خلق مثل أعلى (ضال ومسموم للفتيات والفنانات والراقصات والمغنيات وخلق مثل أعلى للشباب من لاعبي الكرة والممثلين والراقصين وهذه هي أخطر محاولة للصحافة وكل ما وراء الصحافة بعد ذلك لا قيمة له وقد رفعت الصحافة كتاب أدب الفراش وأغاني الجنس إلى أعلى الدرجات أمثال يوسف السباعي وإحسان عبد القدوس ونزار قباني"⁽³⁾.

(1) الصحافة والأقلام المسمومة، أنور الجندي، ط / 1، 1980، دار الاعتصام للطبع والنشر القاهرة، ص / 85.

(2) رواية العصر الحديث تنير الغرائز وتشجع على الانحلال، سامية البريدي، الأربعاء 2012/5/16،

www.alwatan.com.sa.

(3) المصدر السابق، ص / 76.

1. استخدام الكلمات الأجنبية

يدعي يوسف السباعي بأنه ضعيف في اللغة الإنجليزية وذكر بعض أحداث حياته في سيرته الذاتية (من حياتي) تدل على قلة معرفته في اللغة الإنجليزية ولكننا نجد في رواياته أنه يستخدم الكلمات الإنجليزية في رواياته -ففي روايته (نادية) يدور الحوار بين (نادية) و(منى) حيث تقول منى

"-إنه my boy friend

- ليس في تقاليد ناشئ اسمه boy friend هذه صفة لم نعترف بها بعد في أسرتنا"⁽¹⁾.

وفي الحوار بين (منى) و(جمال) على مائدة العشاء "وأجابت ((منى)) ضاحكة:- لا ((هذه طلعت آوت))"⁽²⁾ ويقصد كلمة out الإنجليزية وبعض الأحيان يكتب الجمل الإنجليزية في اللغة العربية ويسأل (توتوبك) عايدة في (إني راحلة) -ما رأيك في أسطوانة (جيف مي يورلبس)؟ وفهمت أنه يعني بالعربية أغنية ((إعطني شفتيك))"⁽³⁾.."⁽⁴⁾ ويقصد بالعبارة Give me your lips ولا نفهم ما الذي أجبر السباعي أن يكتب الإنجليزية في الكتابة العربية وسبق أن كتبنا الحوار بين (منى) و(نادية) وهو كتب my boy friend في الإنجليزية وكرر نفس الأسلوب حيث كتب "حتى أجعل مزاجهم يخشوشن.. وأنسيهم كل ما يعلمون عن ((وش مي جودباي))"⁽⁵⁾ ويقصد بذلك الأغنية wish me good bye -وتحدث يوسف السباعي عن ذكريات طفولته "وبدأت أتلو الحديث.. كما كنت أتلو قطع المحفوظات في صباي وكما كنت أنشد I have two eyes and I can see"⁽⁶⁾ ولكنه لم يترجمها لقراءه- وفي (رد قلبي)

(1) نادية، 13 / 1.

(2) المصدر نفسه، ص/ 204.

(3) الكلمة الصحيحة هي أعطني وليس اعطني ولكننا نقلناها كما ورد في الكتاب.

(4) إني راحلة، ص/ 148.

(5) المصدر نفسه، ص/ 153.

(6) ليلة خمرة - من حياتي، ص/ 239.

استخدم الكلمات الانجليزية المختلفة في حديثه عن الرياضة حيث فضل كلمة (التييم) (Team) على (الفريق) واستخدم كلمة (باك شمال) وهي النصف الانجليزية والنصف العربية ويقصد (left back) في كرة القدم وكتب كذلك سنترهاف" وهي كلمة انجليزية (center half)⁽¹⁾.

2. التناقض في المعلومات وقلتها

يذكر السباعي أحيانا بعض الأرقام ولكنها قد تكون مختلفة في نفس الرواية ويغالط بين الأسماء أيضا فيذكر اسم شخصيته مرة ويتغير جزء من الاسم في صفحة أخرى وقد تكون معلوماته عن الموضوع التاريخي قليلة لا تغطي الجانب التاريخي المعروف وقد تكون قصته تحمل معلومات خاطئة أيضا.

يصور السباعي في (العمر لحظة) لحظة هجوم القوات الصاعقة المصرية ويعبر عن مشاعرهم ضد الإسرائيليين بقوله "الغل والحقد، في وجود المصريين، الرغبة الدفينة في الثأر، لكرامة جيش وكرامة شعب.. الثأر لعشرين ألف قتيل"⁽²⁾ ولكننا نعرف بعد صفحات قليلة على لسان (محمود) قائد الهجوم المذكور أن عدد القتلى مختلف ماذا تقولين إذا في 15 الف قتيل؟

- أين؟..

- في المعركة المشؤمة التي سميها بالنكسة"⁽³⁾ والفرق شاسع بين عدد الشهداء وفي روايته (ليل له آخر) يختلف رقم الفدان من الأرض، تملكها أسرة سهير عبدالهادي حيث قال عبدالهادي " سأريهم ماذا أفعل بالسبعمئة فدان التي سيتركونها لي"⁽⁴⁾ ولكننا نعرف من (سهير) ابنته أن العدد "سبعمئة وخمسون فداناً"⁽⁵⁾ وكذلك عدم معرفته بقانون الإصلاح الزراعي الذي طبق على الإقطاعيين

(1) رد قلبي، 1 / 44.

(2) العمر لحظة، ص / 155.

(3) المصدر نفسه، ص / 178.

(4) ليل له آخر، ص / 247.

(5) المصدر نفسه، ص / 249

وتحدثنا عن هذه القضية ومعلومات السباعي القليلة في المجال الزراعي في تعريفنا لهذه الرواية في الباب الثاني عند حديثنا عن هذه الرواية التاريخية.

وفي روايته (نادية) يخبرنا السباعي أن (ميرفت) ترغب في الزواج مع دكتور مدحت وهي "بنت الدكتور عبد الحميد.. أستاذ الأشعة في الكلية"⁽¹⁾ وفي الحوار الآخر بين (صبري) و(نادية) عرفنا أن ميرفت هي ابنة د. عبدالفتاح والغريب أن المعلومة الأولى عرفناها أيضا بالحوار بين (صبري) و(نادية).

ويخطئ السباعي أحيانا في روايته، تقلل من قيمتها وهي خساره كبيرة للكاتب أن تذهب جهوده سدى ففي روايته (طريق العودة) تدور القصة حول لاجئة فلسطينية (نهي)، هاجرت من نابلس بعد أن طردها اليهود عام 1948 ويذكر أنها كانت تسقى أشجار الليمون والبرتقال وينفي د. صالح هذه المعلومات بقوله "ونابلس مدينة من المدن الفلسطينية التي لم يغادر أهلها عام 1948 ولم يهجر أهلها ولم يطرد منهم أحد ولم تقع اعتداءات يهودية.. أن تكون نهي لاجئة من نابلس فلذلك يخالف المنطق التاريخي.. وأن اليهود لم يحتلها إلا عام 1967"⁽²⁾ ونشرت آراء د. صالح في كتاب نشره مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية وأضاف د. صالح بأن المدينة المذكورة منطقة جبلية لا تزرع فيها أشجار البرتقال والليمون والحمضيات.

قد يكون للسباعي العذر في قلة المعلومات عن دولة عربية أخرى ولكن معلوماته عن ثورة 1952 قليلة أيضا وهي ثورة الجيش المصري وعلق الدكتور طه حسين على روايته (رد قلبي) وتحدث عن الجانب التاريخي لهذه الرواية فقال "وإنما هو التاريخ السياسي لمصر منذولى فاروق إلى أن أقصته الثورة عن مصر وهو التاريخ السياسي كما قرأه الناس في الصحف قبل الثورة وكما قرأوه بعد الثورة وهو التاريخ السياسي الرسمي الذي يعرفه الناس الآن، ليس فيه جديد وعسى أن ينقصه كثير جدا من التحقيق والتعميق"⁽³⁾.

(1) نادية، 1/ 75.

(2) فلسطين في الرواية العربية، ص/ 93.

(3) الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص/ 28.

ونكتفي بهذا القدر من الأحاديث عن المآخذ حول كتاباته وكان هذا هو
المبحث الثالث والأخير من هذا الفصل وحاولنا أن نحلل رواياته في ضوء عناصر
الرواية في المبحث الأول وفي المبحث الثاني تحدثنا عما يميز يوسف السباعي الروائي
وموضوع المبحث الثالث بعض الملاحظات وآراء الكتاب حول أسلوب كتابته
فذكرنا بعض الإهمال والأخطاء التي وقع فيها السباعي خلال رحلته الروائية الطويلة
وننتقل الآن إلى الفصل الثاني والأخير من هذا البحث المتواضع نقدم فيه آراء
السباعي حول القضايا والموضوعات المختلفة.

الفصل الثاني:

الدراسة النقدية لإنتاجه الروائي الرومانسي

سعة الراوية من حيث الحجم والشخصيات تسمح للكاتب الروائي أن يقدم أفكاره ويعبر عن آراءه حول الموضوعات المختلفة ذات علاقة دينية وإجتماعية وسياسية الخ ويقترح ما يحتاج إليه مجتمعه لإصلاحه وتطويره في المجال الداخلي والخارجي ويستطيع الكاتب أن يرسم لزعماء بلاده خطوط سياستهم نحو الدول المجاورة والكاتب العربي يصعب إجتنابه من تقديم الحلول للأوضاع في الوطن العربي حيث يتأثر بظروفه الإقتصادية والسياسية ومواقف القيادة في الدول العربية تأثير إيجابيا أو سلبيا وخاصة الكاتب المصري والكاتب الرومانسي بالدرجة الأولى لا يستطيع أن يتعد عن الساحة العربية لأنه يكتب عن التاريخ في رواياته ولا بد أن يكتب الروايات الإجتماعية فهو لا يقدم الأحداث فقط وإنما يقف مع شعبه ويقدم أحيانا مواقف حكومته نحو قضية دولية إن كانت أم الإقليمية وهو يهين شعبه للتضحية ويصور معاناته أيضا فالكاتب الرومانسي مهمته صعبة من حيث المواطن المصري وكمواطن عربي أيضا.

ومن خلال قراءتنا لأعماله الأدبية وجدنا أنه تحدث حول القضايا المختلفة فهو يصرح حينما ويشير إلى آراءه حينما آخر فهو يصرخ في القضايا الإجتماعية ويصرح في القضايا الدينية أيضا ويتحدث عن الحكم الملكي وينتقد أعماله قبل ثورة الضابط 1952 ولكنه قليل الحديث عما أصاب شعبه بعد ذلك وأسلوب المدح بجمال عبدالناصر يغلب على كتابته ويعظم إنجازاته ويكتب فقرات من كلمته في رواياته ويجبر قراءه أن يقرأوا إن فاتهم من أقواله ودوره في نهضة مصر بناءه ويذكر أنواع الأسلحة وتفصيل المعاهدات حيث تتحول الرواية إلى المقال وسرعان ما يعود وتجري الأحداث.

وفي هذا الفصل الأخير من هذا البحث المتواضع نحاول تقديم آراءه في المجالات الأربع وهي الدينية والاجتماعية والسياسية والتعليمية -نفضل تقديم مواقفه من رواياته وهي مليئة بآراءه ونشير كذلك إلى بعض آراءه نحو العلم والدراسة الخ وكما هو معروف أن الكتاب يقدمون أفكارهم على لسان شخصياتهم حيث

يغيب الكاتب وبذلك تسهل عملية إبلاغ المعلومات والأفكار فتكلم عن يوسف السباعي في المباحث الآتية.

المبحث الأول - آراؤه الدينية

ونتحدث فيه عن آراءه الدينية واهتمامه بالقرآن الكريم ونقده لمعلمي تحفيظ القرآن ورأيه عن حلقات الذكر وزيارة مقابر الأولياء ومراسم الجنائز المعروفة في مصر وكيف كان ينظر إلى الذين يقرأون القرآن بعد التدفين ويحصلون على الأجرة والطعام وكيف كان يصور تأثير الصلاة على شخصياته الخ حتى نفهم موقفه من الدين حيث نرى أنه ظلم من هذه الناحية ولم نجد بحثا يتكلم عن أفكاره الدينية وفهم أنه كان ضد مظاهر الدين التقليدية فنقدم ما ذهب إليه السباعي في رواياته من هذا الجانب.

المبحث الثاني - آراؤه الإجتماعية

تحدث يوسف السباعي عن الحالة الاجتماعية في النصف الثاني من القرن الماضي فصور لنا الطبقات المختلفة من المجتمع وألف آراءه لحل مشاكلهم وخاصة كانت روايته (أرض النفاق) تتكلم عن هذه الظاهرة فنذكر في هذا المبحث رأيه عن النظافة في حي شعبي والنفاق الذي ساد المجتمع المصري آنذاك وننقل أيضا ما كتب عن نظرة المجتمع نحو الفقراء وزادت الهجرة إلى الشرق الأوسط بعد استكشاف النفط وسافر العمال والمهندسون والأطباء والأساتذة إلى الدول العربية وكذلك الهجرة إلى أوروبا فتحدث السباعي أيضا عن الغربة ومرارتها في رواياته والسباعي الكاتب الرومانسي كتب تعريف الحب وذكر سماته وقدم آراءه عن حب المرأة وتضحيتها وناقش قضية الخيانة الزوجية وتحدث عن أهمية المناهج التعليمية ودورها في تغيير المجتمع وأصر على مجانية التعليم وهناك آراء أخرى نلخصها تحت هذا العنوان.

المبحث الثالث - آراؤه السياسية

نقل آراء يوسف السباعي في هذا المبحث فالسباعي ينتقد الجامعة العربية لدورها في حل المشاكل التي تعاني منها الدول العربية والمعروف أن السباعي كان لا يحب الشيوعيين وكان له رأى عن الإخوان المسلمين وكان مهتما بالفكرة القومية وكان من مؤيدي الوحدة العربية وسخر من الزعماء والقادة ومجد جمال عبدالناصر ومواقفه السياسية وكتب رأيه عن الحرب في مقدمة (ابتسامه على شفثيه) وفي (العمر لحظة) تحدث عن هزيمة الحزيران وقدم رأيه عن عملية التطهير بعد ثورة 1952 وكتب عن أسلوب حياة العباقرة أيضا وهذه بعض المحطات التي نقف عندها خلال حديثنا حول آراءه السياسية.

المبحث الرابع - آراؤه التعليمية

اختار السباعي بعض شخصياته من البيئة التعليمية ففي روايته (نادية) يدرس الأستاذ فاضل في الجامعة و(كمال) في (بين الأطلال اذكريني) معيد في الجامعة و(سامية) طالبة في الجامعة أيضا ويجب الأستاذ محمدسمادوني -الكاتب والمترجم- العلم ويعلق على أهمية العلم وكانت (عايدة) طالبة المدرسة عندما أحببت (أحمد) وكان (علي) و(حسين) يدرسان في المدرسة فنحاول أن نعرف آراء السباعي التعليمية وقد تكون قليلة مقارنة بآراءه الإجتماعية والسياسية ولكننا نحاول أن نغطي هذا الجانب أيضا لمعرفة أفكاره.

المبحث الأول: آراؤه الدينية

اهتم يوسف السباعي بالقرآن الكريم ومن خلال قراءتنا لأعماله الأدبية وجدنا الآيات الكريمة المختلفة تدل على فهمه للقرآن الكريم وذكرنا في الفصل السابق أنه يذكر الآيات بمناسبة مناسبات مختلفة حسب أحداث الرواية. وفي روايته "السقامات" ينتقد أسلوب تدريس المعلمين للقرآن الكريم، عندما يدرس الشيخ عبدالرسول سورة عبس بل يجبرهم لحفظ هذه السورة حيث لا يشرح لهم شيئاً وإذا سأل (علي) عن معنى الكلمة عبس بعد أن ناقش الطلاب معنى الكلمة ولم يصلوا إلى نتيجة فأجابه المدرس "مش ضروري تعرف.. أنت عليك انك تحفض من سكات ومن غير غلبة.. فاهم والا لا.. ناقص بقي تقول لي مين تولى ومين الأعمى"⁽¹⁾، وكأن على المدرس أن يحفظهم هذه السورة فنرى أن المدرس يكتب السورة على السبورة ثم يطلب منهم أن يحفظوا السورة بصوت عالي ويظهر هذا الهبوط في مستوى التدريس عندما يدور الحديث بين (شحاتة) و(سيد) ويخبر (سيد) أنه حفظ جزء عم كله بدون الفهم لأن المدرس لا يشرح لهم "بيخلينا نحفض كده من غير سؤال، خدنا جزء عم كله .. من غير ما حنا فاهمين ولا كله"⁽²⁾، ويذكر السباعي أهمية القرآن الكريم على لسان (شحاتة) بقوله "ياخسارة القرآن بين الجهلة.. القرآن دا ((ياسيد)) كلام حلو.. بس لازم يتفهم.. ده معجزة.. داما فش حاجة في الديننا تخليني انطرب اد سماع القرآن والانصات"⁽³⁾.

وينتقد المقرئين على القبر بعد إنزال الميت فيه بعد أن وصفهم "أما طريقتهم في القراءة فقد كانت سريعة عجلي إذ كانوا يلهثون وينهجون كأن وراءهم سياطا تتعجلهم، وكان أحدهم يقول الآية ثم يصمت ليلتقط أنفاسه فيكملها له الآخر وهكذا كانوا يقرءون بالتداول فتلاحق الكلمات على أصواتهم النشاز"⁽⁴⁾.

(1) السقامات، ص/ 132.

(2) المصدر نفسه، ص/ 197.

(3) المصدر نفسه، ص/ 198.

(4) المصدر نفسه، ص/ 227.

وفي (نحن لا نزرع الشوك) لا يختلف المنظر على قبر الأستاذ محمد السمادوني "وبضعة رجال.. غير الوجوه بين أكرش وأعجف ويقتحمون فناء المقبرة.. في ثقة كأنهم أصحاب بيت وقد خلعوا نعالهم واستقروا فوق إحدى الحصائر وأخذوا يتبادلون القراءة.. كأنهم في سباق التتابع يتناول كل منهم آخر الجملة من صاحبه ليلحم بها أول جملته ثم يظل يقرض الكلام بسرعة كأنه فأر يقرض لوحا من الخشب حتى يتناوله منه صاحبه فيلهف الكلمات كما يلهف المتسابق الراية من المتسابق الذي وصل إليه"⁽¹⁾، فالسباعي يسخر من أسلوبهم ولكننا السخرية الناتجة من الألم الذي يصيبه أهل الموتى يطلبون الرحمة لموتاهم وعندما تمنعهم أخت الأستاذ محمد فلا يسرعون وتخبرهم بأن ربنا لا يرضى بهذا الأسلوب من القراءة "ده حتى ما يرضيش ربنا وهدأ الفقهاء من سرعة قراءتهم.. أما نشاز أصواتهم فلم يكن لهم قدرة على إصلاحه.. وأخيرا وزعت الرحمة.. وأخذ الفقهاء بضع قرص.. وكبشة بلح أبريمي.. نظير كلمات الله التي أطلقوها في سرعة البرق"⁽²⁾، ولكن السباعي نفسه ينقل لنا صورة عائلة مسلمة في مدينة طشقند والحوار الذي دار بين السيدة وابنها يذيب له القلب وتدمع العيون "والجو العربي الإسلامي الأصيل يشيع في أنحاء الدار والسيدة الكبيرة تتمنى أن يحضر لها ابنها تسجيلا للقرآن قائلة له في صوت هادئ ملئ بالإيمان.

عدني بأن تحضر لي تسجيلا يشبع روحي بترتيل القرآن عندما أموت وتمنى الأب أن يكرمه الله بالحج وقال له ابنه - صحتك ضعيفة وقد لا تتحمل مشوار الحج - يكون من نعمة الله أن أفضى هناك"⁽³⁾ فالفرق شاسع بين كثرة الفقهاء والحفاظ في القاهرة وبين قلتهم في طشقند - وللسباعي مجموعة قصص قصيرة (نفحة من الإيمان) وتحمل كل قصة من هذه القصص جانبا إسلاميا حيث يكتب السباعي في بداية القصة آية من آيات الذكر الحكيم والقصة تدور حول

(1) نحن لا نزرع الشوك، ص/ 351-352.

(2) المصدر نفسه، ص/ 353.

(3) طائر بين المحيطين، ص/ 156-157.

تلك الآية بعد ذلك وفي قصة (نفحة من الإيمان) في هذه المجموعة يكتب خمس آيات من سورة مريم ثم تبدأ القصة⁽¹⁾.

ويذكر السباعي رأيه عن الصلاة على لسان عمار عندما يدور الحوار بينه وبين صديقه يحيى "المفروض أن تكون الصلاة وسيلة للجوء إلى الله.. ودعوته.. واستغفاره"⁽²⁾. ويشير السباعي إلى أهمية سورة الفاتحة على لسان (مي) في (ابتسامه على شفثيه) حيث تستعد للعملية ضد إسرائيل "وردت مي بابتسامتها الرقيقة في صوت هادئ النبرات:- ربنا ينصرنا.. دعونا نقرأ الفاتحة.. إنها دائما نفتح لي الطريق"⁽³⁾. وأشار السباعي في هذه الرواية أن الله يختبر إيمان عباده وأن شدة المصائب تزلزل كيانهم وإيمانهم ذلك من خلال الحوار بين فاطمة وأميرة الأحس في بعض الأوقات أن الله قد تخلى عنا ونعم بالله يا أميرة يا ابنتي.. إن الله يبلونا ليختبرنا"⁽⁴⁾

وهناك بعض المظاهر الدينية مثل زيارة قبور الصالحين وحلقات الذكر ومناسبة احتفال مولد النبي ﷺ في القاهرة وجعل السباعي هذه المظاهر من ثقافة مصر في رواياته فيذكر تارة رأيه ويجعلها مرة أخرى كأنها أمر ثقافي اعتاد الناس عليه.

وفي روايته (نحن لا نزرع الشوك) بيدي رأيه عن زيارة القبور والاستعانة بأولياء الله الصالحين "دنيا حافلة.. ووسط كل هذا يقوم الضريح.. أو المقام كما يسمونه وأسفله يرقد.. أو لا يرقد.. سيدي الماوردي.. كل هذا من أجله.. وهو قطعاً لا يدري.. وإذا درى.. فماذا يهمه حقيقة.. أن بعض المجاذيب ينادونه في صرخات محمومة.. ولكن ماذا يستطيع أن يفعل لهم.. وبعض المصابين والمحزونين ينادونه المتوسط لدى الله في قضاء حاجاتهم.. وإزالة كربهم.. ولكنه لا يعرف

(1) نفحة من الإيمان، ص/ 139.

(2) ابتسامه على شفثيه، ص/ 64.

(3) المصدر نفسه، ص/ 199.

(4) المصدر نفسه، ص/ 159.

كيف يتوسط لهم.. والله يسمعهم ولا شك.. قبله.. وهو من غير شك لا ينتظر في إقامة عدله وساطة.. ميت" (1).

أما حلقات الذكر فجعلها من حصة الطبقة الفقيرة وتعيش في الأحياء الشعبية ذات ثقافة محدودة وقبل أن نتقل إلى رأيه عن حلقات الذكر ووصفه لها نقل رأيه عن الروح من روايته (السقامات) حيث يقول شحاتة "ما قيمة الروح في ذاتها بلا جسد؟ أن كيان الإنسان وتصرفه ومشاعره ورغباته وملذاته وآلامه.. منعكسة من الجسد... فمن الغباء أن يحاول جعل الروح شيئاً مستقلاً عن الجسد ومن الغباء أن يتصور بقاءها بعد فناء الجسد.. فكما لا يستطيع أن يبقى بلا روح كذا لا يمكن أن يكون للروح وجود بلا جسد" (2) وتجمع فكرته (عن سماع الموتى والروح) في مقدمة أرض النفاق "لقد سمعت مديحك وأناحي محتاج إليكم.. وصممت أذني عن سبابكم وأنا ميت، أغناني الله عنكم وعن ديناكم" (3).

أما رأيه عن حلقات الذكر في روايته (السقامات) و(نحن لا نزرع الشوك) لا يختلف ومشاركوها من الطبقة الفقيرة حيث يشارك (شوشة) و(شحاتة) وهما يمثلان الطبقة العاملة في (السقامات) و(جابر) يشارك في حلقة الذكر وهو عامل في المطبعة وصاحب المطبعة الشيخ برعي يشاركه وهو يمثل الرجل الغني ولكنه من سكان الحي الشعبي أيضا وهو يعبر عن انزعاجه لأصوات المشاركين على لسان شحاتة "وتصب العرق من وجهه.. ودعا الله الحي.. أن ينزل على المخاييل ((نقطة)) تسلبهم الحياة حتى يكفوا عن هذا الصياح والترنح.. لا.. لا.. لا يمكن أن يكون حيا.. ولو كان حيا أكان يسكت عن كل هذا الصراخ، دون أن يصيب القوم بصاعقة تسكتهم. ((الله حي.. الله حي))" (4).

(1) نحن لا نزرع الشوك، 1 / 45.

(2) السقامات، ص / 186.

(3) أرض النفاق، ص / 8.

(4) المصدر السابق، ص / 164.

وهكذا يستمر السباعي في التعبير عن أفكاره عبر شخصياته يرسمهم وحياتهم نحو الدين والإسلام ويشير إلى ما لا يرضى من مظاهر الدين ولكنه في الوقت نفسه يصر على أساسيات الدين.

المبحث الثاني: آراؤه الإجتماعية

تحدث يوسف السباعي عن المشاكل الاجتماعية في روايته (أرض النفاق) وقدم آراءه حول الموضوعات المختلفة ومنها النظافة والشجاعة والنفاق والمروءة الخ وعن النظافة قال السباعي "يا أهل القذارة.. رحماكم.. إن النظافة من الإيمان.. وهي نوع من الإيمان لا يكلفكم كثيرا ولا قليلا.. لا يكلفكم أكثر من أن تتعودوه.. لا يكلفكم أكثر من أن تتناسوا قليلا فن القذارة.. إذا كنتم لا تطيقون النظافة، فكونوا قذرين ولكن بقدر... فإني أهيب بالحكام.. أن يفرضوا عقوبة الجلد على عشاق القدرة وفنانيها.. وأن يجلدوكم حتى تستقيم قناتكم.. أو تموتوا".⁽¹⁾

ويقترح أن يخصصوا يوما بالأسبوع للتمتع بأنواع القذارة حتى يتمرغوا في التراب ويلعب أطفالهم على أكوام القمامات وأن يرموا الماء الآسن من الشباييك وبعد ذلك يجب أن يحافظوا على نظافتهم بقية أيام الأسبوع هذا إذا ما استطاع عامة الناس الابتعاد عن القذارة.

وفي هذه الرواية شرح لنا السباعي أنواع فن الشحاذة وصور لنا مدرسة تعلم فنون الشحاذة ومدرسيها ويسخر من الشحاذين ويكشف الستار عن مهارتهم في هذا الفن "وسحبنى الرجل من يدي إلى حجرة أخرى أنها مخصصة لدراسة فن الشحاذة.. لأن على كل شحاذ أن يحفظ ما يناسبه من أقوال وأفعال وكانت الحجرة مشغولة ببضعة شحاذين يتلقون محاضرة عن الشحاذة في رمضان.. وأبنائي الشحات أن لديهم مؤلفين لتأليف أغاني التسول، وملحنين لوضع الألحان لها

(1) أرض النفاق، ص/ 115-116.

وأكد لي أن المسألة ليست سهلة كما أظن.. بل إنه يستطيع أن يجزم أن التسول هو الشيء الوحيد الذي يقوم في مصر على أساس متين".⁽¹⁾

ويعرف الشجاعة بقول "ما الشجاعة؟! هل هي ذلك الشيء الذي يمكن تركيزه في النهاية في إحساس الإنسان بعدم خشية الموت والترحيب بلقائه؟ إذا كانت تلك هي الشجاعة فأنا بلاشك رجل شجاع وما بي حاجة إلى جرعة الشجاعة لأنها لن تجعل مني أكثر مما أنا عليه"⁽²⁾.

وفي (العمر لحظة) تخاطب نعمت عبدالعزيز بقولها "الشجاعة لا تستعرض ولا تمارس بقصد.. إنها تصرف تلقائي.. ينبع من باطننا.. وينعكس على أسلوب تصرفنا مع الأمور.. الشجاع لا يدعي الشجاعة ولا يجهد نفسه في الإقدام عليها ولكنه يمارسها بيسر وسهولة.. كما يمارس أي تصرف طبيعي لا إرادي"⁽³⁾.

ويرى السباعي أن النفاق قد كثر في المجتمع المصري ويسأل صاحب المحل أن يتجر في النفاق وغيره من البضاعة فأجابه "وأني لي أن أحصل عليها ياسيدي وقد استنفذها الناس جميعها. لقد سألت عنها صاحب الحانوت الأول فقال: إنه لم يبق منها ذرة واحدة.. وكان أكثر البضائع رواجاً هو النفاق"⁽⁴⁾، ويسخر من الحكومة بقوله "وأخيراً أصدر الحاكم أمره بإغلاق الحانوت وبالإستيلاء على ما كل به من نفاق، وأضحى النفاق بذلك بضاعة حكومية ووضعت الحكومة نظاماً لتوزيعه بالبطاقات ولكن المحسوبة تدخلت في الأمر ففاز الأنصار والمحاسيب بنصيب الأسد"⁽⁵⁾ قدّم السباعي مشاكل الجنود وأحوالهم ورسم معاناة أسرهم خارج نطاق الجيش ونقد قانون التجنيد الذي لا يراعي الأحوال ويطبق بدون مراعاة الظروف حيث يجند (صلاح) بعد خروج أبيه من السجن بعد أن أصبح العائلان

(1) أرض النفاق، ص/ 131-132.

(2) المصدر نفسه، ص/ 27.

(3) العمر لحظة، ص/ 133.

(4) أرض النفاق، ص/ 23-24.

(5) المصدر نفسه، ص/ 24.

للأسرة والقانون يقول بإن "العائل الوحيد لا يجند"⁽¹⁾ فأجبر صلاح أن يلتحق بالجيش وفقد الوظيفة ومرتبته في الجيش كان لا يسد حاجات البيت ووالده لم يجد الوظيفة لأنه سجين سابق "حل العيد.. وأفرج عنه لحسن السير والسلوك بعد ثلاثة أرباع المدة ولسوء الحظ كان أبي حسن السير والسلوك"⁽²⁾ وانتحر أبو صلاح أخيرا بعد فشله في إيجاد الوظيفة فضحى بحياته حتى يعود صلاح لأن بعد موته أصبح "صلاح" العائل الوحيد للأسرة ونعرف رأى السباعي عن الظلم على لسان "سيدة بنت جابر حيث تقول" نحن لا نمارس الظلم كهواية.. ولا نرده لأصحابه.. وإنما نرده لمن نجد أنفسنا في حاجة إلى ظلمهم.. دون أن نميز حتى أننا نظلمهم.. إن حاجتنا فقط هي التي تبرز واضحة لأعيننا ويتضاءل بجوارها كل شيء.. حتى ظلم الغير.. نحن لا ندرك من الظلم إلا ما وقع علينا.. أما ما نوقعه بالغير فشيء لا وجود له"⁽³⁾ وفي (ليل له آخر) يؤلف رأيه عن الغربة حيث يقول "إن مجرد ترك الإنسان بيته يشعره بالغربة حتى ولو كان في بيت الجيران"⁽⁴⁾، وتحدث عن السعادة قائلا "فالسعادة.. كما عرفت في حياتي القصيرة.. تحس.. ولا تفسر.. وهي مسة تضيئ باطننا.. لتعكس ضوءه على كل ما حوله، فتبديه باهرا، مشرقا لا نعرف موضع المس في باطننا ولا ماذا مسه. شيء أشبه بمفتاح مصباح في حجرة مظلمة.. مجهول الموضع تخطئه الأيدي في الظلمة إلا يدا واحدة تمسه فجأة فإذا كل شيء مشرق"⁽⁵⁾.

الحياة أتمن شيئا من الأحداث والأشخاص عند السباعي "فحياتنا الطويلة التي تتسع كل شيء.. لك الأفراح والأحزان والآمال والأشجان والمتع والآلام.. أتمن من أن نضيعها بانفعال ما.. لإنسان ما"⁽⁶⁾، وفي مجموعته القصصية (أطياف)

(1) العمر الحظة ص / 77.

(2) المصدر نفسه، ص / 78.

(3) نحن لا نزرع الشوك، ص / 144.

(4) ليل له آخر، 1 / 259.

(5) المصدر نفسه، 2 / 379.

(6) المصدر نفسه، ص / 400.

نجد نفس الفكرة في قصته المرأة الأخرى حيث يقول على لسان الفتاة "وقالت الفتاة إن أباه قبل أن تفقده قد أخبرها أن الحياة ليس فيها ما يستحق أن يحزن المرء من أجله وأن عليها كل يوم قبل أن تنام أن تحضر إلى هذه الشجرة الحنون وتدفن همومها في جوفها.. وبعد أن تناجى النجوم تذهب إلى فراشها قريبة العين ناعمة البال"(1).

ويصف كاتبنا الحب في روايته بين الأطلال اذكريني على لسان سامية فتقول "إن المرأة إذا أحبّت.. فهي تفضل مسح حذاء زوجها على رئاسة الوزراء حمداً لله.. أن خلق بعض النساء بحيث لا يمكن أن يندمجن في حب حتى يستطعن المناداة بحق المرأة وحريتها"(2).

ويتكلم عن الخيانة الزوجية من جانب الزوج على لسان (فاطمة) زميلة (نعمت) وهي تحاول أن تعود نعمت إلى زوجها "ياحبيبتى ثلاثة أرباع الرجال خائنون - بالمفهوم الجنسي للخيانة- والربع الآخر.. لا يعرف كيف يخون.."(3). ويرى السباعي أن العباقرة ينقصهم أمران وهما ضعف الذاكرة والزواج الناجح كما ذكر في نادية "لأنه.. عبقرى.. والعباقرة.. لا يكونون أزواجاً صالحين"(4).

أما الحرب فيدخل في القضية الاجتماعية من حيث النتائج وعدد القتلى وتدمير المدن والغلاء ولكنها قضية سياسية من حيث الأسباب فنذكر رأيه عن الحرب هنا وآراءه عن نتائج الحروب في آراءه السياسية "إن الحرب عملية سخيفة ولكن عندما يواجهك إنسان بسخافة محاولاً إبادةك.. فستكون أكثر منه سخافة إذا لم تحاول درء الضربة وردعه.. وتحرير أرضك واسترداد حقلك"(5). ونكتفي بهذا القدر من آراءه الاجتماعية وننتقل إلى آراءه السياسية.

(1) ليالي ودموع - أطيف، ص/ 205-206.

(2) بين الأطلال اذكريني، ص/ 64.

(3) العمر لحظة، ص/ 222.

(4) نادية، 1/ 76.

(5) ابتسامة على شفثيه، ص/ 8.

المبحث الثالث - آراؤه السياسية

قدم السباعي آراءه السياسية قبل ثورة الضابط 1952 في (أرض النفاق) وفتكلم عن مصر في عهدها الملكي وتحدث عن أسرار العهد الملكي في رواياته المطبوعة بعد ذلك ويشعر القارئ أن السباعي أحيانا يقدم آراءه ولكنها آراء حكومة جمال عبدالناصر وهو الناطق الرسمي للحكومة في مجال الأدب.. تحدث السباعي عن الحروب والتطهير وعلاقة الصحافة (بالسياسة) واهتم بالفكر القومي وعبر عن كرهه للشيوعيين ونقد الجامعة العربية والدول العربية في قضية فلسطين واتهم بعض الدول العربية بعداءهم لمصر وجمال عبدالناصر ولكنه قلما نقد جمال عبدالناصر ونظامه وإذا كان لا بد من ذلك فكانت كلماته لا تعبر عن ذلك السخط والغضب ولنبدأ حديثنا بالعهد الملكي أولاً. وفي مقدمة (أرض النفاق) - وهي طبعت في العصر الملكي - يشير إلى المراقبة والحرية المحدودة للكتابة والنقد "فهناك موضوعات، لم أستطع طرحها وهناك سطور شطبتها بعد أن كتبتها.. ولكن لم يكن من ذلك بد، على الأقل لكي يمكن للكتاب أن يرى النور ولكي يمكن لكم أن تقرأوا الكتاب.. هل فهمتم؟! "(1).

وتحدث السباعي أن الملك لم يكن مسيطراً على أمور الحكم في البلاد بل الانجليز هم الذين كانوا يديرون البلاد "وقف ووراءه المعارضة بما فيها من مكرم وكتابه الأسود.. ووقف وراءهم الشعب يتطلع إليهم.. وبدا للملك أن يقدم على إقالة الوفد وهياً فعلا الوزارة التي ستخلفه وجمع وزراءها في قصره استعدادا لحلف اليمين عندما أمره الإنجليز بعدم التغيير "(2).

وتحدث السباعي عن الأحزاب المختلفة ويبدو أنه كان لا يحب الإخوان حيث يصف ويؤكد العملية ضدهم "وبدأت وزارة ((عبدالهادي)) التي خلفت وزارة ((النقراشي)) أول أعمالها بالهدنة وثنت بقطع دابر جماعة الإخوان وتشتيت شملهم واندفع رئيس الوزارة إلى القضاء عليهم اندفاعا شديدا وهو يعتقد مخلصا بخطورتهم

(1) أرض النفاق، ص/ 8.

(2) رد قلبي، 2 / 597.

على البلد وبضرورة التخلص من برائتهم الإرهابية وسيطرتهم الرجعية المتعصبة يؤيد هذا الإعتقاد ويقويه، إحساسه الشخصي الطبيعي بالضغينة لمقتلهم سلفه وصديقه وتهديدهم لحياته هو" (1).

وكتب السباعي روايته (جفت الدموع) و(ليل له آخر) عن الوحدة بين مصر وسوريا وقدم رأيه عن الوحدة على لسان سهير بقولها "وعندما أعود بذاكرتي الآن إلى تلك الأيام أحس كأن وحدتنا كانت أشبه بزواج حب ملتهب خاطف، دفع إليه القلب، دون أن يدع فرصة للذهن أن يضع له من عراقيل الترتيبات والإعدادات ما قد يؤخره أو يحول دونه" (2) وكان السباعي يرى قبلها في (جفت الدموع) أن الأمة العربية يمكن لها أن تتحد فكان يقارن بين الولايات المتحدة الأمريكية والأمة العربية على لسان (سليم) في حوار مع (هدى) حيث يقول مقارنا بينهما "تصوري الولايات المتحدة.. وقد تفرقت.. ثم تصوري الأمة العربية وقد اتحدت.. بكل ما تملك من إمكانيات يكمل بعضها البعض ولكل ما بينها من تكامل في الناحية الاقتصادية.. فإن الأمة العربية يمكن أن تكون وحدة اقتصادية كاملة.. لا تنافس في داخلها" (3) ولكنه يشكو التنافس بين الدول العربية في روايته (ابتسامة على شفثية) بقوله "الجيش المصري مشغول بحماية ثورة اليمن من الرجعية.. والأردن والسعودية تجدان في مصر خطرا أكبر من خطر إسرائيل" (4).

سخر السباعي بقيادة العرب وزعماءهم في قضية فلسطين ويسخر من الأمين العام للجامعة العربية ومن قول الحراس أن هناك خطر الإغتيال من قبل الصهيونيين فيسألهم "يغتالونه؟ أبعده الله عنه الشر.. ولم يغتالونه؟ وماذا فعل بهم؟! أي مكروه أصابهم منه؟ وأي أذى ألحقه بهم... فما أظن الصهيونيين قد بلغوا من الغباء حيث يفكرون في اغتيال الرجل أو الاعتداء عليه.. ولو كنت منهم لتطوعت لحراسته ولدعوت له ليل نهار بدوام البقاء وطول العمر وأن يحفظه الله للأمانة

(1) رد قلبي ، ص/ 607.

(2) ليل له آخر، 1/ 236.

(3) جفت الدموع، 2/ 396.

(4) ابتسامة على شفثية، ص/ 38.

العامّة.. وللصهيونيين عامّة" (1) ولكنه يمجّد جمال عبدالناصر ويدافع عنه ويتهم حكام الدول العربيّة بأنهم يأتمرون عليه "لقد قال عبدالناصر أن ليس لديه خطة جاهزة لاستعادة فلسطين.. وأنه لن يقبل الدخول في حرب.. قبل أن يأخذ لها عدتها.. ويحاول بعض الحكام العرب دفعه إلى الحرب قبل أن يستعد لها.. وبعض الإذاعات العربيّة تهاجمه لأنّه يترك إسرائيل تمر في شرم الشيخ وأنه يقف مستترا وراء قوات الأمم المتحدّة" (2) وهو يمدح قائده في (جفت الدموع) عند وصفه استقبال الجماهير للوفد المصري بقيادة أنور السادات في دمشق "وتحرّكت العربيّة وسط موج العربات وتزاحمت الجماهير تحاول مصافحة الوفد المصري، وتعالّت هتافاتها تبلغ التحية إلى حبيبهم ((جمال عبدالناصر)).. رمز الوحدة.. والنصر.. والمستقبل الزاهر.. والغد المشرق" (3)، نقدّه لنظام عبدالناصر قليل وإذا اعترف بأخطاء نظامه فيمر مرورا كما يرى عن عملية التطهير في الدوائر الحكوميّة "من العسيريّتين الحقائق من الأكاذيب.. لقد اختلط الباطل بالحق في عمليات التطهير ووجدت النفوس الدنيئة مرتعا لها ترتع فيه بالوشايات والنمائم والمائد.. وكان من المستحيل.. منع عمليات الظلم أن تحدث.. أو عزل البرئ عن أكوام المذنبين" (4).

يتهم السباعي بأن انقلاب سوريا ضد الوحدة كان ممولا من القوات الدوليّة حيث يتهم أمريكا ودولها الصديقة ولكن الغريب أنه يرى أن إيران دولة صديقة لإسرائيل "واعترف بسوريا خليط عجيب من الدول.. ينبئ بوضوح عن الاتجاه المراد دفع سوريا إليه. اعترف بها إيران صديقة إسرائيل وتركيا لعبة الأمريكان في تهديدنا.. وحكومة جوانيمالا التي يسمونها حكومة شركة الفواكه الأمريكيّة" (5)، ولا نعرف أن كره السباعي للأتراك كان موقفا حكوميا أم رأيه الشخصي لأنه عبر عن كرهه لهم في أكثر من مرّة في روايته (جفت الدموع) حيث يقول "على الحدود

(1) أرض النفاق، ص/ 52-55.

(2) ابتسامة على شفّته، ص/ 69.

(3) جفت الدموع، ص/ 12.

(4) نادية، 1/ 64.

(5) ليل له آخر، 2/ 215-216.

الشمالية دمي الأترك تحركها أصابع الأمريكان"⁽¹⁾ ويذكر من خلال أحداث هذه الرواية أن "سامي" - بطل الرواية حقق الفوز لسوريا ضد تركيا "وقد أخذ المذيع يذيع قرارات لجنة التضامن ويعلق على الانتصار الذي استطاع ((سامي)) أن يحققه لسورية بعد أن أدانت اللجنة تركيا وكشفت تهديدها العدواني للعالم.. وكيف وضع الموقف في سورية على حقيقته"⁽²⁾، ويبدو أن جذور هذا الكره عميقة في قلب السباعي حيث يسخر من اسم الأمير التركي الذي وقف المكان للمدرسة "اسم الكريم هو.. هو.. ك.. خوند.. لعن الله الذاكرة.. لقد نسيت.. خد نداخ.. إنه اسم تركي قديم أغلب ظني أنه صاحب الوقف الذي به الكتاب- تذكرته.. أجل.. أجل.. إنه الأمير كتخدا خوندا طولباي.. هل سمعت بهذا الأمير؟.. ولا أنا"⁽³⁾، وفي (رد قلبي) يغادر الأمير إسماعيل إلى تركيا قبل وصول رئيس لجنة المصادرة للأموال وهو يترك أولاده بعد رفضهم للخروج من البلاد

- "وأين البرنس إسماعيل؟

- لقد سافر مساء أمس.. طار إلى استامبول"⁽⁴⁾، ومدينة استامبول هي من أبرز المدن التركية، وكان السباعي يحب الاتحاد السوفيتي ويقدمه مقابل الولايات الأمريكية لدعم العرب "وأعلن قادة الإتحاد السوفيتي أن كل من يغامر بشن عدوان في الشرق الأوسط لن يواجه القوى العربية فحسب بل سيواجه كذلك مقاومة صلبة من جانب الإتحاد السوفيتي والدول المحبة للسلام"⁽⁵⁾.

(1) جفت الدموع، 1 / 303.

(2) المصدر نفسه، 2 / 451.

(3) السقامات، ص / 121.

(4) رد قلبي، 2 / 740.

(5) إبتسامة على شففتيه، ص / 119.

المبحث الرابع - آراؤه التعليمية

قدّم السباعي بعض آراءه عن التعلم والتعليم من خلال تصويره للمجتمعات العربية فتحدث عن مشروع مجانية التعليم واستغلاله لصالح الأغنياء وقلة فائدته لأبناء الشعب الفقراء "قبل أن تعم المجانية في التعليم، يجب أن تعم وسائل التعليم وأن يكون لدينا من المدارس ما يكفي لهذا التعليم عندما يصبح مجانا ويقبل عليه كل أبناء الشعب ولكن الذي حدث هو أن عمت مجانية التعليم وبقيت وسائله محدودة كما هي لا تكاد تسمح إلا بالعدد الذي كان يتعلم أولا وأصبحت المجانية مقصورة على من يقبل في تلك المدارس وضمنهم أو أولهم أولاد الأغنياء.. الذين سيفضلون بالطبع... واستمر أبناء الشعب المساكين، لا تتاح لهم فرصة التمتع بالمجانة، لأنهم لم تتح لهم فرصة الدخول في المدرسة"⁽¹⁾.

ونظرية السباعي من الدراسة والنجاح والسقوط فيها لا تختلف من نظرية أبيه حيث يقول السباعي الابن على لسان سهير "كنت مخلوقة بلا مشكلات حتى مشكلات الدراسة لم أكن أعتبرها مشكلات ذات بال فقد كانت قدرتي الذهنية أكبر دائما من أي مرحلة دراسية أقطعها، بالإضافة إلى أنني وأبي لم نأخذ الدراسة أبدا مأخذ الجد ولا كنا ندخل السقوط والنجاح كما هو الحال في معظم الأسر في باب الكوارث أو الأحداث السعيدة"⁽²⁾، ويخبرنا السباعي بأن الإسرائيليين غيروا مناهج التعليم بعد إحتلال القدس "يمنحك الإحساس بأننا نجلس على فوهة بركان.. لقد حضر اليوم مندوب عن سلطة الإحتلال وأخطرونا بتغيير البرامج الدراسية وتغيير الكتب"⁽³⁾، وجمعت الكتب المدرسة القديمة ويقول السباعي عن تنفيذ مناهج الإحتلال "وأحست في المدرسة جوا غريبا مشحونا بالقلق كانت الكتب قد جمعت من التلاميذ ومن المخازن.. وتعليمات البرامج الجديدة قد وزعت"⁽⁴⁾، وكان السباعي يجب الكتب فذكر مادار بين والديه عن شراء المزيد من

(1) أرض النفاق، ص/ 280.

(2) ليل له آخر، 1/ 21-22.

(3) ابتسامة على شفتيه، ص/ 151.

(4) المصدر نفسه، ص/ 174.

الكتب في (نحن لا نزرع الشوك) حيث تغضب الأم وتؤنب زوجها على شراء الكتب فأجابها معلقا على من أهمية الكتب بقوله "هذه كنوزيا ولية.. وليست ورقا.. لو أنك استطعت أن تذوقها.. لوجدتها أمتع من الطعام والشراب.. إنني أستطيع أن أغلق على نفسي حجرة.. وأظل فيها عاما رفيق كتاب دون أن أشعر بالوحدة.. الكتاب الممتع يا فاطمة.. خير مؤنس لنا.. خير من صديق.. إنه نعمة حرمك الله.. وبقية الجهلاء منها"⁽¹⁾.

وبذلك قد انتهينا من تقديم آراءه في المبحث الرابع من هذا الفصل الأخير لهذه الأطروحة المتواضعة والحمد لله الذي وفقنا في إكمال هذه الأطروحة حيث استغرقت كتابتها ما يقارب خمس سنوات حاولنا من خلال هذه الفترة أن نعرف شخصية يوسف السباعي وأعماله الأدبية ونحللها ونأمل فيها ونتعمق في مصادر معرفته وثقافته ونرجو الله β أن يوفقنا ما نسعى إليه من تقديم هذه الأطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ونأمل أن تكون هذه المحاولة في معرفة (الرومانسية في الأدب الروائي عند يوسف السباعي) مفيدة للباحثين والأساتذة والطلاب الجامعيين ونأمل أيضا أن تفتح هذه الدراسة المتواضعة آفاق البحث الجديد في الرواية العربية الحديثة في مصر وأن تكون هذه الدراسة بداية ناجحة لمعرفة يوسف السباعي في أعماله القصصية والروائية والمسرحية.

(1) نحن لا نزرع الشوك، 1 / 261.

الخاتمة:

- نتائج البحث
- التوصيات
- الإقتراحات

الخاتمة

وتشتمل الخاتمة على نتائج البحث والتوصيات والاقتراحات بعد تقديم الدراسة التحليلية والنقدية في الباب الرابع حيث كنا قد خصصنا الفصل الأول من الباب الأخير لدراسة أعمال يوسف السباعي التحليلية وكان الفصل الثاني والأخير لدراسة أعماله النقدية - فننتقل الآن إلى النتائج التي وصلنا إليها من خلال دراستنا للأديب يوسف السباعي وأعماله الأدبية.

نتائج البحث

يوسف السباعي جرّب حظه في مجال النثر العربي الحديث فكتب في مجال القصة القصيرة والرواية والمسرحية وأدب الرحلة وفن المقال فعرفنا من خلال دراستنا لأعماله الأدبية

- تأثر يوسف السباعي بشخصية والده الأديب والمترجم محمد السباعي وظل محبا له وتمسك بأفكاره وذكر والده في رواياته المختلفة وموت والده المبكر جعله يفكر في الموت فكتب عن الموت وعزرائيل في رواياته بل خصص روايته (نائب عزرائيل) و(البحث عن جسد) للحديث مع سيدنا عزرائيل وهو ملك الموت.
- لقيت أعماله الروائية أكثر اهتماما من قبل الأدباء والنقاد حيث كتب د. طه حسين مقالات عن أربع روايات للسباعي وهي (إني راحلة) و(طريق العودة) و(رد قلبي) و(ليل له آخر) وكتب د. محمد مندور عن روايته (السقامات) وكتبت دكتورة بنت الشاطئ عن (أرض النفاق) وتكلم الأستاذ أنور المعداوي عن (نائب عزرائيل) وتحدث الكاتب يوسف الشاروني عن روايته (نحن لانزرع الشوك) وكتب علاء الدين وحيد عن رواياته ومنها (ابتسامة على شفوية) و(طريق العودة) وتكلم الأستاذ عبدالعزيز الدسوقي عن أعمال السباعي الروائية.

● يمكن تقسيم أعماله الروائية إلى قسمين أساسيين وهما الرواية التاريخية والرواية الاجتماعية. أما الرواية التاريخية فتتمثل في سبع روايات وهي رد قلبي، طريق العودة، نادية، جفت الدموع، ليل له آخر، ابتسامة على شفتيه، والعمر لحظة، ويهدف السباعي إلى الوقوف مع شعبه في ثورته على الملك وتأييده لموقف الجيش ووضع الحقائق أمام الجيل الجديد حول الحروب المصرية الإسرائيلية وتحدث عن قضية تأميم القناة وذكر أسباب الهزيمة في نكسه 1967 وقدم جهود المصريين شعبا وحكومة لقضية فلسطين ولكنه تأثرا قويا بشخصية جمال عبدالناصر، الرئيس المصري آنذاك وحاول من خلال رواياته أن يستخدم رواياته لنشر أفكار عبدالناصر وحاول أن يجعله رمزا للامة وقائد الوطن العربي ومن خلال رواياته تكلم عن وحدة مصر مع سوريا ونقد القوات الإقليمية والدولية للانفصال بين وحدة مصر وسوريا وكتب ضد إخوان المسلمين وطارد الشيوعيين في رواياته التاريخية بالإضافة إلى نقده الشديد لزعماء الدول العربية وقادتهم وحكوماتهم وخاصة دول الشرق الأوسط.

● أما الرواية الاجتماعية فهي أقرب إلى أفكاره الرومانسية حيث تخلو من آراءه السياسية فيركز السباعي فيها على مشاكل المجتمع المصري ويحاول أن يقدم حلول تلك المشاكل أيضا فكتب السباعي تسع روايات اجتماعية وهي نائب عزرائيل وأرض النفاق وإني راحلة وبين الأطلال اذكريني والسقامات والبحث عن جسد وفديتك يا ليلي ونحن لا نزرع الشوك ولست وحدك. وتحدث في هذه الروايات عن الفوارق الطبقية وحب المال وعيوب اجتماعية مثل النفاق والكذب والغش وصور المرأة وشكا من نظرة المجتمع نحوها وشرح الفقر وأسبابه وتأثيره على المجتمع وتكلم عن فن الشحاذة في مصر. ولقي الحب والمحبون ويأسهم وفرحتهم وفراقهم اهتماما خاصا في هذه الروايات وحاول من خلال تلك الروايات تقديم الصور

المختلفة من المجتمع المصري فكتب عن حياة الإقطاعيين والمغنيين والأطباء والكتاب والعمال وشرح حياة القصور والأحياء الشعبية في هذه الروايات. وعرفنا من خلال كتابة الأطروحة أن هناك مجموعة من الأدباء ذهبوا إلى مصطلح الرومانسية الخالصة عند يوسف السباعي ويعتقدون أن (إني راحلة) (بين الأطلال اذكربني) و(فديتك ياليلي) من هذه الروايات وأضيفت روايته التاريخية (رد قلبي) في هذه المجموعة.

وتأثر السباعي من الاتجاه الواقعي أيضا فنجد هذا التأثير القوي عنده من خلال حديثه عن الخيانة الزوجية والموت المفاجئ فلا تخلوا (إني راحلة) و(نحن لا نزرع الشوك) من حيث الخيانة و(السقامات) تشرح لنا عقدة الموت المفاجئ عند السباعي وتأثيره بالواقعية وفي (أرض النفاق) يظهر الجانب السلبي للمجتمع المصري فتغلب عليها الجانب الواقعي أيضا.

يوسف السباعي كاتب وطني متأثر بالفكر القومي فهو يدعو إلى توحيد الدول العربية والوطن العربي، حاول أن يقدم مصر كدولة تتقدم وتحاول مساعدة الدول العربية الأخرى بوحدة مصر وسوريا أحيانا وإرسال قواتها إلى اليمن وبحوض المعارك مع إسرائيل مرة أخرى وبمعاهدتها مع الأردن الخ ولكننا نرى أحيانا أنه يبالغ في جهود مصر لقضية فلسطين وهو لسان حكومته بدلا من أن يكون ناطقا شعبه.

كانت معرفة السباعي بالمجتمعات العربية معرفة عالية فلم يصور المجتمع المصري فقط وإنما صور لنا الفروق بين المجتمعات العربية الأخرى مثل المجتمع السوري وركز على الفوارق بين المجتمعين من حيث تعدد الأحزاب والحياة بين دمشق والقاهرة ومن حيث مشكلة الأراضي ومشاكل الفلاحين في روايته (جفت الدموع) و(ليل له آخر) وفي (ابتسامة على شفوية) يشعرنا بأننا معه في الأراضي الفلسطينية ونشارك هموم أهل القدس ونقاوم معهم في مقاومتهم.

● المرأة لها مكانة خاصة عند السباعي فهو صورها بكل ميزاتهما وتناقضاتها وفتح مجالاً لها على صفحات رواياته فنجد المرأة بكل ما عندها من تصورات اجتماعية وفكرية واقتصادية وهو يصور طموحاتها وينتقد على قيودها ويدعو إلى حريتها ولكنه في الأخير يرى أن كل امرأة تبحث في الأخير عن ملجأ وهو الرجل وترغب أن تتزوج وتكون لديها حياتها الخاصة مع رجل أرادت الزواج به فالمرأة الجالسة في البيت تساوي الموظفة في هذا التفكير والراقصة تبحث عن الزواج والمغنية أيضاً تريد الاستقرار وتبحث عن الزوج الملائم لها فالمرأة مهما تطورت ووصلت إلى المناصب المرموقة وحصلت على الأموال الهائلة والشهرة الواسعة فتبحث عن استقرارها بالزواج.

● كان السباعي محبا للرسم والغناء فساعده على تصوير الأماكن ومشاعر العشاق. والرسام يرى المناظر الطبيعية نظرة تختلف من نظرة شخص عادي فالسباعي سلاحه وصفه للطبيعة فهو يرسم الطبيعة في أذهان قراءه بقلمه ويصور مشاعر الشباب الملتهبة بإضافة الأبيات والقصائد إلى رواياته ويستخدم الأمثال الفصيحة والعامية لشرح مواقفه مما يدل على ثقافته الأدبية والمحلية.

● يوسف السباعي كاتب رومانسي ظل مخلصاً بأفكاره وآراءه ولكنه لم يكن عبداً للاتجاه الرومانسي الفكري وإنما طور في ذلك واستخدمها لصالحه أيضاً فالسباعي الكاتب الشاب في الخمسينات يختلف من الكاتب في رواياته الأخيرة فتصوير اللقاءات العاطفية الحارة تقل عنده في (ابتسامه على شفثية) وفي (العمر لحظة) تعود الزوجة إلى زوجها فالمرأة التي تركت عشها في (بين الأطلال اذكريني) تعود سالمة إلى قواعدها في (العمر لحظة) وتساعد حبيبها إلى إعادته إلى زوجته وأولاده فالسباعي الشاب الذي كان يدعي إلى تحطيم التقاليد في (إني راحلة) يدعو إلى بناء الأسرة في (الابتسامه على شفثيه) وكان يرسم الضباط وهم يشربون الخمر قبل الهجوم

الإسرائيلي في (طريق العودة)، يرسمهم في روايته الأخيرة (العمر لحظة) وهم يصلون ويقراؤن الفاتحة قبل الهجوم على الإسرائيليين.

● ظل السباعي مخلصا لقضية فلسطين ووقف مع هذه القضية فصور حياة الفلسطينيين وأفكارهم وذكر أساليب الخيانة ومدح مقاتليهم وذكر معسكرات تدريبهم وأبكى قارئه بتصوير تضحياتهم وتصوير مقاومتهم حتى استشهد على أيديهم ظلما وكان السباعي ضحية جهود السلام وكانت مواقفته لقيادته الوطنية سببا لإغتياله خارج الوطن.

● يظهر التناقض أحيانا في شخصية يوسف السباعي الأدبية وأعماله اليومية حيث ادعى إلى الاهتمام بالحب ولم يقيد نفسه في التقاليد ولكنه في مقدمة مجموعته اثنا عشر رجلا يرشد ابنته أن تأخذ الأمور بعقل بعد أن تكبر لأدارة الأمور في الحياة وفي اتخاذ القرارات للبحث عن السعادة في الحياة.

● ومن هذه التناقضات قضية خيانة الزوج لزوجتها والغريب أن السباعي يدعو إلى فترة الراحة في علاقات الزوجين لكنه يتمنى لابنته في نفس الوقت أن يبعدها الله من شرور الرجال.

● يميل يوسف السباعي إلى استخدام اللغة العامية وكان من أنصار العامية وكتب مسرحيته في اللغة العامية ولكنه كتب مقدمتها في اللغ الفصحى فما الذي منعه من كتابتها باللغة العامية.

● نجد الأخطاء النحوية والمطبعية الكثيرة في أعماله الأدبية لكنه لا يهتم بهذا الجانب السلبي في أعماله ويتهم مصححو أعماله الأدبية بأنهم مسؤولون عن التصحيح.

● كان يوسف السباعي يهتم بقضية الجنس في أعماله الروائية اهتماما قد يكون مبالغا فيه ولكنه مع مرور الزمن قلل اهتمامه في هذا الجانب وركز على بناء الأسرة والمحافظة على كيان المجتمع في أعماله الروائية.

التوصيات

قد قضينا خمس سنوات في البحث عن (الرومانسية في الأدب الروائي عند يوسف السباعي دراسة تحليلية نقدية) فوجدنا بعض المشاكل من خلال جمع المواد لهذا الموضوع وتغيير المشرف بعد وفاة المشرف الأول الدكتورة فضيلة داؤو (رحمها الله رحمة واسعة) وسافر مساعدنا للطباعة على الحاسوب خارج الوطن وصعوبة إيجاد الشخص المناسب للطباعة بالإضافة إلى المشاكل الشخصية والظروف التي عرقلت مسيرة الكتابة وخلال دراستنا وقرأتنا للرواية العربية لاحظنا بعض الأمور يستحسن ذكرها لنشر الأدب العربي الحديث وتدريبه في الجامعات فنخلصها كالآتي:

- تدريس مادة الرواية في الجامعات كمادة مستقلة حيث تدرس بعض الروايات ولا يكتفى المدرس بذكر تعريفها وعناصرها والترجمة بعض روادها.
- إضافة مادة الرواية في مناهج الدراسات العليا مما يساعد الباحثين في اختيار عناوينهم لرسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراة.
- أقسام اللغة العربية تحتاج إلى إضافة إنشاء قسم الأدبيات حتى تمنح للطلاب فرصة دراسة الأدب العربي الحديث بأنواعه. وقد بادرت الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد بفتح قسم الأدبيات في كلية اللغة العربية. ووفرت لطلبتها فرصة تعلم الأدب بمفرده حتى يتخصص فيه الطلاب والباحثون.
- لاحظنا قلة الإهتمام في جمع كتب النثر العربي الحديث مثل القصص القصيرة والروايات والمسرحيات ولم نحصل على المؤلفات تحلل الروايات والشخصيات بل وجدنا بعض الموسوعات تحدثت باختصار شديد عن يوسف السباعي ووجدنا أن بعض المصادر نقلت المعلومة من مصدر واحد. فنرجو من إدارة الجامعة الإهتمام بتوفير المصادر في مكتبة الجامعة.

- تعيين لجنة الأساتذة مع اشتراك المكتبة المركزية للجامعة الوطنية للغات الحديثة لتوفر المصادر الأدبية وتسهيل شراء الكتب للباحثين عبر التواصل مع دور النشر الأجنبية.
- نشعر بأن هناك حاجة ماسة للمجلات الأدبية والعلمية لسدّ الفراغ الذي يشعر به الطلاب والباحثون، فعلى الجامعة أن تنشر مجلة علمية في اللغة العربية حتى يسهل نشر المقالات لطلبة الدراسات العليا ونرجو رئاسة قسم اللغة العربية تعيين لجنة الأساتذة تساعد طلاب الدراسات العليا في نشر بحوثهم العلمية بالإضافة إلى نشر المجلة الأدبية تهتم بالقضايا الأدبية وينشر أعمال الأدباء المترجمة إلى اللغة الأردية ليتشوّق الطلاب إلى دراسة عميقة لأدباء الرواية العربية الحديثة.
- لاحظنا بأن الجامعات لا تخصص الساعات الكثيرة لتدريس أنواع الأدب العربي الحديث وأن الفترة القصيرة لا تمنح قرصة لمعرفة الأدب حقاً فامتداد فترة التدريس للنشر العربي الحديث يكون مفيداً جداً للباحثين.

الاقتراحات

ومن خلال كتابة هذه الأطروحة وإعدادنا لها، لاحظنا أن هناك جوانب مهمة عن أعمال يوسف السباعي، لم يتطرق إليها الباحثون إلى الآن فنشير إليها في السطور الآتية لفائدة الباحثين حول النثر العربي المصري الحديث.

- القصة القصيرة عند يوسف السباعي
- الملامح الوطنية في روايات يوسف السباعي
- المرأة في روايات يوسف السباعي
- شخصية الأم في الروايات التاريخية
- أثر الحروب في أدب يوسف السباعي
- قضية الجنس في روايات السباعي الاجتماعية
- شخصية البطل عند يوسف السباعي
- الأمثال الفصيحة في روايات يوسف السباعي
- مظاهر الثقافة المصرية عند يوسف السباعي
- شخصية جمال عبد الناصر في روايات يوسف السباعي
- الوالد في روايات السباعي
- الخيانة عند يوسف السباعي

الفهارس الفنية

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الأبيات

فهرس الآيات القرآنية

رقم صفحة	رقم الآية	السورة	الآية	رقم المسلسل
112	154	البقرة	ولا تقولوا لمن يقتل	1
75	156	البقرة	الذين إذا أصابتهم مصيبة	2
57	173	البقرة	اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم	3
76	177	البقرة	والصابرين في الباساء	4
112	255	البقرة	ولا يحيطون بشئ من علمه	5
111	154	آل عمران	قل إن الأمر كله لله	6
112	15	النساء	واللاتي يأتين الفاحشة ... فامسكوهن في البيوت	7
236	98	النساء	فجزاؤه جهنم خالدا فيها	8
111	101	المائدة	يأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن ...	9
112	17	الأنعام	وإن يمسسك الله بضر	10
113	49	يونس	قل لا أملك لنفسي	11
212	2	الرعد	رفع السموات بغير عمد ترونها	12
113	22	الرعد	الذين صبروا ابتغاء	13
212	15	النحل	وألقى في الأرض	14
112	45	النحل	أفأمن الذين مكروا	15
237	23	الإسراء	وبالوالدين إحسانا	16
75	85	الإسراء	يسألونك عن الروح	17
111	30	الكهف	إننا لا نضيع أجر من أحسن عملا	18

212	46	الكهف	المال والبنون زينة الحياة الدنيا	19
57	8	مريم	وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا	20
113	32	مريم	ولم يجعلني جبارا	21
113	22	السجدة	إنا من المجرمين منتقمون	22
75	12	الحجرات	إن بعض الظن اثم	23
90	13	الصف	نصر من الله وفتح قريب	24
80	17	عبس	قتل الإنسان ما أكفره	25
75	1	المطففين	ويل للمطففين	26
112	18-17	الليل	وسيجنبها الأتقى .. الذي يؤتى	27
236	11	الضحى	وأما بنعمة ربك فحدث	28
117	6-5	الشرح	إن مع العسر يسرا	29

فهرس الأحاديث

رقم الصفحة	الحديث	رقم المسلسل
195	الله أكبر كبيراً والحمد لله بكرة وأصيلاً	.1
195	إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم	.2
57	إن الجنة تحت أقدام الأمهات	.3
110	إني مباه بكم الأمم يوم القيامة	.4
86	التائب من الذنب كمن لا ذنب له	.5
210	الخلق عيال الله	.6
210	خير الناس أنفعهم للناس	.7
76	ساعة لقلبك وساعة لربك	.8
355	الصيام والقرآن يشفعان	.9
68	لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين	.10

فهرس الأبيات

121	إذا لم تستطع شيئاً فدعه	.1
48	أرجفوا أنك شاك موجه	.2
120	ألا أيها الليل الطويل	.3
72	بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وتقى	.4
49	ثم أضحوا كأنهم ورق جف	.5
43	خفف الوطاء ما أطن أديم ال	.6
67	ردت الروح على المضى معك	.7
44	عللاقي فياني بيض الأمانى	.8
48	فتضاحكن وقد قلن لها	.9
95	في الليل لما خلا	.10
71	قد يهون العمر إلا ساعة	.11
47	قلبي إلى ماضرّني ساعي	.12
71	كلما جئتك راجعت الصبا	.13
74	كم بذرنا حكمة الفكر البصير	.14
53	لا أرى في العشق الهائم	.15
94	لا تثر لي ذكرياتي إنهما	.16
83	لا تسقني ماء الملام فياني	.17
72	لا تضق هما لأمس وغد	.18
81	لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى	.19
67	ليلى نداء بليلى رن في أذني	.20
83	الماء عندك مبدول لشاربه	.21
120	ما كل ما يتمنى المرء يدركه	.22

71	ما لأحجارك صما كلما	.23
53	موقعي عندك لا أعلمه	.24
53	نامت الأعين إلا مقلة	.25
66	نصحت ونحن مختلفون دارا	.26
65	هبت لنا من رياح النور رائحة	.27
70	هذه الربوة كانت ملعبا	.28
66	هذه الكعبة كنا طائفوها	.29
71	هل تذكرين بشط النيل	.30
44	هل الزمان سعيد فيك الذتنا	.31
81	وإذا كانت النفوس كبارا	.32
45	وأطربني الشباب غداة ولى	.33
85	وألثم فهاكي تزول حرارتي	.34
63	وأنا الذي أهدى أقل بهارة	.35
72	وإني، وإن كنت الأخير زمانة	.36
117	وتعطلت لغة الكلام وخاطبت	.37
102	ودار خراب بها قد نزلت	.38
116	ودّع الصبر محب ودعك	.39
97	وعادها شوق للأحباب فانبعثت	.40
44	وكل الناس مجنون ولكن	.41
85	وما حب الديار شغفن قلبي	.42
45	والنجوم خافقات	.43
95	ويقول تكاد تجن به	.44
96	يا حبيبي هذه ليلة حيي	.45
49	ياقوم أذني لبعض المحي عاشقة	.46
116	يقرع السن على أن لم يكن	.47

المصادر والمراجع

1.	القرآن الكريم.
2.	ابتسامة على شفثيه، يوسف السباعي، مكتبة مصر، شارع كامل صدقي، القاهرة.
3.	أبيات فاقت للشهرة قائلها، على محمد الكفراوي، ط/2، العبيكان.
4.	اثنا عشر رجلا، يوسف السباعي، مكتبة مصر، شارع كامل صدقي، القاهرة.
5.	اثنتا عشر امرأة، يوسف السباعي، مكتبة مصر، شارع كامل صدقي، القاهرة.
6.	أدباء ومفكرون، يوسف الشاروني، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994، القاهرة.
7.	الأدب القصصي المسرحي في مصر، د. أحمد هيكل، ط/4، دار المعارف، القاهرة، 1983.
8.	الأدب ومذاهب، د. محمد مندور نفضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
9.	أرض النفاق، يوسف السباعي، مكتبة مصر، شارع كامل صدقي، القاهرة.
10.	أزمة السويس 1954-1957، د. لطيفة محمد سالم، مكتبة مدبولي، القاهرة.
11.	أشكال الغناء الشعبي في الشرقية (غرب الزقاريق نموذجاً)، حامد أنور، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر.
12.	أعلام الأدب العربي المعاصر، محمد هواربي، دار الكتب العلمية بيروت.
13.	أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، د. سيد بن حسين العفاني، ج/1، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة.
14.	الاغتيالات السياسية في التاريخ، عصام عبدالفتاح، ط/1، الإسكندرية، مصر.
15.	أغنيات، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة.
16.	أمالي المرتضى، الشريف مرتضى علي بن الحسين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/1، 1954، دار إحياء الكتب العربية.
17.	الأمثال العامية، أحمد تيمور باشا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، رقم الإيداع 2014/14186.
18.	أم رتيبة، جمعية قتل الزوجات، يوسف السباعي مكتبة مصر القاهرة.

19.	إني راحلة (الرواية)، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة.
20.	البحث عن جسد، يوسف السباعي، مكتبة الإسكندرية.
21.	بين أبو الريش وجنينة ناميش، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة.
22.	بين الأطلال اذكريني، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة.
23.	تاريخ سوريا المعاصر، كمال ديب، دار النهار، ط / 1، دار النهار، تشرين الأول 2011.
24.	تنمة الأعلام للزركلي، محمد خير رمضان يوسف، ط / 2، سنة 2002، دار ابن حزم بيروت.
25.	تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، د. إبراهيم السعافين، دار الرشيد للنشر، بغداد.
26.	جفت الدموع، يوسف السباعي، ج / 1، مكتبة مصر، القاهرة.
27.	جفت الدموع، يوسف السباعي، ج / 2، مكتبة مصر، القاهرة.
28.	حكايات الأمثال والحكم العربية، كمال محمد علي، المكتبة الأكاديمية، 1998.
29.	خزانة الأدب ولب لباب العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، المحقق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
30.	ديوان إبراهيم ناجي، سنة النشر 1980، دار العودة، بيروت.
31.	ديوان ابن الرومي، شرح أ.د. أحمد حسن بسج، ط / 3، 2002، ج / 3، دار الكتب العلمية، بيروت.
32.	ديوان ابن زيدون، شرح د. يوسف فرحات، ط / 2، 1994، دار الكتاب العربي، بيروت.
33.	ديوان أبي نؤاس برواية الصولي، تحقيق د. بهجت عبدالغفور الحديثي، ط / 1، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث.
34.	ديوان الإمام الشافعي، جمع وتعليق، د. أحمد شتيوي، دار الغد الجديد المنصورة، مصر.

35.	ديوان الإمام الشافعي، شرحه وحققه، د. عمر الطباع شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
36.	ديوان امرئ القيس، شرح د. محمد الاسكندراني، د. نهار رزوق، 2004، دار الكتاب العربي، بيروت.
37.	ديوان بشار بن برد، شرحه وحقيقه، محمد طاهر ابن عاشور، راجعة وصححه محمد شوقي أمين، ج/ 4، 1966، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
38.	ديوان رامي أحمد رامي، ط/ 1، سنة 2000، دار الشروق، القاهرة.
39.	ديوان الشريف الرضي، تحقيق د. محمد مصطفى جلاوي، ط/ 1، سنة 1999، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
40.	ديوان الطفرائي، تحقيق د. علي جواد الطاهر، ط/ 2، 1987، مطابع الدوحة الحديثة.
41.	ديوان العباس بن الأحنف، عاتكة الخزرجي، سنة النشر 1954، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
42.	ديوان عدي بن زيد العبادي، حققه وجمعه، محمد جبار، 1965، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع.
43.	ديوان علي محمود طه، علي محمود طه، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.
44.	ديوان مهيار الديلمي، ط/ 1، 1931، مطبعة دار الكتب المصرية، بالقاهرة.
45.	الرئيس جمال عبدالناصر، إعداد هدى، جمال عبدالناصر، المكتبة الأكاديمية، مصر.
46.	رباعيات عمر الخيام، المترجم محمد السباعي، مكتبة لسان العرب.
47.	رد قلبي، يوسف السباعي، ج/ 1، مكتبة مصر، القاهرة.
48.	رد قلبي، يوسف السباعي، ج/ 2، مكتبة مصر، القاهرة.
49.	الرمزية والرومانسية في الشعر العربي، فايز علي.
50.	الروائيون الثلاثة، يوسف الشاروني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1970.
51.	الرومانسية بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية، نغم عاصم عثمان، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.

52.	رواية الآن دراسة في الرواية العربية المعاصرة، د. عبدالبدیع عبدالله، ط/ 1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1990.
53.	الرومانتيكي، د. محمد غنيمي هلال، مكتبة نهضة مصر، 1957.
54.	زوجاتهم وأنا، نعم الباز مطبوعات الشعب، شارع قصر العيني، القاهرة.
55.	السفر إلى المؤتمر، أحمد زكي، سنة النشر 2012، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، حي السفارات، القاهرة.
56.	سقط الزائد، أبو العلاء المصري، 1957، دار بيروت للطباعة والنشر.
57.	سمار الليالي، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة.
58.	سنن الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
59.	سنوات وأيام مع جمال عبدالناصر، سامي شرف، الكتاب الثاني، المكتب المصري الحديث.
60.	السقامات، يوسف السباعي، رقم الإيداع: 2949، مكتبة مصر، القاهرة.
61.	السينما والمجتمع في الوطن العربي القاموس النقدي للأفلام، إبراهيم العريس، ط/ 1، مركز دراسات الوحدة العربية، شارع البصرة، بيروت.
62.	شرح الأشموني لألفية ابن مالك، محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
63.	شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي، قدمه راجي الأسمر، ط/ 2، 1994، دار الكتاب العربي، بيروت.
64.	شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى.
65.	شرح ديوان المتنبي، عبدالرحمن البرقوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.
66.	شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمعة ونسقة مطاع الطرابيشي.
67.	الشوقيات، أحمد شوقي، 2012، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.
68.	شوقي شاعر العصر الحديث، د. شوقي ضيف، ط/ 8، دار المعارف، مصر.

69.	الصحافة والأقلام المسمومة، أنور الجندي، ط / 1، 1980، دار الاعتصام للطبع والنشر، القاهرة.
70.	طائر بين المحيطين، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة.
71.	طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق، عبدالستار، ط / 3، دار المعارف بمصر، 1119 كورنيش النيل، القاهرة.
72.	طريق العودة، يوسف السباعي، مصر للطباعة، رقم الإيداع 7749/86، التقييم الدولي، 5-274-11-977.
73.	عاشوا معي، لوتس عبد الكريم، فط/1، دار النشر المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع، القاهرة.
74.	العمر لحظة، يوسف السباعي، مكتبة مصر القاهرة.
75.	فديتك يا ليلي، يوسف السباعي، دار مصر للطباعة، القاهرة، رقم الإيداع، 5090/87.
76.	الفكر والفن في أدب، يوسف السباعي، تقديم غالي شكري، دار الفكر مكتبة الخانجي القاهرة.
77.	فلسطين في الرواية العربية، د. صالح أبو اصبح، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، أيلول 1975.
78.	فنون النثر العربي الحديث، شكري عزيز الماضي، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة.
79.	في تاريخ الأدب العربي الحديث، د. محمد أحمد ربيع، ط / 1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1990.
80.	في الرومانسية والواقعية، د. سيد حامد النساج، مكتبة غريب، القاهرة.
81.	قاموس التواريخ، محمد حمدي، تقديم محمد حسين هيكل، ط / 2014م، المكتبة الأكاديمية، القاهرة.
82.	قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، أحمد أمين، كلمات عربية للترجمة والنشر، مدينة نصر، القاهرة.

83.	القصة من خلال تجاربي الذاتية، د. عبدالحמיד جودة السحار، دار مصر للطباعة، القاهرة.
84.	الكبرياء - أيام سعد الدين الشاذلي، سمير الجمل، نوفمبر 2012م، دار الجمهورية للصحافة، القاهرة.
85.	ليلة الخمر - من حياتي، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة.
86.	ليل له آخر، يوسف السباعي، ج/ 1، مكتبة مصر القاهرة.
87.	ليل له آخر، يوسف السباعي، ج/ 2، مكتبة مصر القاهرة.
88.	ما يطابق أمثال العرب من شعرهم، خليفة العويدي، دار الفلاح للنشر والتوزيع صويلح الأردن.
89.	مبكي العشاق في موكب الهوي، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة.
90.	مجنون ليلي، أحمد شوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة.
91.	مدخل إلى تحليل النص الأدبي، د. عبدالقادر وحسين لافي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1993.
92.	مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، د. نسيب نشاوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
93.	المذاهب الأدبية لدى المغرب، عبدالرزاق الأصغر، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 1999.
94.	المذهب الأدبية، نبيل راغب، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
95.	معجم الأدباء (من العصر الجاهلي حتى سنة 2002)، ط/ 1، كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية بيروت، 2003.
96.	المصطلحات الأدبية، ابراهيم فتحي، ط/ 1، التعااضدية العمالية للطباعة والنشر صفاقس تونس، 1986.
97.	معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني بيروت.
98.	معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، ط/ 2، مكتبة لبنان بيروت.

99.	مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي- القسم الأول، ط / 1، سنة 2002، دار البشائر الإسلامية.
100.	مقالات أبي الفضل بدیع الزمان الهمداني، شرح محمد محيي الدين، سنة الطباعة 1923.
101.	ممدوح محمد دسوقي، أحمد سعيد الإعلامي، الأشهر في الستينات وشهاداته التاريخية، ط / 2، مكتبة جزيرة الورد، 2017م.
102.	من أعلام الأدب المعاصر، جمال الدين الرمادي، دار الحمامي للطباعة، شارع الجيش.
103.	من العالم لمجهول- خبايا الصدور، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة.
104.	6000 من أمثالنا الشعبية، إبراهيم مرزوق، الدار الثقافية للنشر مصر.
105.	من وراء الغيم، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة.
106.	موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، د. خليل أحمد خليل، ط/1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
107.	موسوعة الأمثال الشعبية المصرية، د. إبراهيم أحمد شعلان، ط / 1، شارع محمود طلعت، القاهرة، الشركة الدولية للطباعة.
108.	موسوعة الأمثال العالمية، جلال عبده خدشي، مؤسسة صوت القلم العربي، مصر.
109.	موسوعة الأمثال العربية العامية الدارجة، بروفيسر يوسف دانا، مكتبة كل شيء حيفا.
110.	الموسوعة الشوقية، شرح إبراهيم الأنباري، ط / 2، 1998، دار الكتب العربي.
111.	موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة عبدالواحد لؤلؤة، ط / 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 1983.
112.	موسوعة نساء ورجال من مصر، لمعي المطيعي، ط/1، دار الشروق القاهرة.
113.	الموقف الأمريكي في سباق السلاح بين مصر وإسرائيل، سلوى صابر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مصر.
114.	نادية، يوسف السباعي، ج / 1، مكتبة مصر، القاهرة.

نادية، يوسف السباعي، ج/ 2، مكتبة مصر، القاهرة.	.115
نائب عزرائيل، البحث عن الجسد، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة.	.116
نحن لا نزرع الشوك، يوسف السباعي، ج/ 1، مكتبة مصر القاهرة.	.117
نحن لا نزرع الشوك، يوسف السباعي، ج/ 2، مكتبة مصر القاهرة.	.118
نفحة من الإيمان، صورة طبق الأصل، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة.	.119
النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، 2003.	.120
نقد وإصلاح، د. طه حسين، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013.	.121
هذا هو الحب، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة.	.122
هذه النفوس - هذه الحياة، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة.	.123
همسة غابرة أقوى من الزمن، يوسف السباعي، مكتبة مصر، القاهرة.	.124
هم وأنا، صالح مرسي، مديبولي الصغير، القاهرة.	.125
الوجه الآخر (مقالات في الأدب والفن والحياة)، محمد عبدالحليم عبدالله، مكتبة مصر، القاهرة.	.126
وراء الستار، يوسف السباعي، لجنة النشر للجامعيين، مكتبة مصر، القاهرة.	.127
يا أمة ضحككت، يوسف السباعي، مكتبة مصر.	.128
يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية، لوسي يعقوب، الدار المصرية اللبنانية.	.129

فهرس المقالات

1.	ابن يوسف السباعي، اغتاله الفلسطينيون نكاية في السادات، زينب الدستور الأحد 17 يونيو 2018،
2.	اغتيال الروائي وزير الثقافة يوسف السباعي، ماهر حسن، الخميس، 17-2-2011، Almasryalyoum.com
3.	إني راحلة، غالي شكري، مجلة القصة، العدد/ 2، فبراير 1965.
4.	تحقيق عسكري إعداد، ربما سليم ضومط العدد 229 تموز 2004، www.lebarwy.gov.lb
5.	تعرف على مفهوم قوانين الاستصلاح الزراعي في سوريا، مهدي ناصر، 19 يونيو 2018، لزرر/ www.tal.net/2018/06/19/
6.	الجرمة السياسية، قناة الجزيرة، www.youtube.com/watch?v.
7.	دافع عن الثورة ب"رد قلبي واغتيال بسبب كامب ديفيد بهاء حجازي 18 فبراير 2019، www.masrawy.com/arts/youm.com.
8.	دولت حبيبة، يوسف السباعي، لوتس عبد الكريم، الخميس 15-3-2018، Almasryalyoum.com.
9.	الرئيس السوري يرفع حفل اتحاد الكتاب العرب بعيده الخمسين، خليل قنديل الدستور، 18 أيلول 2004.
10.	السقامات، كارنيك جورج، الرسالة، 30 يونيو 1952.
11.	سوق الأدب وسوق الزلط، يوسف السباعي، مجلة الرسالة الجديدة، الرقم الأول 1954/4/1.
12.	شحاتة أفندي بطل (السقامات) رواية يوسف السباعي، توفيق حنا، إبداع العدد العاشر.

13.	الطيار الذي انتصر بمفرده على السلاح الجو الإسرائيلي، بتاريخ www.Arabic.rt.com، 2018/8/6م،
14.	الفانتازية الفاجعة من نائب عزرائيل إلى أرض النفاق، غالي شكري، القصة العدد الأول تاريخ الإصدار: 15 يناير 1965.
15.	في ذكرى رحيله.. 10 أغاني خلدت أسطورة الشاعر كامل الشناوي، www.masrawy.com/Atrs/Abyad.
16.	في الليل لما خلي، تحليل موسيقي، د. أسامة عفيفي، http://www.Arabicmusic.Word Press.com
17.	كليوباترا.. إحدى روائع محمد عبدالوهاب، www.google.com/amp/s/alitihad.ae/ Article.amp/4423
18.	محمد السباعي أول عميد للأدباء المترجمين مقال د. محمد الجوادي تاريخ 5-82019، www.google.com/amp/s/www.aljazeera.net
19.	محمد عبدالحليم عبدالله.. الأدب الإنساني في أصدق صورة: رصد، الأحد 2010/10/17، الأدب www.ainnews.net.الإنساني
20.	مستويات التناسخ في رواية نائب عزرائيل ليوسف السباعي، أ.د. ذكري بن صالح، مجلة العمدة، 3-2019م.
21.	مع الساخرين.. يوسف السباعي.. أم رتيبة أحمد إبراهيم الشريف، السبت 11 يونيو 2016، www.google.com/amp/s/m.youm
22.	نحن لا نزرع الشوك وأصولها الروائية في أدب يوسف السباعي، يوسف الشاروني، المجلة العدد/ 160.

ولكن السقامات مخلدا في السينما المصرية، فريال كامل، إبداع/ الثامن، 1995-8-1	23
--	----

مواقع الشبكة

1	www.Alhabbal.info/dr.mjamil
2	www.almrta.com/post/582813
3	www.Youtube.com/watch?v
4	www.aldiwan.net/cat-poet-ibn-al-Baghdadi-zuryu
5	www.masrawy.com/2011
6	www.arabicmusic.Owrlpress.com/2009/07/24
7	www.ar.wikipedia.org/wiki
8	www.aldiwan.net/poem_25760.htm
9	www.alwaten.com.sa
10	www.britannica.com/art/social-problem-novel
11	www.arachive.Alchourouk.com/142416676
12	www.al-jazirah.com/2013/20130607/ri8.htm
13	www.scc.gov.eg/council/ عن المجلس